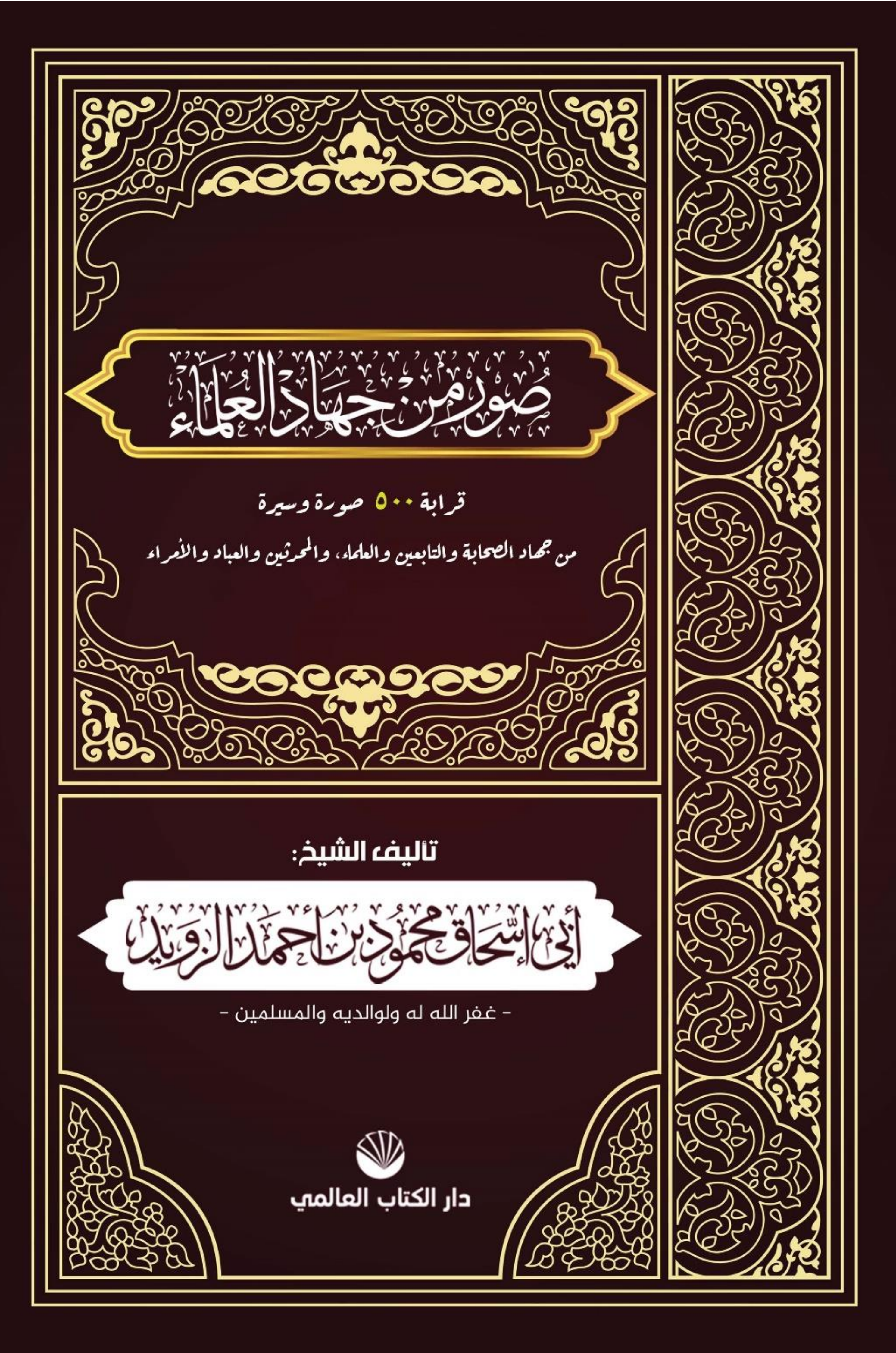
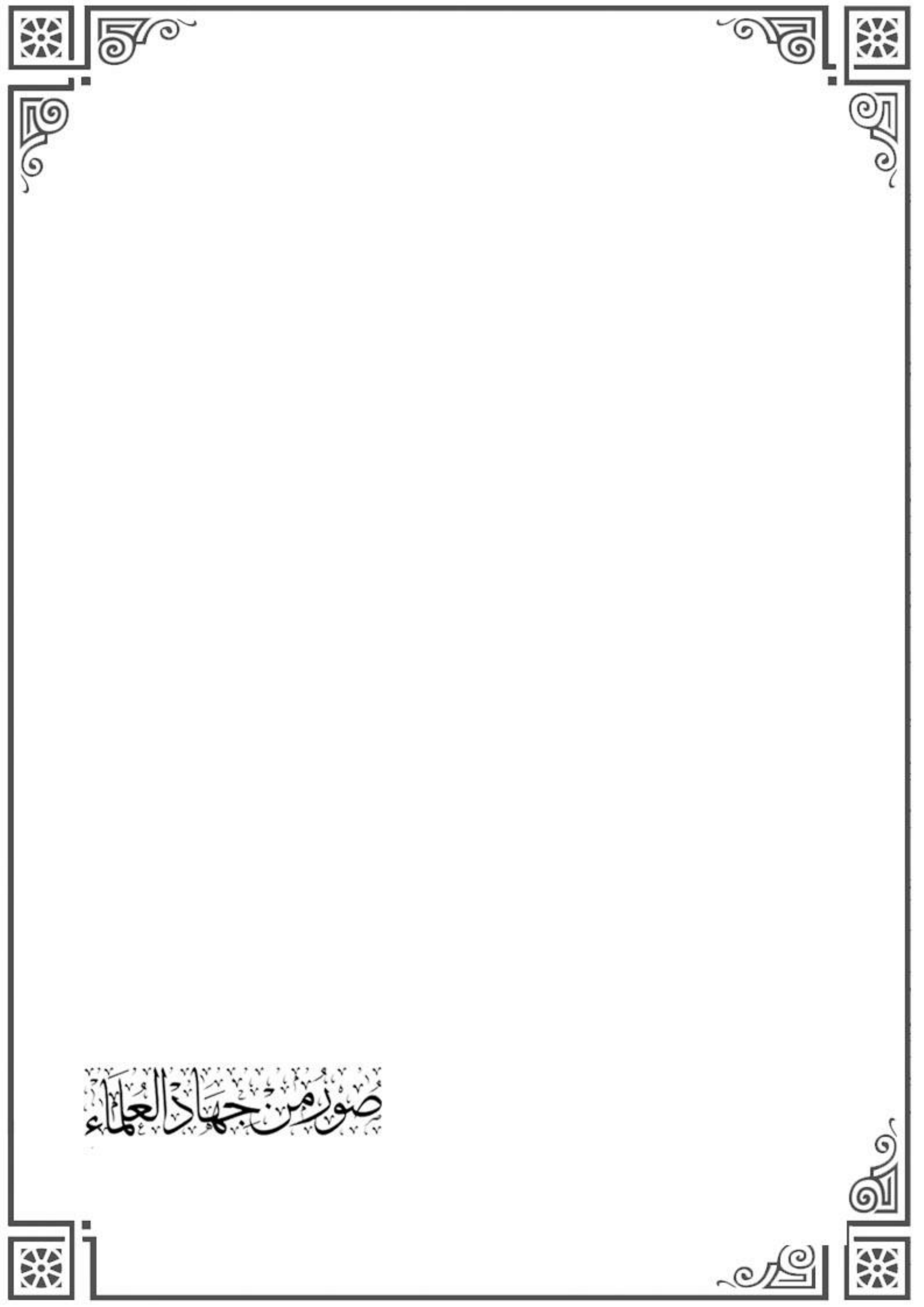
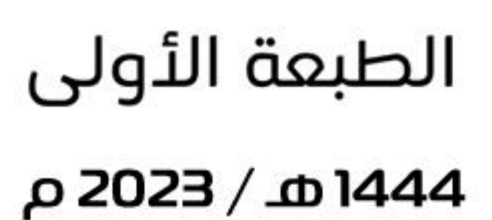

صور من جهاد العلماء
قرابة ٥٠٠ صورة وسيرة
من جهاد الصحابة والتابعين والعلماء، والمحدثين والعباد والأمراء
تأليف الشيخ:
أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد
- غفر الله له ولوالديه والمسلمين -
دار الكتاب العالمي


صور من جهاد العلماء







1444هـ / 2023 م

التصميم والمراجعة والتنسيق:

أبو عبد الرحمن محمد الخطاب

الطبع والتجليد:

Step Ajans Matbaa Ltd. Şti

Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar / İstanbul Tel: 0212 46808426

Sertfika No: 45522

النشر والتوزيع: دار الكتاب العالمي

عنوان دار الكتاب العالمي: تركيا – استانبول – العمرانية

Yamanevler Mah. Küçüksu Cad. Bıldırcın Sok. No: 9 Dükkan: 1

Ümraniye / İstanbul

رقم الهاتف والتواصل:

00905397626695

bilgi@kureselkitap.com

www.kureselkitap.com










قرابة ٥٠٠ صورة وسيرة

من جهاد الصحابة والتابعين والعلماء، والمحدثين والعباد والأمراء

تأليف الشيخ:



- غفر الله له ولوالديه والمسلمين -



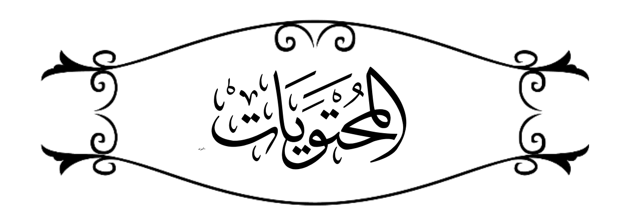
دار الكتاب العالمي








بسم الله الرحمن الرحيم



المحتوى ١

إضاءة من روائع الكلم ٣٧

نداء إلى زعماء العرب والمسلمين وإلى الجامعة العربيَة ٤٣

المقدمة ٤٦

أهمية قصص السلف وحكايتهم في شحذ الهمم ٤٨

فاتحة ببيانِ دور العلماء في الجهاد وصد العدوان ٥١

من قُتِل من العلماء في ساحات القتال ٦٩

١ الإمام أبو علي الصدفي (٥١٤هـ) ٦٩

٢ القاضي يحيى بن محمد الأموي المعروف بابن قبروق سنة (٥٠٨هـ) ٦٩

٣ الفقيه أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد بن حيات الأنصاري (٥٠٣هـ) ٦٩

٤ أبو جعفر عبد الوهاب ابن حكم الأنصاري في وقيعة وشقة سنة (٤٨٩هـ). ٦٩

٥ والفقيه أحمد بن ثابت العوفي، استشهد في وقيعة البورت ٧٠

٦ القائد ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحاج أبو عبد الله بن الحاج الطرطوشي ٧٠

٧ المفسر الأصولي المالكي المِقْدام ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)........................ ٧١

٨ محمد بن يحيى بن سعد الأشعري المالقي (ت ٧٤١هـ)................................ ٧١

٩ محمّد بن حسن بن محمّد بن عبد الله المالقي، المعروف بابن صاحب الصلاة (ت ٦٠٩هـ)٧١

١٠ الفقيه المحدث أبو القاسم النَّسوي (ت ٤٩٢هـ)...................................... ٧٢

١١ ابن الصفار القاسم بن عبد الله بن عمر النيسابوري (ت ٦١٨هـ)........................ ٧٤

١٢ إبراهيم بن علي بن محمد السلمي، المعروف بالقطب المصريّ (ت ٦١٨هـ) ٧٤

١٣ أبو روح عبد المعز بن محمد الساعدي (ت ٦١٨هـ)................................. ٧٤

١٤ الحسين ابن رواحة الحمويّ الأنصاريّ، الشافعيّ، الفقيه، الأديب، الشاعر البارع (ت ٥٨٥هـ)
.... ٧٥

١٥ العبدويّ النيسابوريّ محمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس بن عليّ بن عبد الله بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود، أبو عبد الله، الهذليّ، العبدويّ (ت ٣٢٣هـ)............................ ٧٦

١٦ يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حماد بن الجوزي، القرشي، التيمي، البغدادي (ت ٦٥٦هـ).. ٧٦

١٧ ابن وهبان السلمي أبو نصر عبد الرحيم بن النفيس (ت ٦١٨هـ)........................ ٧٧

١٨ نجم الدين الكبرى أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي (ت ٦١٨هـ). ٧٨

١٩ ابن عثمان القاضي الأسعد (ت ٥٨٢هـ)... ٧٨

٢٠ الشيخ العابد الزاهد الصالح علي بن سليمان الخباز (ت ٦٥٦هـ) ٧٩

٢١ الأمير سيف الدين محمد بن عثمان ابن علكان الكرديّ (ت ٧٣٧هـ)................... ٧٩

٢٢ محمود بن أحمد بن محمد بن بختيان، العلامة، قاضي القضاة، أبو الثناء الزنجاني الشافعي (ت ٦٥٦هـ)... ٧٩

٢٣ محمد بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن إبراهيم، الزهريّ، الأندلسيّ، الإشبيليّ (ت ٦١٧هـ) ٨٠

٢٤ عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني، قاضي الديار المصرية، الإمام الأوحد، صدر الدين، أبو القاسم، الكردي، الشافعي (ت ٦٢٢هـ).. ٨١

أهمية الحركة العلمية في تقويم الجهاد والعلاقة الوثيقة بين الأمراء والعلماء (الدولة الأيوبية أنموذجًا) ٨٢

القسم الأول: معالم وبصائر بين يدي الكتاب ١٠٢

الباب الأول: نصيحة لأهل هذا الزمان ١٠٣

النصيحة الأولى: واجب العلماء وطلاب العلم **١٠٣**

النصيحة الثانية: إلى الشباب المسلم **١١٤**

النصيحة الثالثة: إلى عامة المسلمين؛ احذروا الهوى **١٢٣**

النصيحة الرابعة: إلى العاملين لخدمة دين الإسلام **١٢٦**

الباب الثاني: معالم في فضائل الجهاد وأبوابه ١٣٢

فضل الجهاد في سبيل الله.. **١٣٢**

حكمه **١٣٢**

الجهاد فريضة باقية **١٣٣**



التحذير من التخلف عن الجهاد..١٣٣

فضل الرمي في سبيل الله..١٣٥

فضل الثبات في أرض المعركة والرباط..١٣٥

في أجرِ خروج المجاهد في سبيل الله..١٣٦

أنواع الجهاد في سبيل الله ومراتبه..١٣٧

مراتب فرض الجهاد في سبيل الله..١٤١

أهمية النية..١٤١

ذم الجبن والحث على الشجاعة..١٤٢

الحث على الخروج وترك التواني..١٤٤

أخلاق الغازي وأدب الغزو..١٤٥

فائدة: في ذكرِ السر في تقديم كتاب النكاح على كتاب الجهاد..١٤٧

الباب الثالث: مسائل في الرباط..١٤٩

المسألة الأولى: معنى الرباط..١٤٩

المسألة الثانية: فضل الرباط في سبيل الله..١٥٠

المسألة الثالثة: حكم الرباط..١٥٢

المسألة الرابعة: أرض الرباط وتفاضلها..١٥٤

المسألة الخامسة: فضل الرباط في أرض الشام..١٥٥

الباب الرابع: تواليف العلماء وتصانيفهم في الجهاد..١٦٠

ألف عدة علماء في الجهاد بطلب من ولاة الأمر..١٦٠

ومن العلماء من ألَّف في المغازي..١٦٣

ومن العلماء من ألف في الرمي وما يتعلق به..١٦٦

القسم الثاني: صور من جهاد الصحابة والتابعين والعلماء والأمراء ١٦٨

الباب الأول: من ألف أو حدَّث أو خرج قاضيًا إلى أرض الرباط ١٦٩

٢٥ إسحاق بن إبراهيم الحنيني مولى العباس (ت ١٦ هـ)............................... ١٦٩

٢٦ أبو إسحاق الفزاري إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة، الكوفي (ت ١٨٥هـ). ١٧٠

٢٧ أبو حنيفة الأصغر، الملقب بشمس الأئمة (ت ٥١٢هـ)............................... ١٧١

٢٨ الحافظ رجاء بن مرجى بن رافع أبو محمد المروزي (ت ٢٤٩هـ).................... ١٧٢

٢٩ السلفي الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو طاهر، عماد الدين، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ). ١٧٢

٣٠ سلمان الفارسي ﷺ، صاحب رسول الله ﷺ (ت ٣٣ أو ٣٦هـ). ١٧٣

٣١ سعيد بن أبي سعيد، واسمه كيسان المقبري (ت ١٢٥هـ). ١٧٤

٣٢ العباس بن الفضل بن شاذان الرازي المقرئ المفسر (ت ٣١٠هـ)..................... ١٧٥

٣٣ الصفراوي عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل (ت ٦٣٦هـ)..................... ١٧٥

٣٤ علي بن إسماعيل بن علي بن حسين بن عطية، الملقب شمس الدين وشهرته بأبي الحسن الأبياري (ت ٦١٦هـ).. ١٧٥

٣٥ أبو القاسم مخلوف بن علي بن جارة المغربي ثمَّ الإسكندري (ت ٥٨٣هـ)............ ١٧٦

٣٦ الإمام عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ).. ١٧٦



٣٧ أبو محمد عبد الله بن سعيد الشنتجالي (ت ٤٣٦هـ) ١٧٦

٣٨ عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري (ت ٣٨٣هـ).................. ١٧٧

٣٩ عبد الله بن وهب (ت ١٩٧هـ). ١٧٨

٤٠ أبو عمر الطلمنكي (ت ٤٢٩هـ)... ١٧٩

٤١ عيسى أبو الروح الزواوي بن مسعود بن المنصور بن يحيى بن يونس بن يوينو بن عبد الله بن أبي حاج الحميري المالكي (ت ٧٤٣هـ)... ١٨٠

٤٢ محمد بن يوسف الفريابي (ت ٢١٢هـ). ١٨٠

٤٣ محمد بن يوسف ابن محمد أبو عبد الله الأموي مولاهم القرطبي النجاد المقرئ خال أبي عمرو الداني (ت ٤٢٩هـ). ١٨١

٤٤ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحذاء التميمي (ت ٤١٦هـ). ١٨١

وأما من ولِي القضاء من العلماء في الثغور فجماعات كُثر، منهم: ١٨٣

٤٥ أسد بن الفرات أبو عبد الله الحراني ثم المغربي (ت ٢١٣هـ)......................... ١٨٣

٤٦ ثابت بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي (ت ٢٠٨ هـ)............................. ١٨٤

٤٧ الحسن بن علي بن الحسن بن حربٍ (ت٣٣٤هـ)..................................... ١٨٤

٤٨ الحسين بن الحسين بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأنطاكي (ت ٣١٩ هـ). ١٨٥

٤٩ ابن الجرج أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني المالكي (ت ٦٥٦هـ) نزيل الثغر.. ١٨٥

٥٠ جعفر بن عبد الواحد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب من ساكني بغداد، وأصله بصري (ت ٢٦٨هـ) ١٨٦

٥١ عبد الواحد أبو محمد بن شرف الدين بن المنير (ت ٧٣٦هـ). ١٨٧

٥٢ أحمد بن خالد أبو جعفر الخلال العسكري قاضي الثغر (ت ٢٤٦هـ)................... ١٨٧

٥٣ أحمد بن محمد بن أحمد العكي اللوشي أبو جعفر بن الأصلع (ت ٦٢٤هـ)........... ١٨٧

٥٤ أبو عبيد القاسم بن سلَّام البغدادي اللغوي الفقيه (ت ٢٢٤هـ) ١٨٧

٥٥ موسى بن داود الضبي الحافظ أبو عبد الله الكوفي، قاضي طرسوس (ت ٢١٦هـ) ١٨٨

٥٦ السفاقسي أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام المعمر، المسند، الفقيه (ت ٦٥٤هـ).... ١٨٨

٥٧ أحمد بن حرب الموصلي (ت بين ٢٦١-٢٧٠هـ)................................. ١٨٩

٥٨ إبراهيم بن يزيد بن قديد.. ١٨٩

٥٩ أشعث بن شعبة المصيصي (ت ١٩١-٢٠٠هـ)... ١٨٩

٦٠ أبو الحسن علي الإسكندراني بن المفضل ابن القاضي الأنجب أبي المكارم المقدسي، ثمَّ المالكي (ت ٦١١هـ)... ١٩٠

٦١ ابن العمادية (ت ٦٧٣هـ) ١٩٠

٦٢ عثمان بن طلحة الزبيري بن محمد بن عثمان بن طلحة بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام (ت ٢٧٠-٢٧٣هـ)... ١٩١

٦٣ عمر بن يزيد السياري أبو حفص الصفار مات سنة (بضع وأربعين ومائتين)........... ١٩١

٦٤ داود بن منصور النسائي (ت ٢٢٣هـ).. ١٩١

٦٥ سعيد بن نصير الإمام المحدث أبو عثمان البغدادي الوراق (ت ٢٥١-٢٦٠هـ) ١٩٢

٦٦ عبيد بن وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي، أخو سفيان بن وكيع ١٩٢

٦٧ داود بن معاذ العتكي أبو سليمان البصري ابن بنت مخلد بن الحسين، بصري سكن المصيصة (ت ٢٣٣هـ).. ١٩٢

٦٨ ابن عين الدولة محمد بن عبد الله بن الحسن الإسكندراني (ت ٦٣٩هـ) ١٩٣

٦٩ لوين؛ أبو جعفر محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي (ت ٢٤٥هـ) ١٩٣

٧٠ ميمون بن عون.. ١٩٤

صور من نصائح العلماء للأمراء تحريضاً على الجهاد، وحفظاً للبلاد ١٩٥

٧١ الأوزاعي (ت ١٥٧هـ) عالم الشام ومحدثها.. ١٩٥

٧٢ حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي (ت ١٥٨هـ).. ١٩٦

٧٣ ابن أبي ذئب (ت ١٥٩هـ).. ١٩٧

٧٤ عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤هـ).. ١٩٧

٧٥ عبد الله بن محيريز بن جنادة أبو محيريز الجمحي المكي نزيل الشام (ت ٩٩هـ)....... ١٩٩

٧٦ عبد الملك بن حبيب الفقيه (ت٢٣٨ أو ٢٣٩هـ).. ١٩٩

الباب الثاني: الألقاب في الجهاد ٢٠٠

الباب الثالث: غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وجهاده ٢٠٣

الباب الرابع: من جهاد الصحابة ﭫ ٢٠٦

٧٧ خليفة رسول الله أبي بكر الصديق (ت١٣هـ) ٢١٥

٧٨ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﭬ (ت ٢٣هـ)...................................... ٢١٧

٧٩ أمير المؤمنين عثمان ﭬ (ت ٣٥هـ) ٢١٩

٨٠ علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ) ﭬ.. ٢٢١

٨١ أبو عبيدة بن الجراح (ت ١٨هـ).. ٢٢٤

٨٢ سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري، أبو إسحاق القرشي، الزهري، المكي (ت ٥٥هـ) ٢٢٦

٨٣ الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب (ت ٣٦هـ).. ٢٢٨

٨٤ عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، أبو محمد القرشي الزهري (ت ٣٢هـ) ٢٣٠

٨٥ طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره التيمي (ت ٣٦هـ)، ويلقب بالفياض لكرمه وجوده ٢٣١

٨٦ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي، أبو الأعور (ت ٥١هـ) ٢٣٢

وأما جهاد الصحابة من غير العشرة المبشرين بالجنَّة فكثر، منهم: ٢٣٣

٨٧ أبو أمامة الباهلي (ت ٨١-٨٦هـ) ٢٣٣

٨٨ أنس بن النضر (ت ٣هـ) رضي الله عنه. ٢٣٤

٨٩ بسر بن أبي أرطأة رضي الله عنه (ت بين ٧١-٨٠هـ).. ٢٣٥

٩٠ أبو برزة الأسلمي نضلة بن عبيد (ت ٦٤هـ)، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم................. ٢٣٦

٩١ البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري (ت ٢٠هـ). ٢٣٧

٩٢ بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي. ٢٣٧

٩٣ بلال بن رباح رضي الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ٢٣٨

٩٤ أبو زيد الأنصاري ثابت بن زيد بن قيس بن زيد. ٢٣٩

٩٥ ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك الأنصاري (ت ١٢هـ)........................ ٢٣٩

٩٦ حبيب بن مسلمة بن مالك القرشي الفهري الأمير أبو عبد الرحمن -وقيل: أبو مسلمة- القرشي، الفهري (ت ٤٢هـ). ٢٣٩

٩٧ حمزة بن عمرو بن عويمر بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم الأسلمي (ت ٦١هـ)، أبو صالح، ويقال: أبو محمد المدني، له صحبة.. ٢٤١

٩٨ حممة بن أبي حمية رضي الله عنه.. ٢٤٢

٩٩ جندب بن كعب بن عبد الله بن غنم الأزدي الغامدي (ت ٣٧هـ). ٢٤٢

١٠٠ أبو أيوب الأنصاري النجاري؛ خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة (ت ٥٢هـ). ٢٤٣

١٠١ خالد بن الوليد (ت ٢١هـ) رضي الله عنه ٢٤٥

١٠٢ أبو دجانة الأنصاري سماك بن خرشة بن لوذان (ت ١٢هـ) رضي الله عنه ٢٤٧

١٠٣ حكيم الأمة أبو الدرداء (ت ٣٢) رضي الله عنه ٢٤٨

١٠٤ زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، أبو عبد الرحمن (ت ١٢هـ)، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله ٢٥٠

١٠٥ سالم مولى أبي حذيفة (ت ١٢هـ) ٢٥١

١٠٦ سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري رضي الله عنه ابن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ٢٥١

١٠٧ أبو سفيان بن حرب (ت ٣١هـ) ٢٥٢

١٠٨ سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع: سنان بن عبد الله، أبو عامر، وأبو مسلم ٢٥٣

١٠٩ سهيل بن عمرو (ت ١٨هـ) رضي الله عنه ٢٥٤

١١٠ شمعون بن زيد بن خنافة، أبو ريحانة الأزدي ٢٥٥

١١١ الطفيل بن عمرو بن طريف الدوسي (ت ١١هـ) ٢٥٦

١١٢ أبُو طَلْحَة الأنصاري. زيد بن سهل بن الأسود النجاري الأنصاري (ت ٣٤هـ). ٢٥٧

١١٣ طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي (ت ٢١هـ) ٢٥٧

١١٤ عباد بن بشر بن وقش بن زغبة الأنصاري (ت ١٢هـ) ٢٥٨

١١٥ عبادة بن الصامت (ت ٣٤هـ) رضي الله عنه ٢٥٩

١١٦ عبد الله بن أم مكتوم القرشي العامري من السابقين المهاجرين (ت ١٥هـ)........... ٢٥٩

١١٧ عبد الله بن جحش رضي الله عنه ٢٦٠

١١٨ عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري (ت ٣هـ)........................... ٢٦٠

١١٩ عبد الله بن قرط الأزدي الثمالي (ت ٥٦هـ)................................. ٢٦١

١٢٠ عبد الملك بن جندب بن جنادة (ابن أبي ذر الغفاري) (ت ٨١هـ) رضي الله عنهما. ٢٦١

١٢١ عرفجة بن هرثمة عبد العزى ابن زهير بن ثعلبة البارقي (ت ٣٤هـ). ٢٦١

١٢٢ عروة بن الجعد ويقال ابن أبي الجعد الأزدي ثم البارقي الكوفي . وبارق جبل نزل عنده بعض الأزد فنسبوا إليه، ولعروة صحبة.. ٢٦٢

١٢٣ الشهيد السعيد عكاشة بن محصن أبو محصن الأسدي (ت ١١هـ). ٢٦٢

١٢٤ عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي (ت ١٣هـ).. ٢٦٣

١٢٥ عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم الأنصاري السلمي، سيد بني سلمة (ت ٣هـ)... ٢٦٤

١٢٦ قرظة بن كعب الأنصاري الخزرجي (ت ٥٠هـ).................................. ٢٦٥

١٢٧ القعقاع بن عمرو التميمي (ت ٤٠ أو٤١هـ)................................... ٢٦٥

١٢٨ كعب بن عجرة رضي الله عنه.. ٢٦٥

١٢٩ كعب بن مالك (ت ٥١ أو ٥٢هـ) رضي الله عنه.................................. ٢٦٦

١٣٠ المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرّة بن ذهل بن شيبان الرّبعي الشيبانيّ (ت ١٤هـ) ٢٦٦

١٣١ معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب الأموي (ت ٦٠هـ) رضي الله عنه ٢٦٧

١٣٢ المقداد بن الأسود (ت ٣٣هـ) رضي الله عنه ٢٦٨

١٣٣ محمود بن الربيع أبو سراقة بن عمرو الأنصاري الخزرجي (ت ٩٩هـ) ٢٦٨

١٣٤ النعمان بن مُقَرِّنٍ. أبو عمرو المزني، الأمير (ت ٢٠هـ)........ ٢٦٨

ومن النِّساءِ الصَّحابياتِ اللواتي لهنَّ مشاركةٌ في الجهاد: ٢٧١

١٣٥ أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية........ ٢٧١

١٣٦ أميمة ابنة قيس بن أبي الصلت الغفارية العابدة الزاهدة ٢٧١

١٣٧ أم حرام بنت ملحان الأنصارية، النجارية، المدنية (ت ٢٨ أو ٢٧ هـ) ٢٧١

١٣٨ أم حكيم بنت الحارث بن هشام، زوج عكرمة بن أبي جهل ابن عمها ٢٧٢

١٣٩ الخنساء؛ تماضر بنت عمرو بن الحارث السلمية (ت ٢٤هـ) ٢٧٣

١٤٠ الربيع بنت معوذ رضي الله عنها ٢٧٥

١٤١ أم سليط ٢٧٥

١٤٢ أم سليم الغميصاء بنت ملحان الأنصارية ٢٧٥

١٤٣ عائشة الصديقة بنت أبي بكر رضي الله عنها........ ٢٧٦

١٤٤ أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية رضي الله عنها........ ٢٧٦

١٤٥ أم ورقة بنت نوفل.. ٢٧٧

الباب الخامس: جهاد التابعين ومن بعدهم ٢٧٨

١٤٦ الأسود بن كلثوم.. ٢٧٨

١٤٧ تبيع بن عامر الحميري الحبر ابن امرأة كعب الأحبار (ت ١٠١هـ).................. ٢٧٩

١٤٨ الجرشي يزيد بن الأسود.. ٢٧٩

١٤٩ الحارث بن مرّة العبدي (ت ٣٧ وقيل ٤٢هـ).. ٢٨٠

١٥٠ حباشة بن حسين اليحصبي (ت ٣٧٤هـ).. ٢٨٠

١٥١ الحسن البصري(ت ١١٠هـ).. ٢٨١

١٥٢ حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة (ت ٩٠ وقيل ١٠٠هـ)........................ ٢٨٢

١٥٣ خالد بن معدان الإمام، أبو عبد الله الكلاعي، الحمصي (ت ١٠٣هـ)................ ٢٨٣

١٥٤ أبو ذُؤَيْب الهُذَلي (ت ٢٦ هـ).. ٢٨٤

١٥٥ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ١٠٦هـ) رضي الله عنهم........................ ٢٨٥

١٥٦ سلمان بن ربيعة بن يزيد أبو عبد الله الباهلي (ت ٢٩هـ)........................ ٢٨٥

١٥٧ عبد الله، أبو محمد البطال، ويقال: أبو يحيى (ت ١١٢ أو ١١٣هـ)................ ٢٨٦

١٥٨ أبو بحرية عبد الله بن قيس الكندي التراغمي، الحمصي (ت ٥٣ أو ٥٤هـ).......... ٢٨٧

١٥٩ عبد الله بن مسافع بن عبد الله الأكبر (ت ٣٦هـ).. ٢٨٧

١٦٠ عبد الرحمن بن يزيد (ت ٧٥هـ).. ٢٨٨

١٦١ عبيد الله بن عبد الرحمن بن عوف ٢٨٨

١٦٢ عُتْبة بن أبي سُفْيَان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ٢٨٨

١٦٣ عثمان بن أبي سودة المقدسي ٢٨٩

١٦٤ عكرمة مولى عبد الله بن عباس، رضي الله تعالى (ت ١٠٥هـ) ٢٩٠

١٦٥ علي بن خشرم بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي، أبو الحسن بن عم بشر الحافي، وقيل ابن أخته (ت ٢٥٨هـ) ٢٩١

١٦٦ علي بن رباح اللخمي (ت ١١٧هـ) ٢٩١

١٦٧ أبو عمر بن إدريس بن يحيى الخولاني (ت ٢١١هـ) ٢٩١

١٦٨ عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ) ٢٩٢

١٦٩ قيس بن أبي حازم (ت ٩٨هـ) ٢٩٣

١٧٠ محمد بن المنكدر (ت ١٣٠هـ) ٢٩٣

١٧١ أبو مسلم الخولاني (ت ٦٢هـ) ٢٩٣

١٧٢ مسلم بن عبد الرحمن الجرمي (ت ٢٤٠هـ) ٢٩٤

١٧٣ أبو معاوية الأسود ٢٩٥

١٧٤ موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ) ٢٩٥

١٧٥ المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سارق بن صبح بن كندي (ت ٨٢هـ) ٢٩٦

١٧٦ هانئ بن كلثوم بن عبد الله الكناني (ت ١٠٠هـ) ٢٩٧



١٧٧ همام بن منبه بن كامل بن سيج الصنعاني، أبو عقبة الصنعاني (ت ١٣١هـ) ٢٩٧

١٧٨ يونس بن عبيد (ت ١٣٩أو ١٤٠هـ) ٢٩٨

الباب السادس: جهاد الأمراء والسلاطين ٣٠٠

١٧٩ الأمير الكبير أسامة بن منقذ: العلامة، فارس الشام، مجد الدين، مؤيد الدولة، أبو المظفر ابن الأمير مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، الشيزري (ت ٥٨٤هـ) ٣٠٠

١٨٠ ألب أرسلان (ت ٤٦٥هـ).. ٣٠١

١٨١ بايزيد الثاني (ت ٩١٨هـ).. ٣٠٣

١٨٢ الظاهر بيبرس ركن الدين أبو الفتوح البندقداري الصالحي النجمي الأيوبي التركي، صاحب مصر والشام (ت ٦٧٦هـ).. ٣٠٤

١٨٣ ترمشين بن دُوا المغلي (ت ٧٣٥هـ)... ٣٠٥

١٨٤ أمير المؤمنين أبو الفضل جعفر المتوكل على الله، ابن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد القرشي العباسي البغدادي (ت ٢٤٧هـ)................................. ٣٠٥

١٨٥ الحكم بن عبد الرحمن بن محمد المستنصر بالله أمير المؤمنين بالأندلس، أبو العاص، المستنصر بالله بن الناصر الأموي، المرواني (ت ٣٦٦هـ)............................ ٣٠٦

١٨٦ حسام الدين طمان (ت ٥٨٥هـ).. ٣٠٧

١٨٧ الملك الأشرف خليل بن السلطان قلاون الصالحي (ت ٦٩٣هـ)................... ٣٠٨

١٨٨ خوارزمشاه أبو الفتح محمد بن نوشتكين.. ٣٠٨

١٨٩ السلطان سليم الأول (ت ٩٢٦هـ).. ٣٠٩

١٩٠ سليمان بن عبد الملك، أبو أيوب (ت ٩٩هـ).. ٣١١

١٩١ سيف الدولة الحمداني (ت ٣٥٦هـ).. ٣١١

١٩٢ شيركوه بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني (ت ٥٦٤هـ)........................ ٣١٢

١٩٣ صلاح الدين الأيوبي؛ يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان الدويني الأصل التكريتي المولد (ت ٥٨٩هـ).. ٣١٤

١٩٤ طارق بن زياد مولى موسى بن نصير (ت ١٠١هـ).. ٣١٨

١٩٥ طغتكين أبو منصور الأتابك (ت ٥٢٢هـ).. ٣١٩

١٩٦ عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي (ت ١٧٢هـ).. ٣٢٠

١٩٧ عبد الله بن الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، الأسدي، كنيته: أبو بكر (ت ٧٣هـ).. ٣٢٢

١٩٨ عثمان بن أرطغرل (ت ٧٢٦هـ).. ٣٢٣

١٩٩ عقبة بن نافع القرشي الفهري الأمير (ت ٦٣هـ).. ٣٢٥

٢٠٠ عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي (ت ٥٨٧هـ).. ٣٢٦

٢٠١ المولى علي بن المولى الحسن بن القاسم، المعروف بالشريف........................ ٣٢٧

٢٠٢ عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين الفزاري الأمير، أبو المثنى الفزاري، الشامي، أمير العراقين، ووالد أميرها يزيد (ت ١٠٧هـ).. ٣٢٨



٢٠٣ فخر الملك بن عمار ٣٢٨

٢٠٤ قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي الأمير، أبو حفص (ت ٩٦هـ) ... ٣٢٩

٢٠٥ المظفر قطز: السلطان الشهيد، الملك المظفر، سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي (ت ٦٥٨هـ) ٣٣٠

٢٠٦ لؤلؤ العادلي الحاجب (ت ٥٩٨هـ) ٣٣١

٢٠٧ المأمون عبد الله بن هارون الرشيد الخليفة، أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي (ت ٢١٨هـ) ٣٣١

٢٠٨ المجاهد الشهيد أبو عبد الله محمد بن الحسن أبو الليف (ت ١٠٠٢هـ) ٣٣٣

٢٠٩ محمد الفاتح (ت ٨٨٦هـ) ٣٣٣

٢١٠ شهاب الدين، السلطان أبو المظفر محمد بن سام الغوري الغزنوي صاحب غزنة (ت ٦٠٢هـ) ٣٣٤

٢١١ محمد ابن السلطان الملك الكامل ابن السلطان الملك العادل بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي أبو المظفر وأبو المعالي صاحب مصر (ت ٦٣٥هـ).. ٣٣٧

٢١٢ الخليفة المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور العباسي (ت ١٦٩هـ)............... ٣٣٨

٢١٣ الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر والشام وميافارقين وآمد وخلاط والحجاز واليمن وغير ذلك (ت ٦١٥هـ).. ٣٣٨

٢١٤ محمود بن سبكتكين التركي، الملك أبو القاسم، يمين الدولة، فاتح الهند، ابن سيد الأمراء (ت ٤٢١هـ).. ٣٤١

٢١٥ نور الدين محمود بن محمود بن زنكي التركي (ت ٥٦٩هـ)........................ ٣٤١

٢١٦ مراد الأول (ت٧٦١هـ).. ٣٤٦

٢١٧ مراد الثاني (ت ٨٥٥هـ)... ٣٤٧

٢١٨ المظفر بن الأفطس (ت ٤٦٠هـ).. ٣٤٨

٢١٩ المعتصم بالله بن هارون الرشيد، أبو إسحاق، محمد بن الرشيد (ت ٢٢٧هـ) ٣٤٨

٢٢٠ المنصور بن أبي عامر محمد بن أبي عامر المعافري، الملقب بالمنصور (ت ٣٩٢هـ) ٣٥٠

٢٢١ موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي الأمير الكبير، أبو عبد الرحمن اللخمي، متولي إقليم المغرب، وفاتح الأندلس (ت ٩٧هـ).. ٣٥٢

٢٢٢ هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن الْعَبَّاس بن عبد المطلب أبو جعفر (ت ١٩٣هـ).. ٣٥٣

٢٢٣ الوليد بن عبد الملك: أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، الدمشقي (ت ٩٦هـ).. ٣٥٦

٢٢٤ يعقوب بن يوسف الموحدي، صاحب المغرب المنصور، السلطان الكبير، الملقب بأمير المؤمنين (ت ٥٩٥هـ)... ٣٥٧

٢٢٥ أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني، أمير المسلمين، السلطان، البربري، الملثم (ت ٥٠٠هـ)... ٣٦١

الباب السابع: جهاد العلماء والفقهاء ٣٦٤

٢٢٦ إبراهيم بن سعيد الجوهري أبو إسحاق، الحافظ العلامة أبو إسحاق الطبري ثمَّ البغدادي (ت ٢٤٤ وقيل: ٢٤٧، وقيل: ٢٤٩هـ) ٣٦٤

٢٢٧ إبراهيم بن شماس الغازي، أبو إسحاق السمرقندي، نزيل بغداد (ت ٢٢٠ أو ٢٢١هـ) ٣٦٤

٢٢٨ إبراهيم بن عبد الحميد بن ذي حماية الرحبي ٣٦٦

٢٢٩ إبراهيم بن محمود بن حمزة. أبو إسحاق النيسابوري القطان المالكي الفقيه (ت ٢٩١- ٣٠٠ هـ) ٣٦٦

٢٣٠ أحمد بن أبي بكر شهاب الدين أبو جلنك الحلبي الشاعر (ت ٧٠٠هـ) ٣٦٧

٢٣١ أحمد بن أبي بكر محمد ابن القدوة الكبير أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري، النيسابوري، الشهيد، أحد أئمة الحديث (ت ٣٥٣هـ) ٣٦٧

٢٣٢ أحمد بن أبي أحمد الطبري الشيخ الإمام أبو العباس بن القاص (ت ٣٣٥هـ) ٣٦٧

٢٣٣ ابن النحاس: أحمد بن إبراهيم بن محمد، أبو زكريا، محيي الدين الدمشقيّ ثم الدمياطيّ (ت ٨١٤هـ) ٣٦٨

٢٣٤ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ٣٦٩

٢٣٥ أَحْمَد بن حرب بن مُحَمَّد الطائي بن علي بن حيان بن مازن ابن الغضوبة، أَبُو علي، ويُقال: أَبُو بَكْر الموصلي (ت ٢٦٣هـ) ٣٧٤

٢٣٦ إمام أهل السنَّة والجماعة العالم الرباني أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ٣٧٤

٢٣٧ أحمد بن سعيد بن إبراهيم الخراساني الأشقر الرباطي، نزيل نيسابور (ت ٢٤٣هـ) ... ٣٧٧

٢٣٨ أحمد بن شبويه الإمام القدوة شيخ وقته أبو الحسن أحمد بن محمد بن ثابت بن عثمان الخزاعي المروزي الحافظ (ت ٢٣٠هـ).. ٣٧٧

٢٣٩ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الإمام، الحافظ، الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، النسائي، صاحب (السنن) (ت ٣٠٣هـ).. ٣٧٨

٢٤٠ أحمد بن العباس بن الحسين بن عياض أبو نصر العياضي........................ ٣٧٩

٢٤١ أحمد بن عبد الله بن حيون: من أهل قرطبة، يكنى: أبا الوليد (ت ٣٩٨هـ) ٣٧٩

٢٤٢ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، الصالحي، قاضي القضاة، شيخ الإسلام، شمس الدين أبي محمد، ابن الشيخ أبي عمر (ت ٦٨٩هـ).. ٣٨٠

٢٤٣ أحمد بن محمد بن يحيى بن المبارك اليزيدي العدوي أبو جعفر النحوي هو وأبوه وجده، مات قبيل سنة (٢٦٠هـ).. ٣٨١

٢٤٤ أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي (ت ٢٧٥هـ)................................ ٣٨١

٢٤٥ أحمد بن هارون بن أحمد بن جعفر بن عات، النفزي، الشاطبي (ت ٦٠٩هـ) ٣٨٢

٢٤٦ أبو إسحاق السوريني إبراهيم بن نصر، المطوعي النيسابوري الفقيه الحافظ (ت ٢١٠ أو ٢١٣هـ).. ٣٨٢

٢٤٧ إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني (ت ٢٦٤هـ)................................ ٣٨٣

٢٤٨ الأَغْلَب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة (ت ١٩ هـ)، من بني عجل بن لجيم، من ربيعة: شاعر راجز معمر.. ٣٨٤

٢٤٩ بديع الزمان النورسي (ت ١٣٧٩هـ).. ٣٨٤

٢٥٠ بقي بن مخلد إمام الأندلس ومحدثها (ت ٢٧٦هـ)................................ ٣٨٦

٢٥١ بدر الدين الحسني (ت ١٣٥٤هـ) ٣٨٧

٢٥٢ برد بن سنان ٣٨٩

٢٥٣ أبو الترك السلمي ٣٨٩

٢٥٤ حامد بن أحمد بن محمد بن أحمد المروزي المشهور بالزيدي؛ لاعتنائه بحديث زيد بن أبي أنيسة (ت ٣٢٨ أو ت٣٢٩هـ).. ٣٩٠

٢٥٥ حبان بن موسى بن سوار أبو محمد السلمي المروزي الكشميهني (ت ٢٣١ أو ٢٣٢ أو ٢٣٣هـ).. ٣٩٠

٢٥٦ الحَجَّاج بن حميد النَّضْري (ت ١١٠هـ).. ٣٩١

٢٥٧ أبو الحسن الصقلي الجزيري.. ٣٩١

٢٥٨ حسن بن محمد بن أيوب القاهري الشافعي، ويعرف بالشريف النسابة (ت ٨٦٦هـ) . ٣٩٢

٢٥٩ حسين بن محمد بن فِيرُّه بن حيون بن سكرة الصَّدفي، أبو علي: قاض، محدّث، كثير الرواية، من أهل سرقسطة (ت ٥١٤ هـ).. ٣٩٢

٢٦٠ الفقيه أبو علي الحسين بن رواحة.. ٣٩٣

٢٦١ الحسين بن علي بن محمد بن يحيى أبو أحمد التميمي النيسابوري يقال له: «حسينك»، ويعرف بـ«ابن منينة» (ت٣٧٥هـ).. ٣٩٣

٢٦٢ الحسين بن الوليد القرشي، مولاهم أبو علي، ويقال: أبو عبد الله، الفقيه النيسابوري، ولقبه كميل (ت ٢٠٢ وقيل ٢٠٣هـ).. ٣٩٤

٢٦٣ الحكم بن المطلب بن عبد الله بن حنطب (ت ١٢١-١٣٠هـ)........................ ٣٩٥

٢٦٤ خالد بن عبد الله بن باقل الحضرميّ ٣٩٦

٢٦٥ خلف بن سعيد المنبي (ت ٣٠٥هـ) ٣٩٦

٢٦٦ خلف بن محمد بن جرير السّرتي اليحصبي (ت ٣١٩هـ) ٣٩٦

٢٦٧ الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي الفراهيدي البصري، صاحب العربية والعروض، أحد الأعلام (ت ١٧٠هـ).. ٣٩٧

٢٦٨ خيثمة بن سليمان (ت ٣٤٣هـ).. ٣٩٨

٢٦٩ ربيع أبو سليمان بن سليمان بن عطاء الله القرشي النوفلي (ت ٣٣٤هـ) ٣٩٩

٢٧٠ ربيعة بن يزيد الأيادي، أبو شعيب الدمشقي القصير (ت ١٢٣هـ).................... ٣٩٩

٢٧١ رزام المجنون: كان مقيمًا بطرسوس مجاهدًا، يعد في عقلاء المجانين ٤٠٠

٢٧٢ زائدة بن قدامة (ت ١٦١هـ).. ٤٠١

٢٧٣ زهير بن محمد بن قمير بن شعبة المروزي الإمام، الرباني، المحدث، الثبت، أبو محمد - ويقال: أبو عبد الرحمن- المروزي، نزيل بغداد (ت ٢٥٧هـ) ٤٠١

٢٧٤ زيد بن أخزم؛ الإمام الحافظ، أبو طالب الطائي البصري (ت ٢٥٧هـ) ٤٠٢

٢٧٥ سابق بن عبد الله أبو المهاجر، وقيل أبو أمية، وقيل أبو عبد الله وقيل أبو زكريا، وقيل أبو سعيد البربري الرقي، من أهل حران، وسكن الرقة ويعرف بسابق البربري.................. ٤٠٢

٢٧٦ الإمام سحنون المالكي (ت ٢٥٦هـ)، ووالده سعيد.............................. ٤٠٣

٢٧٧ سعيد بن محمد بن سيد أبيه بن مسعود الأموي البلدي ٤٠٤

٢٧٨ سعيد بن محسن (ت ٤٠١هـ)... ٤٠٥

٢٧٩ سعيد بن موسى بن معمر الغساني: قتل بالمعترك سنة (٩٣هـ) ٤٠٥

٢٨٠ سليمان بن إبراهيم بن هلال القيسي ٤٠٥

٢٨١ سليمان بن إبراهيم بن حمزة البلوي (ت ٤٣٥هـ)................................ ٤٠٦

٢٨٢ سليمان بن محمد أمين الحلبي (ت ١٢١٦هـ) قاتل الجنرال كليبر بمصر ٤٠٦

٢٨٣ سهل بن عثمان أبو مسعود العسكري (ت ٥٤٧هـ)................................ ٤٠٨

٢٨٤ صالح (جزرة) بن محمد بن عمرو بن حبيب بن حسان بن المنذر ابن أبي الأشرس عمار، مولى أسد بن خزيمة (ت ٢٩٣هـ)... ٤٠٨

٢٨٥ طاهر بن أحمد بن الحسن، أبو منصور، الإمام الهمذاني (ت ٤٢٣هـ)................ ٤٠٨

٢٨٦ عالي بن عثمان بن جنّى أبو سعد بن أبى الفتح النحوي (ت ٤٥٧-٤٥٨هـ).......... ٤٠٩

٢٨٧ عامر بن عبد الله بن عبد قيس العنبري.. ٤٠٩

٢٨٨ أبو الفضل عبّاس بن عيسى بن العباس الممّسي الفقيه المالكي (ت ٣٣٣هـ)......... ٤٠٩

٢٨٩ الإمام، العلامة، أبو محمد عبد الحق ابن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي، الغرناطي (ت ٥٤٢هـ).. ٤١٠

٢٩٠ عبد الحميد بن باديس (ت ١٣٥٩ هـ).. ٤١١

٢٩١ عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي، الفقيه الزاهد بهاء الدين (ت ٦٢٤هـ).. ٤١٢

٢٩٢ الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو واسمه يحمد الشامي أبو عمرو الأوزاعي الفقيه (ت ١٥٧هـ).. ٤١٣

٢٩٣ عبد الرحمن بن القاسم العتقي؛ عالم الديار المصرية، ومفتيها، أبو عبد الله العتقي مولاهم، المصري، صاحب مالك الإمام (ت ١٩١هـ).. ٤١٤

٢٩٤ عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود، الحافظ المقرئ، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي المدني، كاتب المصاحف (ت ١١٧هـ).. ٤١٧

٢٩٥ موفق الدين ابن قدامة عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي الشيخ، الإمام، القدوة، العلامة، المجتهد، شيخ الإسلام (ت ٦٢٠ هـ).. ٤١٧

٢٩٦ عبد الله بن إسحاق البرقي أبو محمد (ت ٣١٧هـ).. ٤١٩

٢٩٧ عبد الله بن زيد أبو قلابة الجرمي، الإمام، شيخ الإسلام، أبو قلابة الجرمي، البصري. قدم الشام، وانقطع بداريا (ت١٠٤ أو ١٠٧هـ).. ٤١٩

٢٩٨ عبد الله بن سعيد بن أبي عوف العاملي الرباحي. قدم طليطلة واستوطنها (ت ٤٣٢هـ) ٤٢٠

٢٩٩ عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي مولاهم أبو زرعة الرازي، الإمام، الثقة، الثبت (ت ٢٦٤هـ).. ٤٢١

٣٠٠ عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن أحمد، الحافظ، النَّسَّابة، أبو محمد، اللَّخْمي، المَريي، الرُّشَاطِيُّ (ت ٥٤٢هـ).. ٤٢٢

٣٠١ عبد الله بن عون. الإمام، القدوة، عالم البصرة، أبو عون المزني مولاهم، البصري، الحافظ (ت ١٥١هـ).. ٤٢٢

٣٠٢ عبد الله بن لهيعة محدث مصر (ت ٩٤هـ).. ٤٢٣

٣٠٣ عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ).. ٤٢٤

٣٠٤ عبد الله بن محمد العسقلاني المكي. المقرئ الشافعي، المحدث الإمام، القدوة الرباني بهاء الدين أبو محمد.. ٤٢٩

٣٠٥ عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي الإمام، الحافظ، البارع، الثقة، ابن الفرضي، مصنف «تاريخ الأندلسيين» (ت ٤٠٣).. ٤٢٩

٣٠٦ عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشاير بن عبد الله بن محمد بن شاس الجذامي السعدي (ت ٦١٦هـ).. ٤٣٠

٣٠٧ الفقيه عبد الله بن ياسين (ت ٤٥١ هـ) ٤٣١

٣٠٨ عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم (ت١٩٧هـ) ٤٣٥

٣٠٩ عبيد الله بن أبي جعفر المصري، أبو بكر الفقيه، مولى بني كنانة، ويقال: مولى بني أمية (ت ١٣٤هـ).. ٤٣٦

٣١٠ عبد القادر بن موسى كاظم الحُسَيْني (ت ١٣٦٧هـ)................................. ٤٣٦

٣١١ عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الروياني. القاضي، العلامة، فخر الإسلام، شيخ الشافعية (ت ٥٠١هـ)... ٤٣٨

٣١٢ عبد الوهاب بن بخت المكي أبو عبيدة، ويقال: أبو بكر، مولى بني مروان بن الحكم، سكن الشام، ثم المدينة (ت ١١٣هـ) ٤٣٨

٣١٣ أبو عمرو الداني. عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم القرطبي الإمام العلم المعروف في زمانه بابن الصيرفي (ت ٤٤٤هـ)..................................... ٤٣٩

٣١٤ عثمان بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود الكناني العسقلاني الشهير بابن حجر وبابن البزاز (ت ٧١٤هـ)... ٤٤٠

٣١٥ العز عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام، وبقية الأئمة الأعلام، عز الدين، أبو محمد السلمي، الدمشقي، الشافعي (ت ٦٦٠ هـ)................... ٤٤٠

٣١٦ الشيخ عز الدين القسام (ت ١٣٥٤هـ).. ٤٤١

٣١٧ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثمَّ الأندلسي القرطبي (ت ٤٥٦هـ) ٤٤٤

٣١٨ علي بن بكار أبو الحسن البصري الإمام، الرباني، العابد، أبو الحسن البصري، الزاهد، نزيل المصيصة (ت ٢٠٧هـ).. ٤٤٥

٣١٩ علي بن خشرم بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي، أبو الحسن بن عم بشر الحافي، وقيل ابن أخته (ت ٢٥٧هـ)....................................... ٤٤٧




٣٢٠ علي بن عبد الله بن محمد الأنصاري القرطبي القاضي، العلامة، القدوة، أبو الحسن المالكي (ت ٦٥١هـ).. ٤٤٨

٣٢١ نجم الدين ابن حجّي عمر بن حجّي بن موسى بن أحمد بن سعد بن غُشَيْم بن غزوان بن علي، قاضي القضاة (ت ٨٣٠هـ).. ٤٤٨

٣٢٢ المنبجي أبو بكر عمر بن سعيد بن أحمد (ت بين ٣٠١-٣١٠هـ).................... ٤٤٩

٣٢٣ عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري المدني، نزيل عسقلان (ت ١٤٥هـ).. ٤٤٩

٣٢٤ الشيخ عمر المختار (ت ١٣٥٠هـ).. ٤٥٠

٣٢٥ الصرصري: الشيخ الإمام العلامة البارع، جمال الدين أبو زكريا الصرصري، الشاعر المادح الحنبلي الضرير البغدادي (ت ٦٥٦هـ).. ٤٥١

٣٢٦ عمرو بن مرزوق الباهلي مولاهم، أبو عثمان البصري (ت ٢٤٣ أو ٢٢٤هـ) ٤٥٢

٣٢٧ عيسى بن يونس ابن أبي إسحاق السَّبِيعي (ت ١٨٧هـ)........................... ٤٥٢

٣٢٨ الفرج بن كنانة بن نزار بن عتبان بن مالك الضمري................................ ٤٥٤

٣٢٩ القاسم بن الحكم العرني (ت ٢٠٨هـ) ٤٥٥

٣٣٠ أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ٤٥٥

٣٣١ القاسم بن علي بن الحسن، ابن عساكر الدمشقي الإمام، المحدث، الحافظ، العالم، الرئيس، بهاء الدين، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ٤٥٦

٣٣٢ القاسم بن مخيمرة الهمداني كنيته أبو عروة (ت ١٠٠ وقيل ١٠١هـ) ٤٥٧

٣٣٣ القفال الكبير الشاشي (ت ٣٦٥هـ) ٤٥٧

٣٣٤ ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حَريز الزرعي، ثم الدمشقي (ت ٧٥٦هـ) ٤٥٨

٣٣٥ أبو كامل مولى الغاز بن ربيعة الجرشي ٤٦٠

٣٣٦ الشيخ كامِل القَصَّاب: محمد كامل بن أحمد بن عبد القادر القصاب (ت ١٣٧٣هـ) . ٤٦٠

٣٣٧ أبو كرب العراقي.. ٤٦٢

٣٣٨ مزاحم بن زفر بن الحارث الضبي، وقيل: الثوري (ت ٩٥ أو ٩٦هـ)................ ٤٦٣

٣٣٩ محمد بن إبراهيم الحضرمي (ت ٦٠٩هـ).. ٤٦٣

٣٤٠ محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري الغرناطي المعروف بالصنادع الصالح (ت ٧٤٩ هـ) ٤٦٣

٣٤١ محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ﵀.. ٤٦٤

٣٤٢ الإمام الكبير وأمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبه البخاري، وقيل: بذدزبه، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع (ت ٢٥٦هـ) ٤٦٥

٣٤٣ محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد ابن جزي. ٤٦٦

٣٤٤ محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله المقدسي، ثمَّ الدمشقي الصالح، الزاهد العابد الشيخ أبو عمر (ت ٦٢٠هـ) ٤٦٧

٣٤٥ محمد بن إسماعيل بن أبي سمينة، أبوعبد الله البصري، مولى بني هاشم (ت ٢٣٠هـ) ٤٦٨

٣٤٦ محمد الحجازي المالقي أبو عبد الله.. ٤٦٩

٣٤٧ محمد بن حمزة الدمشقي آق شمس الدين، العارف بالله (ت ٨٢٧هـ). ٤٦٩

٣٤٨ محمد بن سهل بن زنجلة الرازي ٤٧١

٣٤٩ محمد بن عثمان المرادي. أبو عبد الله بن المرابط (ت٧٤١هـ) ٤٧١

٣٥٠ محمد بن عيسى ابن الطباع بن نجيح الحافظ الكبير، الثقة، أبو جعفر ابن الطباع البغدادي (ت ٢٢٤هـ)............................... ٤٧١

٣٥١ محمد بن عبد الله ابن القاضي بن يحيى بن يحيى بن يحيى، المعروف بابن أبي عيسى ٤٧٢

٣٥٢ محمد بن عبد الرحمن بن هشام المخزومي، أبو خالد المكي، القاضي، المعروف بالأوقص (ت ١٦٩هـ)............................... ٤٧٣

٣٥٣ محمد بن طاهر القيسي، أبو عبد الله التّدميري، ويعرف بالشهيد (ت ٣٧٩هـ) ٤٧٣

٣٥٤ أبو يوسف محمد بن كثير بن أبي عطاء............................... ٤٧٤

٣٥٥ أبو سعيد محمد بن محمد بن زكريا الأعلم النيسابوري ٤٧٤

٣٥٦ محمد ابن النابلسي (ت ٣٦٣هـ)............................... ٤٧٥

٣٥٧ محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري، الأندلسي، الطرطوشي، الفقيه، عالم الإسكندرية (ت ٥٢٠هـ)............................... ٤٧٦

٣٥٨ محمد بن يحيى بن الغراء (ت ٥١٤هـ)............................... ٤٧٦

٣٥٩ محمد بن يوسف الأصبهاني............................... ٤٧٧

٣٦٠ محمد بن يوسف الفربري المحدث، الثقة، العالم (ت ٣٢٠هـ) ٤٧٧

٣٦١ محمد بن يوسف بن أحمد. محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش.... ٤٧٨

٣٦٢ محمد البنوفري (ت ٩٩٨هـ).. ٤٧٨

٣٦٣ محمد الخضر حسين (ت ١٣٧٧هـ) ٤٧٩

٣٦٤ محمد الضيروطي (ت ٩٢١هـ) ٤٨١

٣٦٥ محمد عَبْد الكَرِيم الريفي الخطابي (ت ١٣٨٢هـ)................................ ٤٨٢

٣٦٦ محمد علي الدقر (ت ١٣٦٢هـ).. ٤٨٢

٣٦٧ محمود بن أحمد إسماعيل العيني. مظفر الدين العيني الأصل القاهري الحنفي (ت ٩٠٢هـ)
.... ٤٨٣

٣٦٨ المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي (ت ١١١-١٢٠هـ).. ٤٨٤

٣٦٩ أبو عمران الفاسي موسى بن عيسى بن أبي حاج. واسمه يحجّ ابن وليهم بن الخير الغفجومي، وغفجوم فخذ من زناتة الفاسي، المالكي، أحد الأعلام ٤٨٤

٣٧٠ محمد بن محمد ابن الشيخ أبي المكارم حمزة بن عوض، الواعظ المشهور بالديار الرومية بمنلا عرب الأنطاكي الحنفي (ت ٩٣٨هـ)، ولقبه ابن طولون زين العرب.................. ٤٨٧

٣٧١ محمد بن محمد بن عبد الله أبو منصور الأزدي العلامة، المحدث، أبو منصور محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الأزدي، الهروي، الشافعي (ت ٤١٠هـ) ٤٨٨

٣٧٢ محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي العلامة شمس الدين الأصفهاني أبو الثناء (ت ٧٤٩هـ).. ٤٨٨

٣٧٣ مخلد بن الحسين أبو محمد الأزدي الإمام، الكبير، شيخ الثغر، أبو محمد الأزدي، المهلبي، البصري، ثم المصيصي (ت ١٩١هـ) ٤٨٩

٣٧٤ مرار بن حمويه ابن منصور. الامام الحافظ، شيخ همذان، أبو أحمد، الثقفي الهمذاني (ت ٢٥٤هـ) ٤٩٠

٣٧٥ المسيب بن واضح بن سرحان السلمي التلمنسي (ت ٢٤٦هـ) ٤٩١

٣٧٦ المعافى بن عمران الأزدي الفهمي (ت ١٨٥هـ)................................ ٤٩٢

٣٧٧ مفضل بن عياش بن سليمان بن أيوب الخولاني مولاهم، يعرف بابن الطويل (ت ٣٦٠هـ). ٤٩٣

٣٧٨ منصور بن سلمة الإمام الحافظ، أبو سلمة الخزاعي، محدث بغداد (ت ٢١٠هـ)..... ٤٩٤

٣٧٩ موسى بن معاوية الصمادحي.. ٤٩٤

٣٨٠ ميمون بن بدر القروي.. ٤٩٥

٣٨١ نعم الخلف بن أبي الخصيب (ت ٢٩٨هـ)، من أهل طليطلة، يكنى أبا القاسم ٤٩٥

٣٨٢ هبة الله بن محمد بن الحسين بن مفرج جمال الدين أبو البركات المقدسي ثمَّ الإسكندري (ت ٦٥٠هـ).. ٤٩٥

٣٨٣ يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي (ت ٢٦١ وقيل ٢٦٧هـ). الحافظ المجود الشهيد، أبو زكريا.. ٤٩٦

٣٨٤ يحيى بن محمد الأموي أبو الوليد المعروف بابن قبروق من أهل لاردة (ت ٥٠٨هـ). ٤٩٧

٣٨٥ يزيد بن محمد الجمحي. ثقة، كثير الحديث ٤٩٧

٣٨٦ يوسف بن دوناس المغربي الإمام، أبو الحجاج يوسف بن دوناس المغربي، الفندلاوي، المالكي (ت ٥٤٣هـ) ٤٩٨

٣٨٧ أبو يوسف الغسولي ٤٩٩

٣٨٨ أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي (ت ١٠١٣هـ) ٤٩٩

٣٨٩ يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفي، ودفن بقصر الجديد (ت ٣٢٤هـ) ٤٩٩

الباب الثامن: جهاد العباد والزهاد والمتصوفة ٥٠١

٣٩٠ الإمام العابد الزاهد إبراهيم بن أدهم (ت ١٦٢هـ) بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي، وقيل: التميمي، أبو إسحاق البلخي الزاهد، سكن الشام ٥٠٤

٣٩١ السرماري: أبو إسحاق أحمد بن إسحاق أبو إسحاق: من أهل سرمارى، من قرى بخارى (ت ٢٤٢هـ) ٥٠٧

٣٩٢ أحمد بن محمد بن سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور أبو سعيد النيسابوري، المعروف بابن أبي عثمان الغازي، وجده سعيد هو المكنى أبا عثمان (ت ٣٥٣هـ) ٥٠٩

٣٩٣ إسماعيل الصوفي الأرموي المكبس (ت ٥٨٥هـ) ٥١٠

٣٩٤ أيوب بن الجراح ٥١٠

٣٩٥ بكر بن خنيس الكوفي العابد، نزيل بغداد (كان في حدود ١٧٠هـ) ٥١١

٣٩٦ تاشفين بن محمد المكتب من أهل فاس يكنى أبا محمد (ت ٦٠٩هـ) ٥١١

٣٩٧ أبو الحسين الكرجي ٥١١

٣٩٨ حمش بن عبد الرحيم، أبو عبد الله النيسابوري التركي الزاهد، واسمه محمد (ت ٢٧٥هـ). ٥١٢

٣٩٩ أبو الخير التيناتي الأقطع (ت ٣٤٧ وقيل ٣٤٩هـ) ٥١٢

٤٠٠ الربيع بن صبيح البصري العابد، الإمام، مولى بني سعد، من أعيان مشايخ البصرة (ت ١٦٠هـ) ٥١٣

٤٠١ رجاء بن حيوة بن جرول الكندي ويقال: الفلسطيني (ت ١١٢هـ) ٥١٤

٤٠٢ سعيد بن يزيد أبو عبد الله التميمي النَّباجي الزاهد (ت٢٢٠هـ) ٥١٤

٤٠٣ سعيد بن محمد بن سيد أبيه بن مسعود الأموي البلدي ٥١٥

٤٠٤ شقيق أبو علي بن إبراهيم الأزدي البلخي (ت ١٩٤هـ) ٥١٦

٤٠٥ صالح بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل أبو الخير الكاثي الخوارزمي الصوفي (ت ٥٥٤هـ) ٥١٧

٤٠٦ صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوي. الزاهد، العابد، القدوة، أبو الصهباء العدوي، البصري، زوج العالمة معاذة العدوية (ت ٣٥هـ) ٥١٨

٤٠٧ عابدة ٥١٩

٤٠٨ عابدة أخرى من أهل الشام نقل عنها مثل هذه ٥١٩

٤٠٩ عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد، ويعرف بعبد الرحيم المستجاب (ت ٣٤٦هـ) ٥٢٨

٤١٠ اليونيني عبد الله بن عثمان بن جعفر (ت ٦١١هـ) ٥٢٩

٤١١ أبو محمد ابن عياض المجاهد عبد الله وقيل: عبد الرحمن (ت ٥٦٨هـ) ٥٢٩

٤١٢ أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي (ت ٢٣٦هـ) ٥٣٠

٤١٣ عتبة الغلام بن أبان البصري. الزاهد، الخاشع، الخائف، عتبة بن أبان البصري (ت١٦١ أو ١٧٠هـ) ٥٣١

٤١٤ عثمان بن محمد بن عبد الحميد التنوخي البعلبكي الزاهد، شيخ دير ناعس (ت ٦٥١هـ) ٥٣١

٤١٥ عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي (ت ٧١ – ٨٠ هـ)................................ ٥٣٢

٤١٦ الشيخ قطب الدين الأزنيقي (ت ٨٢١هـ).. ٥٣٢

٤١٧ كرز أبو عبد الله بن وبرة الحارثي ٥٣٣

٤١٨ محمد بن إبراهيم أبو حمزة البغدادي شيخ الشيوخ، أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي (ت ٢٦٩هـ).. ٥٣٤

٤١٩ محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي (ت ٧١٨هـ).. ٥٣٤

٤٢٠ أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولي، الشيخ الصالح المتصوف المجاهد............ ٥٣٥

٤٢١ محمد بن يوسف بن معدان؛ أبو عبد الله الأصبهاني الزاهد، ويلقب بعروس الزهاد (ت ١٨٤هـ) ٥٣٧

٤٢٢ معروف الكرخي ﷺ: علم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي (ت ٢٠٠هـ).. ٥٣٨

٤٢٣ الواعظ أبو عثمان المنتجب بن أبي محمد البحتري الواسطي........................ ٥٣٩

٤٢٤ أبو جعفر أحمد الأطرابلسي المتعبد (ت ٣٤٧هـ)................................. ٥٤٠

٤٢٥ أبو الأحوص المتعبد (ت ٢٨٤هـ) ٥٤٠

٤٢٦ محمد بن عطاء الله النحوي. من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا عبد الله (ت ٣٩٤هـ) ٥٤١

٤٢٧ محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس الأزدي الإمام، الرباني، القدوة، أبو بكر (ت ١٢٣هـ). ٥٤١

٤٢٨ محمد بن علي بن أبي خداش، أبو هاشم الأسدي الموصلي العابد (ت ٢٢٠هـ)..... ٥٤٣

٤٢٩ أبو عبد الله مردنيش محمد الجذامي المغربي الزاهد، المجاهد (ت ٥٦٧هـ)......... ٥٤٤

٤٣٠ هشام بن سليمان بن إسحاق بن هلال القيسي السائح: من أهل طليطلة؛ يكنى أبا الوليد (ت ٤٢٠هـ) ٥٤٥

٤٣١ يزيد بن معاوية النخعي الكوفي. ثقة.. ٥٤٦

٤٣٢ يوسف بن أسباط (ت ١٩٥هـ).. ٥٤٦

وبعدُ.. مسك الختام.. ٥٤٨

مفكَّرَةُ الفَوائِدِ.. ٥٥٦



إضاءة من روائع الكلم

(١) قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ۝٨٤﴾ [النساء:٨٤].

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ماتَ ولم يغزُ، ولم يحدث به نفسَه؛ ماتَ على شُعبةٍ من نِفاقٍ»[١].

(٣) وعن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: «بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن **أبا عبيدة -بن الجراح** رضي الله عنه- حصر بالشام، وتألب عليه العدو، فكتب إليه عمر: سلام. أمَّا بعد: فإنَّه ما نزل بعبد مؤمن من منزلة شدة إلا جعل الله عز وجل بعدها فرجًا، ولن يغلب عسرٌ يسرين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

قال: فكتب إليه أبو عبيدة: سلام. أمَّا بعد: فإنَّ الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ إلى ﴿مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد: ٢٠] قال: فخرج عمر بكتابه من مكانه، فقعد على المنبر، فقرأه على أهل المدينة، فقال: يا أهل المدينة، إنَّما يُعَرِّض بكم أبو عبيدة، أو أن ارغبوا في الجهاد»[٢].

(٤) وقال **خالد بن الوليد** رضي الله عنه: «ما منْ ليلة يهدى إليَّ فيها عروس أنا لها محبٌّ أَحَبُّ إليَّ من

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٩١٠)، وأبو داود في «سننه» (٢٥٠٢).

(٢) الجهاد لابن المبارك (٢١٧).

ليلةٍ شديدةِ البرد، كثيرةِ الجليد، في سريَّةٍ أصبح فيها العدُوَّ»(١).

(٥) وقال **بريدة بن حصيب** رضي الله عنه: «لا عيش إلاَّ طِرَادَ الخيلِ بالخيل»(٢).

(٦) وعن **رجاء بن أبي سلمة** رحمه الله: قلت **لعثمان بن أبي سودة المقدسي**: أَتُرَاك غازيًا العام؟

قال: «ما أحبُّ أنْ لا أغزو العام، وأنَّ لي مئة ألف دينار»(٣).

(٧) وقال **الحسن البصري** رحمه الله: «إنَّ لكلِّ طريق مختصرًا، ومختصرُ طريق الجنَّة الجهاد»(٤).

(٨) وقال **أبو وائل**: «لأن يكونَ لي ولدٌ يقاتلُ في سبيل الله عز وجل أحبُّ إليَّ من مئة ألف»(٥).

(٩) وقال **يونس بن عبيد** رحمه الله: «ما ندمتُ على شيءٍ ندامتي أنْ لا أكونَ أفنيت عمري في الجهاد»(٦).

(١٠) وقال الإمام الجليل والتابعي الكبير **عامر الشعبي**: أنَّ رجالًا خرجوا من الكوفة، ونزلوا قريبًا يتعبدون، فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود، فأتاهم، ففرحوا بمجيئه إليهم، فقال لهم: ما حملكم على ما صنعتم؟

قالوا: أحببنا أنْ نخرجَ من غمارِ النَّاسِ نتعبدُ، فقال عبد الله: «لو أنَّ النَّاس فعلوا

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧٥)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٥٠)، «ونسبه إلى أبي يعلى، وقال: ورجاله رجال الصحيح» وقال أبو وائل: كتب خالد إلى الفرس: «إنَّ معي جندًا يحبون القتل كما تحب فارس الخمر».

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٩-٤٧٠)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٣٨٦).

(٣) تهذيب الكمال (٩/ ٣٨٨)، وقد روى له البخاري في «الأدب»، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات».

(٤) حلية الأولياء (٦/ ١٥٧).

(٥) الزهد لأحمد (٢٠٧٤).

(٦) حلية الأولياء (٨/ ٥٠).

مثل ما فعلتم فمنْ كان يقاتل العدو؟ وما أنا ببارحٍ حتى ترجعوا»[(١)].

(١١) **وذكر بعض المشايخ أنَّ أسدًا بن الفرات** لما خرج على الجيش متوجهًا إلى سوسة ليركب إلى صقلية، خرج معه وجوه أهل العلم وجماعة الناس ليشيعوه، وأمر زيادة الله أن لا يبقى أحد من رجاله إلا شيَّعه. فركب أسد في جمع عظيم. فلمَّا رأى جمع الناس بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، وقد صهلت الخيول، وضربت الطبول، ونشرت البنود، قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له!**»، ثمَّ قال: «والله، يا معشر النَّاس، ما ولي لي أب ولا جد ولاية قط، ولا رأى أحد من سلفي مثل هذا قط! وما رأيت ما ترون **إلا بالأقلام، فأجهدوا أنفسكم وأتعبوا أبدانكم**[(٢)] في طلب العلم وتدوينه، وثابروا عليه واصبروا على شدته، فإنَّكم تنالون به الدنيا والآخرة»[(٣)].

(١٢) وقال الفقيه **شمس الإسلام أبو القاسم مخلوف بن علي المالكي**: «نحن نقاتل كل من جاء تحت الصليب كائنًا من كان»[(٤)].

(١٣) وقال القاضي **محيي الدين بن الزكي**: «والجهاد الجهاد فهو من أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم، انصروا الله ينصركم، اذكروا الله يذكركم، اشكروا الله يزدكم ويشكركم؛ جدوا في حسم الداء، وقطع شأفة الأعداء، وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع الكفر، واجتثوا أصوله؛ فقد نادت الأيام بالثارات الإسلاميَّة، والملة المحمَّدية»[(٥)].

---

(١) الزهد لابن المبارك (١١٠٤)، وفي «تهذيب الكمال» (٢/ ٢٧٠) عَن أبي العالية: «كان أبي بْن كعب صاحب عبادة، فلما احتاج إليه الناس ترك العبادة، وجلس للقوم».

(٢) يعني بلغ هذه المرتبة بفضل العلم، ثمَّ جملها بالجهاد، فجمله الله بالإكرام والرفعة في الدنيا قبل الآخرة.

(٣) طبقات علماء القيروان وأفريقية (١/ ٢٧٢).

(٤) اتحاف الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء للمقريزي (٣/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٥) الروضتين بأخبار الدولتين (٣/ ٣٨٩).

(١٤) وقال **لسان الدين بن الخطيب**: «أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت، وبادروا عليل الإسلام قبل أن يموت، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عباده، جاهدوا في الله بالألسن والأقوال حق جهاده»[١].

(١٥) وقال **موسى بن أبي الغسّان**[٢]: «ليعلم ملك النصارى أنَّ العربي قد وُلد للجواد والرّمح؛ فإذا طمح إلى سيوفنا فليكسبها وليكسبها غالية. أما أنا، فخير لي قبر تحت أنقاض غرناطة، في المكان الذي أموت دفاعًا عنه، من أفخم قصور نغنمها بالخضوع لأعداء الدين»[٣].

(١٦) وقال سبط ابن الجوزي عن الأمير **نور الدين زنكي** كان يلعب بالكرة[٤] كثيرًا، فكتبَ إليه بعضُ الصَّالحين يُنكر عليه، ويقول: «إنَّك تُتْعب الخيل في غير فائدة»، فكتب إليه نور الدين بخطه: «واللهِ ما أقصدُ اللعب، وإنمَّا نحن في ثغرٍ، والعدوُّ منَّا قريب، فربمَّا وقع صوت فتكون الخيل قد أَدْمنت على سُرْعة الانعطاف بالكَرِّ والفرِّ، فإذا طلبنا العدو أدركناه، ولو تركناها بحالها لصارت جَمَامًا لا ينتفع بها، فنيَّتي في لعب الكرة هذا»[٥].

---

(١) نفح الطيب (٦/ ١٦٦)، و«جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة» (٣/ ١٨٤).

(٢) يقول عنه اللواء محمود شيت خطاب في «قادة فتح الأندلس»: «موسى بن أبي الغسّان، وهو سليل إحدى الأسر العريقة التي تتصل ببيت الملك، وأحد هذه الأصول العربية القديمة التي عرفت بروائع فروسيتها، وعميق بغضها للنصارى، والتي كانت ترى الموت خيرًا ألف مرة من أن يصبح الوطن العزيز مهادًا للكفر، ولم يكن بين أهل غرناطة يومئذٍ مَن هو أبرع من موسى في الطعان والفروسية».

(٣) انظر: قادة فتح الأندلس (٢/ ٢٤٩)، و«دولة الإسلام في الأندلس» (٥/ ٢٣٨)، و«مصرع غرناطة» (ص٢٠٣)، و«دولة الموحدين» (ص٢٠٢).

(٤) هي لعبة الجوكان، وهي تشبه في وقتنا لعبة الغولف، كما ذكره (محقق الكتاب).

(٥) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢١/ ٢٠٥)، قلت: هذا هو الإعداد بعينه الذي جاءت به السنة، والذي كان عليه سلف الأمة، ثم تأمل إلى الصدق الذي تحلى به، والأخلاق العالية التي كانت فيه، وقد قلت أيضًا: (الصدق في الجهاد سبب من أسباب النصر بإذن الله)، ثم تأملت ختم الله لسورة العنكبوت بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ فقوله: ﴿جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ في الله، وهي للنبي ﷺ وأتباعه من هذه الأمة. والنتيجة: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ أن يعرفهم طريق الحق من الباطل. وأكد ذلك بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ وهل

(١٧) وقال الإمام **ابن أبي العز الحنفي** ﵀: «عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه»[١].

(١٨) ويقول **أمير البيان شكيب أرسلان**: «ظنَّ كثيرٌ من المسلمين أنَّهم مسلمون بمجرَّدِ الصلاة والصيام، وكل ما لا يكلفهم بذلَ دمٍ ولا مال، وانتظروا على ذلك من الله النصر»[٢].

(١٩) وقال الشيخ **محمود شاكر** ﵀: «كان الأعداء جميعًا من مختلف الشعوب وعلى مختلف الجبهات، من فرسٍ، ورومٍ، وقبطٍ، من يهودٍ، وصليبيين، ومجوس، من شمال، وغرب، وشرق، يرهبون المسلمين ويعرفون نتيجة نزالهم لهم قبل اللقاء، وكانت النتيجة أن زالت دولة الفرس وانتهت وأقبل شعبها على الإسلام، وتراجعت دولة الروم وتخلَّت عن مصر والشام وأجزاء من الأناضول، وانزوى قادتها في جحورهم، وأصاب الشعب الخوف، وكلما دعا داعي اللقاء دبَّ الهلع في النفوس قبل أن يتم اللقاء ويحدث الاشتباك، إلا أن تكون منهم غارة لإثبات وجودهم أو يقوموا بهجومٍ جانبي خفيفٍ إظهارًا بأنَّه لا تزال لهم قوَّة قائمة يمكن الدفاع بها.

كان هم الأعداء الأساسي ألا يثيروا المسلمين فيعلنون الجهاد، وعندها تحلَّ بالأعداء النازلة، وتنزل بهم الكارثة. وكان المسلمون في تلك الآونة يعملون على ترسيخ جذور

أعظم من معية الله لعبده ونصرته له؛ ولكن ذلك بشرطين: (المجاهدة، والإحسان) ثم جاءت سورة الروم لتؤكد نتيجة الصبر والمجاهدة بالنصر على الأعداء بقوله ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝﴾، وهذه الغلبة مستمرة (بشروطها المذكورة) ما دام هنالك نزال وجهاد، حتى ينزل عيسى ﵇، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويقتل الخنزير. فتأمل وتدبر خاتمة سورة العنكبوت وبداية الروم يتضح لك أن الغلبة بالتقوى وليست للأقوى، وأن الغلبة تحتاج لإعداد إيماني وجسماني، فالأول بالعلم والإيمان. والثاني بالرمي والطعان.

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٣٠).

(٢) لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ (ص٣٠) ط: دار القلم.

الإسلام بما فتحوه من بلدان»[١].

(٢٠) وقال الشيخ العلامة **محمد بهجت بيطار الدمشقي**: «أين أرباب الهمم العالية؟ أين أصحاب النفوس الزاكية؟ أين أرباب العقول، البائعون نفوسهم في نصرة دين الرسول؟ أين الأبطال والشجعان؟ أين الأقيال[٢] والفرسان؟ أين أرباب العدَّة؟ أين أصحاب البأس والشِّدَّة؟ أين أُسود الرِّجال المؤثرون برضوان ذي العظمة والجلال، الذين لا تدركهم دهشة ولا خوف عند القتال؟ أين مَنْ يهجر النوم والرقاد؟ أين من يترك الأهل والأولاد؟ هل من بائع نفسه من الله؟ هل من مستوجب جزيل الثواب من مولاه؟ هل من مخالف نفسه الأمَّارة؟ هل من مُنفق ماله في أعظم تجارة؟»[٣].

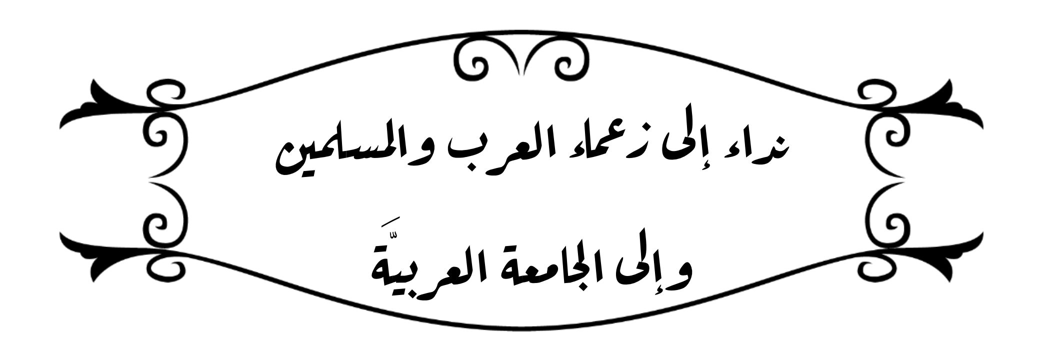
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَن لَسْتِ رَخِيصة	بَلْ أَنْتِ غَالِية عَلَى الكَسْلَانِ
يَا سِلْعَة الرَّحمنِ ليسَ يَنَالها	في الأَلْفِ إلَّا وَاحد لا اثّنَانِ
يَا سِلْعَة الرَّحْمَنِ مَاذَا كُفْؤها	إلَّا أُولُوا التَّقْوَى مَعَ الإيمَانِ
يَا سِلْعَة الرَّحْمَن سُوقُكِ كَاسِد	بَينَ الأَرَاذِل سلفة الحيوانِ
يَا سِلْعَة الرَّحْمَن أينَ المُشتري	فَلَقَدْ عُرِضْتِ بِأَيسرِ الأَثْمَانِ
يَا سِلْعَة الرَّحْمِن هَلْ مِن خَاطِبٍ	فَالمَهْر قَبل المَوت ذُو إمْكانِ
يَا سِلْعَة الرَّحْمِن كيفَ تَصَبّرَ	الخُطَّاب عَنْكِ وَهُم ذَووا إيْمَانِ
يَا سِلْعَة الرَّحْمَن لَولا أَنَّها	حُجِبَتْ بِكُل مَكَاره الإنسَانِ
مَا كَان عَنْهَا قَط مِن مُتَخَلِفٍ	وَتَعَطَّلَت دَار الجَزَاء الثَّانِي
لَكِنَّهَا حُجِبَت بِكُل كَرِيهَةٍ	لِيُصدَّ عَنْهَا المُبطِلُ المتَوَانِي
وَتَنَالها الهِمَمُّ الَّتِي تَسْمُو	إلى العُلى بِمَشيئةِ الرَّحْمَنِ

---

(١) رحلة قصيرة مع تاريخنا (ص١٩-٢٠) ط: المكتب الإسلامي.

(٢) قوله: (الأقيال): جمع قيل، وهو الملك العظيم. أهـ من (هامش المخطوط).

(٣) إرشاد العباد في فضل الجهاد (ص٢٩-٣٠).



نداء إلى زعماء العرب والمسلمين وإلى الجامعة العربيَّة

يقول الشيخ الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي: «إنَّ العالم العربي لا يستطيع أن يحارب الصهيونيَّة أو الشيوعيَّة أو عدوًا آخر بالمال الذي ترضخه بريطانيا أو تتصدق به أمريكا، أو تعطيه مقابل ما تأخذ من أرضه من الذهب الأسود، إنمَّا يحارب عدوه بالإيمان والقوة المعنوية، وبالروح التي حارب بها الدولة الرومية والإمبراطورية الفارسية في ساعةٍ واحدة فانتصر عليهما جميعًا.

إنَّه لا يستطيع أن يحارب أعداءه بقلب يحب الحياة ويكره الموت، ويجسم يميل إلى الدعة والراحة، وعقل يخامره الشك وتتنازع فيه الأفكار والأهواء، أو بيد مضطربة وقلب متشك ضعيف الإيمان وقوة متخاذلة في الميدان، فالمهم لأمراء العرب وزعمائهم وقادة الجامعة العربية أن يغرسوا الإيمان في الشعوب العربية، وجماهير الأمة وأولياء الأمور، والجيوش العربية والفلاحين والتَّجار، وفي كل طبقةٍ من طبقات الجمهور، ويشعلوا فيها شعلة الجهاد في سبيل الله، والتوق إلى الجنة، ويبعثوا فيها الاستهانة بالمظاهر الجوفاء وزخارف الدنيا، ويعلموهم كيف يتغلبون على شهوات النفس ومألوفات الحياة، وكيف يتحملون الشدائد في سبيل الله، وكيف يستقبلون الموت بثغر باسم، وكيف يتهافتون عليه تهافت الفراش على النور»[1].

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص٣٩٦-٣٩٧) ط: مكتبة السنة.

وقال: «إنَّ العالم لا يسعد وخيرة الشباب في العواصم العربية عاكفون على شهواتهم تدور حياتهم حول المادة والمعدة لا يفكرون في غيرهما ولا يترفعون عن الجهاد في سبيلهما ولقد كان شباب بعض الأمم الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم في سبيل المبادئ التي اعتنقوها أكبر منهم نفسًا، وأوسع منهم فكرًا، بل كان الشاعر الجاهلي (امرؤ القيس) أعلى منهم همة، إذ قال:

ولو أنَّني أسعى لأدنى معيشةٍ ... كفاني ولم أطلبْ قليلٌ من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل ... وقد يدركُ المجد المؤثل أمثالي

إنَّ العالم لا يمكن أنْ يصل إلى السعادة إلا على قنطرة من جهادٍ ومتاعب يقدمها الشباب المسلم، إنَّ الأرض لفي حاجة إلى سماد، وسماد أرض البشرية الذي تصلح به وتنبت زرع الإسلام الكريم هي الشهوات والمطامع الفردية التي يضحي بها الشباب العربي في سبيل علو الإسلام وبسط الأمن والسلام على العالم وانتقال الناس من الطريق المؤدية إلى جهنم إلى الطريق المؤدية إلى الجنة.

إنَّه لثمن قليل جدًا لسلعة غالية جدًا»[1].

يا أمة الإسلام، يا معشر العرب الكرام، كأن نصرَّ بن سيَّار حينما راسل الخليفة الأموي مروان بن محمد يستنجده، يخاطبكم وحولكم الأعداء يسرحون ويمرحون، ويقتلون ويدمرون، ويفتنون الناس عن الحق ويصدون، فهل من مجيب.

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ ... فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ

فَإِنَّ النَّارَ بِالزِّنْدَيْنِ تُورَى ... وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا كَلَامُ

لِئَنْ لَمْ يُطْفِهَا عُقَلاءُ قَوْم ... يَكُونُ وُقُودُهَا جُثَثٌ وَهَامُ

أَقُولُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي ... أَ أَيْقَاظٌ أُمَيَّةُ (أمتي) أَمْ نِيَامُ

---

(١) المصدر نفسه (ص٤٠٣-٤٠٤).

فَإِنْ كَانُوا لِحِينِهِمُ نِيَامًا فَقُلْ قُومُوا فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ[١]

فيا أمة الإسلام: قد حان القيام، تجهزوا لعدوكم، وأعدوا العدة للقائه، اعلموا وفكروا، واعملوا وابنوا، وحصنوا وشيدوا دولتكم بسلاح العلم، وقوّوا عزائمها بإعداد جيل الفتح والنصر، لا تكونوا نيامًا فالعدو لئيم يعيث الفساد في أرض الإسلام.

وكأنَّ لقيط الإيادي يخاطبكم، ويقول:

في كُلِّ يومٍ يَسُنُّونَ الحِرابَ لكم لا يَهْجَعُون إِذا ما غافِلٌ هَجَعا
مالِي أَراكُمْ نِيامًا في بُلَهْنِيَةٍ وقد تَرَوْنَ شِهابَ الحَرْبِ قد سَطَعَا
صُونُوا جِيادَكُمُ، واجْلُوا سُيُوفَكُمُ وجَدِّدُوا للقِسِيِّ النَّبْلَ والشِّرَعا
قُومُوا قِيامًا على أَمْشاطِ أَرْجُلِكُمْ ثُمَّ افْزَعُوا، قد يَنالُ الأَمْرَ مَن فَزِعا
لقَدْ بذلتُ لكمْ نُصحي بِلا دَخَلٍ فاسْتَيْقِظُوا إِنَّ خَيْرَ العِلْمِ ما نَفَعا

هذه كلمات مكلوم، ونفثات مهموم، وخطاب حريص غيور، اللهم ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٣٠).



المقدمة

إنَّ الحمـدَ للهِ نحمـدُهُ ونستعينُ بـهِ ونستغفرهُ، ونعـوذ بـالله مـن شـرور أنفسـنا، ومـن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمّـا بعـد: فـإنَّ أحسـن الحـديث كتـاب الله، وخيـر الهـدي هـدي محمّـدٍ ﷺ، وشـر الأمورِ محدثاتها، وكل محدثةٍ بِدعة، وكلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

فهـذا كتـاب كـان مـن أسبابه أنْ ذُكِـر أمـامي أنَّ أهـل العلـم لـم يكونـوا مـن أهـل التضـحية والجهـاد في سـبيل الله، وإنمَّـا كـان حـالهم هـو التصـدر للتعلـيم، وهمهـم نشـر العلـم، وعقد مجالس السماع والتحديث.

وهـذا لا ريـب مـع صـحة بعـض مـا فيـه؛ إلا أنَّـه وصـف أعـوج، وكـلام فيـه مـن الغلـط البـين الظـاهر لكـل صـاحب لـبٍّ وبصـر، وإنمـا يصـدر مثـل هـذا مـن جاهـل متعـالم، أو طاعن حاقد متنقص بأهل العلم.

فمواقـف علمـاء الأمـةِ في ثبـاتهم علـى الحـق، وأقـوالهم في الحـث علـى الجهـاد،

وأمرهم لغيرهم بملازمة الثغور والرباط[١] مبثوثة ومشهورة في بطون الكتب.

فكان من توفيق الله عليَّ أنْ شرعت في كتابةِ كتاب يجمع فوائد علميَّة، وأقوالًا أثريَّة، وتراجم سلفيَّة، يجدها القارئ بإذن رب البرية، وإنِّي أظن -وأنا الفقير لعفو ربه، الراجي لفضله وستره- أنِّي بهذا الجمع أغنيت إخواني طلاب العلم عن البحث في الباب؛ مع عدم خلوِّه من تقصير ونسيان في فوات بعض الأخبار، أو سهو وخطأ قد يتجلى للقراء والنُّظَّار، مما خفي على صاحبه المثابر، ولله في ذلك حكم عواطر، وهو حسبه ونعم الوكيل.

وقد تضمن الكتابُ ذكرٌ لأكثر من أربع مئة ترجمةٍ لبعض أعلام الجهاد من العلماء العارفين، والصالحين الربانيين، والقادة الفاتحين، وذلك حتى عام (١٤٠٠ هـ) على التقريب[٢]، وقد أسبقت ذلك بذكر صورٍ من جهاد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وغفر الله لنا ولهم إنَّ ربنا على كلِّ شيءٍ قدير.

وأسألك اللهم أن تتقبل كتابي هذا وتجعله كلامًا مقبولًا، وجمعًا مباركًا موفورًا، وسعيًا مشكورًا، إنَّك على كل شيءٍ قدير.

فلا تبْخَلُوا مع بعدِكُم بوجُوهِكُم ... علينا ألا إنَّ الوجُوهَ هي الكُتُبُ[٣]

ورضي الله عن الصحابة والتابعين، وعن العلماء الربانيين، وعن الصالحين، والقادة الفاتحين، ومن سار بسيرهم بإحسان إلى يوم الدين.

أموتُ ويبقى كلُّ ما قد كتبتُه ... فيا ليتَ مَنْ يقْرأُ كتَابيَ دعَا لِيا
لعلَّ إلهَيَ أَنْ يمُنَّ بِلُطفِه ... ويَرحم تقْصِيريَ وسُوءَ فعاليا[٤]

---

(١) قال سفيان ابن عيينة: «إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور» «تفسير البغوي» (٣/ ٥٦٨).

(٢) ولعلَّ الله أن ييسر لبعض طلاب العلم وأهله أن يجمعوا ما لم أستوعبه من السابقين والمعاصرين الذين كان لهم جهودٌ مباركة في صدِّ العدوان، والدفاع عن الأعراض والأوطان.

(٣) أعيان العصر (١/ ٣٧).

(٤) انظر: الإمام النووي للشيخ عبد الغني الدقر (ص١٩١).

أهمية قصص السلف وحكاياتهم في شحذ الهمم[1]

لا يخفى على كل أريب، ولا ريب لدى كل عاقلٍ لبيب؛ أنَّ للقصص فضلا كبيرا وأهمية عظيمة في رفع الهمم، وتحفيزها للمعالي وبلوغ القمم، ولو لم يكن من دليل على بيان أهمية القصص ووظيفتها في تحريك المشاعر وتوجيه النفوس للسمو، وللعقول للرقي والعلو؛ إلا سورة تحمل اسم «سورة القصص» لكان كافيًا، وإنَّما تضمنت هذه السورة وغيرها من السور من القصص القرآنية لتكون سبيلًا من سُبل تثبيت النبي ﷺ وتصبيره، ومنهجًا عمليًا وسلوكًا فعليًا يستفيد منه أولو النهى والعرفان، في حثهم على الصبر والتحمل، واليقين والأمل بموعد الله، وأنَّه كما صبر الرسل في دعوتهم لأقوامهم، وثبتوا على الحق رغم الفتن والمحن التي تلقوها منهم، فينبغي أن يكون لكم حظ من هذا الصبر واليقين، والله تعالى الموفق المعين.

ومَنْ يَخْطُبِ الحسْناءَ يَصْبِرْ علَى ... ومَنْ يَصْطَبِرْ لِلْعِلْمِ يَظْفَرْ بِنَيْلِهِ
يَسِيرًا يَعِشْ دَهْرًا طَوِيلًا أخا ذُلِّ ... ومَنْ لا يُذِلَّ النَّفْسَ في طلبِ العُلا

وقد عُلِم بالفطرة والتَّجربةِ أنَّ الإنسان يكتسب الأخلاق كما يكسب سبل عيشه التي يحتاجها؛ وذلك لأنَّ الأخلاق منها ما هو فطري غريزي يولد مع الإنسان ويكبر مع مرور الأيام، ومنها ما هو مكتسب يحصل بالرفقة والخلطة والتعلم، وللسلف في الحديثِ عن أهمية الحكايات كلام كثير، وأنا أذكر بعون الله ما يقرب الفكرة من البال، ولا يورث الضجر.

---

(١) انظر: «مقدمة ترتيب المدارك» للقاضي عياض (١/ ٢٣)، و«تاريخ ابن خلدون» (فصل: في أنَّ الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم) (١/ ٧٤٣- ٧٤٤)، و«طبقات الفقهاء الشافعية» لابن الصلاح (١/ ٧٤- ٧٥)، و«تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ١٠- ١١)، و«الروضتين في أخبار الدولتين» (١/ ٢٣)، وانظر: في مقدمة كتابي «احترام العلماء وتوقيرهم «الجزاء من جنس العمل» أهل الحديث أنموذجـًا»، ومقدمة كتابي «منتخب من الحكايات والنوادر واللطائف».

ذكر الإمام محمد بن الحسن الشيباني، عن الإمام أبي حنيفة قوله: «الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إليَّ من كثير من الفقه؛ لأنَّها آداب القوم وأخلاقهم»[1].

وقال محمد بن يونس: «ما رأيتُ للقلبِ أنفعَ من ذكر الصالحين»[2].

وقال سفيان: «كان يقال عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة»[3].

وقال بشر الحافي: «كم من النَّاس موتى تحيا القلوبُ بذكرهم، وأناسٌ أحياء تموتُ القلوب بذكرهم»[4]، وَلله در من قَالَ:

إذا عرف الْإِنْسَان أَخْبَار منْ مضى ... تخيلته قد عَاشَ حينا من الدَّهْرِ
فقد عَاشَ كل الدَّهْر مَن كَانَ عَالمًا ... كَرِيمًا حَلِيمًا فاغتنم أطولَ الْعُمرِ[5]

وذكر السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» قال الحافظ المحيوي وأبو محمد عبد القادر القرشي الحنفي في «طبقاتهم»: «إنَّ في ذكر تراجم العلماء، من أحوالهم، ومناقبهم، وأعصارهم، ومراتبهم؛ فوائد نفيسة، ومهمات جليلة. **منها**: طمأنينة القلب. **ومنها**: التأدب بآدابهم، والاقتباس من محاسن آثارهم. **ومنها**: إنزال كل منهم منزله، فلا يقصر بالعالي في الجلالة، ولا يرفع غيره عن مرتبته..»[6].

فبهذا بان لك باعثنا على ذكر أخبار القوم وحكايتهم، وقصصهم، وأخبارهم؛ وأنَّ فيها عبرة للمعتبر، وعظة للمتعظ، والله من وراء القصد.

---

(١) انظر: جامع بيان العلم (٨١٩)، و«الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» (ص٣٢) ط: دار الكتاب العربي.

(٢) صفة الصفوة (١/ ٤٥).

(٣) الزهد لأحمد (١٩٠٩) ط: دار الكتاب العربي.

(٤) تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص (ص٤٦٨).

(٥) النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص٥).

(٦) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص٣١).

ورضي الله عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، إذ قال -فيما نسب إليه- «العلم نقطة كثرها الجاهلون»[١]، **فيا خالقي أقولُ حالًا ومقالًا:**

قصـــدي رضـــاك بِكُل وَجه أمكنا ... فَـامْنُنْ عَليّ بِـذَاكَ من قبـل الفنـا
وَلَئِن رضـيـت فَـذَاك غَـايَـة مطلبي ... وَالْقَصْـد كل الْقَصْـد بل كل المنى
لَـو أبـذلـنَّ روحـي فـدى لـرأيـتـهـا ... أمـرا حَـقِـيـرًا فِـي جـنـابـك هُـنَـا
وَبقيـت من خجـل كَعبـد قـد جنى ... وَالْـكـل مـلـكـكـم فَـمَـا مـنـي أَنـا
وَلَـقَـد تـفضـــلـتـم بـإيـجـادي كَـذَا ... أنـعـمـتـم أَيْضًـــا بـكـونـي مُـؤمـنًـا
لَـوْلَا تـطـولـكـم عَـليّ وفضـــلـكـم ... مَـا كـنـت مَـوْجُـودًا وَلَا مـنـي ثَـنَـا
من ذَا الَّذِي يسْعَى ويشكر فَضـلكُمْ ... لَـو عـمَّـر الأبـديـن يشْــكـر مُـعْـلـنـا
وَأَنـا المســيكين الَّـذِي قـد جَـاءَكُـم ... للعفـو مِنْكُـم طَـالبـا وَلَـقَـد جنى
فبـاســمكـم وبعزكـم وبـجـاهكـم ... منـوا عَـليّ وأذهبـوا عنـي العنـا[٢]

وقلتُ لمن على الراحة عول، متمثلا بقول الأول:

لَسْــــنَـا وَإِنْ كُـنَّـا ذَوِي حَسَـــبِ ... يَـوْمًـا عَـلَـى الْأَحْـسَــابِ نَـتَّـكِـلُ
نَـبْـنِـي كَـمَـا كَـانَـتْ أَوَائِـلُـنَـا ... تَـبْـنِـي وَنَـفْـعَـلُ مِـثْـلَ مَـا فَـعَـلُـوا[٣]

---

(١) وقد اعتنى بها العلماء فأفردوا في شرحها مصنفاتٍ مستقلة، منها: «زيادة البسطة، في بيان العلم نقطة» لعبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ)، و«نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة» لأحمد بن محيي الدين الإغريسي الجزائري (ت١٣٢٠هـ)، وينظر: «كتاب الإبداع العلمي» (ص١٠٥-١٠٦) بالاستفادة.

(٢) الخلاصة للمحبي (١/ ٢١).

(٣) انظر: تدريب الراوي (١/ ٣٤) ط: العاصمة.



أبتدئ كلامي مخاطبًا أهل العلم -وأنا المشفق الناصح- فأقول: هذه مآثر السلف فلا تضيعوها، وأمجادهم فالزموها.

وأما المعاند المكابر فأقول له مقالة الحريص المشفق: دونك هذا الكتاب فانظر فيه، ولا تكن ممن قال الله فيهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٤].

وأقول **لكلِّ متطاول متنقص، متعالم متعالٍ، جاهل جهول**: «إذا أبيت إلا المهارشة والمناقشة، والمواحشة والمفاحشة، فلتصبر على حزِّ الحلاقم، ونكز الأراقم[1]، ونهش الضراغم[2]، والبلاء المتراكم المتلاطم، ومتون الصوارم؛ فو الذي نفسي بيده ما بارز أهل الحق قط قرنًا إلا كسروا قرنه، فقرع من ندم سنه، ولا ناحرهم خصم إلا بشّروه بسوء منقلبه، وسدّوا عليه طريق مذهبه لمهربه، ولا فاصَحَهم أحد -ولو كان مثل خطباء إياد- إلا فصحوه وفضحوه، ولا كافحهم مقاتل -ولو كان من بقية قوم عاد- إلا كبُّوه على وجهه وبطحوه، هذا فعلهم مع الكماة الذين وردوا المنايا تبرعًا، وشربوا كؤوسها تطوعًا، وسعوا إلى الموت الزؤام[3] سعيًا، وحسبوا طعم الحمام أريًا، والكفاة الذين استحقروا الأقران فلم يهلهم أمر مخوف، وجالوا في ميادين

---

(١) (نكز الأراقم): النكز: الدفع والضرب. الأراقم: الحيّات.

(٢) (الضراغم): الأسود.

(٣) (الموت الزؤام): الموت العاجل.

المناضلة واخترقوا الصفوف، وتجالدوا لدى المجادلة بقواطع السيوف»[١].

وأقول لمن انتكس وعلى العلم اتكل، ولم يتبعه بالعمل، ولم يخش من ربِّ البشر، وعول على حظٍ جناهُ من صيتٍ وشهرة هرب منها القوم الأُول، ولا تنفع ولا تغني عن صاحبها يوم المحشر:

أين أنت من عالِمِ الصحابة، وصاحبِ الأثر، وأحد العبادلة الأربعة[٢]، وأحد العباد الزهاد، والمكثرين من رواية الحديث[٣] **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه. فعن نافع، قال: «كان **ابن عمر** يغزو بنفسه، ويرى أنَّ الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال بعد الصلاة»[٤].

وأين أنت من شيخ أهل الشام **خالد بن معدان الحمصي (ت ١٠٣هـ)**[٥]، كان إذا أَمَر النَّاس بالغزوِ، كان فسطاطه أول فسطاطٍ بدابق[٦].

---

(١) انظر: غاية الأماني في الرد على النبهاني للألوسي وهي من كلامه (١/ ٢٧)، وامتثلها الشيخ الحويني في مقدمته لـ «صلاح الأمة في علو الهمة» (١/ ٣٩) ط: الرسالة ناشرون، ومحقق «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص٢٨) ط: دار الحديث.

(٢) والعبادلة هم (عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو)، انظر: «معرفة أنواع علوم الحديث» (مقدمة ابن الصلاح) (ص٢٩٦).

ولما غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح أفريقيا ففتحها وحصل للجيش منها مال عظيم، وكان معه في جيشه هذا ثلاثة من العبادلة; عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، ثمَّ غزا عبد الله بن سعد بعد إفريقية الأساود من أرض النوبة فهادنهم.... انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٣٤٧).

(٣) قال السيوطي في «ألفيته» (٦٦١-٦٦٢).

وَالْمُكْثِرُونَ فِي رِوَايَةِ الأَثَرْ: أَبُو هُرَيْرَةَ يَلِيهِ ابْنُ عُمَرْ
وَأَنَسٌ وَالْبَحْرُ كَالْخُدْرِيِّ وَجَابِرٌ وَزَوْجَةُ النَّبِيِّ

(٤) المصنف لابن أبي شيبة (١٩٩١٣).

(٥) وثقه: ابن سعد، والعجلي، ويعقوب بن شيبة، وابن خراش، والنسائي. وكان الذهبي يقول عنه: «وهو معدود في أئمة الفقه».

(٦) تاريخ دمشق (١٦/ ١٩٧).

وأين أنت من الإمامين **مكحول (ت ١١٢هـ) ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ)** وهما يختاران الساقة -في رفقة القوم في خروجهم للقتال- لا يفارقانها(١).

وأين أنت من الحافظ المقرئ **عبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧هـ)** وقد تحول إلى ثغرِ الإسكندرية مرابطًا؟(٢).

وأين أنت من شيخ أهل الشام وإمام العلم في زمانه، **الأوزاعي (ت ١٥٧هـ)** وهو يرابط على ساحل بيروت؟(٣).

وأين أنت من سيرة الإمام **ابن المبارك (ت ١٨١هـ)** الذي لازم الثغور وترك البيوت؛ مرابطًا يكر ويفرُّ على العدو، ويحدثُ أهل الثغور بأحاديث النبي ﷺ؟(٤). كان ﷺ رجلًا كمُلت صفاته، وعظمت خصاله، فكان كما وصفه ابن حبان بقولهِ: «فقيهًا، ورعًا، عالمًا بالاختلاف، حافظًا، يعرف السنن، رحالًا في جمع العلم، شجاعًا ينازل الأقران، ويكابت الأبطال، أديبًا يقول الشعر فيجيد، سخيًا بما ملك من الدنيا، وكان إذا سافر يحمل سفرته على عجلة من كبرها؛ فإذا نزل طرحها ثمَّ يردها من احتاج إليه»(٥).

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (١٩٩١٤)، ومكحول عالم أهل الشام أبو عبد الله بن أبي مسلم الهذلي الفقيه الحافظ: مولى امرأة من هذيل، وأصله من كابل، وقيل هو من أولاد كسرى، وداره بدمشق بطرف سوق الأحد، وكان يقول: «عتقت بمصر فلم أدع بها علمًا إلا حويته في ما أرى، ثمَّ أتيت العراق، ثمَّ المدينة فلم أدع بهما علمًا إلا حويت عليه فيما أرى، ثمَّ أتيت الشام فغربلتها» كما في «تذكرة الحفاظ» (١/ ٨٢).

(٢) طبقات علماء الحديث (١/ ١٧٠)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٧٥).

(٣) انظر: الثقات (٩٠١٩) (٧/ ٦٢)، و«تهذيب التهذيب» (٢١/ ٢٣٨-٢٤٠).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٨-٤٠٩)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ٨٨٢).

(٥) الثقات (٨٧٦٧).

وكان رحمه الله يحج سنة، ويغزو سنة، ومات في طريق الغزو بهيت[١]. وهو كما يقول حاجي خليفة في حديثه عن الكتب المصنفة في الجهاد «أول من صنف فيه: عبد الله بن المبارك»[٢]. وكفى بهذا شرفًا، وقد جمع بين شرف العلم تصنيفًا، وشرف الفعل جهادًا وثباتًا، ومبارزةً ورباطًا.

وأين أنت من الإمام **عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي (ت ١٨٧هـ)** الذي كان يقول عنه الإمام أحمد: «كنَّا نخبر أنَّه سنة في الغزو، وسنة في الحج»[٣].

وقال أحمد بن جناب: «غزا عيسى خمسًا وأربعين غزوة، وحجَّ خمسًا وأربعين حجة»[٤].

وأين أنت من عالم الدِّيار المصريَّة، ومفتيها، **عبد الرحمن بن القاسم** أبو عبد الله العتقي **صاحب الإمام مالك (ت ١٩١هـ)**، وقد قال علي بن معبد: «رأيت ابن القاسم في النوم، فقلت: كيف وجدت المسائلَ؟

فقال: أُفٍّ أُفٍّ.

قلت: فما أحسن ما وجدت؟

قال: الرباط بالثغر»[٥].

وأين أنت من الإمام **عبد الله بن وهب (ت ١٩٧هـ)** الذي كانت السَّنَة عنده مقسمة لثلاثة عباداتٍ عظيمةٍ كما قال سحنون: «كان ابن وهب قد قسَّم دهره أثلاثًا:

---

(١) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٣/ ٥١).

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٢٧٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩١)، و«العبر في خبر من غبر» (ص٥٦).

(٤) طبقات علماء الحديث (١/ ٤٠٦).

(٥) السير (٩/ ١٢٢).

ثلثًا في الرباطِ، وثلثًا يعلم النَّاس بمصرَ، وثلثًا في الحجِّ»؟[١].

وأين أنت من الإمام **الشافعي (ت ٢٠٤هـ)** وهو يرابط على ثغر الإسكندرية، ويقرأ ورده من كتاب اللهِ على شاطئِ بحرها؟[٢].

وأين أنت من العالم المجاهد **أسد بن الفرات الحراني القيرواني (ت ٢١٣هـ)**، قال بعضهم: «لقد رأيت أسدًا وفي يده اللواء يقرأ «يس»، ثمَّ حمل بالنَّاسِ فهزم الله المشركين، وانصرف أسدٌ فرأيتُ الدمَ قد سال مع قناة اللواء على ذراعه وقد جمد»[٣].

قال سلمان بن عمران: «بسبب أسد ظهر العلم بإفريقية»[٤]. فللَّه دره جمع بين العلم ونشر السنَّة، والجهادِ والفتح، وكلاهما فتح.

وهذا **الإمام يحيى بن معين المري مولاهم البغدادي (ت ٢٣٣هـ)** كما في «سؤالات ابن الجنيد» قال: قال لي يحيى بن معين: ألك ولد؟ قلت: لا، ولا امرأة.

قال: «فما مقامك ها هنا؟! الحق بالثغر أو ألقِ نفسك في تلك السواحل، فإنَّ الدنيا ليست بشيءٍ»[٥].

---

(١) انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (٣/ ٢٤٠).

(٢) انظر: مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١٥٨).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام (٥/ ٢٧٤).

(٤) ترتيب المدارك (٣/ ٣٠٢).

(٥) رقم (٣٢٥)، وله شعر كما في «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٠٥-٤٠٦).

الْمَالُ يَذْهَبُ حِلُّهُ وَحَرَامُهُ ... يَوْمًا وَتَبْقَى فِي غَدٍ آثَامُهُ
لَيْسَ التَّقِيُّ بِمُتَّقٍ لِإِلَهِهِ ... حَتَّى يَطِيبَ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ
وَيَطِيبَ مَا يَحْوِي وَيَكْسِبُ كَفُّهُ ... وَيَكُونَ فِي حُسْنِ الْحَدِيثِ كَلَامُهُ
نَطَقَ النَّبِيُّ لَنَا بِهِ عَنْ رَبِّهِ ... فَعَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ

وأين أنت من العالم الجليل ممَّن سمِع في الرباط وأسمَع، **مسلم بن عبد الرحمن الجرمي (ت ٢٤٠هـ)**، نزل طرسوس[١]، وبها كانت وفاته[٢]. وقد نقل الإمام ابن أبي حاتم الرازي: «أنَّه قتل من الروم مئة ألف»؟[٣].

وأين أنت من إمام أهل السنَّةِ والجماعةِ الإمام الربانيّ **أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)**. لما سأل عن مبشر بن إسماعيل الحلبي، قال: «قد رأيته لم يكن به بأس، كتبت عنه خمسة أحاديث أو ستة؛ كنَّا جئنا من الثغر»[٤].

وقال المروذي: قلت لأبي عبد الله: إنَّ رجلًا قدم من طرسوس، وقال لي: إنا كنَّا في بلاد الروم في الغزو، وإذا هدأ الليل رفعوا أصواتهم بالدعاءِ: ادعوا لأبي عبد الله، وكنَّا نمدُّ المنجنيق ونرمي عنه، ولقد رمي عنه بحجرٍ، والعلج على الحصن متترس بدرقة، فذهب برأسه وبالدرقة، فتغير وجهه، وقال: «ليتهُ لا يكون استدراجًا». فقلت: كلا[٥].

وأين أنتَ من **المسيب بن الواضح التلمنسي (ت ٢٤٦هـ)** تلميذ ابن المبارك، وكان مرابطًا يحدث على ساحلِ بانياس بأحاديث رسول الله ﷺ؟[٦].

وكان **سُحْنُون** رحمه الله **(ت ٢٥٦هـ)** كما يقول سليمان بن سالم: «إذا قرئ عليه كتاب

---

(١) مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. (معجم البلدان) (٤/ ٢٨).

(٢) تاريخ بغداد (١٥/ ١٢٠).

(٣) الجرح والتعديل (٨/ ١٨٨)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٧٠٣).

(٤) سؤالات أبي داود (ص٢٧١-٢٧٢)، والثغر: (بالفتح ثم السكون وراء، كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغرًا كأنه مأخوذ من الثغرة، وهي الفرجة في الحائط وهو في مواضع كثيرة منها: ثغر الشام، وجمعه ثغور) (معجم البلدان) (٢/ ٧٩).

(٥) تاريخ الإسلام (٥/ ١٠١٣).

(٦) انظر: الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٠٠)، و«السير» الذهبي (١١/ ٤٠٣).

الجهاد لابن وهب، أو كتاب الزهد بكى حتى تسيل دموعه على لحيته»[(١)].

وأين أنت من **محمد بن إسماعيل البخاريّ (ت ٢٥٦هـ)** صاحب الصحيح، وهو يؤلف كتاب التفسير مرابطًا في حصن فربر؟[(٢)].

وأين أنت من ناشرِ مذهب الإمام الشافعي في الآفاق **إسماعيل بن يحيى المزني (ت ٢٦٤هـ)**؟[(٣)]. الذي نعته أبو سعيد بن يونس بأنَّه: «ثقةٌ، يلزم الرِّباط»[(٤)].

وأين أنت من **أبي زرعة الرازي (ت ٢٦٤هـ)** وهو يجمع بين الرباط وسماع الحديث، قال البرذعي: سمعت أبا زرعة يقول: «لم أعرف لنفسي رباطًا خالصًا في ثغر!؛ قصدت قزوين مرابطًا ومن همتي أن أسمع الحديث من الطنافسي، ومحمد بن سعيد بن سابق، ودخلت بيروت مرابطًا ومن همتي أن أسمع من العباس بن الوليد، دخلت رها مرابطًا ومن همتي أن أسمع من أبي فروة الرهاوي، فلا أعرف لنفسي رباطًا خلصت نيتي فيه، ثم بكى»[(٥)].

وأين أنت من المحدث الأندلسي **محمد بن شجاع (ت ٢٦٦هـ)**، وقد قتل ﷺ في

---

(١) انظر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم لعبد الله بن محمد المالكي (١/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٠)، و«تاريخ بغداد» (٢/ ٣٢٢).

(٣) المزني، بضم الميم وفتح الزاي وبعدها نون: نسبة إلى مزينة بنت كلب، وهي قبيلة كبيرة مشهورة.

(٤) انظر: السير (١٢/ ٤٩٥) وسوف نتناول الحديث عنه ﷺ في كتابنا.

(٥) انظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢/ ٤٦٩)، و«سؤالات البرذعي» (٢/ ٧٧٠) بنحوه.

قال الدكتور علي الصياح في «قصص أئمة الحديث المتقدمين ونوادرهم» (ص٣٢): «وهذا من شدة ورعهم ومن تدقيقهم في باب النيات وإلا فطلب العلم عبادة ولا مانع من تداخل العبادات -طلب العلم والمرابطة-، علما أن من تأمل سيرة هذا الجهبذ عرف أنه في رباط وجهاد منذ نشأته ﷺ، قال تعالى: ﴿۞وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢]».

بلاد الأندلس؟»[١].

وأين أنت من الإمام العلم وشيخ أهل الأندلس أجمع **بقي بن مخلد (ت ٢٧٦هـ)**، وهو يغزو أكثر من سبعين غزوة في سبيل الله؟»[٢].

ودولةُ السِّيفِ لا تَقْوى دعَامَتُها ... ما لم تَكُنْ حَالفَتْها دَوْلَةُ الكُتُبِ

وأين أنت من **أبي بكر الطائي المنبجي (ت بين ٣٠١-٣١٠هـ)** شيخ ابن حبان وابن عدي والطبراني، وكان ابن حبان يقول عنه: «**كان قد صام النَّهار وقام الليل ثمانين سنَّة غازيًا مرابطًا**»[٣].

لَيْسَ المرُوَءةُ أن تبيتَ منعّما ... وتظلّ معتكفًا على الأقداحِ

مَا للرِجَالِ وللتَّنعُمِ إنَّما ... خلِقُوا ليومِ كريهةٍ وكفاحِ[٤]

وأين أنت من **أبي العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري بن القاص شيخ الشافعية في طبرستان (ت ٣٣٥هـ)**. وإنَّما قيل لأبيه القاص؛ لأنَّه دخل بلد الديلم فقص على النَّاس، ورغبهم في الجهاد، وقادهم إلى الغزاة، ودخل بلاد الروم غازيًا، فبينما هو يقص لحقه وجد وغشية، فمات رَحِمَهُ اللَّهُ[٥].

عُقِمَ النِساءُ فَما يَلِدنَ شَبيهَهُ ... إِنَّ النِساءَ بِمِثلِهِ عُقمُ

وأين أنت من **أبي بكر محمد بن سعدون الجزيري التميمي (ت ٣٤٤هـ)**[٦]. وقد جال بالشام، وغزا به غزواتٍ، وكان يقوم في جموع المسلمين فيحرّضهم على

---

(١) انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص٨١).

(٢) انظر: طبقات علماء الحديث (٢/ ٣٣٦).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام (٧/ ١٨٨).

(٤) معجم الأدباء (١/ ٥٢٦).

(٥) طبقات الشافعيين لابن كثير (ص ٢٤١).

(٦) الجزيري: وهي نسبة إلى جزيرة شريك وقد نسب إليها جماعة من العباد.

الجهاد بمقامات كانت عنده، وبشعر الدهفلي[١]، وبما يشوق ويبكي، فكانت النيّات تنبعث معه[٢]. وقد حجّ حججًا مع كثرة الرباط.

وأين أنت من **الحافظ محمد بن علي القصاب (ت ٣٦٠ هـ تقريبًا)** الذي لقب بهذا اللقب -القصاب-؛ لكثرة ما أهرق من دماء الكفار في المعارك؟[٣].

وفيه يقول أبو الحسن الكَرَجي:

وفي الكَرَج الغَرَّاء أوحَدُ عَصْرِهِ ... أبو أحمدَ القَصَّاب غير مُغَالِبِ
تصانيفُه تُبْدي فُنونَ عُلُومِهِ ... فلستَ تَرَى عِلْمًا له غيرَ شاربِ

وأين أنت من الحافظ المكثار **مكي بن عبد السلام المقدسي الرميلي (ت ٤٩٢هـ)**، وكان قد قتل شهيدًا متقدمًا محاربًا غيرَ فارٍّ وقت استيلاء الإفرنج على بيت المقدس؟[٤].

---

(١) لعله لقب لأحد شعراء الصوفية.

(٢) طبقات علماء القيروان (٢/ ٤١٤) وكان من دعائه كما في «المصدر نفسه» (٢/ ٤١٧) يقول: «اللهم من أرادنا فرده، ومن كادنا فكده، اللهم اكسر عنّا حدّ من أقام لنا حدّه، واطفئ عنّا نار من أوقد لنا وقدة، واعمِ عنّا أعين الكفرة، وأنزل علينا السكينة، واكسنا درعك الحصينة».

(٣) انظر: طبقات علماء الحديث (٣/ ١٣٢).

(٤) ينظر: الأنساب للسمعاني (٦/ ١٧٣)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ٣٣٢-٣٣٣)، و«الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» (١/ ٢٩٨-٢٩٩).

وكان ﷺ فاضلًا صالحًا ثبتًا، وعاد إلى بيت المقدس فأقام بها يدرس الفقه على مذهب الشافعيّ، ويروي الحديث إلى أن غلبت الإفرنج على بيت المقدس فحكى لي من رآه وهو يحمل عليهم حتى يخرجهم من المسجد وقتل منهم ثمَّ قتل شهيدًا في سنة تسعين وأربعمئة.

وفي «الطبقات لابن عبد الهادي» (٣/ ٤٢١) قال المؤتمن الساجي: كانت الفتاوى تجيئه من مصر ومن الساحل ودمشق، وقيل: إنَّه شرع في تأليف تاريخ لبيت المقدس، ولما دخلت الفرنج، وملكوا بيت المقدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة أسروا الرميلي، ونودي عليه في البلاد ليفك بألف دينارٍ لما عرفوا أنَّه من علماء المسلمين، فلم يفتكه أحد، فقتل صبرًا بظاهر أنطاكية، ﷺ.

وأين أنت من **الفقيه المالكي ابن رشد (ت ٥٢٠هـ)**، وقد سئل عمَّن لم يحج من أهل الأندلس في هذا الوقت؛ هل الحج أفضل له أو الجهاد، وكيف لو حج الفريضة؟

فأجاب: فرض الحج ساقط في زماننا هذا عن الأندلس لعدم الاستطاعة، وهي القدرة على الوصول مع الأمن على النفس والمال، وإذا سقط الفرض صار نفلًا مكروهًا للضرر، فبان أن الجهاد الذي لا تحصى فضائله أفضل، وهو أبين من أن يسأل عنه، وموضع السؤال فيمن حج الفريضة والسبيل مأمونة، هل الحج أفضل أو الجهاد؟

واختار الجهاد لما ورد فيه من الفضل العظيم، وأما من لم يحج وسبيله مأمونة فيتخرج على الفور أو على التراخي، وهذا ما لم يتعين فرض الجهاد، فإن تعين فهو أفضل من حجة الفريضة قولًا واحدًا.

وأمَّا غيرُ أهل الأندلسِ كالعدوتين، فإنْ خافوا على أنفسهم وأموالهم فهم كالأولين، وإن لم يخافوا فالجهاد عندي لهم أفضل من تعجيل الحج؛ إذ هو على التراخي على الصحيح ممَّا تدلُّ عليه مسائل المذهب، وهذا في غير من يقوم بفرضِ الجهاد، وأمَّا من قام بفرضه من أجناد المسلمين فالجهادُ واجبٌ عليهم، إذ لا يجب تعجيل الحج عليهم.

وأجاب الأستاذ أبو بكر الطرطوشي: «بأنَّه حرام على أهل المغرب، فمن خاطر وحج فقد سقط فرضه؛ ولكنَّه آثمَ بما ارتكب من الغرر»[1].

---

(١) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب «نقلًا عن مجلة الفقه الإسلامي» (٤/ ٥٧٣).

ونجد هذه الفتوى أيضًا حصلت في العراق، ففي الغزو المغولي خرجت فتاوي للفقهاء بتقديم الجهاد على فريضة الحج، وأن الجهاد في تلك الظروف التي مرت بها الأمة الإسلامية أثناء الغزو المغولي أولى من الحج إلى بيت الله.

وقام الفقهاء بحث الناس في فتاويهم تلك بالتدرب على رمي السهام وتعلم قواعد استعمال السلاح، وكان لهذه الفتاوى صدى قويًا في بعض بلدان العالم الإسلامي، فلم يخرج الحجاج من بغداد عام (٦٣٧هـ/ ١٢٣٨م) وذلك من أثر فتوى

وأين أنت من المفسر الجليل **ابن عطية (ت ٥٤٢هـ)** صاحب التفسير الشهير «المحرر الوجيز» وكان كما وصفه ابن الأبَّار: «يكثر الغزوات في جيوشِ الملثمين»؟[1].

وأين أنت من القاضي الجليلِ، والمفسر الكبيرِ أحمد بن عبد اللهِ **أبي بكر بن العربي** المعافري الأشبيلي المالكي **(ت ٥٤٣هـ)**؟[2].

وأين أنت من الشيخ الفقيه حجة الدين **أبي الحجاج يوسف بن دوناس المغربيّ الفندلاوي شيخ المالكية بدمشق (ت ٥٤٣هـ)**، وكان شيخًا كبيرًا زاهدًا عابدًا، خرج راجلًا فرآه معين الدين فقصده وسلم عليه، وقال له: يا شيخ أنت معذور، ونحن نكفيك وليس بك قوة على القتال، فقال: «قد بعت واشترى فلا نقيله ولا نستقيله»، يعني قول الله تعالى ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١] الآية.

وتقدم فقاتل الفرنج حتى قتل ﵀ عند النيرب شهيدًا[3].

وأين أنت من **عز الدولة أبو الحسن علي بن نصر** بن منقذ الكناني الكلبي (ت ٥٤٥هـ)، وهو أخو الأمير أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ)، يموت بعسقلان شهيدًا مدافعًا، يقول أخوه الأمير أسامة: «فسرت إلى مصر وبقي أخي عز الدولة أبو

الفقهاء السابقة، وتحذيرهم للأمة الإسلامية من خطر المغول الذي يتربص بهم. انظر: «دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد» (ص٧٩) نشر جامعة أم القرى.

(١) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص٢٦٣-٢٦٤)، و«الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٨٢).

(٢) يقول كما في «أحكام القرآن» (٢/ ٥١٧): «لقد نزل بنا العدو قصمه الله سنة سبع وعشرين وخمسمئة؛ فجاس ديارنا، وأسر جيرتنا، وتوسط بلادنا في عدد هال الناس عدده، وكان كثيرًا، وإن لم يبلغ ما حددوه، فقلت للوالي والمولى عليه: هذا عدو الله، وقد حصل في الشرك والشبكة، فلتكن عندكم بركة، ولتظهر منكم إلى نصرة دين الله المتعينة عليكم حركة، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع هذه الأقطار فيحاط به فإنَّه هالك لا محالة إن يسركم الله له؛ فغلبت الذنوب، ووجفت القلوب بالمعاصي، وصار كل أحد من النَّاس ثعلبًا يأوي إلى وجاره، وإنْ رأى المكروه بجاره؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

(٣) الروضتين (١/ ١٩٠).

الحسن علي رحمه الله بعسقلان، فخرج عسكرها إلى قتال غزة فأستشهد رحمه الله، **وكان من علماء المسلمين، وفرسانهم، وعبادهم**»[١].

وأين أنت من الفقيه عيسى بن محمد **الهكاري** الكردي (**ت ٥٨٥هـ**)، **وكان يلبس زي الأجناد، ويعتم بعمائم الفقهاء،** فيجمع بين اللباسين؟[٢]، وشارك في عكا.

والهكاري هذا له شبه وهو قاضي جبلة أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف **بابن صليحة**، وكان كما قال ابن الأثير: «أحب الجنديَّة، واختار الجند، فظهرت شهامته»[٣].

ومثله: **الفقيه شهاب الدين بن البلاعي**[٤]، كان فقيهًا شجاعًا، ثمَّ خلع العمامة

---

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ (ص١٨).

(٢) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣/ ٤٩٧-٤٩٨).

(٣) قال ابن الأثير في «الكامل» (٨/ ٤٤٦-٤٤٧) «أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة، كان والده رئيسها أيام كان الروم مالكين لها على المسلمين، ويقضي بينهم، فلما ضعف أمر الروم، وملكها المسلمون، وصارت تحت حكم جلال الملك أبي الحسن علي بن عمار، صاحب طرابلس كان منصور على عادته في الحكم فيها. فلما توفي منصور قام ابنه أبو محمد مقامه، وأحب الجندية، واختار الجند، فظهرت شهامته، فأراد ابن عمار أن يقبض عليه، فاستشعر منه، وعصى عليه، وأقام الخطبة العباسية، فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالا ليقصده ويحصره، ففعل، وحصره، فلم يظفر منه بشيء، وأصيب صاحبه أتابك طغتكين بنشابة في ركبتيه وبقي أثرها. وبقي أبو محمد بها مطاعا إلى أن جاء الفرنج، لعنهم الله، فحصروها، فأظهر أن السلطان بركيارق قد توجه إلى الشام، وشاع هذا، فرحل الفرنج، فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا حصاره، فأظهر أن المصريين قد توجهوا لحربهم، فرحلوا ثانيًا، ثمَّ عادوا، فقرر مع النصارى الذين بها أن يراسلوا الفرنج، ويواعدوهم إلى برج من أبراج البلد ليسلموه إليهم ويملكوا البلد، فلما أتتهم الرسالة جهزوا نحو ثلاثمئة رجل من أعيانهم وشجعانهم، فتقدموا إلى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون في الجبال، واحدا بعد واحد، وكلما صار عند ابن صليحة، وهو على السور، رجل منهم قتله إلى أن قتلهم أجمعين، فلما أصبحوا رمى الرؤوس إليهم فرحلوا عنه.

وحصروه مرة أخرى، ونصبوا على البلد برج خشب، وهدموا برجا من أبراجه، وأصبحوا وقد بناه أبو محمد، ثم نقب في السور نقوبًا، وخرج من الباب وقاتلهم، فانهزم منهم، وتبعوه، فخرج أصحابه من تلك النقوب، فأتوا الفرنج من ظهورهم، فولوا منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكند اصطبل، فافتدى نفسه بمال جزيل».

(٤) نسبةٍ إلى قرية تدعى البلاعة في حماة في سوريا.

وتزيى بزي الجند[١].

ومثلهم: كما وَصَف صاحب حماة **أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه**، وهم: الأمير فخر الدين ابن الشيخ، وإخوته عماد الدين، وكمال الدين، ومعين الدين، أولاد الشيخ المذكور، بقوله: «وكل من أولاد الشيخ المذكور حاز فضيلتي السيف والقلم، فكان يباشر التدريس، ويتقدم على الجيش»[٢].

وأين أنت من **الإمام العلم الكبير ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)**، الذي يقول عنه الحافظ الذهبي: سمعت البهاء يصفه بالشَّجاعة، وقال: «كان يتقدم إلى العدو وجُرِح في كفِه، وكان يرامي العدو؟»[٣].

حاول جَسيمات الأمور ولا تَقُل إنَّ المحامدَ والعُلى أرزاقُ
وارغبْ بنَفسِكَ أنْ تكُونَ مقصّرًا عن غايةٍ فيها الطِّلابُ سِباقُ[٤]

وكانت له مشاركة فعَّالة، وحضور رسمي يوم حطين، وقد كاتب الخليفة العباسي وكلف بالكتابة له يبشره بالنصر الذي أحرزته الجيوش الإسلامية على الفرنجة، ويحكي لنا قائلًا: «كتبت هذا الكتاب من عسقلان يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة وفيه: ولو حمدنا الله ﷻ طول أعمارنا ما وفينا بعشر معشار نعمته التي أنعم بها علينا من هذا الفتح العظيم، فإنَّا خرجنا إلى عسكر صلاح الدين، وتلاحق الأجناد حتى جاء النَّاسُ من الموصل وديار بكر وإربل؛ فجمع صلاح الدين الأمراء، وقال: هذا اليوم الذي كنت أنتظره، وقد جمع

---

(١) مفرج الكروب (٣/ ١٦٣).

(٢) المختصر في أخبار البشر (١/ ١٦١).

(٣) السير (٢٢/ ١٧١)، و«طبقات علماء الحديث» (٤/ ١٦٠).

(٤) محاضرات الأدباء (١/ ٥٢١).

الله لنا العساكر، وأنا رجل قد كبرت وما أدري متى أجلي، فاغتنموا هذا اليوم وقاتلوا لله تعالى لا من أجلي!...»[١].

وأين أنت من محدِّث الأندلس أبو الرَّبيع، سليمان بن موسى **البَلَنْسي (ت ٦٣٤هـ)**. الذي توفي شهيدًا مقتولًا بيد العدو؟[٢].

وأين أنت من **الصرصري (ت ٧١٦هـ)** الذي لقبه الحافظ ابن كثير الدمشقي بـ (حسان وقته) لجودةِ شعره ودفاعه عن النبي الكريم ﷺ، وقد خرج بنفسه يواجه التتار؟[٣].

وأين أنت من شيخ الإسلام **أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)** الذي كان يثبت المسلمين في المعارك والمشاهد، لا سيَّما في وقعة شقحب المشهورة في دمشق الشام المحروسة، وقد وصفه تلميذه البار الهادي ابن عبد الهادي في عقوده المصنَّفةِ في مناقب وأحوال شيخه (العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية) وصفًا يبين فيه فضله وشجاعته وجهاده في سبيل الله بكل أنواع الجهاد المشروع؟.

مَاذَا يكونُ جوابُكم لنبيِّكُم ... وَطَرِيقُ هَذَا الْعذرِ غيرَ ممهَّدِ
إِنْ قَالَ لم فرَّطتُم فِي أُمَّتِي ... وتركْتُمُوهم لِلْعَدوِّ المعتدِ
تَاللهِ لَو أَنَّ الْعقُوبَة لم تخفْ ... لكفا الحيا مِنْ وَجْهِ ذَاك السَّيِّد[٤]

وأين أنت من **محمد البنوفري (ت ٩٩٨هـ)** شيخ المالكية بمصر. وكان يقسم

---

(١) الروضتين (٢/ ٢٩٧).

(٢) انظر: طبقات علماء الحديث (٤/ ٢٠٠-٢٠١).

(٣) ينظر: البداية والنهاية (١٧/ ٣٧٧)، و«الأعلام» (٣/ ١٢٨)، و«كشف الظنون» (١/ ٧٩٧).

(٤) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب (٢/ ٦٢).

السَّنَة ثلاثة أقسام: «**أربعة أشهر يحج، وأربعة أشهر يرابط، وأربعة أشهر يقرئ العلوم ويصلي؟**»(١).

مَزَجْنَا دِمَاءً بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ ... فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عُرْضَةٌ لِلْمَرَاحِمِ
وَشَرُّ سِلَاحِ الْمَرْءِ دَمْعٌ يُفِيضُهُ ... إِذَا الْحَرْبُ شُبَّتْ نَارُهَا بِالصَّوَارِمِ
فَإِيهًا بَنِي الْإِسْلَامِ إِنَّ وَرَاءَكُمْ ... وَقَائِعَ يُلْحِقْنَ الذُّرَى بِالْمَنَاسِمِ
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ مِلْءَ جُفُونِهَا ... عَلَى هَفَوَاتٍ أَيْقَظَتْ كُلَّ نَائِمِ
وَإِخْوَانُكُمْ بِالشَّامِ يُضْحَى مَقِيلُهُمْ ... ظُهُورَ الْمَذَاكِي أَوْ بُطُونَ الْقَشَاعِمِ
تَسُومُهُمُ الرُّومُ الْهَوَانَ وَأَنْتَمْ ... تَجُرُّونَ ذَيْلَ الْخَفْضِ فِعْلَ الْمُسَالِمِ
وَبَيْنَ اخْتِلَاسِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَقْفَةٌ ... تَظَلُّ لَهَا الْوِلْدَانُ شِيبَ الْقَوَادِمِ
وَتِلْكَ حُرُوبٌ مَنْ يَغِبْ عَنْ غِمَارِهَا ... لِيَسْلَمَ يَقْرَعْ بَعْدَهَا سِنَّ نَادِمِ
سَلَلْنَ بِأَيْدِي الْمُشْرِكِينَ قَوَاضِبًا ... سَتُغْمَدُ مِنْهُمْ فِي الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ
يَكَادُ لَهُنَّ الْمُسْتَجِنُّ بِطِيبَةٍ ... يُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا آلَ هَاشِمِ
أَرَى أُمَّتِي لَا يَشْرَعُونَ إِلَى الْعِدَا ... رِمَاحَهُمْ وَالدِّينُ وَاهِي الدَّعَائِمِ
وَيَجْتَنِبُونَ الثَّأْرَ خَوْفًا مِنَ الرَّدَى ... وَلَا يَحْسَبُونَ الْعَارَ ضَرْبَةَ لَازِمِ
أَيَرْضَى صَنَادِيدُ الْأَعَارِيبِ بِالْأَذَى ... وَتُغْضِي عَلَى ذُلٍّ كُمَاةُ الْأَعَاجِمِ
فَلَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَذُودُوا حَمِيَّةً ... عَنِ الدِّينِ ضَنُّوا غَيْرَةً بِالْمَحَارِمِ
وَإِنْ زَهِدُوا فِي الْأَجْرِ إِذْ حَمِيَ الْوَغَى ... فَهَلَا أَتَوْهُ رَغْبَةً فِي الْمَغَانِمِ(٢)

وأين أنت من هذا الجمع العظيم من أهلِ العلم في جهادهم ضد المحتل الفرنسي، فقد اشترك الشيخ بدر الدين الحسني في الثورة ضد فرنسا مع العديد من طلاب العلم، وكذلك شارك فيها الشيخ علي الدقر، والشيخ حسن حبنكة الذي انضم إلى الشيخ محمد الأشمر، وكان الشيخ حسن يحمل السلاح متنقلًا من

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (٣/ ٧٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٦/ ١٦٧-١٦٨) ط: هجر.

مسجدٍ إلى مسجد، ومن حيٍ إلى حي، ولما ضعفت الثورة لجأ إلى الأردن مع بعض الثوار، وبقي هناك سنتين تقريبًا؟[١].

يقول الأديب الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: «ولمّا ابتُلينا بالاحتلال كان الذين قادوا النضال وأوصلوا بلادهم إلى الاستقلال من هذه الطبقة: المشايخ والعلماء»[٢].

وبعد..

فهذه جملة من التراجم الحسان، ونبذة على عجلة في أخبار هؤلاء الشيوخ الأعلام، جعلتها مقدمّة للكتاب؛ تشويقًا فيه، وترغيبًا للمطالعة في باقيه؛ فهذه الهمم العوالي، والشخصيات الغوالي، بما اجتمع لها من الخير والعبادة والمجاهدة كانت في تلك الأزمنة الغابرة، والقرون الذاهبة.

والعاقلُ من جارى العقلاء في أعمالهم في دائرة دينه وقوميته ووجدانه، والحازمُ من لم يرض لنفسه أخس المنازل، وأخسّ المنازل للرجل: منزلة القول بلا عمل، وأخس منها أن يكون الرجل كالدفتر يحكي ما قال الرجال وما فعلوا دون أن يضرب معهم في الأعمال الصالحة بنصيب، أو يرمي في معترك الآراء بالسهم المصيب[٣].

وا أسفاه على زماننا؛ فقد ذهبت تلك الشجاعة، وغابت تلك النخوة، وصارت كأطلالٍ مرَّ عليها الزمان، وصار حال بعض أهل العلم والصالحين، كما قال الجبرتي: «وقد زالت هيبتهم ووقارهم من النفوس، وانهمكوا في الأمور الدنيوية، والحظوظ النفسانيَّة، والوساوس الشيطانيَّة، ومشاركة الجهال في المآتم، والمسارعة إلى الولائم في الأفراح والمآتم، يتكالبون

---

(١) تتمة الأعلام للزركلي للأستاذ محمد خير رمضان يوسف (٢/ ١٣٨) بتصرف.

(٢) الذكريات (٥/ ٣١٨).

(٣) من كلام البشير الإبراهيمي كما في «مجموع آثاره» (١/ ٥٦).

على أسمطة كالبهائم، فتراهم في كل دعوة ذاهبين، وعلى الخوانات راكعين، وللكباب والمحمرات خاطفين، وعلى ما وجب عليهم من النّصح تاركين»[1].

فحُقَّ أنْ يُقَالَ:

رُب دهرٍ بَكَيْتُ منهُ فَلَمَّا ... صِرْتُ فِي غيرِه بَكَيْتُ عَلَيْهِ[2]

وما قاله الجبرتي، سبق في تقريره أبو حامد الغزالي، بقولِهِ:

فقهاؤُنَا كذِبَالةِ النَّبرَاس ... هِيَ فِي الْحَرِيقِ وَضَوؤها للنَّاسِ
خَبرٌ ذَمِيمٌ تَحتَ رائِقِ منظرٍ ... كالفضةِ الْبَيْضَاءِ فَوق نُحَاس[3]

فلله در أقوامٍ من أسلافنا بذلوا الغالي والنفيس، وضحوا بأغلى ما عندهم لإعلاء كلمة التوحيد، ولعز من يأتي بعدهم من المسلمين.

ولنختم بفائدة تدبرية: يلحظ المتدبر لكتاب الله بأنَّ كلمة المسلمين «معرفة ونكرة» وردت في القرآن (٤١) مرة، وكذلك كلمة الجهاد بمشتقاتها وردت (٤١) مرة في القرآن الكريم، وفي هذا إشارة إلى أنَّ الإسلام = جهاد، أي لا مسلمون بلا جهاد ولا جهاد بلا مسلمين، فكأن الجهاد المقدس لا يصدر إلا من مسلم، وليس هناك مسلم إلا ويجاهد لرفعة دينه[4]، ففخرًا وتيهًا يا شباب الأمة، ويا مشاعل الخير وعزائم القوة؛ قولوها بلسانِ حالكم:

أولئكَ آبائي فجئني بمثلهمْ ... إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

فـ «اللهم ألبسنا لباس التقوى، وألزمنا كلمة التقوى، واجعلنا من أولي النهى وأمتنا حين

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٣/ ٥٠٦).

(٢) الروضتين (١/ ٢٢٧).

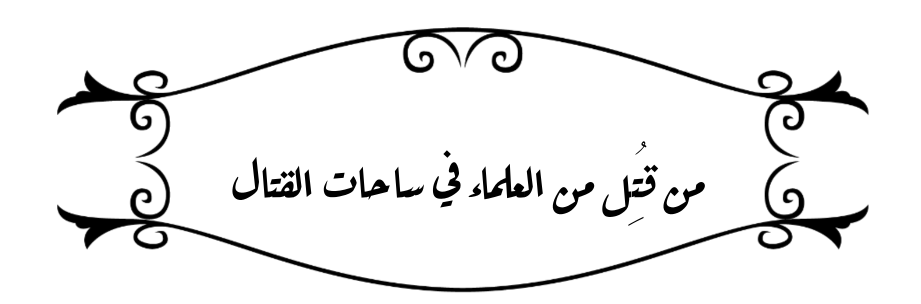
(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ٢٢٢)، قوله (الذبالة): الفتيلة. قوله (النبراس): السراج.

(٤) موسوعة الأخلاق والزهد (٢/ ٢٠٠).

ترضى، وأدخلنا جنة المأوى، واجعلنا ممَّن بر واتقى، وصدق بالحسنى، ونهى النفس عن الهوى، واجعلنا ممَّن تيسره لليسرى، وتجنبه العسرى، واجعلنا ممَّن يتذكر فتنفعه الذكرى، اللهم اجعل سعينا مشكورًا، وذنبنا مغفورًا، ولقنا نضرة وسرورًا، واكسنا سندسًا وحريرًا، واجعل لنا أساور من ذهب ولؤلؤ، وحريرًا»(١).

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (٣٠١٤٨) والدعاء من كلام الصحابي عبد الله بن مسعود ﷺ.



إنَّنا إذا بحثنا في سير العلماء وجدنا كثيرًا منهم مات مقاتلًا في سبيل الله، مقبلًا غير مدبر، ويمكن أن نمثل لهذا ببعض علماء دولة المرابطين في المغرب، أو من قاربهم من علماء الأندلس.

فإنه لا يكاد جيشٌ من جيوشِ المرابطين يخرج للجهاد إلا ونجد فيه عددًا من العلماء المشهورين الذين دونت أخبارهم أنَّهم شاركوا في الجهاد، حتى استشهد جماعة منهم في ساحات الجهاد مع المرابطين، ومنهم:

١ الإمام أبو علي الصدفي (٥١٤هـ)

الذي استشهد في غزوة كتندة بالثغر الأعلى، واستشهد معه فيها الإمام أبو عبد الله بن الفراء قاضي المرية.

٢ القاضي يحيى بن محمد الأموي المعروف بابن قبروق سنة (٥٠٨هـ)

وهو قاضي شاطبة، حيثُ كانت شهادته في وقيعة البورت.

٣ الفقيه أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد بن حيات الأنصاري (٥٠٣هـ)

فقد استشهد بسرقسطة ومعاركها ضد الصليبيين.

٤ أبو جعفر عبد الوهاب ابن حكم الأنصاري في وقيعة وشقة سنة (٤٨٩هـ).

٥ والفقيه أحمد بن ثابت العوفي، استشهد في وقيعة البورت

واستشهد معه جماعة من خيرة المجاهدين.

٦ القائد ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحاج أبو عبد الله بن الحاج الطرطوشي

قُتل كلٌّ هؤلاء ولسان حالهم يقول:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا تَعَوَّدَ حَيُّنَا إِذَا مَا الْتَقَيْنَا أَنْ نَحِيدَ وَنَنْفِرَا
وَنُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ حَيِّنَا مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى يُحْسَبَ الْجَوْنُ أَشْقَرَا
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صِحَاحًا وَلَا مُسْتَنْكَرًا أَنْ نُعَفِّرَا

وعلى ذكر الشهداء العلماء في بلاد الأندلس؛ فقد شارك علماء كثر غيرهم في هذا الجهاد مع دولة المرابطين، وإن لم تُكتب لهم الشهادة في ساحة المعركة، ومنهم:

- الإمام قاضي الجماعة أبو الوليد ابن رشد المالكي (ت٥٢٠هـ).

- وقاضي الجماعة محمد بن خلف التجيبي المعروف بابن الحاج (ت٥٢٩هـ).

- والإمام عبد الحق بن غالب بن عطية (ت ٥٤٢ هـ) صاحب كتاب «المحرر الوجيز» في التفسير.

- والإمام أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) الذي اشترك في كثير من الغزوات التي خاضها المرابطون، ومن بينها غزوة كتندة سنة (٥١٤هـ)، وقد نجا فيها بأعجوبة، وعندما سئل عن حاله عند مخلصه منها، قال: «حال من ترك الخباء والعباء».

لقد كان خروج هؤلاء العلماء إلى الجهاد مدعاة لغيرهم للاقتداء بهم، ولذلك كثر المتطوعة الخارجين مع الجيوش المرابطية؛ ففي غزوة كتندة عام (٥١٤هـ) لم يفقد الجيش المرابطي في المعركة إلا عددًا قليلًا من أفراده في حين استشهد حوالي

عشرون ألفًا من المتطوعة. ولا شك أنَّ لخروج الإمامين أبي علي الصدفي وأبي عبد الله بن الفراء في هذه الغزوة تأثير في خروج هذا العدد الكبير من المتطوعة.

وقد جمع العلماء في مسيرتهم تلك الأيام بين الجهاد والعلم؛ فكثير من طلبة العلم أخذ عن الإمام أبي علي الصدفي أثناء اجتيازه بمدنهم غازيًا، وكذلك أخذ الطلبة عن الإمام أبي بكر بن العربي أثناء جهاده فقد أخذ عنه أحمد بن عبد الجبار المعروف بابن ورهزن بكولية من الثغور الشرقيَّة سنة (٥٢٢هـ) كما أخذ عنه غيره[1].

ونتابع في ذكر العلماء الشهداء في المعامع الجهادية العظيمة في تاريخ أمتنا؛ فمنهم كذلك:

٧ المفسر[2] الأصولي المالكي المِقْدام ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)

قُتِل شهيدًا جميلًا في سبيل الله صابرًا مثابرًا في وقعة طريف في القتال ضد النصارى[3].

٨ محمد بن يحيى بن سعد الأشعري المالقي (ت ٧٤١هـ)

أصيب يوم المناجزة بوقعة طريف أيضًا شهيدًا محرّضًا، وأشار عليه بعض المنهزمين بالركوب. فقال: «انصرف!! هذا يوم الفرج؛ إشارة إلى قوله تعالى في الشهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠]»[4].

٩ محمّد بن حسن بن محمّد بن عبد الله المالقي، المعروف بابن صاحب الصلاة (ت

---

(١) انظر: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين (ص٢٨٩-٢٩٢) بتصرف يسير.

(٢) ستجد في الكتابِ جماعة من أهل التفسير بحمد اللهِ وتوفيقهِ.

(٣) انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص٣٩٨-٣٩٩)، وله ترجمة موسعة في «نفح الطيب» (٥/ ٥١٤-٥١٧)، وينظر: «الدرر الكامنة» (٥/ ٨٨-٨٩).

(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة (٢/ ١٠٩-١١٠)، وظني أن تكتب بـ«يوم الفرح» موافقة لنص الآية، وتأويلها بالفرج له وجه، والمثبت في النص من الأصل المنقول عنه، والله أعلم.

٦٠٩هـ)

فقد ارتقى شهيداً محرضـًا صابراً في وقعة العقاب[1].

هؤلاء كلهم في مغرب الإسلام، وأما في مشرقه فلم يتأخروا في الإقدام؛ فمنهم:

١٥ الفقيه المحدث أبو القاسم النَّسوي (ت ٤٩٢هـ)

قتل شهيدًا عندما تقدم الفرنج وأخذوا البيت المقدس؟[2].

ونجد في الزحف المغولي لبلاد المسلمين رجالًا باعوا أنفسهم لله، وأبوا أن يروا الهوان، ويعيشوا الذل، فاختاروا الشهادة وما عند الله في الدار الآخرة.

---

(١) الديباج المذهب (٣/ ٢٨٤)، و«المقفى الكبير» (٥/ ٣٠٢-٣٠٣).

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام (١٠/ ٧٢٠)، و«تاريخ دمشق» (٢٠/ ٢٠٣)، وقد قُتل جماعة من العلماء في الدفاع عن البيت المقدس، والثبات فيه في وجه الغاصبين والمعتدين، ومن هؤلاء لا على سبيل الحصر:

(١) كامل بن ديسم بن مجاهد بن عروة بن تغلب بن محمود أبو الحسن النصري الفقيه العسقلاني المعروف المقدسي.

قال ابنه: أن أباه قتلته الفرنج خذلهم الله يوم دخلوا ببيت المقدس وهو يصلي وكان دخولهم بيت المقدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمئة، كما في «تاريخ دمشق» (٥٧٨٠) (٥٠/ ١٠-١٢).

(٢) يوسف بن إبراهيم أبو الفتح الزنجاني.

(٣) أبو بكر الطوسي.

قال ابن عساكر: قرأت بخط أبي محمّد بن صابر سألت أبا المكارم الهروي عن وفاة أبي بكر الطوسي وأبي الفتح الزنجاني، فقال: قتلتهما الفرنج يوم فتح بيت المقدس كما في «تاريخه» (٧٤/ ٢١٥).

(٤) عبد الجبار بن أحمد بن يوسف الرازي الشافعي تفقه على الخجندي بأصبهان ثمَّ استوطن بغداد مدة، ثمَّ انتقل إلى بيت المقدس وسلك سبيل الورع والانقطاع إلى الله تعالى إلى أن استشهد على يد الإفرنج لعنهم الله تعالى حين أخذهم القدس. كما في «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» (١/ ٢٩٩)، وانظر: «دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الإفرنجي» (ص٢١٢).

(٥) وقال أبو نصر النيسابوري الزاهد عن الجنيد بن دانيال الكرماني الصوفي بصور يقول: قبل استيلاء الإفرنج على بيت المقدس يا أبا نصر تستولي الروم على القدس وأكون أنا ممن يقتل بها؛ فتعجبت من قوله! وكان والله كما قال؛ لم يمضِ قليل حتى قتل فيمن قتل ببيت المقدس ﷺ. كما في «معجم السفر» (٣٥٩).

وكان على رأس الصامدين أمام المغول، العلماء الذين اتقدت جذوة الإيمانِ في قلوبهم، وكانوا نماذج واقعية في الصمود أمام هجماتِ المغول.

ومن هؤلاء العلماء: الفقيه الإمام ركن الدين إمام زاده، وولده، والقاضي بدر الدين خان، فعندما رأوا ما يفعل بالحُرمِ صمدوا أمام المغول، يقول ابن الأثير عن الإمام زاده: «واختار أن يقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين»[(١)].

ولحق بقوافل الشهداء من العلماء أثناء دخول المغول لنسيابور، مفتي خرسان ومحدثها القاسم بن عبد الله بن عمر الصفار (ت ٦١٨ هـ)، والشيخ إبراهيم بن علي السلمي من فقهاء الشافعية (ت ٦١٨ هـ)، ونظام الدين الحصيري وهو من أكابر فقهاء الحنفية (ت ٦١٨ هـ)، وغيرهم.

وذكر الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ»، من مات من العلماء والفضلاء في سنة (٦٩٩ هـ) الملقبة بـ«سنة قازان»، فقال: « فالذين ضبطنا وفاتهم في هذه السنة سنة قازان ملك التتار وأثبتهم في تاريخي الكبير مئة ونيف وتسعون نفسًا ولا نظير لذلك في تاريخي الكبير»[(٢)].

في كلِّ يوم للجنان قوافل	شهداء راضٍ عنهم العلاَم
ماذا أقول بوصف ما قاموا به	عجز البيان وجفت الأقلام
لله درُّ ضياغمٍ من أُسدنا	لعضائمِ الأعمال فيها قاموا

ومن العلماء الشهداء الذين قتلهم التتر في الحملة الشهيرة:

---

(١) الكامل في التاريخ (١٠/ ٤٠٥)، وانظر: «دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول» بالاستفادة وتصرف.

(٢) تذكر الحفاظ (٤/ ١٨٧).

١١ ابن الصفار القاسم بن عبد الله بن عمر النيسابوري (ت ٦١٨هـ)

الإمام، الفقيه، المسند الجليل، أبو بكر القاسم ابن الشيخ أبي سعد عبد الله ابن الفقيه عمر بن أحمد النيسابوري، ابن الصفار، الشافعي، مفتي خراسان.

روى عنه: ابن الصلاح، والزكي البرزالي، وأبو إسحاق الصريفيني والضياء المقدسي، والصدر البكري، وعمر الكرماني، وآخرون.

قال الإسفراييني: «ما رأيتُ في خراسانَ من المشايخِ مثل شهاب الدين هذا حلمًا وعلمًا ومعرفةً بالمذهبِ، سمعت أنَّه درس (الوسيط) للغزالي أربعين مرة درس العامة سوى درس الخاصة».

قال: «ودخلت الترك نيسابور في سنة سبع عشرة وست مئة، ولم يتمكنوا من دخولها، قتل مقدمهم بسهم غرب، فرجعوا عنها، ثمَّ عادوا إليها في سنة ثماني عشرة، وأخذوها، وأخربوها، وقتلوا رجالها ونساءها إلا من شاء الله، واستشهد شيخنا القاسم ابن الصفار فيهم»[١].

١٢ إبراهيم بن علي بن محمد السلمي، المعروف بالقطب المصريّ (ت ٦١٨هـ)

المقرئ، الحكيم، رحل إلى خراسان حيثُ فخر الدين الرازي، وقرأ عليه، وصار من كبار تلامذته، وشرح كليات القانون، وصنَّف كتبًا كثيرة.

قتل بنيسابور فيمن قتل ظلمًا على يد التتار سنة ثمان عشرة وستمئة[٢].

١٣ أبو روح عبد المعز بن محمد الساعدي (ت ٦١٨هـ)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١١٠)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٨/ ٣٥٣) .

(٢) طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٣٥٣)، و«المقفى الكبير» للمقريزي (١/ ١٢٨).

مسند خراسان، حافظ الدين، أبو روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل بن أحمد بن أسعد بن صاعد الساعدي، الخراساني، الهروي، البزاز، الصوفي.

وسمع في سنة سبع وبعدها من: جده لأمه؛ عبيد الله بن أبي عاصم، وتميم بن أبي سعيد الجرجاني، وزاهر بن طاهر، ومحمد بن إسماعيل الفضيلي، ويوسف بن أيوب الهمذاني الزاهد، ومحمد بن علي المضري، وعبد الرشيد حفيد أبي عمر المليحي، وعدة.

وله (مشيخة) في جزء.

وقد حضر في سنة خمس وعشرين على: محمد بن إسماعيل الفامي.

وسمع (صحيح البخاري) من: خلف بن عطاء، بسماعه من أبي عمر المليحي.

قتلته الترك، في ربيع الأول، سنة ثماني عشرة وست مئة[١].

١٤ الحسين ابن رواحة الحمويّ الأنصاريّ، الشافعيّ، الفقيه، الأديب، الشاعر البارع (ت ٥٨٥هـ)

تفقّه بدمشق، وسمع بها من الحافظ أبي القاسم علي، وأبي الحسين هبة الله، ابني الحسن بن عساكر، الدمشقيّين، وأبي الحسن علي بن سليمان المراديّ.

وسمع بالإسكندريّة من الحافظ أبي الطاهر أحمد بن محمد السلفيّ.

وسافر إلى الغرب فأسره فرنج صقلّيّة، وأقام في الأسر طويلًا، ثمَّ أطلق، وعاد إلى حماة.

ذكر أنَّه نام فرأى النبي ﷺ وهو يقول له: «قبلت يا ابن رواحة»، فقبل الله شفاعة

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١١٥).

رسوله فيه، وقبضه شهيدًا إليه بمرجِ عكا.

ختم له بالشهادة مع ما كان من الخير، فتوفّي شهيدا بظاهر عكّا في شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمئة[1].

١٥ العبدويّ النيسابوريّ محمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس بن عليّ بن عبد الله بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود، أبو عبد الله، الهذليّ، العبدويّ (ت ٣٢٣هـ)

سمع بخراسان والعراق والحجاز والشام ومصر؛ فسمع بمصر من علّان بن أحمد بن سليمان، ومن الحسين بن إبراهيم الخريبيّ.

وبدمشق من أبي الحسن أحمد بن عمير بن جوصا.

قال الحاكم: «معروفٌ بكثرةِ السماع والرحلة في طلب الحديثِ والتصنيف وإفادةِ النَّاسِ في الحضر والسفر، وكان يستملي على أبي بكر بن إسحاق بن خزيمة».

توفّي شهيدًا بالكوفة سنة القرمطيّ في ذي الحجّة[2].

١٦ يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حماد بن الجوزي، القرشي، التيمي، البغدادي (ت ٦٥٦هـ)

قرأ القرآن بالروايات العشر على ابن الباقلاني بواسط، وقد جاوز العشر سنين من

---

(١) المقفى الكبير للمقريزي (٣/ ٢٩١-٢٩٢)، و«مفرج الكروب في أخبار بني أيوب» (٢/ ٣٠٠-٣٠٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٩/ ٧٩٩).

(٢) المقفى الكبير للمقريزي (٣/ ٢٩١-٢٩٢)، والذهبي في «السير» (١١/ ٥٠٤) وذكر أنَّه توفي «سنة خمس وثمانين وثلاث مئة».

قلت -أبو إسحاق-: ولعل المقريزي وهِم فإنَّ الذي مات سنة (٣٢٣) هو (محمد بن إبراهيم بن عبدويه الزاهد)، والذي مات سنة (٣٨٥) هو (أحمد بن إبراهيم بن عبدويه المحدث)، وقارن بين الترجمتين في «تاريخ الإسلام» (٧/ ٤٨١)، و(٨/ ٥٦٨).

عمره. وولي تدريس الحنابلة بالمستنصرية سنة ثنتين وثلاثين وستمئة.

واشتغل بالفقه والخلاف والأصول، وبرع في ذلك. وكان أمهر فيه من أبيه ووعظ في صغره على قاعدة أبيه، وعلا أمره وعظم شأنه، وولي الولايات الجليلة.

ومن مؤلفاته: «المذهب الأحمد في مذهب الإمام أحمد» و«معادن الإبريز في تفسير الكتاب العزيز»، وغيرها.

قتل صبرًا شهيدًا بسيف الكفار عند دخول هولاكو ملك التتار إلى بغداد[١].

١٧ ابن وهبان السلمي أبو نصر عبد الرحيم بن النفيس (ت ٦١٨هـ)

الإمام، الحافظ المفيد، الفقيه، الشاعر، أبو نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهبان السلمي، الحديثي، ثم البغدادي.

سمع: أبا الفتح بن شاتيل، ونصر الله القزاز، وفارسا الحفار، وأبا الفتح المندائي، والمؤيد الطوسي، وأبا روح، وأبا اليمن الكندي، وبمصر وأصبهان، وخراسان.

روى عنه: أبو محمد المنذري، وقال: «كان حاد القريحة، فقيهًا، أديبًا، شاعرًا، ولد بحديثة النورة، بقرب هيت»[٢].

وقال ابن النجار: «كان حافظًا، ثقةً، متقنًا، ظريفًا، كيسًا، متواضعًا، له النظم والنثر، اصطحبنا مدة، وأفادني الكثير، سكن خوارزم إلى أن أحرقها التتار، وعدم خبره سنة ثماني عشرة وست مئة، كتبت عنه بمرو»[٣].

ذكر الذهبي أنه في سنة (٦١٨هـ) فُقِد المحدث عبد العزيز بن عبد الملك بن تميم

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٢٠-٢٤)، و«البداية والنهاية» (١٧/ ٣٧٦)، و«وفيات الأعيان» (٣/ ١٤٢).

(٢) التكملة لوفيات النقلة (١٨٥٨).

(٣) السير (٢٢/ ١٤٨-١٤٩).

الشيباني الدمشقي؛ حيثُ أسرته التتار، وعُدِم خبره[١] أي أنهم قتلوه ومات شهيدًا.

١٨ نجم الدين الكبرى أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي (ت ٦١٨هـ)

الشيخ، الإمام، العلامة، القدوة، المحدث، الشهيد، شيخ خراسان، نجم الكبراء -ويقال: نجم الدين الكبرى- الشيخ، أبو الجناب أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي، الخيوقي، الصوفي.

و(خِيوق): من قرى خوارزم[٢].

طاف في طلب الحديث، وسمع من: أبي طاهر السِّلفي، وأبي العلاء الهمذاني العطار.

قال ابن نقطة: «هو شافعي، إمام في السنَّة».

قال الذهبي قيل: «إنَّه فسرَ القرآن في اثني عشر مجلدًا».

نزلت التتار على خوارزم في ربيع الأول، سنة ثماني عشرة وست مئة، فخرج نجم الدين الكبرى فيمن خرج للجهاد، فقاتلوا على باب البلد حتى قتلوا رضي الله عنهم وقتل الشيخ وهو في عشر الثمانين[٣].

١٩ ابن عثمان القاضي الأسعد (ت ٥٨٢هـ)

وهو محمد بن عليّ بن عثمان بن إبراهيم بن يوسف، القاضي الأسعد، أبو الطاهر، ابن

---

(١) تاريخ الإسلام (١٣/ ٥٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ١٤٩).

(٢) هذا هو اختيار المؤلف -أعني بكسر الخاء- أمَّا ياقوت فقال: «بفتح أوله وقد يكسر» فكأن الكسر عنده ضعيفًا. كما في (حواشي السير للذهبي).

(٣) السير (٢٢/ ١١١-١١٤)، وانظر ما حصل معه في «تاريخ الإسلام» (أحداث سنة ٦١٧) (١٣/ ٢٨٦)، قال محققو السير: «حينما أراد الكفار التتار دخول البلد، نادى الشيخ نجم الدين وأصحابه الباقون: الصلاة جامعة، ثمَّ قال: «قوموا نقاتل في سبيل الله»، ودخل البيت ولبس خرقة التصوف التي ألبسها له شيخه، وحمل على العدو فرماهم حتى بالحجارة، ثم أصابه سهم في صدره قتله، رضي الله عنه وعن الشهداء المدافعين عن بيضة الإسلام ضد الكافرين والمارقين والمشعوذين والدجالين».

القاضي السعيد أبي الحسن، القرشيّ، المخزوميّ، المغيريّ، الشافعيّ، المعروف بابن عثمان.

سمع: السلفيّ، والشريف أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن العثمانيّ.

توفّي ببزاعة شهيدًا في صفر سنة اثنتين وثمانين وخمسمئة. وحمل إلى مصر فدفن بالقرافة(١).

٢٠ الشيخ العابد الزاهد الصالح علي بن سليمان الخباز (ت ٦٥٦هـ)

سمع منه الدمياطي، وحدث عنه في «معجمه».

قال ابن كثير: «كان له أصحابٌ وأتباعٌ ببغداد، قتلته التتار، وألقي على مزبلةٍ بباب زاويته ثلاثة أيام، حتى أكلتِ الكلابُ من لحمِهِ، ويقال: إنَّه أخبر بذلك عن نفسه في حياته، رَحِمَهُ اللَّهُ»(٢).

٢١ الأمير سيف الدين محمد بن عثمان ابن علكان الكرديّ (ت ٧٣٧هـ)

قال المنذري: «وهو من بيتِ الإمرة والتقدم، ويذكر عنه تحفظ في دينه، وصيانة، ومحبة لأهل الخير، وإنصاف في معاملته، وقتلَ مقبلًا غير مدبرٍ بظاهرِ غزة، وسنه إذ ذاك ثلاثون سنة»(٣).

٢٢ محمود بن أحمد بن محمد بن بختيان، العلامة، قاضي القضاة، أبو الثناء الزنجاني الشافعي (ت ٦٥٦هـ)

درس وأفتى وناظر، وكان من بحور العلم، وولي قضاء القضاة بالعراق مدة، ثم عزل، وهو والد قاضي القضاة عز الدين أحمد، وقد سمع الحديث من عبيد الله بن محمد الشاذلي. قال

---

(١) المقفى الكبير للمقريزي (٥/ ٩٨)، و(بزاعة): بليدة في طرف وادي بطنان من أعمال حلب، بينها وبين منبج نحو ميلين، وإلى حلب عشرة أميال، وهي ذات أسواق يعمل فيها كرباس كثير، ويحمل إلى مصر ودمشق، وينسب إليها كما في «معجم البلدان» (١/ ٣٠٣).

(٢) البداية والنهاية (١٧/ ٣٨٢)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٤/ ٣٧-٣٩).

(٣) التكملة لوفيات النقلة للمنذري (٣/ ٥٣٠) بتصرف يسير.




ابن النجار: «وبرع في المذهب والخلاف والأصول، ودرس بالنظامية، ودرس بالمستنصرية، وصنَّف تفسير القرآن». ومن كتبه غير التفسير: «ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح».

قال ابن كثير: «استشهد بسيف التتار سنة ست وخمسين وست مئة، عن تسع وسبعين سنة»[(١)].

٢٣ محمد بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن إبراهيم، الزهريّ، الأندلسيّ، الإشبيليّ (ت ٦١٧هـ)

ولد بمالقة وطاف بالأندلسِ وطلبَ العلم، وحصَّل طرفًا صالحًا من علمِ الأدب، ودخل مصر قبل التسعين وخمسمئة، فسمع بها الحديث.

ودخل الشام وبلاد الجزيرة. وقدم بغداد سنة تسعين وخمسمئة، وعمره ثلاثون سنة، وأقام بها مدّة وسمع من شيوخها، كأبي الفرج ابن كليب ونحوه. وقرأ ونسخ بخطّه.

وكان فاضلًا، حسن المعرفة بالأدب، يقول الشعر وينشئ المقامات. وصنّف كتاب «البيان والتبيين في أنساب المحدّثين»، ستّة أجزاء.

وكتاب «البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن» مجلّد، وكتاب «أقسام البلاغة وأحكام الصناعة» في مجلّدين، وكتاب «شرح الإيضاح» لأبي عليّ الفارسيّ في خمسة عشر مجلّدا، وكتاب «شرح المقامات الحريريّة» مجلّد.

وأنشد في أبي محمد عبد القادر الرّهاوي:

أَتَيْتُ الرُّهَاوِيَّ فِي دَسْتِهِ ... فَأَلْفَيْتُ شَخْصًا لَئِيمًا وَخِيمًا

فَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ حَوَى مَنْصِبًا ... وَلَكِنَّ من حاز مجدا وخيمًا

---

(١) طبقات الشافعيين (ص٨٧٨)، و«طبقات الشافعية» (٨/ ٣٦٨)، والمثبت في الطبقات بـ«أبي المناقب».

قال المنذريّ: «توفّي شهيدًا ببروجرد، قتله التتار في رجب»[١].

٢٤ عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني، قاضي الديار المصرية، الإمام الأوحد، صدر الدين، أبو القاسم، الكردي، الشافعي (ت ٦٢٢هـ)

مولده: بأعمال الموصل، وبنو ماران: إقامتهم بالمروج، تحت الموصل.

سمع بدمشق من: أبي الحسين بن البن الأسدي، والحافظ ابن عساكر. وروى عنه: الحافظ زكي الدين المنذري، وقال: «كان مشهورًا بالصلاح والغزو، وطلب العلم».

وقال الذهبي: «كان من جلة العلماء وفضلائهم، وفي أقاربه وذريته جماعة فضلاء، ورواة»[٢].

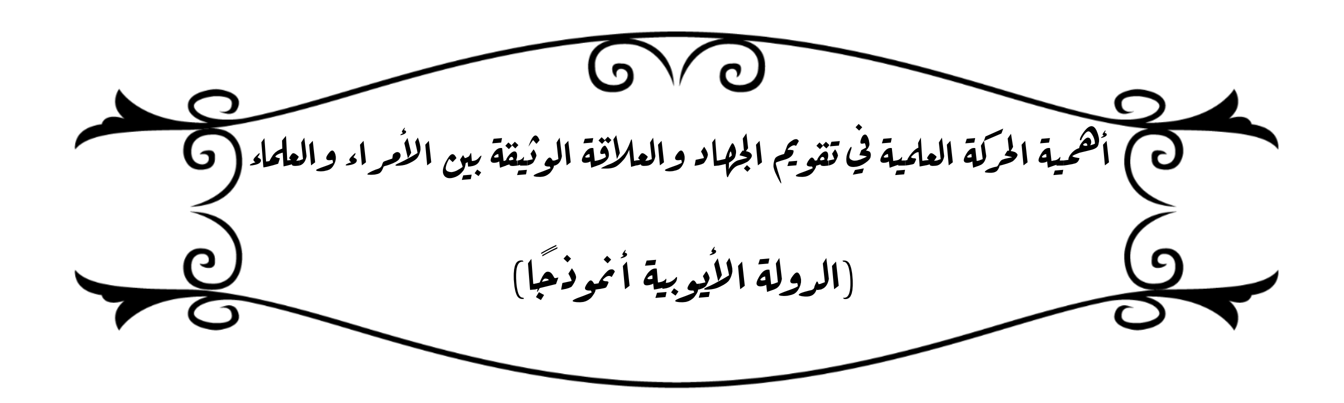
قال المقريزي: «مات بين الهند واليمن في سنة اثنتين وعشرين وستّمئة شهيدًا»[٣].

---

(١) المقفى الكبير للمقريزي (٥/ ٩٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٣/ ٥١٥)، وضبطت في «تاريخ إربل» (١/ ٩٠) بـ «قتله التتر وجرد...»، و«البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة» (ص٢٥٤)، وانظر شعر ينشده في «طبقات الشافعية الكبرى» (٦/ ٢٢٢).

(٢) السير للذهبي (٢١/ ٤٧٤-٤٧٥)، و«التكملة» للمنذري (١٠٦٢).

(٣) المقفى الكبير للمقريزي (١/ ١١٩)، وذكر الذهبي في «السير» أنَّه مات في (٦٠٥هـ).



أهمية الحركة العلمية في تقويم الجهاد والعلاقة الوثيقة بين الأمراء والعلماء (الدولة الأيوبية أنموذجًا)

إنَّ الحركة العلميَّة التي كانت موجودة في بلاد المسلمين لها أثر عظيمٌ في تحريض المجاهدين، واستنفار العامة للغزو والثبات في وجوه الأعداء، مع ما في ذلك من رفع المعنويات لدى القادة والمقاتلين، ومن صور تلك الحركة العلمية:

وجود شعراء ينشدون الأشعار الحماسية جزلة الألفاظ(١)، عذبة المعاني، بعيدة عن الخنا والمجون(٢).

كما يقول الأستاذ إحسان عباس عن «تاريخ الأدب الأندلسي»: «كان الشاعر رفيق الأمير أو الخليفة في الجهاد، وبلغ الأمر بالمنذر أنَّه كان يستمع إلى الشعراء ينشدونه غازيًا وراجعًا. وإذا تصورنا كثرة الغزوات في مدى هذه الفترة لاح لنا مبلغ الشعر الذي مزج بين المدح ووصف المعارك، والإشادة بالانتصارات وتبرير الانكسارات، والتمثيل على هذا الفن هو نوع من الاستئناس ببعض النماذج الأندلسية»(٣)، ثمَّ أخذ يذكر من هذه الأشعار ممَّا لا يسع المقام ذكرها هنا.

إنَّ وجود العلماءِ الربانيِّين وأهلِ الصَّلاح والدِّين في الدولة، وحضورهم النِّزال في

---

(١) وأحمد الله أن أعانني أن كتبت كتابًا لطيفًا بعنوان (قول الشعر وأهميته في نصرة الدين) يسر الله نشره.

(٢) انظر ما قيل من الشعر مثلًا في فتح حلب من كتاب الروضتين (٣/ ١٦٢-١٦٥).

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي (ص٨٦).

ساحات القتالِ ضد الأعداءِ خيرٌ عظيم، وبركةٌ كبيرة، ورفعٌ للهمة، وقوة لعزيمة المقاتلين، وسبب من أسباب النصر -بإذن الله-. وقد قيل: «بقاء الدنيا بسيوف الأمراء، ولسان العلماء»(١).

وكان مَسلمة الأمير يقول: «**برجاء** وبأمثاله نُنْصَرُ»(٢).

ورجاء بن حيوة كان يقول إذا لقي العدو: اللهم إنِّي أسألك بحق نصر المؤمنين عليك، أنْ تنصرنا عليهِم، ثمَّ قرأ ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧](٣).

وقال الأصمعي: لما صافَّ قتيبة بن مسلم للترك، وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع؟

فقيل: هو ذاك في الميمنة، جامح على قوسه، يبصبص بأصبعه نحو السماء.

قال: «تلك الأصبع أحب إليَّ من مئة ألف سيف شهير، وشاب طرير»(٤).

ويقول المقريزي عن وقعة (وادي الخزندار سنة ٦٩٩هـ) شرقي حمص، «وركب الأمير سلّار بالحجّاب والأمراء والفقهاء، ودار على العساكر.

وأخذ الفقهاء في وعظ الناس، وتقوية عزائمهم على الثبات؛ حتّى كثر البكاء واشتدّ النحيب»(٥).

وقال عن (وقعة شقحب سنة ٧٠٢هـ): «فلمّا تهيّأت العساكر وكملت تعبئتها

---

(١) نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف (ص١٧).

(٢) طبقات علماء الحديث (١/ ١٩٠).

(٣) تاريخ بغداد (١٦/ ٢٢٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ١١٩-١٢١)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٥٢٦).

(٥) المقفى الكبير (٧/ ٩٤).

مشى السلطان والخليفة معا، ومعهما القرّاء يتلون من القرآن الكريم ما يحثّ عزائم القوم على الثبات ويحرّضهم على الصدق في اللقاء ويشوّقهم إلى الجنّة، وفي كلّ قبيل يقف السلطان والخليفة، ويقول الخليفة: يا مجاهدون، لا تنظروا لسلطانكم، قاتلوا عن حريمكم وعن وليّ نبيّكم ﷺ، فتذرف عند ذلك العيون بالدموع ويكثر النحيب حتى إنّ فيهم من يسقط عن فرسه لشدّة ما ينزل به من الخشوع. فتواعدوا جميعا على صدق اللقاء وتعاهدوا على الثبات إلى الممات»[١].

وقال السيوطي عن الوزير العادل نظام الملك الطوسي السلجوقي: وقد أحاطت العلوم بما أجاب به الوزير نظام الملك حين أنكر عليه السلطان صرفه الأموال الكثيرة في جهة طلب العلم، فقال: «أقمت لك جندًا لا ترد سهامهم بالأسحار؛ فاستصوب فعله، وساعده عليه»[٢].

قال ابن خلدون: «اعلم أنّ السّيف والقلم كلاهما آلةٌ لصاحبِ الدَّولةِ يستعين بها على أمره. إلّا أنّ الحاجة في أوَّل الدَّولةِ إلى السّيف -ما دام أهلها في تمهيد أمرهم- أشدّ من الحاجة إلى القلمِ؛ لأنَّ القلم في تلك الحال خادم فقط منفّذٌ للحكم السّلطانيِّ، والسّيفُ شريكٌ في المعونة. وكذلك في آخر الدّولةِ، حيث تضعفُ عصبيَّتُهما كما ذكرناه، ويقلُّ أهلُها بما ينالهُم من الهرم الذَّي قدَّمناه، فتحتاج الدّولةُ إلى الاستظهارِ بأرباب السّيوفِ، وتقوى الحاجةُ إليهم في حماية الدّولة، والمدافعة عنها، كما كان الشّأن أوَّلَ الأمر في تمهيدها، فيكون للسيف مزيّةٌ على القلم في الحالتين، ويكونُ أربابُ السّيف حينئذ أوسع جاهًا، وأكثر نعمًة، وأسنى إقطاعًا. وأمّا في وسط الدّولة فيستغني صاحبها بعض الشّيء عن السّيف؛ لأنَّه قد تمهدَّ أمرُه،

---

(١) المصدر نفسه (٧/ ١٨٧).

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (٢/ ١٠٤).

ولم يبقَ همُّهُ إلَّا في تحصيل ثمرات الملك من الجبايةِ والضبط، ومباهاة الدّولِ وتنفيذ الأحكام، والقلم هو المعين له في ذلك؛ فتعظمُ الحاجةُ إلى تصريفه، وتكون السّيوفُ مهملة في مضاجع أغمادها، إلّا إذا أنابت نائبةً، أو دعيت إلى سدّ فرجة، وممَّا سوى ذلك فلا حاجة إليها، فيكونُ أرباب الأقلام في هذه الحاجة أوسع جاهًا وأعلى رتبةً، وأعظم نعمةً وثروةً، وأقربُ من السّلطان مجلسًا، وأكثر إليه تردّدا وفي خلواته نجيًّا؛ لأنَّه حينئذٍ آلته الّتي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه، والنّظر إلى أعطافه، وتثقيف أطرافه، والمباهاة بأحواله، ويكون الوزراء حينئذٍ وأهلُ السّيوف مستغنىً عنهم، مبعدين عن باطن السّلطان حذرين على أنفسهم من بوادره، وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم للمنصور حين أمره بالقدوم: «أمَّا بعد: فإنَّه ممّا حفظناه من وصايا الفرس، أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدّهماءُ» سنّة الله في عباده والله ﷻ أعلم»[١].

قلت: فكيف إذا كان السيف والقلم سواءً، وهذا ما كان موجودًا في سير علماء الأمة الذين ذكرنا بعضهم في كتابنا، فلله درهم.

ولما رأى أصحاب نور الدين الزنكي كثرة إنفاقه على العلماءِ، قال له بعض بطانة السوء: إنَّ لك في بلادك إدرارات وصلات ووقوفًا كثيرة على الفقهاء، والفقراء، والقراء، والصوفية وغيرهم، فلو استعنت بها في هذا الوقت لكان أصلح فغضب من ذلك، وقال: «والله إنَّني لا أرجو النَّصر إلا بدعاء أولئك، فإنَّما ترزقون وتنصرون بضعفائكم، كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عنَّي وأنا نائم على فراشي بسهام لا تخطئ، وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال، كيف يحل لي أن أعطيه

(١) المقدمة (ص٢٦٤) ط: الرسالة ناشرون.

غيرهم!»[١].

وقال فخر الدين قرا أرسلان عن نور الدين في سيره لقتال الروم بحارم: «فإنَّه كاتب زهادها وعبادها والمنقطعين عن الدنيا يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج، وما نالهم من القتل والأسر والنهب، ويستمد منهم الدعاء ويطلب منهم أن يحثوا المسلمين على الغزاة؛ فقد قعد كل واحد من أولئك ومعه أتباعه وأصحابه، وهم يقرؤون كتب نور الدين ويبكون ويلعنونني ويدعون علي فلا بد من إجابة دعوته»[٢].

وكان القائد الفاتح، والفقيه الفالح صلاحُ الدِّين الأيوبي، يقول في ملأ من النَّاس: «لا تظنُوا أنَّي ملكتُ البلادَ بسيوفكم؛ بل بقلم الفاضل!!»[٣].

وكان القاضي كما قال الزمخشري: «بين فكَّيه حسام مهنَّد، يقطُرُ منه كلامٌ مقنَّد»[٤].

ويقول أبو عبد الله المازني عن فضل الدعوات التي كانت تصدح من أفواه الصالحين، ومن الخطب التي كانت تصدر من الوعاظ والمذكرين، والتي كانت من أسباب النصر بإذن ربِّ العالمين: «ومن عجيب الاتفاق أنَّ هذه ست قلاع ومدن فتحت في ستِ جمعٍ، وهي علامة قبول دعاء خطباء المسلمين وسعادة السلطان، حيث يسّر الفتوح في اليوم الذي تضاعف فيه الحسنات، ولم يتفق مثل هذا في

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب، لابن العديم (ص٣٤٣-٣٤٤).

(٢) الروضتين (١/ ٤١٧).

(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (٢٣/ ٨٣).

(٤) ذيل الكلم النوابغ (ص٣٨٧)، قوله: (الحسام): السيف القاطع، وقوله: (المهند): المطبوع من حديد الهند، واستعاره هنا للسان.

تاريخ؛ وهي: جبلة، واللاذقية، وصهيون، وبكاس، والشغر، وسرمانية»[١].

وصدق ابن الموصلي إذ قال: «**فيتخذ -الحاكم- العلماء شعارًا، والصالحين دثارًا؛ فتدور المملكة على نصائح العلماء، ودعوات الصلحاء**، فيا سعد ملك يدور بين هاتين الخصلتين، لقد قام عوده، وأورق عموده»[٢].

ونجد من المشاركات الفعالة من قبل العلماء، أنَّ الفقيه والقاضي عماد الأصفهاني، وهو يمدح نور الدين بعد فتح منبج، يلفت نظره بعد ذلك إلى القدس بقصيدةٍ من أبياتها:

بشـرَى الممالك فتح قلعة منبج فلْيَهْنِ هَذَا النَّصْر كل متوج
أبشِر فبيت الْقُدس يَتْلُو منبجًا ولَمَنبج لسواه كالأنموذج
مَا أعجزتك الشهب فِي أبراجها طلبا فَكيف خوارج فِي أبرُج
فانهد إِلَى الْبَيْت الْمُقَدّس غازيًا وعَلى طرابلسِ ونابلسِ عج
قد سرت فِي الْإِسْلَام أحسن سيرة مأثورة وسلكت أوضح مَنْهَج
وَجَمِيع مَا استقريت من سنَن الْهدى جددت مِنْهُ كل رسم مَنْهَج[٣]

ويقول الحافظ ابن كثير: وكان أسد الدين شيركوه وصلاح الدين يوسف بمصر فبشره فيها بولاية صلاح الدين الديار المصريَّة حيث يقول:

وَيَسْتَقِرُّ بِمِصْرَ يُوسُفُ وَبِهِ تَقَرُّ بَعْدَ التَّنَائِي عَيْنُ يَعْقُوبِ
وَيَلْتَقِي يُوسُفُ فِيهَا بِإِخْوَتِهِ وَاللهُ يَجْمَعُهُمْ مِنْ غَيْرِ تَثْرِيبِ[٤]

وعلى غرار الأبياتِ السابقة التي قيلت في رفع همَّة القائدِ نور الدين، نجدُ مثلها في

---

(١) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (٢/ ٢٦٥).

(٢) حسن السلوك الحافظ دولة الملوك (ص٧٠-٧١).

(٣) الروضتين في أخبار الدولتين (٢/ ٣٣).

(٤) البداية والنهاية (١٦/ ٤٢٣).



حثٍّ ومدحِ القائد صلاح الدين، كما قال محي الدين ابن الزكي:

وفتحكم حَلبًا بِالسَّيْفِ فِي صفر مُبشر بفتوح الْقُدس فِي رَجَب[1]

إنَّنا إذا تأملنا في سيرة القائد الفاتح المظفر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، نجد أنَّ حوله عصبة مباركة من أهل العلم، ممَّا يعني أنَّ دور العلماء لا يقتصر فقط على نشر العلم، والخطب، والقضاء فحسب؛ بل وعلى الجهاد والرباط، وطعان الأعداء، ومن هؤلاء[2]:

١ - القاضي الفاضل[3]: العلامة البليغ، القاضي الفاضل، محيي الدين، يمين المملكة، سيد الفصحاء، أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج اللخمي، الشامي، البيساني الأصل، العسقلاني المولد، المصري الدار[4]. قال ابن خلكان: «وزر للسلطان صلاح الدين بن أيوب».

٢ - القاضي العماد الأصفهاني: أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن هبة الله الأصبهاني صاحب «الفتح القدسي»، و«البرق الشامي»، و«الخريدة» وغير ذلك من المصَّنفاتِ المفيدة[5].

---

(١) البرق الشامي، لعماد الدين الأصفهاني (٥/ ١١٩).

(٢) ولعل الله ييسر أنْ أُفردهم وغيرهم بمؤلف، وهو على كل شيءٍ قدير.

(٣) يقول الحافظ ابن كثير الزرعي ثمَّ الدمشقي في «البداية والنهاية» (١٦/ ٦٩٨-٦٩٩): «لما استقر الملك صلاح الدين في الديار المصرية جعله كاتبه وصاحبه ووزيره وجليسه وأنيسه، وكان أعز عليه من أهله وأولاده، وأكرم عليه من طريفه وتلاده، وتساعدا حتى فتح الأقاليم والبلدان والحصون والمعاقل، هذا بحسامه وسنانه، وهذا بقلمه ولسانه وبيانه».

وقال: «له مدرسة بديار مصر على الشافعية والمالكية، وأوقاف على تخليص الأسارى من أيدي النصارى، وقد اقتنى من الكتب نحوا من مئة ألف كتاب، وهذا شيء لم يفرح به أحد من الوزراء ولا العلماء ولا الملوك ولا الكتاب».

(٤) سمع في الكهولة من: أبي طاهر السلفي، وأبي محمد العثماني، وأبي القاسم بن عساكر، وأبي الطاهر بن عوف، وعثمان بن فرج العبدري.

(٥) نعته الحافظ الذهبي في «السير» (٢١/ ٣٤٥)، بقوله: «القاضي، الإمام، العلامة، المفتي، المنشئ، البليغ، الوزير، عماد الدين».

٣- **القاضي ابن شداد**: يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، أبو المحاسن، بهاء الدين ابن شداد[١]، وكان يقول عن فتح عكا: «وكنت ممن دخل ورقي على السور، ورمى العدو بما يسر الله تعالى من فوق السور، ودام القتال بين الفئتين متصلًا الليل والنهار»[٢].

٤- **الكمال الشهرزوري**: وكان له مآثر طيبة في الجهاد وصد الأعداء، وله فضل كبير في استنفار جيش العراق لمساندة نور الدين في حصار حلب، كما وصفه ابن الأثير بأنه «خير من عشرة آلاف فارس».

وقال: «قيل للشهيد -نور الدين- إنَّ هذا كمال الدين يحصل له كل سنة منك ما يزيد على عشرة آلاف دينار أميرية، وغيره يقنع منك بخمسمئة دينار، فقال لهم: بهذا العقل والرأي تدبرون دولتي، إنَّ كمال الدين يقل له هذا القدر وغيره يكثر له خمسمئة دينار، فإنَّ شغلًا واحدًا يقوم فيه كمال الدين خير من مئة ألف دينار، وكان كما قال رضي الله عنه»[٣].

---

(١) نعته الحافظ الذهبي في «السير» (٢٢/ ٣٨٣-٣٨٦)، بقوله: «الشيخ، الإمام، العلامة، قاضي القضاة، بقية الأعلام، بهاء الدين، أبو العز، وأبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدي، الحلبي الأصل والدار، الموصلي المولد والمنشأ، الفقيه، الشافعي، المقرئ، المشهور: بابن شداد؛ وهو جده لأمه. حدث بمصر، ودمشق، وحلب. ولم يرزق ابنًا، ولا كان له أقارب، واتفق أنَّ الملك الظاهر أقطعه إقطاعًا يحصل له منه جملة كثيرة، فتصمد له مال كثير، فعمر منه مدرسة سنة إحدى وست مئة، ودار حديث وتربة. قصده الطلبة، واشتغلوا عليه للعلم وللدنيا، وصار المشار إليه في تدبير الدولة بحلب، إلى أن استولت عليه البرودات والضعف، فكان يتمثل:

مَنْ يَتَمَنَّ العُمْرَ، فَلْيَدَّرِعْ ... صَبْرًا عَلَى فَقْدِ أَحْبَابِهِ

وَمَنْ يُعَمَّرْ يَلْقَ فِي نَفْسِهِ ... مَا قَدْ تَمَنَّاهُ لأَعْدَائِهِ»

(٢) النوادر السلطانية (ص١٦٨).

(٣) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (ص٦٢-٦٣) ط: دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

٥- **الفقيه عيسى الهكّاري**: وقد كان صلاح الدين يميل إليه ويستشيره، وكأنّ الله قد أقامه لقضاء حوائج الناس، والتفريج عن المكروبين مع الورع والعفّة والدين رَحِمَهُ اللهُ[١].

٦- **الفقيه الواعظ المفسر: علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الدمشقي**: وكان صلاح الدين يسميه بـ «عمرو بن العاص»، ويعمل برأيه[٢].

٧- **قطب الدين النيسابوري**؛ وكان إمامًا فاضلًا في العلوم الدينية قدم إلى دمشق وصنَّف عقيدة للسلطان صلاح الدين، وكان السلطان يقرئها أولاده الصغار، كما نعته بذلك ابن شداد في «نوادره».

٨- **القاضي محيي الدين بن الزكي**: وهو الذي خطب خطبة حماسية عظيمة في فتح بيت المقدس، وهي بتكليف من السلطان صلاح الدين الأيوبي[٣].

وهذا الكلام فيه فوائد: (معرفة نور الدين لقدر العلماء وأهل الفضل والقيادة، وعلو همة كمال الدين حتى استحق هذا العطاء الذي فاق جماعة وما استحقه إلا بهمته، وما أحوج الأمة لمثل هؤلاء العلماء الذين يضحون ويبذلون، وإلى قادة يقدرون وينزلون الناس منازلهم).

(١) ينظر: النجوم الزاهرة (٦/ ١١٠).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٥٣١) وقال أَبُو شامة: «كان صلاح الدين يكاتبه، ويحضر مجلسه هو وأولاده: العزيز، وغيره. وكان له جاه عظيم، وحرمة زائدة».

وقال ناصح الدين: «كان أهل السنة بمصر لا يخرجون عما يراه لهم زين الدين - يعني ابن نجية - وكثير من أرباب الدولة». وقال له الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين: «إذا رأيت مصلحة في شيء فاكتب إليَّ بها، فأنا ما أعمل إلا برأيك».

(٣) ومن مضامين خطبته ما جاء في «الروضتين» (٣/ ٣٨٨-٣٨٩): «احمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل، وقد فضلهم على العالمين، ووفقكم لما خذل فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين، وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى، وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده، وجعلكم بعد أن كنتم جنودًا لأهويتكم جنده، وشكركم الملائكة المنزلون على ما أهديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد، ونشر التقديس والتحميد، وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث، والاعتقاد الفاجر الخبيث؛ فالآن يستغفر لكم أملاك السموات، وتصلي عليكم الصلوات المباركات. فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم، واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها سلم، ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم، واحذروا من اتباع الهوى، وموافقة الردى، ورجوع القهقرى والنكول عن العدى، وخذوا في انتهاز الفرصة وإزالة ما بقي من الغصة، وجاهدوا في الله حق جهاده،

٩- سبط ابن الجوزي. وقد كان شيخه موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي يحضر مجالسه دائمًا، ويفرح به، ويقول له: «قد أحيا اللهُ بك السُّنَّة، وقَمعَ البدعة، وهذه البلاد فتوحُكَ كما فتحَ القدسَ يوسفُ سَمِيُّك»(١).

وكان العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي يحضر مجالسه في جامع دمشق وقاسيون ولا ينقطع إلا من عذر، ويقول له بعد مجلسه: «صلاحُ الدين يوسفُ فتحَ الساحل وأظهرَ الإسلامَ، وأنتَ يوسف أحييت السنَّةَ بالشام»(٢).

وكان الملكُ الأشرفُ موسى حضر مجلسًا عقده السِّبطُ ليلة عرفةَ في جامع التوبة -وذلك بعد عودته من رحلةٍ إلى القدس ونابلس- فتأثَّر الملك الأشرف كثيرًا وبكى، وأعتق مماليكه وجواريه، وقال للسِّبط: «واللهِ إنَّ دمشق تَغارُ عليكَ أن تكونَ في غيرها»(٣).

ولعنا نقف مع هذا الموقف العظيم، وكيف الناس كانوا يبذلون ما عندهم لأعلاء كلمة الله، ودحر العدو، وأنَّ الموقد لهذه التجمعات والموجه لها نحو الصواب وبعيدًا عن التهور والعجلة، هم العلماء.

يقول سبط ابن الجوزي: «خرجت من دمشق بنية الغزاة إلى نابلس، وكان الملك المعظم بها، فجلست بجامع دمشق في ربيع الأول، فكان النَّاسُ من مشهد زين العابدين إلى باب الناطفيين، وكان القيام في الصحن أكثر، وحزروا بثلاثين ألفًا،

وبيعوا عباد الله أنفسكم في رضاه؛ إذ جعلكم من عباده، وإيَّاكم أن يستزلكم الشيطان، وأن يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد، وبخيولكم الجياد، وبجلادكم في مواطن الجلاد، لا والله! الله ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾».

(١) ينظر: مرآة الزمان (٢٢/ ٢٦٦).

(٢) مرآة الزمان (٢٢/ ٢٢١)، وانظر مقدمة محقق الكتاب نفسه (١/ ٢٠-٢١).

(٣) مرآة الزمان (٢٢/ ٣٥٤).

وكان يومًا لم يرَ بدمشقَ ولا بغيرها مثله. وكان قد اجتمع عندي شعور كثيرة من التائبين، وكنت وقفت على حكاية أبي قدامة الشامي مع تلك المرأة التي قطعت شعرها[١]، وقالت: اجعله قيدًا لفرسك في سبيل الله، فعملت من التي اجتمعت عندي شكلًا لخيل المجاهدين وكرفسارات، فأمرت بإحضارها على الأعناق، فكانت ثلاثمئة شكال، فلمَّا رآها النَّاسُ ضجوا ضجةً عظيمةً وقطعوا مثلها، وقامت القيامة، وكان المعتمد والي دمشق حاضرًا، وقام فجمع الأعيان. فلمَّا نزلت من المنبرِ قام يطرق لي، ومشى بين يدي إلى باب الناطفيين، فتقدم إلى فرسي فأمسك بركابي، وخرجنا من باب الفرج إلى المصلى، وجميع من كان بالجامع بين يدي، وسرنا إلى الكسوة ومعنا خلق مثل التراب، فكان من قرية زملكا فقط نحو ثلاثمئة رجلٍ بالعدد والسلاح، ومن غيرها خلق خرجوا احتسابًا. وجئنا إلى عقبة فيق والوقت مخوف من الفرنج، فأتينا نابلس، وخرج المعظم فالتقانا وفرح بنا، وجلست بجامع نابلس، وأحضرت الشعور، فأخذها المعظم، وجعلها على وجهه وبكى، ولم أكن اجتمعت به قبل ذلك اليوم، فخدمنا وخرجنا نحو بلاد الفرنج، فأخربنا وهدمنا وأسرنا جماعة، وقتلنا جماعة، وعدنا سالمين مع المعظم إلى الطور، فشرع المعظم في عمارة حصن عليه، وبناه إلى آخر سنة ثمان، فتكامل سوره، وبنى فيه مدة بعد ذلك، ولا نحصي ما غرم عليه»[٢].

وهؤلاء -السالفِ ذكرهم من العلماءِ- كان لهم جهاد بالنفس والمال، وجهاد بالبنان والسنان، ومواقف في الإعداد والرباط، ومشاركة بالرأي والمكيدة، وحث المجاهدينَ على الثبات، ودعوةِ الناس للنفير ومجابهة العدو، مع ما كانوا يكتبونه في

---

(١) وسيأتي ذكر هذه القصة في آخر الكتاب بحول الله.

(٢) تاريخ الإسلام (أحداث سنة سبع وستمئة) (١٣/ ٢١).

سيرة هذا القائد -صلاح الدين-، وعون له فيما يحتاجه منهم، ولعل كتاب (عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) يتناول كثير ممَّا لا يسع ذكره هنا، ومن هذه المواقف قول القاضي ابن شداد: «وأنا ممَّن جمع له فيه كتابًا؛ جمعت فيه آدابه، وكل آية وردت فيه، وكل حديث روي في فضله، وشرحت غريبها.

وكان ﷺ كثيرًا ما يطالعه؛ حتى أخذه منه ولده الملك الأفضل عز نصره»[١].

إنَّ فتح القدس لم يمكن مجرد صدفة، ولا يتحقق بالرغبة والشهوة فحسب؛ بل إنَّه يحتاج لإعداد شامل، ومشاركة فعَّالة من جميع الشرائح، وتبادل الهم والهمة جيلًا بعد جيل، والاستمرار وعدم اليأس[٢].

إنَّ همَّ فتحِ القدس قد لازم السلطان صلاح الدين الأيوبي من بداية طفولته إلى لحظة فتحه؛ ولم يكن هذا إلا همًّا توارثه عن القيادة العلية في الدولة المتمثلة بنور الدين ومن قبله والده، وكذا التربية المنزلية المتمثلة بوالده وعمه شيركوه، وكذا

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (ص٥٤).

(٢) لقد حرص كثير من العلماء والزهادِ على الإقامة ببيت المقدس ولو فترة قصيرة، منهم: (عمر بن عبد العزيز، ومالك بن دينار، ورابعة العدوية، وطافية (من العابدات)، وسليمان بن طرخان الذي كان يقول: إذا دخلت البيت المقدس كأنَّ نفسي لا تدخل معي حتى أخرج منه. ومقاتل بن سليمان، وعبد الرحمن بن عمر الأوزاعي، وسفيان الثوري وقد دخل قبة الصخرة وختم فيها القرآن، وإبراهيم بن أدهم، والليث بن سعد فقيه مصر، ومحمد بن إدريس الشافعي، وبشر الحافي، وهو الذي أجاب عن سؤال: لِم يفرح الصالحون في بيت المقدس؟ بقوله: «لأنَّها تذهب الهم، ولا تشغل النفس بها»، وقال أيضًا: «ما بقي عندي من لذات الدنيا إلا أن استلقي على جنبي بجامع بيت المقدس».

وذو النون المصري (العابد الزاهد)، وصالح بن يوسف «حج تسعين حجة راجلًا يحرم من صخرة بيت المقدس».

وشيخ الإسلام الأنصاري الذي سكن بيت المقدس ونشر المذهب الحنبلي بها، والشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي شيخ المذهب الشافعي بالقدس، وأبو حامد الغزالي وقد صنف في القدس كتابه (إحياء العلوم)، وعيسى الهكاري، والقاضي الفاضل، وابن القيرواني (محمد بن الطاهر)، وأبو بكر المعري المعافري الأندلسي (الحافظ المشهور)، وعبد الكريم المعافى الشافعي صاحب كتاب (الذيل لتاريخ مدينة السلام) عدَّة مجلدات، وعدد كبير من العلماء والرحالة الذين زاروا القدس وكتبوا عنها. انظر: «رجال حول القدس» (ص١٢٢-١٢٣).

الحالة الاجتماعية، والدروس المسجدية، وأحوال الناس كافة، مهدت -بفضل اللهِ- لهذا الفتح العظيم، مع الإعداد بجميع أنواعه، ومن ذلك: المدارس العلمية التي سبقت عهده: كمدرسة (الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ عدي بن مسافر، والمدرسة البيانية لصاحبها «أبو البيان نبأ بن محمد بن محفوظ»[١]، ومدرسة الشيخ رسلان بن يعقوب[٢]، ومدرسة الشيخ عقيل المنبجي، وغيرها من المدارس)[٣].

وما أجمل ما قاله بعض الحكماء: «**إنَّ البطونَ إذا جاعت أكلت الجيف، كذلك العقول إذا جاعت أكلت عفونة الأفكار، ولا بدَّ من ملءِ هذه الأفكار بالفكر النافع وهو الإيمان بالله تعالى**»[٤].

قلت: مع العلم النافع، وقراءة التاريخ قراءة جدية بصدر رحب ومن مصادره الصحيحة، وتفعيل التربية الصحيحة، وإطلاق دور العلماء وعدم قيده بالمسجد؛ **فإنَّ تقيد العلماء، ومنعهم من نشر العلم، وقول الحق، والرد على أهل البدع؛ سبب من أسباب سقوط الدول وانحلالها.**

ففي سقوط الدولة الخوارزمية: نجد من أهم أسباب سقوطها: غياب العلماء؛ في تحقيق الأمة للانتصارات الكبر نجد مكانة العلماء والفقهاء لدى الحكام في وجدان الشعوب واضحة المعالم، بل نلاحظ الكتابات عن أهمية الجهاد وفضائله، وسيرة الرسول في الغزوات، وتاريخ صدر الإسلام وانتصارات الأمة على أعدائها،

---

(١) قال الذهبي في «السير» (٢٠/ ٣٢٦): «كان حسن الطريقة، صينًا، دينًا، تقيًا، محبًا للسنة والعلم والأدب، له أتباع ومحبون، أنشأ الملك نور الدين له بعد موته رباطًا كبيرًا عند درب الحجر، وكان صديقًا للشيخ رسلان الزاهد».

(٢) الشيخ الزاهد، العابد، بقية المشايخ، رسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن الجعبري، ثم الدمشقي.

(٣) انظر: هكذا ظهر جيل صلاح الدين (ص١٨٦-٢٥١).

(٤) وسائل الثبات في زمن المتغيرات (ص٤٨) ط: دار طيبة الخضراء.

ويتحرك الخطباء والعلماء والفقهاء في أوساط النَّاس، ويخرجون مع الجندِ في المعارك ويشاركون بأنفسهم في قتال الأعداء، أمَّا في الدولة الخوارزمية فلا مكانة للعلماء والفقهاء، بل عُطِلوا عن دورهم[1].

وفي سقوط الدولة الأيوبيَّة، من أهم أسباب سقوطها: غياب العلماء الربانيين عن القرار السياسي: مع مجيء الملك الأفضل لحكم الدولة الأيوبية تغيرت بعض الوسائل الاستراتيجية التي كانت يعتمد عليها صلاح الدين بعد الله في إدارة الحكم، وحركة الجهاد، وهي اعتماده على العلماء الربانيين فأبعد الملك الأفضل القاضي الفاضل وأقصى أمراء والده ومستشاريه، بتأثير الوزير ضياء الدين ابن الأثير أخو المؤرخ المشهور ابن الأثير على الدولة في عهد الملك الأفضل، ولم يكن موفقًا أبدًا بل جرَّ البلاء والسخط والغضب والكراهية على الملك الأفضل، وأصبح القاضي الفاضل من المبعدين عن القرار السياسي، وهو الذي قال فيه صلاح

---

(١) كان للعلماء اليد البيضاء في دعوة الأمة للصمود أمام جحافل المغول رغم تنحية السلطان الخوارزمي محمد خوارزم شاه (ت ٦١٧ هـ): لعدد منهم عن مسرح الأحداث وتوجيه الأمة، ينقل النسوي ما حل برئيس الحنفية ببخارى وخطيبها برهان الدين البخاري المعروف بصدر جهان، فقد أبعده السلطان الخوارزمي من بخارى وسيره إلى خوارزم، فأقام بخوارزم مسلوب المراد ممنوعًا من الإصدار والإيرادِ، إلى أن قتل عند إجفال تركان خاتون.

يدل هذا النص على أنَّ فئة من العلماء والفقهاء قد وقعوا تحت طائلة الإقامة الجبرية، مما حال دون قيامهم بالدور المرتقب منهم أمام ذلك الحدث الضخم والغزو المغولي.

ويؤكد هذه الحقيقة أنَّ السلطان محمد خوارزم شاه قام بنفي ثلاثة من علماء سمرقند، هم: جلال الدين، وابنه شمس الدين، وأخوه أوحد الدين، وقد وصفهم النسوي بقوله: «كانوا سادات الأرضِ آدابًا بارعة، وأقدامًا لأعلام العلوم فارغة».

وكانت نهاية أوحد الدين بنسا، حيث مات فيها غريبًا منفيًا، وأما جلال الدين فكانت إقامته بمازندران إلى أن أعدم خبره عند خروج المغول.

فالسياسة التي اتبعها السلطان محمد خوارزم شاه مع العلماء حدَّت من دورهم عند هجوم المغول، فقد كانوا بين طريد منفي، أو واقع تحت الإقامة الجبرية كما رأينا في النصوص السابقة، وبالتالي لم تكن الظروف التي ألزموا بها لتسمح لهم بأن يؤدوا دورهم كما ينبغي في إنقاذِ البلادِ من الهاويةِ والدمارِ. بالاستفادة من «دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد» (ص٤٤-٤٦).

الدين: «ما فتحت بلدًا بسيفي؛ ولكن بقلم القاضي الفاضل».

ولم تكن مكانة العلماء والفقهاء بعد صلاح الدين بالمكانة التي كانوا عليها في عهد نور الدين وصلاح الدين، ولقد خسر الأيوبيون الكثير بإبعاد القاضي الفاضل ومن على شاكلته من دائرة القرار السياسي، وقد قال أبو شامة عن القاضي الفاضل: «كان ذا رأي سديد، وعقل رشيد، ومعظمًا عند صلاح الدين يأخذ برأيه، ويستشيره في الملمات، والسلطان له مطيع، وما فتح الأقاليم إلا بأقاليد آرائه وكانت كتائبه كتائب النصر»[1].

وفي انتصار المماليك في معركة عين جالوت، وسحقهم الزحف المغولي، نجد أنَّ من أهم الأسباب في ذلك: (الاستعانة بالعلماء واستشارتهم).

فقد كانت من القيم الراسخة في دولة المماليك: قيمة العلوم الشرعيَّة وعلماء الدين، فطوال أيام الأيوبيين في مصر، ومنذ أن رسخ صلاح الدين المذهب السني في مصر بعد قضائه على الدولة الفاطمية، وقيمة العلماء مرتفعة في أعين الناس والحكام على السواء، حتى أنَّه لما صعدت شجرة الدر إلى كرسي الحكم، وقام العلماء بإنكار ذلك وكتابة الرسائل المعادية للملكة وتحفيز النَّاس على رفض هذا الأمر، ما استطاعت شجرة الدر ولا أحد من أعوانها أن يوقفوا هذه الحركة الجريئة من العلماء[2]، وكان من طبيعة العلماء في ذلك العصر النزول في ساحات القتال وتحريض الناس على الجهاد كما حدث في الحملة الصليبية السابعة (٦٤٨هـ).

وكان من أشهر هؤلاء العلماء: العز بن عبد السلام، وكان مقربًا ومحببًا لسيف

---

(١) الروضتين بأخبار الدولتين (١/ ٢٤١).

(٢) قصة التتار (ص٣٦٠).

الدين قطز، وأخذ بترشيده وفتاويه، ونفذ ذلك خصوصًا تلك الفتوى الشهيرة المتعلقة بوجود المال اللازم لإعداد ما يلزم الحرب، فعقد سيف الدين قطز مجلسًا للمشورة في قلعة الجبل وحضر قاضي القضاة بدر الدين السنجاري، والشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكان السؤال حول أموال العامة ونفقتها في العساكر، فقال ابن عبد السلام: إذا لم يبق في بيت المال شيء، وأنفقتم الحوائص الذهبية ونحوها من الزينة، وساويتم العامة في الملابس سوى الات الحرب، ولم يبقَ للجندي إلا فرسه التي يركبها ساغ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء، إلا أنَّه إذا دهم العدو وجب على النَّاسِ كافة دفعه بأموالهم وأنفسهم[1]، وانقضى الاجتماع.

ويُفهم مما تقدم أنَّ المسلمين لم يكونوا يوافقون على فعل شيء أو دفع ضريبةٍ إلا إذا أقرها علماء الإسلام، وأصدر الفتاوى بجوازها، وهذا يعني الخضوع للشريعة، ومن جهة أخرى فإنَّ السلطان ملتزم بما صدر عن إفتاء العلماء، بل راح الأمراء ورجال الدولة يقدمون ما يملكون، وأحضروا ما في بيوتهم من حلي نسائهم وأموالهم، وأقسموا أنَّهم لم يتركوا شيئًا، وذلك طواعية دون إرغام أو تهديد، وإنَّما استجابة لرأي الشريعة، ولما كانت الأموال لا تقوم بالمطالب استعان السلطان قطز بالرعية بعد أن تسووا جميعًا، وفرض إجراءات من أجل توفير المال اللازم للحرب، ومن ثمَّ كانت الأموال التي أنفقها المسلمون في حرب التتار في موقعة عين جالوت أموالًا طيبةً ساهمت في تحقيقِ الانتصار.

وكان السلطان سيف الدين قطز يحترم ويقدر وينفذُ فتاوى العلماء، وكان يستعين بهم، ويطلب مشورتهم في النوازل وكان العلماء والفقهاء يقومون بدورهم الكبير في

---

(١) الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول (ص١٢٠-١٢١).

توعية الشعب بالأخطار المحيطة به، ويحرضون الناس على طلب الشهادة، والاستجابة لنداء الجهاد، فقد حدث تكامل بين أمراء المماليك والعلماء في مقاومة التتار، فكان ذلك الانسجام والتعاون المستمر من أسباب النصر في عين جالوت، فبيَّن العلماء أحكام الله تعالى في الجهادِ، كيف يتعامل مع أموال العامة، حتى تصبح حلالًا لا ظلم ولا عدوان فيها، مع الاستعداد النفسي لدى السلطان قطز في تنفيذِ حكم الله وأثر ذلك على شعور الناس بقيمة العدل التي ساهمت في جعل روح جديدة تسري في كيان الشعب تحت قيادة قطز[١].

وفي أسباب سقوط دولة المرابطين، نجد من أهم العوامل التي أسقطت دولة المرابطين: فقدها لكثير من قياداتها وعلمائها العظام أمثال سير بن أبي بكر، ومحمد بن مزدلي، ومحمد ابن فاطمة، ومحمد بن الحاج، وأبي إسحاق بن دانية، وأبي بكر بن واسينو... فمن لم يستشهد من كبار رجال الدولة أدركه الموت الطبيعي، ولم يستطع ذلك الجيل أن يغرس المبادئ والقيم التي حملها في الجيل الذي بعده، فاختلفت قدرات الجيل الذي بعدهم واستعداداتهم، وهذا درس مهم لأبناء الحركات الإسلامية في أهمية توريث التجارب والخبرات المتنوعة والمتعددة للأجيال المتلاحقة[٢].

ولله در أبي الحسن علي بن خمير [٣]:

إذا شئت أنْ تبكي فريدًا من الهوى ... فتندبه بعد النَّبيَّ المكرَّم

---

(١) انظر: ما نقلته هنا في كتاب «المغول بين الانتشار والانكسار» (ص١٦٠)، و(ص٢٨٣-٢٨٤)، و(ص٣٧٧-٣٧٨) ط: مؤسسة اقرأ.

(٢) فقه التمكين عند دولة المرابطين (ص٢٠٠)، وانظر: «كتاب سقوط دولة الموحدين» (ص٣١).

(٣) قال القلقشندي: «عليُّ بن خمير، أبو الحسن السبتيُّ كان فقيهًا مالكيًا، شاعرًا مفلقًا، أصوليًا عالمًا، أديبًا لغويًا؛ توفي سنة أربع عشرة وستمئة»

فحامِلُ عِلْم عَالِم متورِّع — حرصٌ على التَّحريضِ للمتعلِّم
وحاكمٌ عدلٌ بالشَّريعةِ قائم — يقولُ بحكْمِ اللهِ لا بالتحكُّم
وصاحبُ مالٍ فاضل متفضِّل — يجود به حقًا على كلِّ معدم
وساهرُ ليْل شافع متشفِّع — بكلِّ نؤوم شابع متبشِّم
وصاحبُ سيفٍ للعدوِّ مرابط — يسدُّ به في كلّ ثغر مثلَّم
هم خمسةٌ يبكون حقًا وغيرهُم — إلى حيثُ ألقتْ حِمْلَها أمٌّ قشعم»[١]

ولنختم بواقع المسلمين في بلاد الأندلس ودور العلماء هناك:

إنَّنا إذا تأملنا في الضعف والوهن الذي دبَّ في بلاد الأندلس، نجد في تاريخنا الإسلامي مثلًا مضيئًا لداعية من الدعاة لم يعجبه موقف الحكام الأندلسيين من سكوتهم على الخطر المنذر بالنهاية فـ «رفع صوته بالاحتساب، ومشى بين ملوك أهل الجزيرة لصلة ما انبت من تلك من الأسباب؛ فقام مقام مؤمن آل فرعون لو صادف أسماعًا واعية، بل نفخ في عظام ناخرة، وعطف على أطلال دائرة، بيد[٢] أنَّه كلما وفد على ملك منهم في ظاهر أمره لقيه بالترحيب، وأجزل حظه في التأنس والتقريب، وهو في الباطن يستجهل نزعته، ويستثقل طلعته، وما كان أفطن الفقيه رَحِمَهُ اللَّهُ بأمورهم، وأعلمه بتدبيرهم، لكنه كان يرجو حالًا تثوب[٣]، ومذنبًا يتوب»[٤].

كان هذا الفقيه هو أبو الوليد الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنه كما قال المقرَّي: «لم يفد شيئًا، فالله تعالى يجازيه عن نيته»، واستمر رَحِمَهُ اللَّهُ في دعوته تلك ثلاث عشرة سنة حتى توفي

---

(١) انظر: «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان»، أو «قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان» لأبي العباس القلقشندي (ت ٨٢١هـ) (٣/ ٢٨٠).

(٢) أي: بالرغم من.

(٣) ترجع.

(٤) التاريخ الإسلامي (٣٣٩)، نقلًا عن «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة».

بالمرية سنة (٤٧٤هـ)، وكان جاء إلى المرية سفيرًا بين رؤساء الأندلس يؤلفهم على نصرة الإسلام ويروم جمع كلمتهم مع جنود ملك المغرب المرابطين على ذلك فتوفى قبل تمام غرضه رحمه الله.

ولم يكن في الساحة وحده رحمه الله؛ بل كان معه نجوم هو شمسهم منهم: **أبو حيان، وأبو الحزم جهور بن محمد بن جهور، وابن حزم، والإلبيري، والعسال الطليطلي، وابن عبد البر**، كل هؤلاء شاركوا في جهود الإنقاذ والدعوة إلى الاتحاد، والحذر من الخطر القادم، شاركوا بشعرهم وكتابتهم ودروسهم[(١)].

وهذا القرطبي يقول في «تفسيره»: «اتَّفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد، وجبُنُوا عن القتال، وأكثروا من الفرارِ، فاستولى العدو على البلاد، وأيُّ بلاد؟! وأسر وقتل، وسبى واسترقَّ، فإنا لله وإنا إليه راجعون! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته»[(٢)].

وقال: «فقد لبسنا العدو في ديارنا، واستولى على أنفسنا وأموالنا، مع الفتنة المستولية علينا، بقتل بعضنا بعضًا، واستباحة بعضنا أموال بعض، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»[(٣)].

وقال في قول الله: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥]: «**فهذه** أسبابُ النَّصرِ وشروطُه، وهي معدومةٌ عندنا غيرُ موجودةٍ فينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحلَّ بنا! بل لم يبقَ من الإسلامِ إلا ذكره، ولا من الدِّين إلا رسمُه، لظهور الفسادِ، ولكثرة الطغيان، وقلةِ الرشادِ حتى استولى العدو شرقًا وغربًا برًّا وبحرًا، وعمَّت الفتن،

---

(١) نقلًا عن كتاب استجابات إسلامية لـ (صرخات أندلسيَّة) (ص٣٩-٤٠).

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٤١٧-٤١٨) ط: عالم الكتب.

(٣) المصدر السابق (٨/ ٤١٥).

وعظُمت المحن، ولا عاصمَ إلا من رحِم»[١].

(١) المصدر السابق (٤/ ٢٤٥).

القسم الأول:

معالم وبصائر بين يدي الكتاب





النصيحة الأولى: واجب العلماء وطلاب العلم

لما جعل الله العلم من خير الجوائز، كان أهله بنص النقل وعين العقل من خير الناس؛ فهم ورثة الأنبياء، وأحق الناس بنعتهم بالأولياء، وهم زينة العباد، وسرج البلاد.

ومن تأمل في نصوص الشرع علم يقينًا أن فضل العلم عند الله عظيمٌ، وليس هذا الفضل من عبث، بل له ضريبة وثمن، وقد أخذ الله على العلماء ميثاقًا عظيمة في بيان الحق، ودلالة الخلق، ونشر الخير ووأد الشر، ونصر السنة وقمع البدعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل الأجر على قدر المشقة.

وقد حذر الله من نقض الميثاق، وعده من خصال وصفات أهل النفاق، فقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧]. وأخذ الله الميثاق على عموم الناس في يوم عرفة، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان-وادي جانب عرفة-يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنشرها بين يديه، ثم كلمهم فقال: ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا إلى قوله: المبطلون»(١).

وقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم على وجه الخصوص، في أن يبينوا ما كلفوا فيه، ولا يكتموا ما أمروا به، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال الحافظ ابن كثير مفسرًا: في هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئًا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «من سئل عن علمٍ فكتمهُ ألجمَ يومَ القيامةِ بلجامٍ من نَّارٍ»(٢).

فمن واجب الميثاق: النصيحة وقول الحق بدون مداهنة أو تردد، وحسب المسلم أن يطالع سيرة الإمام أحمد بن حنبل ومحنته التي ذكرها الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»، وغيرهِ من العلماء، حتى جمعت في محنته كتبٌ تقرأ، ومحاضرات تلقى ويعقد لها المجالس فتسمع.

ومن واجب الميثاق: عدم تأخير البيان عن وقت الحاجة.

ومن واجب الميثاق: نشر العلم وعدم حبسه عن أهله وطالبيه، قال ابن المبارك:

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢٤٥٥)، وهو في «موطأ مالك» من حديث عمر ﷺ (٢) دون «ذكر عرفة»، والترمذي في «سننه» (٣٠٧٥)، وانظر تخريجه في كتابي «فضل يوم عرفة وخصائصه» (ص٧٣-٧٤).

(٢) تفسير القران العظيم (٢/ ١٨١).

من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: «إما أن يموت فيذهب علمه، أو ينساه، أو يتبع السلطان»[١]، وبنحوه من كلام الثوري.

ومن واجب الميثاق: أن يتقي الله العالم في فتواه وأن يصبر كما صبر أهل العلم في ذلك، ألا ترى مالكًا يعذب في طلاق المكره، وهو لا يجيب في ذلك، وأحمد يكره على القول بخلق القران، وأبو حنيفة يرفض القضاء، وكم هي المحن التي ابتلوا فيها، ويا لله على الصبر الذي كانوا عليه[٢].

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ١٦٨)، وهو في «الإلماع» للقاضي عياض (ص٢٨٨).

(٢) قال الشوكاني في «أدب الطلب» (ص٤٢/ وبعدها)، وانظر: «قلائد العقيان» للكرمي (٧/ ٤٦٦-٤٧٤) «لقد تتبعت أحوال كثير من القائمين بالحق المبلغين به كما أمر الله المرشدين إلى الحق، فوجدتهم ينالون من حسن الأحدوثة، وبعد الصيت، وقوة الشهرة، وانتشار العلم، ونفاق المؤلفات وطيرانها وقبولها في الناس ما لا يبلغه غيرهم، ولا يناله من سواهم، وسأذكر لك هنا جماعة ممَّن اشتهرت مذاهبهم، وانتشرت أقوالهم، وطارت مصنفاتهم بعدهم، وما أصابهم من المحنة ما نالهم:

[١]-كإمام دار الهجرة مالك بن أنس فإنَّه بُلي بخصوم، وعاداه ملوك، فنشر الله مذهبه في الأقطار، واشتهر من أقواله ما ملأ الأنجاد والأغوار.

[٢]-كذلك الإمام أحمد بن حنبل فإنَّه وقع له من المحن التي هي منح ممَّا لا يخفى على من له اطلاع، وضرب بين يدي المعتصم العباسي ضربًا مبرحًا، وهموا بقتله مرة بعد مرة، وسجنوه في الأمكنة المظلمة، وكبلوه بالحديد، ونوعوا له أنواع العذاب، فنشر الله من علومه ما لا يحتاج إلى بيان، ولا يفتقر إلى إيضاح. وكانت العاقبة له فصار بعد ذلك إمام الدنيا غير مدافع، ومرجع أهل العلم غير منازع، ودوَّن الناس كلماته، وانتفعوا بها، وكان يتكلم بالكلمة فتطير في الآفاق؛ فإذا تكلم بالكلمة في رجل بجرح تبعه الناس، وبطل علم المجروح. وإن تكلم في رجل بتعديلٍ كان هو العدل الذي لا يحتاج بعد تعديله إلى غيره.

[٣]-ثمَّ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري أصابه من محمد بن يحيى الذهلي وأتباعه من المحنة ما مات به كمدًا، ثم جعل الله تعالى كتابه الجامع الصحيح كما ترى أصح كتاب في الدنيا، وأشهر مؤلف في الحديث، وأجل دفتر من دفاتر الإسلام.

[٤]-ثمَّ انظر أحوال من جاء بعد هؤلاء بدهرٍ طويل،كابن حزم المغربي، فإنَّه أصيب بمحن عظيمة؛ بسبب ما أظهره من إرشاد الناس إلى الدليل، والصدع بالحق، وتضعيف علم الرأي؛ حتى أفضى ذلك إلى امتحان الملوك له، وإيقاعهم به، وتشريده من مواطنه، وتحريق مصنفاته، ومع ذلك نشر الله من علومه ما صار عند كل فرقة، وفي كل بلاد المسلمين، وبين ظهراني كل طائفة.

ومن واجب الميثاق: أن يعايشَ العالمُ واقع الأمة، وألا يكون بعيدًا عنهم في دروسه وخطبه ومحاضراته، وأن يعرف واجب الوقت الذي يمر به، ولا يكن ممن يتكلم في شيء والنَّاس في شيء آخر، فهذا قد يعد من الخيانة ونقص في الأمانة التي أخذها الله على أهل العلم.

ومن واجب الميثاق: الحفاظ على الوقت، فوقت العالم للأمة وليس لنفسه. قال الإمام ابن القيم في حديثه عن الغيرة ودرجاتها: «وهي غيرة على وقت فات، وهي غيرة قاتلة؛ فإن الوقت وحي التقضي، أبي الجانب، بطيء الرجوع»(١).

قد هيّؤوكَ لأمرٍ لو فطنتَ لهُ ... فاربأ بنفسكَ أن ترعى مع الهمل
وأنتَ في غفلةٍ عمّا خُلِقتَ لهُ ... وأنتَ في ثقةٍ من وثبةِ الأجل
فزَكِّ نفسكَ مما قد يدنّسُها ... واختر لها ما تَرَى من خالصِ العمل
أأنتَ في سكرةٍ أم أنتَ منتبهًا ... أم غرّكَ الأمنُ أم أُلهيتَ بالأمل

وهذا الإمام الرباني محمد بن الحسن الشيباني كان قد «جزأ الليل ثلاثة أجزاء: جزء للنوم، وجزء للصلاة، وجزء للدرس، وكان كثير السهر فقيل له: لم لا تنام؟

قال: **كيف أنام وقد نامت عيون المسلمين تعويلًا علينا**، وهم يقولون: إذا وقع لنا أمر رفعناه إليه فيكشفه لنا، فإذا نمنا ففيه تضيع الدين»(٢).

---

[٥]-ثمَّ كذلك شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية أحمد بن عبد الحليم فإنَّه لما أبان للنَّاسِ فساد الرأي، وأرشدهم إلى التمسك بالدليل، وصدع بما أمره الله به، ولم يخف في الله لومة لائم، قام عليه طوائف من المنتمين إلى العلم، المنتحلين له من أهل المناصب وغيرهم، فمازالوا يحاولون ويصاولون ويسعون به إلى الملوك، ويعقدون له مجالس المناظرة، ويفتون تارةً بسفك دمه، وتارةً باعتقاله؛ فنشر الله من فوائده ما لم ينشر بعضه لأحد من معاصريه، وترجمه أعداؤه فضلًا عن أصدقائه بتراجم لم يتيسر لهم مثلها، ولا ما يقارنها لأحد من الذين يتعصبون لهم، ويدأبون في نشر فضائلهم.....».

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٩).

(٢) بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن حسن الشيباني من فتح المغطا شرح الموطأ برواية محمد بن حسن الشيباني (١/ ٨٣).

وقال عبد الرزاق بن الحسن بن أحمد بن علي الزرندي: «العالم في ذا الزمان نائم، والجاهل ميت؛ فكيف ينبه النائم الميت؟»[١].

ومن واجب الميثاق: البعد عمَّا يضعف الأمة من مسائل النزاع والخلاف التي تفرق ولا تجمع، وتضعف وتوهن، فالحذر كل الحذر من الجدل البيزنطي[٢].

ويراد بالجدل البيزنطي: الجدل العقيم، أو الضئيل، وصورته فقد كان البيزنطيون يتحاورون في جنس الملائكة والعدو على أبواب بلدتهم حتى داهمهم[٣].

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) حينما قال: «وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها؛ كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها، حتى تجد المنتسب إلى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة، حتى يخرج عن الدين والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره؛ حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أحمد يتعصب لمذهبه على مذهب هذا أو هذا، وفي المغرب تجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه على هذا أو هذا، وكل هذا من التفرق والإختلاف الذي نهى الله ورسوله عنه، وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل، المتبعين الظنَّ وما تهوى الأنفس، المتبعين لأهوائهم بغير هدى من الله، مستحقون للذم والعقاب، وهذا باب واسع لا تحتمل هذه الفتيا لبسطه»[٤].

وواجب الميثاق: الجهاد في سبيل الله، بما أمكن من أنواع الجهاد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي قوَّامة على أمرِ الله عز وجل لا

---

(١) معجم السفر (٦٧٤).

(٢) معجم التراكيب (ص٢٨٠).

(٣) ينظر: إعانة المتعلم بتقريب حلية طالب العلم (ص٦٨).

(٤) الفتاوى الكبرى (٢/ ١٠٣).

يضرُّها من خالفها»[١].

قال النووي: «يحتمل أنَّ هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين؛ بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض. وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة؛ فإنَّ هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث»[٢].

وعن أبي عنبة الخولاني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته»[٣].

وعن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ، مثل حديث قبله، قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل

---

(١) رواه ابن ماجه في «سننه» (٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ورواه البخاري «صحيحه» (٣٦٤٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٤٧)، و(١٧٠)، وغيرهم. وقد خرجته في كتابي «أربعون حديثًا في الفتن من رواية أبي هريرة كما في الصحاح والمسانيد والسنن» أو «أحاديث أبي هريرة ﷺ في الفتن» فانظره هناك، والحمد لله.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٧).

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٩٥) «ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرا وباطنا، واتباعه باطنا وظاهرا وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء: محبة القرآن والحديث والبحث عنهما وعن معانيهما والعمل بما علموه من موجبهما، ففقهاء الحديث أخبر بالرسول ﷺ من فقهاء غيرهم، وصوفيتهم أتبع للرسول ﷺ من صوفية غيرهم، وأمراؤهم أحق بالسياسة النبوية من غيرهم، وعامتهم أحق بموالاة الرسول ﷺ من غيرهم».

(٣) رواه ابن ماجه في «سننه» (٨)، وهو في «المسند» (١٧٧٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٦)، وقال البوصيري في «الزوائد» (١/ ٥٤): «هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات» وحسن إسناده شيخنا الحويني حفظه الله كما في «الفتاوى الحديثية» (٥/ ١٦١).

الجاهلين»[(١)].

أَحَلَّ الْكُفْرُ بِالْإِسْلَامِ ضَيْمًا يَقُولُ بِهِ عَلَى الدِّينِ النَّحِيبُ
فَحَقٌّ ضَائِعٌ وَحِمًى مُبَاحٌ وَسَيْفٌ قَاطِعٌ وَدَمٌ صَبِيبُ
وَكَمْ مِنْ مُسْلِمٍ أَضْحَى سَلِيبًا وَمُسْلِمَةٍ لَهَا حَرَمٌ سَلِيبُ
وَكَمْ مِنْ مَسْجِدٍ جَعَلُوهُ دِيرًا عَلَى مِحْرَابِهِ نُصِبَ الصَّلِيبُ
دَمُ الْخِنْزِيرِ فِيهِ لَهُمْ خُلُوفٌ وَتَحْرِيقُ الْمَصَاحِفِ فِيهِ طِيبُ
أُمُورٌ لَوْ تَأَمَّلَهُنَّ طِفْلٌ لَطَفَّلَ فِي عَوَارِضِهِ الْمَشِيبُ
أَتُسْبَى الْمُسْلِمَاتُ بِكُلِّ ثَغْرٍ وَعَيْشُ الْمُسْلِمِينَ إِذًا يَطِيبُ
أَمَا لِلَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَقٌّ يُدَافِعُ عَنْهُ شُبَّانٌ وَشِيبُ
فَقُلْ لِذَوِي الْكَرَامَةِ حَيْثُ كَانُوا أَجِيبُوا اللهَ وَيْحَكُمُوا أَجِيبُوا

ومن واجب الميثاق: تنشئة طلبة علم صادقين، وهذه التنشئة الربانية، يحمل بعضًا من تنشئتها أهل العلم.

قال عبد الله بن صالح بن مسلم: «كان سوار بن عبد الله وصاحب له يطلبان العلم، فلحق صاحبه ببعض الثغور، وولي سوار بن عبد الله القضاء، فكتب سوار إلى

---

(١) حديث (إسناده ضعيف): رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٤٧ و٤٨و٤٩و٥٠و٥١و٥٢)، وفي «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٢٨)، وانظر: في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢/ ١٧)، و«الضعفاء الكبير» للعقيلي (١٤)، و«مسند الشاميين» للطبراني (٥٩٩)، و«معرفة الصحابة» لابن حجر (٧٣٢).

وانظر: أسانيده كما في كتاب «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/ ٤٦٥-٤٦٧).

وفي أسانيده علل، وضعف، ومن ذلك (مسلمة بن علي بن خلف الخشني). قال البخاري وأبو زرعة وابن حبان (منكر الحديث).

وقال الدارقطني: متروك. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ١٣٢)، والضعفاء والمتروكين (٣/ ١٢٠).

وفيه (إبراهيم بن عبد الرحمن العذري) تابعي مقل ما علمته واهيًا، أرسل حديث: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله. كما قاله الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٣١٢).

وفيه (محمد بن سليمان بن أبي كريمة). انظر: لسان الميزان (٥/ ١٨٦)، والمغني للذهبي (٢/ ٥٨٨).

صاحبه يعتذر إليه مما دخل فيه، وذكر شدة الزمان وكثرة العيال، وجفوة السلطان، فكتب إليه صاحبه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: يا سوار، فعليك بتقوى الله، فإن التقوى عوض من كل فائدة من الدنيا، وليس في شيء من الدنيا عوض عن التقوى، فإن التقوى عقدة كل عاقل مبصر، به يستنير، وإليه يستريح، ولم يظفر أحد مثل ما ظفر به أولياء الله الذين شربوا بكأس حبه، فكانت قرة أعينهم، ومدة أملهم، وذلك أنهم أعملوا أنفسهم في جسيم الأدب، وراضوها رياضة الأصحاء الصادقين، وطلقوها عن الشهوات، فألزموها القوت المعلق، وجعلوا الجوع والعطش شعارا لها برهة من الزمان، حتى انقادت وأذعنت لهم عن فضول الحطام، فلما طعن فضول الدنيا عن قلوبهم، وزايلتها أهواؤهم، وصارت الآخرة قرة أعينهم، ومدة أملهم، أثبت الله في قلوبهم ينابيع الحكمة، وقلدت ينابيع العصم، وسطعت بهم نور المعالم، الذين يشعبون الصدع، ويلمون فيه الشعث، فلم يزالوا كذلك حتى أتاهم من الله موعود صادق اختص به العالمين به، والعاملين له دون من سواهم، فإن سرك يا سوار أن تستمع صفة الأصحاء الصادقين فصفة هؤلاء، فاستمع وسائلهم الطيبة فاتبع، وإياك وبينات الطريق: شدة الزمان، وكثرة العيال، وجفوة السلطان، والسلام[١].

ولله در شيخ الإسلام الحراني حينما قال: «وبالجملة: أنَّ السكنَ بالثغور[٢] والرباط، والاعتناء به، أمر عظيم، **وكانت الثغور معمورة بالمسلمين علمًا**

(١) أخلاق الشيوخ (ص١٠٢-١٠٣).

(٢) الثغور، جمع ثغر بفتح الثاء وإسكان الغين، وهو الطرف الملاصق من بلاد المسلمين بلاد الكفار. قاله النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (٣/ ٤٥).

وعملًا»[١]. وقال ابن قيم الجوزية في «الفروسية النبوية»: «فالفروسية فروسيتان: فروسية العلم والبيان، وفروسية الرمي والطعان.

ولما كان أصحاب النبي ﷺ أكمل الخلق في الفروسيتين فتحوا القلوب بالحجة والبرهان، والبلاد بالسيف والسنان.

وما النَّاسُ إلا هؤلاء الفريقان، ومن عداهما؛ فإنْ لم يكن ردءًا وعونًا لهما؛ فهو كل على نوع الإنسان.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بجدال الكفار والمنافقين، وجلاد أعدائه المشاقين والمحاربين، فعلم الجدال والجلاد من أهم العلوم وأنفعها للعباد، في المعاش والمعاد، ولا يعدل مداد العلماء إلا دم الشهداء، والرفعة وعلو المنزلة في الدارين إنما هي لهاتين الطائفتين، وسائر الناس رعية لهما منقادون لرؤسائهما»[٢].

وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى ... فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُدَّةِ الإِنْسَانِ
وَاطْعَنْ بِرُمْحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ ... للهِ دَرُّ الْفَارِسِ الطَّعَّانِ
وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ ... مُتَجَرِّدٍ للهِ غَيْرِ جَبَانِ

وذكر القرطبي في «تفسيره» قال سفيان بن عيينة لابن المبارك: «إذا رأيت النَّاسَ قد اختلفوا؛ فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٩]»[٣].

وقال الإمامان عبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل وغيرهما: «إذا اختلف النَّاسُ في شيءٍ فانظروا ماذا عليه أهل الثغر، فإنَّ الحق معهم؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾

---

(١) مسألة في المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى (ص٥٠).

(٢) الفروسية النبوية (ص١٥٧).

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٦٥).

[العنكبوت: ٦٩]»[١].

قال شيخ الإسلام: «وجماع الهجرة هي هجرة السيئات وأهلها، وكذلك هجران الدعاة إلى البدع، وهجران الفساق وهجران من يخالط هؤلاء كلهم أو يعاونهم، وكذلك من يترك الجهاد الذي لا مصلحة لهم بدونه، فإنَّه يعاقب بهجرهم له؛ لما لم يعاونهم على البر والتقوى»[٢].

ويقول اللواء محمود شيت خطاب ﵀ في بحث تقدم به، وختمه فقال:

«**علماءَ المسلمين**: وبعد: فإنِّي أدعو الله العلي القدير، أن يكتب النجاح والتوفيق لمؤتمر مجمع البحوث الإسلاميَّة الرابع، وأن يقرر مقرراته باسم الإسلام والمسلمين، وأن يطالب المسلمين حكمًا وشعوبًا في مشارق الأرض ومغاربها بتنفيذ مقرراته نصًّا وروحًا.

إنَّكم علماء المسلمين، والعلماء ورثة الأنبياء، ولن يكون العالم عالمًا حقًّا ما لم يكن في علمِه متينًا، عاملًا بعلمه، محافظًا على كرامة العلماء، مؤمنًا بأنَّ العلم (عبادة) لا (تجارة).

إنَّ أمثال هؤلاء العلماء أكبر من كل ذي سلطان، فقد يستطيع كلَّ منْ هبَّ ودبَّ أن يكون ذا سلطان سياسي بحق أو بغير حق، ولكن لا يستطيع كل من هبَّ ودبَّ أن يكون عالمًا بحق.

وقد يقول العالم الحق كلمة في ملك أو رئيس، فيسجل التَّاريخ كلمة العالم ما بقي التَّاريخ في الأرض، فيذكر الملك أو الرئيس بتلك الكلمة إلى الأبد.

ولكنَّ الملك أو الرئيس إذا قال كلمة في العالم، فربما تسجلها الصحف اليومية، فيقرؤها النَّاس يومًا أو بعض يومٍ، ثمَّ لا يبقى لها أثرٌ ولا تأثير. فاعرفوا مكانكم ومكانتكم يا علماء المسلمين، وكونوا عند حسن ظنِّ النَّاسِ بكم.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣١٢-٣١٣).

وكما أنَّ العرب والمسلمين بحاجةٍ اليوم إلى قائد كخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني، فإنَّهم بحاجةٍ إلى قائد ديني كالعز بن عبد السلام، وابن تيمية عليهم رضوان الله.

إنِّي أريد لهذا الجمع أن يكون سيدًا لا مسودًا، وقائدًا لا مقودًا، ورائدًا لا تابعًا.

ولا يكون المجتمع وعلماء المسلمين كذلك إلا إذا قال العلماء كلمة الإسلام صريحَة مدوية لا يخشون في الله لومة لائم، وإلا إذا كانوا قدوَة حسنَة للمسلمين في الجهادِ بأموالهم وأنفسِهم في سبيل الله: يبذلون أموالهم رخيصَة لأعلاء كلمة الله، ويتقدمون صفوف المجاهدين في ميدان الجهاد»[1].

عفاءٌ على دنُيا رَحلْتَ لغيرها ... فليس بِها للصَّالحِينَ مُعَرَّجُ
كدأْب عليٍّ في المواطنِ كلِّها ... أبي حسنٍ والغصنُ مِنْ حيثُ يخُرجُ
سلامٌ وريحانٌ ورَوحٌ ورحَمةٌ ... عليكَ وممَدودٌ مِنْ الظلِّ أبلجُ

فيا علماء الإسلام: إن جهادكم المقدس في سبيل الله ضد عدوكم الذي استباح بيضتكم، وداهم بلادكم، وعاث بأرضكم فسادًا لهو قوام دعوتكم، وحصن لدينكم، وترس لشريعتكم، فإيَّاكم والتفريط به -بكل أنواع التفريط-؛ فإنَّ عاقبة ذلك الموت والهلاك، والذل والهوان، والعار والشنار.

---

(١) إرادة القتال (ص٤٦-٤٧) بحث ألقي عام (١٣٨٨هـ) (١٩٦٧م). ط: دار الفكر.

النصيحة الثانية: إلى الشباب المسلم

أقولُ لأخواني من الشباب، وآبائي من أصحاب الشيبةِ: **عليكم بالعلم النافع فإنَّ به قوام الدين**، كتب عمر ﷺ إلى أمراء الأجناد: «تفقهوا في الدين، فإنَّه لا يعذر أحد باتباع باطل وهو يرى أنَّه حق، ولا يترك حقًا وهو يرى أنَّه باطل»[(١)].

وقال الإمام أبو حنيفة للإمام إبراهيم بن الأدهم: «إنَّك رزقت من العبادة شيئًا صالحًا فليكن العلم من بالك؛ فإنَّه رأس العبادة، وبه قوام الدين»[(٢)].

وقال محمد بن عيسى الدامغاني: سمعت ابن عيينة يقول: «تدرون ما مثل العلم؟ مثل العلم: مثل دار الكفر ودار الإسلام، فإن ترك أهل الإسلام الجهاد جاء أهل الكفر فاخذوا الإسلام، وإن ترك الناس العلم صار الناس جهالًا»[(٣)].

---

(١) العلم والحلم لإياس بن معاوية (٨٧)، وقال محققه: «لم أجده في موضع آخر، إلا في كتاب «كنز العمال» منسوبًا إلى كتابنا هذا» أهـ.

قلت: وفي «شرح السنَّة» للبربهاري (ص٢٢) قال: «لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة فقد بينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر».

وأورده الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٣٨٦)، بلاغًا عن عمر ﷺ، وهو منقطع، وأورده المروزي في «السنة» (٩٥) ورجاله ثقات، عن الأوزاعي قال عمر بن عبد العزيز «لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها يحسب أنها هدى».

(٢) مسند إبراهيم بن الأدهم (٤٦)، تحتاج الأمة العلم النافع أكثر من أي شيء، لا سيَّما في زماننا هذا الذي كثرت فيه الفتن، وعمَّت البدع، وظهر الشقاق والافتراق، ومن هنا تعلم فائدة قول الإمام أحمد بن حنبل الشيباني كما في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٤٦): «الناس يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء؛ لأنَّ العلم يُحتاج إليه في كل ساعة، والخبز والماء في كل يوم مرة أو مرتين».

ومثله ما جاء في «الكفاية في علم الرواية» (ص٢٥) عن عبد الرحمن بن المهدي قال: «الرجل إلى الحديثِ أحوج منه إلى الأكل والشرب».

(٣) تهذيب الكمال (١١/ ١٩٣)، وحلية الأولياء (٨/ ٢٨١).

وقال ابن القاسم سمعت مالكًا يقول: «إنَّ أقوامًا ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم فخرجوا على أمة محمد بأسيافهم، ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك»(١).

وكان الإمام ابن القيم رحمه الله يقول: «وتبليغ سنَّته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأنَّ ذلك التبليغ يفعله كثير من النَّاس، وأمَّا تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمنهِ وكرمه»(٢).

وقال: «ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم الذين قاموا بالدين علمًا وعملًا ودعوة إلى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء أتباع الرسل -صلوات الله عليهم وسلامه- حقًا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت، فقبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها، وزكا الناس بها.

وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء -صلى الله عليهم وسلم- الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص:٤٥].

فالأيدي: القوة في أمر الله.

والأبصار: البصائر في دين الله عز وجل، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقوة يتمكَّن

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٣٤)، ومنهاج السنة (٤/ ٥٢٩)، وذكره ابن عبد في «جامع بيان العلم» (٩٠٥)، عن الحسن قال: «العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر ممَّا يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم، فإنَّ قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمةِ محمد صلى الله عليه وسلم ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا».

(٢) جلاء الأفهام (ص٤٨٩) ط: ابن الجوزي.

من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه[1]، فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم في الدين والبصر بالتأويل، ففجرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورزقت فيها فهمًا خاصًا»[2].

إنَّ من أخطار الجهل على المجتمعات: (انتشار المحرمات، وظهور البدع، وعودة الشركيات، وظهور الاختلاف المكروه والافتراق المذموم، واستباحة الدماء المعصومة، وغير ذلك من العواقب المعلومة...)؛ فخير سلاح لمواجهة هذا الشر القادم، والسيل الهادم؛ تحصين المجتمع بالعلم النافع، وتصدير العلماء الربانيين وتقديمهم؛ ليبصروا الناس بدينهم، فيعبدوا الله على بصيرة، ويرعوا حق الأخوة، ويعرفوا حرمة الدم، والله أعلم.

وعليكم بمحاكاة القدوات (بالقول والفعل)؛ فإنَّ الله يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومن أخطر المعارك التي يشتغل عليها أعداء الإسلام (عربًا وعجمًا):

(١) -إسقاط القدوات (كالعلماء والصالحين).

(٢) -وإبراز قدوات (كالممثلين والمغنين والماجنين).

وما أجمل قول لسان الدين بن الخطيب عن العرب: «لم تفتخر قطّ بِذَهَب يجمع، وَلَا ذخر يرفع، وَلَا قصر يبْنى، وَلَا غرس يجنى، إِنَّمَا فخرها عَدو يغلب، وثناء يجلب، وجزر تنحر، وَحَدِيث يذكر، وجود على الْفَاقَة، وسماحة بِحَسب الطَّاقَة؛

---

(١) قال ابن جزي في «تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ١١٢٣) ط: الدار العالمية «الأيد، جمع: يد، وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحات، وإنَّما عبر عن ذلك بالأيدي؛ لأنَّ الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي، وأمَّا الأبصار فعبارة عن قوة فهمهم، وكثرة علمهم من قولك: أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور».

(٢) الوابل الصيب (ص١٠٢) ط: طيبة الخضراء.

فَلَقَد ذهب الذَّهَب، وفنى النشب، وتمزقت الأثواب، وَهَلَكت الْخَيل العراب، وكل الَّذِي فَوق التُّرَاب تُرَاب، وَبقيت المحاسن تروى وتنقل، والأعراض تجلى وتصقل»[١].

وهذه المعركة (إسقاط القدوات) تؤتي ثمراتها مع مرور الأيام؛ حينما ينشئ جيل لا يعرف مكانة العلم، ولا قيمة العلماء، ولا تاريخ الأمة الحافل بالانتصارات والإنجازات؛ فهو لا يرى في الإعلام إلا المتصدرين من أراذل النَّاس؛ فيقع في قلبه، ويغلب على ظنه أنَّهم هم القدوات! فهنا تكون النَّكبة والمحنة، والبلية والمصيبة، والطامة والرزية.

فالله يا دعاة الإسلام اشتغلوا بتربية النشء قبل أنْ تجتالهم أيادي الخبث من أحضانكم وأنتم تنظرون إليهم، وعندها ولات حين مندم، وهيهات أن ينفع النَّدم والبكاء، ولو كان بدل الدمع دم.

وعليكم بالاجتماع، واحذروا الفرقة، فإنَّها أفتك سلاح من مستوى الأسرة إلى المجتمع بأكمله، كما قال القشيري: «اجتماع النفوس مع تنافر القلوبِ واختلافها أصلُ كلّ فساد، وموجب كل تخاذل، ومقتض لتجاسر العدو، واتفاق القلوب والاشتراك في الهمة والتساوي في القصد، يوجب كل ظفر، وكل سعادة»[٢].

وقال زيد بن سنان: «إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألةً في الدِّين، يتعلم الوَقيعة في الناس، متى يفلح؟!»[٣]. فما أحوجنا معشر المسلمين، وبالأخص طلاب العلم إلى الإنصاف وعدم هدر رحم العلم، وإخوة الدين؛ والعدو ينهش لحم

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٤/ ١٥).

(٢) تفسير البقاعي المسمى «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (١٩/ ٤٥٢).

(٣) ترتيب المدارك (١٠٣/ ٣).

الأمة، ونحن شذر مذر ليس لنا قرار.

واحذروا من فعل المعاصي والمنكرات؛ فهي من أهم أسباب طول أمد البلاء، ومن أسباب الزوال والاندثار.

قال النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه وهو يخطب الناس في حمص: «إنَّ الهلكة كل الهلكة أن تعمل السيئات في زمان البلاء»[1].

أعندكم نبأٌ مِنْ أهل أندلس	فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم	قتلى وأسرى فما يهتزّ إنسان
ماذا التّقاطع في الإسلام بينكم	وأنتم يا عباد الله إخوان
ألا نفوسٌ أبيَّات لها هممٌ	أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذلّة قوم بعد عزتهم	أحال حالهم جورٌ وطغيان
بالأمس كانوا ملوكًا في منزلهم	واليومَ هم في بلاد الكفر عبدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم	عليهم ف ثياب الذُّلّ ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهمُ	لهالكَ الأمرُ واستهوتك أحزان
يا ربَّ أمّ وطفل حيل بينهما	كما تفرقُ أرواح وأبدان
وطفلةٍ مثل حسن الشمس إذ طلعت	كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة	والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد	إن كان في القلب إسلام وإيمان[2]

وعن جبير بن نفير، قال: «لما افتتح المسلمون قبرس وفرق بين أهلها، فقعد بعضهم يبكي إلى بعض، وبكى أبو الدرداء رضي الله عنه، فقلت: ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأذل الشرك وأهله؟

---

(١) العقوبات (ص٢٠٩).

(٢) نفح الطيب (٤/ ٤٨٨)، وجواهر الأدب للهاشمي (٢/ ٣٨٧).

قال: دعنا منك يا جبير، ما أهون الخلق على الله ﷻ إذا تركوا أمره بينا هو أمة قاهرة قادرة إذ تركوا أمر الله ﷻ فصاروا إلى ما ترى»[1].

وقال برهان الدين البلخي لنور الدين رحمه الله: «أتريدون أن تنصروا وفي عسكركم الخمور والطبول والزمور، كلا والله!!». فلما سمع نور الدين كلامه عاهد الله على التوبة، ونزع عنه ثيابه تلك التي كان يلبسها، والتزم بلبس الخشن، وبطل جميع ما كان بقي في بلاده من الأعشار والمكوس والضرائب، ومنع من ارتكاب الفواحش، وكتب إلى البلاد إلى زهادها وعبادها يذكر لهم ما نال المسلمين من القتل والأسر، ويستمد منهم الدعاء، وأن يحثوا المسلمين على الغزاة[2].

ويقال: إنَّ سببِ وضعِ نور الدين المكوسَ عن النَّاسِ أنَّ الواعظَ أبا عثمان المنتخب[3] بن أبي محمد الواسطي -وكان من الصَّالحينَ الكبار- أنشد نور الدين:

مَثِّلْ وُقُوفَكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ... يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ
إِنْ قِيلَ نُورُ الدِّينِ رُحْتَ مُسَلِّمًا ... فَاحْذَرْ بِأَنْ تَبْقَى وَمَا لَكَ نُورُ
أَنْهَيْتَ عَنْ شُرْبِ الْخُمُورِ وَأَنْتَ مِنْ ... كَأْسِ الْمَظَالِمِ طَافِحٌ مَخْمُورُ
عَطَّلْتَ كَاسَاتِ الْمُدَامِ تَعَفُّفًا ... وَعَلَيْكَ كَاسَاتُ الْحَرَامِ تَدُورُ
مَاذَا تَقُولُ إِذَا نُقِلْتَ إِلَى الْبِلَى ... فَرْدًا وَجَاءَكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
وَتَعَلَّقَتْ فِيكَ الْخُصُومُ وَأَنْتَ فِي ... يَوْمِ الْحِسَابِ مُسَحَّبٌ مَجْرُورُ
وَتَفَرَّقَتْ عَنْكَ الْجُنُودُ وَأَنْتَ فِي ... ضِيقِ اللُّحُودِ مُوَسَّدٌ مَقْبُورُ
وَوَدِدْتَ أَنَّكَ مَا وَلِيتَ وِلَايَةً ... يَوْمًا وَلَا قَالَ الْأَنَامُ أَمِيرُ
وَبَقِيتَ بَعْدَ الْعِزِّ رَهْنَ حُفَيْرَةٍ ... فِي عَالَمِ الْمَوْتَى وَأَنْتَ حَقِيرُ

---

(١) العقوبات (ص١٩)، وحلية الأولياء (١/ ٢١٧).

(٢) زبدة الحلب (ص٣٤٤).

(٣) وفي «الروضتين» (المنتجب).

وَحُشِــرْتَ عُرْيَانًا حَزِينًا بَاكِيًا	قَلِقًا وَمَا لَكَ فِي الْأَنَامِ مُجِيرُ
أَرَضِـيـتَ أَنْ تَحْيَا وَقَلْبُكَ دَارِسٌ	عَافِي الْخَرَابِ وَجِسْمُكَ الْمَعْمُورُ
أَرَضِـيـتَ أَنْ يَحْظَى سِـوَاكَ بِقُرْبِهِ	أَبَدًا وَأَنْتَ مُبَعَّدٌ مَهْجُورُ
مَهِّدْ لِنَفْسِكَ حُجَّةً تَنْجُو بِهَا	يَوْمَ الْمَعَادِ لَعَلَّكَ الْمَعْذُورُ

فلما سمعها الملك نور الدين بكى وأمر بوضع المكوسات والضرائب في سائر بلاده[1]؛ رحم الله الملك العادل لسماعه الحق، والواعظ الصادق لقوله الحق، وإنكاره المنكر.

قال شيخ الإسلام: «فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع، سلط عليهم الكفار، ولما أقاموا من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار»[2].

وقال اللواء محمود شيت: «رأيت رجلًا كهلًا في جنين -بفلسطين- يمشي مطرق الرأس بأسماله البالية، يستجدي الصدقات من الناس.

وقال صاحبي الفلسطيني يحدثني عن أمر هذا الكهل المسكين فقال: كان هذا يمتلك بيارة -بستان بلغة أهل فلسطين- للحمضيات تدر عليه عشرة آلاف جنيه كل عام، وكان يمتلك ما يزيد على الألف دونم من الأرض الخصبة المباركة التي فيها العيون، وكان في بيارته أجير يهودي له ابنة حسناء في السادسة عشرة من عمرها، وكانت تحضر الطعام لوالدها ظهر كل يوم، وفي يوم من الأيام اختلى بها حبًا، وفي اليوم الثاني عادت إليه؛ فأعاد الرجل مراودتها، فقالت: لا أسلم لك نفسي إلا بأن تكتب باسمي دونمًا من أرضك! ووافق الرجل، واستسلمت له الفتاة ثمَّ صارت

---

(١) البداية والنهاية (١٦/ ٤٨٨-٤٨٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٨٢).

تمتنع عليه إلا إذا كتب باسمها دونمًا جديدًا!

واستمر حالها على هذا المنوال حتى أصبح هذا الرجل أجيرًا في بيارته وأرضه التي أصبحت ملكًا للفتاة اليهودية الحسناء، وكان أبوها يعلم ما جرى ويجري لابنته وهو فرح مرتاح، حتى إذا أصبح لليهود دولة طرد هذا الرجل من عمله، فأصبح حاله كما ترى يستجدي أكفّ الناس!»(١).

فانظر كيف تكون عواقب المعاصي، الإذلال والإهانة والاستبدال، وغير ذلك من أنواع البلايا، والله المستعان.

واجعل من هذا هجيرك وعونًا لك بعد ربك إذا ما حلت الفتن بك، واختلطت الأمور ببعضها حتى صارت مظلمة حالكة كسواد الليل، ومضطربة كأمواج البحر الهائجة، وهي النصيحة النفيسة التي قالها شيخ الإسلام والعالم الهمام ابن تيمية الحراني في واجبِ المسلمِ في زمانِ الفتن:

«١-وليتخذْ وردًا من الأذكارِ في النَّهارِ ووقت النَّوم.

٢-وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف فإنَّه لا يلبث أنْ يؤيده الله بروح منه ويكتب الإيمان في قلبه.

٣-وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس باطنة وظاهرة فإنَّها عمود الدين.

٤-وليكن هجيراه لا حول ولا قوة إلا بالله فإنَّها بها تحمل الأثقال، وتكابد الأهوال، ويُنال رفيع الأحوال.

---

(١) طريق النصر في معركة الثأر (ص٦١) ط: دار القتيبة.

٥-ولا يسأم من الدعاء والطلب؛ فإنَّ العبد يستجاب له ما لم يعجل فيقول: قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي.

٦-وليعلم أنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ الفرج مع الكرب، وأنَّ مع العسر يسرًا، ولم ينل أحد شيئًا من ختم الخير نبي فمن دونه إلا بالصبر»[1].

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣٧)

النصيحة الثالثة: إلى عامة المسلمين؛ احذروا الهوى

اعلموا أنَّ مخالفة الهوى من سمات العقلاء، ومن صفات الألباب النجباء، وهو خصوصية خص الله به أهل السنة في أصقاع الأرض جمعاء، وهو فضل من الله، والله يؤتي فضله من يشاء.

واتباع الهوى في الحقيقةِ يكون بجعل الهوى حاكمًا على الشرع، فتصدر الأقوال والأفعال من مشكاة الهوى لا الهدى، وهذا من صفات أصحاب الشهوات وأهل الشبهات، أجارنا الله من حالهم ومقالهم وفعالهم بمنه وكرمه.

وقد خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فقال: «قد أفلح منكم من حفظ من: الطمع، والغضب، والهوى»[١].

والهوى أخوف ما يخاف على المرء؛ لإنَّه يجعل صاحبه أعمى، لا يرى الحق، ولا يعرف له طريقًا إلا من طريقه الذي يبصره، والشيء الذي يدين به، وذاك لإن أصل الهوى: من الميل إلى الشيء[٢]. وكم من فتن حصلت، وخلافات عظمت وتشعبت، ودماء سفكت؛ بسبب داء الهوى.

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى   إلى بعض ما فيه عليك مقالُ[٣]

وقيل: «وما عبد إلهٌ أبغض إلى الله من الهوى!»[٤].

---

(١) ذكرهما قوام السنة في «الحجة في بيان المحجة» (٥٠٦) و(٥٠٧) (٢/ ٥٢٣).

(٢) ينظر: التعريفات للجرجاني (ص١٩٩).

(٣) تاريخ الخلفاء (هشام بن عبد الملك) (ص٢٥٠).

(٤) تفسير روح البيان (٦١/ ٧).

وعن الحسن، قال: «أهل الهوى بمنزلة اليهود والنصارى»[١].

وعن الشعبي، قال: «إنَّما سمي الهوى؛ لأنَّه يهوي بصاحبه»[٢]، قال الشاعر:

إِنَّ الهَوى لهو الهوانُ بعينه ... وصريع كل هوى صريع هوانٍ[٣]

ومن تأمل، وتدبر، وأمعن النظر في النصوص الشرعيَّة لوجد أنَّ الهوى ما ذكر في القرآن إلا ذمًّا، ولا وصف إلا بأسلوبٍ مقرع ومحذر منه -حتى مع رسل الله وأنبياءه الذين هم خيرة خلق الله من عبيده!!-.

قال ابن عباس رضي الله عنه وعن أبيه: «ما ذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه»[٤].

والهوى «من خوارم المروءة، وقوادح العدالة!»[٥].

قال ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه الله: «من لا مروءة له يؤثر ما يهواه وإن ثلم مروءته أو عدمها؛ لضعف ناهي المروءة. فأين هذا من قول الشافعي رحمه الله تعالى لو علمتُ أنَّ الماء البارد يثلم مروءتي لما شربته»[٦].

قلت: فالمتعالم يقدم شهواته النابعة من هواه، والتي هي سبب من أسباب فقد مروءته.

أما العالم: فيجاهد هواه، وهي من أعظم أنواع الجهاد، وبهذا يكون تجاوز عقبة لم يصعدها إلا كبار الناس.

---

(١) شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة (٢٣٣).

(٢) سنن الدارمي (٤٠٩).

(٣) تعليم المتعلم للزرنوجي (ص٧٥).

(٤) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٨)، وعزاه لابن عباس وهو في «الاعتصام» (٢/ ٦٨٨)، وعزاه لطاووس. والهروي في «ذم الكلام» (ص١٢٣)، بسنده إلى سليمان الأحول قوله، وهو في «الموافقات» للشاطبي (٣٩٣/ ٤).

(٥) انظر كتاب: المروءة وخوارمها. ط: دار ابن عفان.

(٦) روضة المحبين (ص٤٧٠).

النصيحة الرابعة: إلى العاملين لخدمة دين الإسلام

كلمات بحروف العزة واليقين، أنَّ المستقبل لهذا الدين، وأنَّ الله متكفل بعباده المؤمنين، فلا تبرحوا عبادة الله أماكنكم، اعملوا فكل ميسر لما خلق له.

إنَّ المآسي التي نراها إنما هي كموجة بحر هائجة ستذهب ويستقر بعدها شاطئنا، ليخرج الناس للغوص على ساحله وأخذ الخير الذي في داخله.

نصرة الإسلام حقيقة ربانية لا قصص خيالية، ووقائع معلومة لا أوهام مبثوثة.

نصرة الله مؤكدة عندنا بيقين لا يعتريه شك برب العالمين، ففي القران الكريم أدلة ساطعة، وفي سنة النبي الصادق الأمين ﷺ براهين قاطعة، وفي تاريخ أمتنا العظيم أمثالٌ مشرقة، كلها مبشرات وبذور أمل ويقين بأنَّ الإسلام منصور وباقٍ، وأهله باقون أعزة في الحياة -وإن أصابهم من جراحات الحياة ما أصابهم-، كرائم عند الله في الآخرة، ومن ذلك أقول لك مسليًا ومجيبًا بما جاء في السنة النبوية المشرفة.

أليس عندنا أخبار بأنَّ الإسلام سوف يحكم العالم، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله زوى لي الأرض أو قال: إنَّ ربي زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنَّ ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها»(١).

وعن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة، والدين، والنصر، والتمكين في الأرض، -وهو يشك في السادسة-،

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢٢٣٩٥)، ومسلم في «صحيحه» (١٩٢٠) و(٢٨٨٩)، وأبو داود في «سننه» (٤٢٥٢)، والترمذي في «سننه» (٢١٧٦) و(٢٢٠٢) و(٢٢١٩) و(٢٢٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٨٧)، وفي «الآحاد والمثاني» (٤٥٦) و(٤٥٧)، وأبو عوانة في «الجهاد» (٧٥٠٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٣٨).

قال: فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب»[١].

أليس عندنا أخبار بأن الإسلام سوف يدخل بيوتات الناس شاء من شاء وأبى من أبى. فعن تميم الداري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذلِ ذليلٍ، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر». وكان تميم الداري، يقول: «قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية»[٢].

أليس عندنا أخبار بأن الأمن والأمان والخير والبركة سوف تحل بين المسلمين. فعن خباب رضي الله عنه، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو يومئذ متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا الله، أولا تستنصر لنا؟ فقال: «قد كان الرجل فيمن كان قبلكم يؤخذ، فيحفر له في الأرض، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل بنصفين، فما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب فما يصده ذلك، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من المدينة إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[٣].

أليس عندنا أخبار بأن الخلافة الإسلامية سوف تعود بإذن الله. فعن النعمان بن بشير، قال: كنا قعودًا في المسجد مع رسول الله ﷺ، وكان بشير رجلًا يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني، فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله ﷺ، في

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢١٢٢٠)، والشاشي في «مسنده» (١٤٩١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣٤) و(١٠٣٣٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٤٥).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١٦٩٥٧).

(٣) انظر: مسند أحمد (٢١٠٧٣).

الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثمَّ تكون ملكًا عاضًا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمَّ تكون خلافة على منهاج نبوة...»(١).

أليس عندنا أخبار بأن الانتصار على اليهود أمر محتم لا مناص عنه وإنما هو مسألة وقت، وساعة حسمٍ يختارها الله. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله»(٢).

والحديث فيه: دليل على بقاء دين محمد ﷺ ودعوته بعد نزول عيسى ابن مريم، لقوله: (تقاتلون)..(٣).

أليس عندنا أخبار بأن السيد المسيح عليه السلام سوف ينزل في آخر الزمان، فيكون الدين دينًا واحدة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها»، ثمَّ يقول أبو هريرة رضي الله عنه: واقرؤوا

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٨٤٠٦)، وفي «مسند أبي داود الطيالسي» (٤٣٨)، والبزار في «البحر الزخار» (٢٧٩٦).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٩٢٦)، ومسلم في «صحيحه» (٧٩) و(٨٠) و(٨١) و(٨٢)، والترمذي في «سننه» (٢٢٣٦) من حديث ابن عمر وصححه، بلفظ «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا اليهودي ورائي فاقتله»

(٣) التوضيح شرح الجامع الصحيح (١٧/ ٦٦٤).

إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩](١).

قال المهلب: قوله: «فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية» يدل أنَّ الناس كلهم يدخلون في الإسلام، ولا يبقى من يخالفه-والله أعلم»(٢)

أليس عندنا بأن الأمة لا تخلو من قائم لله بحق. فعن أبي هريرةَ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله ﷻ يبعثُ لهذهِ الأمة على رأس كلِّ مِئة سنةٍ من يُجَدِّدُ لها دينَها»(٣).

إنَّ من أعظم المثبتات في زماننا الذي حصل فيه من الانكسار والانهزام أمام الأعداء، أن ننظر في التاريخ الإسلامي في جميع مراحله؛ لا سيَّما في ضعفه والوهن الذي حلَّ به، نجد فيه من الأمل واليقين ما يعزز الثقة بأنَّ الدين باقٍ، وأنَّ الإسلام لا يموت مهما أصاب جماله من ندوب، وجسمه من أمراض وكروب.

«لقد استطاع (المسلم) أن ينطلق من نقطة الضعف هذه، حيث تمزق الدولة الواحدة إلى مدنٍ وأقاليم ودويلاتٍ، إلى آفاق القوة والتحضِّر والإبداعِ...وبدلًا من أن يستسلم للظاهرة ويجلس قابعًا في حدود إمارتهِ المنشقة، نجده يقفُ متحفِّزًا للحركة من أجل عالم الإسلام كله، بمجرَّدِ أن تتاح له القيادة الصالحة المرنة الذكية المخلصة المجاهدة التي تعرف كيف توجِّهُ الحركة إل هدفها المطلوب.

هكذا لعب (الأدارسة) دورهم في المغرب، في مد الإسلام إلى قلبِ القارة السوداءِ عبر مسالكها الشمالية الغربية، وكانوا أولَّ من مهَّد الطريق للنشاط الواسعِ

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٢١٠٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢٤٢).

(٢) شرح ابن بطال (٦/ ٣٤٤-٣٤٥).

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٤٢٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٩٢)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥٢٧).

الذي مارسه الدعاة إلى الإسلامِ في تلك القارة.

وهكذا لعب (الأغالبة) في تونس دورهم في صد خطر البيزنطيين تجاه السواحل الإفريقية، وفي تحويل موقف الدفاع الذي اتخذته هذه المنطقة إلى هجوم استمر عقودًا طويلةً من الزمنِ، واستطاع أن يجلي بواسطته قوات البيزنطيين إلى داخل القارة الأوربية، وأن يكتسح جزرهم في البحر المتوسطِ لكي لا يلبث أن يحيل هذا البحر العظيم إلى بحيرة إسلامية، وينشئ في جزرها ومرافئها حضارة كانت إحدى جسور التي انتقلت عليها حضارة المسلمين إلى الغرب.

وهكذا لعب (الطولونيون) في مصر والشام ودروهم في إيقاف محاولات البيزنطيين الارتدادية صوب الشام.

وهكذا لعب (الحمدانيون) في حلب دورهم المشهور في صدِّ تلك المحاولات نفسها، وهي أعنف ما تكون، وتمكنوا من كسر حدتها.

وهكذا لعب (السامانيون) فيما وراء النهرِ دورهم في نشر الإسلامِ والثقافة الإسلامية في أقاليم التركمان الوثنية الشاسعة الممتدة حتى أطراف الصين، وفي تحويل هذه القوى البدوية التي لا تعرف السلم والاستقرار إلى قوةٍ بشريةٍ مسلمةٍ مثقفةٍ مستقرةٍ، مارست دورها -فيما بعد- على طريق الإسلام.

وهكذا لعب (الغزنويون) و(الغوريون) من بعدهم، في شمال الهندِ، إزاء الهنود الوثنيين نفس الدورِ الذي لعبه رفاقهم السامانيون من قبل إزاء الأتراك.

وهكذا أيضًا ظهرت دولتا (المرابطين) و(الموحدين) في المغرب لكي تعيدا للجهاد الإسلامي مفهومه الثائر العميق، ولكي تنشأ التنظيم الذي يكفل تحقيق هذا الهدف، ولكي (تتحرك) هذه التنظيمات للدفاع في الوقت المناسب عن مقدرات

الإسلام والمسلمين في وقت كانت القو الصليبية تتحرك فيه لتوجيه ضربة ماحقة للجناح الغربي من عالم الإسلام.

ثم إذا ما التفتنا إلى (الموصل) في الفترة التي ينصب عليها بحثنا هذا، وجدناها تسهم هي الأخر، سواءً في عهد (ولاة السلاجقة) أم في عهد (الأتابكة)، إسهامًا قياديًا مباشرًا وخطيرًا ضد الغزو الصليبي في حملته الأول على الجناح الشرقي لعالم الإسلام!!

إنَّ حضارة الإسلام، كما أكد كثير من المستشرقين والمؤرخين هي حضارة (الوحدة والتنوع)، ولقد انعكست هذه السمة الأصلية على ظاهرة نشوء الدويلات في عالم الإسلام؛ فصرنا تنوعًا في التشكيلات السياسة التي انشقت عن جسد الدولة، وصرنا نجد في الوقت نفسه وحدةً وتجانسًا وتعاطفًا في العطاء الحضاري وفي الأساليب والأهداف الكبرى»[1].

وغير ذلك من المبشرات، ومن بذور الأمل واليقين التي يحتاجها المسلم في زمان الاستضعاف أو التمكين.

---

(١) من كتاب المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي (ص٧-٨) ط: ابن كثير/ دمشق.



فضل الجهاد في سبيل الله

والجهاد بكسرِ الجيم، وأصله لغةً: المشقة يقال: جهدت جهادًا بلغت المشقة.

وشرعًا: «بذل الجهد في قتال الكفار»(١).

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران.١٣٣-١٣٤]. قال الضحاك: «إلى الجهاد»(٢).

وقال ابن حزم رحمه الله في قوله تعالى ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [النساء: ٨٤]: «وهذا خطاب متوجه إلى كل مسلم فكل أحد مأمور بالجهاد وإن لم يكن معه أحد»(٣).

حكمه

ذكر ابن عطية الإجماع في باب الجهاد في بيان حكمه كما نقله عنه القرطبي -رحمه الله-

(١) فتح الباري (٦/ ٣)، وأكمل ابن حجر فقال: «ويطلق أيضًا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق؛ فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم على تعليمها وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب».

(٢) تفسير البغوي (٢/ ١٥١).

(٣) المحلى (٧/ ٣٥١).

فقال: «الذي استقر عليه الإجماع أنَّ الجهاد على كل أمة محمد ﷺ فرض كفاية، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقين، إلا أن ينزل العدو بساحة الإسلام فهو حينئذ فرض عين»(١).

الجهاد فريضة باقية

وهو من الفروض التي تبقى إلى قيام الساعة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار»(٢).

وقال العلامة صديق حسن خان رحمه الله عن الجهاد: «هذه فريضة من فرائض الدين أوجبها الله على عباده من المسلمين من غير تقيد بزمان، أو مكان، أو شخص، أو عدل، أو جور»(٣).

التحذير من التخلف عن الجهاد

وقد جاءت نصوص الشرع محذرة من التخلف عن الجهاد في سبيل الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه؛ مات

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٤١٦)، والمحرر الوجيز (١/ ٢٨٩).

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٢٥٣٢)، وسعيد بن منصور في «السنن» (٢٣٦٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٣١١) و(٤٣١٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٥٦)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٢٧٤١) و(٢٧٤٢)، وإسناده ضعيف، ولبعض نصوصه شواهد.

(٣) الروضة الندية (٣٣٣).

على شعبةٍ من نفاق»[١].

ولأبي داود والدارمي، عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من لم يغز، أو يجهز غازيًا، أو يخلف غازيًا في أهله بخيرٍ، أصابه الله بقارعة». قال يزيد بن عبد ربه في حديثه: «قبل يوم القيامة»[٢].

وللترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلمة»[٣].

وفي «مسند أحمد» بسنده، عن أبي المثنى العبدي، قال: سمعت السدوسي يعني ابن الخصاصية، قال: أتيت النبي ﷺ لأبايعه، قال: فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدي الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله. فقلت: يا رسول الله، أما اثنتان، فوالله ما أطيقهما: الجهاد والصدقة، فإنهم زعموا أنه من ولى الدبر، فقد باء بغضب من الله، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي، وكرهت الموت، والصدقة فوالله ما لي إلا غنيمة وعشر ذود، هن رسل أهلي وحمولتهم.

قال: فقبض رسول الله ﷺ يده، ثم حرك يده، ثم قال: «فلا جهاد ولا صدقة، فبم

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٩١٠) وأبو داود في «سننه» (٢٥٠٢)

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٢٥٠٣)، والدارمي في «سننه» (٢٤١٨)، وابن ماجه في «سننه» (٢٧٦٢)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٩٩)، والروياني في «مسنده» (١٢٠١)

(٣) رواه الترمذي في «سننه» (١٦٦٦)، وابن ماجه في «السنن» (٢٧٦٣)، وإسناده ضعيف، قال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب من حديث الوليد بن مسلم، عن إسماعيل بن رافع وإسماعيل بن رافع قد ضعفه بعض أصحاب الحديث وسمعت محمدا يقول: هو ثقة مقارب الحديث. وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، وحديث سلمان إسناده ليس بمتصل، محمد بن المنكدر لم يدرك سلمان الفارسي وقد روي هذا الحديث عن أيوب بن موسى، عن مكحول، عن شرحبيل بن السمط، عن سلمان، عن النبي ﷺ».

تدخل الجنة إذا؟» قال: قلت: يا رسول الله، أنا أبايعك. قال: فبايعته عليهن كلهن[1].

فضل الرمي في سبيل الله

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا، ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه، فإنها نعمة تركها -أو قال: كفرها-»[2].

فضل الثبات في أرض المعركة والرباط

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «عجب ربنا من رجلين، رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته، فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي ثار عن وطائه ولحافه إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي.

ورجل غزا في سبيل الله فانهزم فعلم ما عليه من الانهزام وماله في الرجوع، فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي».

ومن يخش أظفار المنايا فإنَّنا ... لبسنا لهنَّ السابغاتِ من الصبر

---

(١) مسند أحمد (٢١٩٥٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٥١) من طريق زكريا بن عدي، بهذا الإسناد.

والطبراني في «الكبير» (١٢٣٣)، وفي «الأوسط» (١١٤٨)، والحاكم ٢/ ٧٩، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١١٧٦).

(٢) رواه أبو داود في «سننه»، (٢٥١٣) والنسائي (٣١٤٦) و(٣٥٧٨)، وهو في «مسند أحمد» (١٧٣٢١)، والترمذي في «سننه» (١٧٣٢)، وأخرج القطعة الأخيرة بنحوه مسلم (١٩١٩).

وإن كـريـه الـمـوت عـذبٌ مـذاقـه إذا مـا مزجناه بطيـب من الـذكر[١]

وهـذا مجاهـد ينتـدب نفسـه للمهمـة الجسـيمة، ويمضـي نحـو همتـه، ويلـح سـائلًا مولاه:

فيـا ربُّ إنْ حـانـت وفـاتي فلا تكن على شَـرْجَعٍ[٢] يُعْلَى بخُضْـرِ المطارفِ[٣]

ولـكـنَّ قـبري بـطـنُ نَـسْـرٍ مقيلـهُ بـجـو الـســمـاء، في نســورٍ عـواكـفِ[٤]

وأمســي شــهيدًا ثاويًا في عصــابة يُصــابون في فجٍّ من الأرض خـائفِ[٥]

فـوارس مـن بـغـداد أَلَّـف بـيـنـهـم تُـقـى الله، نـزَّالـون، عـنـد الـتـزاحـف

إذا فـارقـوا دنيـاهـم فـارقـوا الأذى وصــاروا إلى ميعاد ما في المصــاحفِ[٦]

في أجرِ خروج المجاهد في سبيل الله

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «قفلة كغزوة»[٧].

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٩٧).

(٢) الشرجع: النعش.

(٣) المطارف: الأطراف، أي الأيدي.

(٤) فهو لا يحلق بروحه سامية في فلك الشموخ فحسب، بل ببدنه أيضًا، حتى إنهم لا يصلون إليه، لأنه استقر في بطون النسور، فيراغمهم ميتًا، كما راغمهم حيًّا.

عـلـوّ في الـحـيـاة وفي الـمـمـات لَـحَـقٌّ تـلـك إحـدى الـمَـكْـرُمـات

(٥) الخائف: المنخفض.

(٦) علو الهمة (ص٣٢١-٣٢٢) ط: العالمية.

(٧) رواه أبو داود في «سننه»، (٢٤٨٧)، وأحمد في «مسنده»، (٦٦٢٥)، وابن الجارود في «المنتقى» (١٠٣٩) والحاكم في «المستدرك»، (٢٣٩٩)، وأبو نعيم في «الحلية» في ترجمة «شفي بن ماتع»، (٥/ ١٦٩) والبيهقي في «السنن الكبرى»، (١٧٨٤٥) والبغوي في «شرح السنة» (٢٦٧١).

أنواع الجهاد في سبيل الله ومراتبه

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال أبو سليمان الداراني: «ليس الجهاد في هذه الآية قتال العدوّ فقط؛ بل هو نصرة الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين؛ وعظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله»(١).

وقال علي رضي الله عنه: «أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(٢).

وعن علي بن عبد العزيز، سمعت أبا عبيد -القاسم بن سلاَّم- يقول: «المتبع للسنة كالقابض عَلَى الجمر، وهذا اليوم أفضل عندي من ضرب السيف فِي سبيل الله عز وجل»(٣).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «أعلام الموقعين»: «**فالجهاد أربع مراتب:**

غريب الحديث: قال الخطابي في «معالم السنن» عن قوله: (قفلة كغزوة): هذا يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون أراد به القفول عن الغزو والرجوع إلى الوطن، يقول: إن أجر المجاهد في انصرافه إلى أهله كأجره في إقباله إلى الجهاد، وذلك لأن تجهيز الغازي يضر بأهله، وفي قفوله إليهم إزالة الضرر عنهم واستجمام للنفس، واستعداد بالقوة للعود.

والوجه الآخر: أن يكون أراد بذلك التعقيب وهو رجوعه ثانيا في الوجه الذي جاء منه منصرفا وإن لم يلق عدوا ولم يشهد قتالا، وقد يفعل ذلك الجيش إذا انصرفوا من مغزاتهم، وذلك لأحد أمرين: أحدهما: أن العدو إذا رأوهم قد انصرفوا عن ساحتهم أمنوهم فخرجوا من مكانهم، فإذا قفل الجيش إلى دار العدو نالوا الفرصة منهم فأغاروا عليهم. والوجه الآخر: أنهم إذا انصرفوا من مغزاتهم ظاهرين لم يأمنوا أن يقفو العدو أثرهم فيوقعوا بهم وهم غادون، فربما استظهر الجيش أو بعضهم الرجوع على أدراجهم بغضون الطريق، فإن كان من العدو طلب كانوا مستعدين للقائهم، وإلا فقد سلموا وأحرزوا ما معهم من الغنيمة.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٢٦).

(٢) البرهان المؤيد (ص١٠٣).

(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٩٢)، وطبقات الحنابلة (١/ ٢٦٢)، والسير (١٠/ ٤٩٩).

(١) جهاد النفس

(٢) وجهاد الشيطان.

(٣) وجهاد الكفار.

(٤) وجهاد المنافقين.

فجهاد النفس أربع مراتب أيضًا:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين، **الثانية**: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماوات.

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان، إحداهما: جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤] فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع

الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال والنفس.

وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فثلاث مراتب:

الأولى: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقبله، فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد.

وممّا يدخل في جهاد اللسان، قول الحق عند سلطان جائر، وهجاء أهل الكفر بما يغضيهم، وكذلك الدعوة إلى الله، وتعليم الناس العلم الشرعي، وغيرها».

سَأَمْضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى ... إِذَا مَا نَوَى حَقًّا وَجَاهَدَ مُسْلِمًا
وَآسَى الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ بِنَفْسِهِ ... وَفَارَقَ خَوْفًا أَنْ يَعِيشَ وَيُرْغَمَا

<u>وللجهاد أنواع أيضًا، فمنها:</u>

١-من الجهاد في الإسلام: عاطفة حية قوية تفيض حنانًا إلى عز الإسلام ومجده، وتهفو شوقًا إلى سلطانه، وتبكي حزنًا على ما وصل إليه المسلمون من ضعف، وما وقعوا فيه من مهانة، وتشتعل ألمًا على هذه الحال التي لا ترضي الله ولا ترضي الرسول ﷺ.

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ ... إنْ كانَ في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

٢-من الجهاد في سبيل الله: أن يحملك هذا الهم الدائم والجوى اللاحق على التفكير الجيد في طريق النجاة، وتلمس سبيل الخلاص، وقضاء وقت طويل في فكرة عميقة تمحص بها سبل العمل وتتلمس فيها أوجه الحيل لعلك تجد لأمتك منفذًا أو تصادف منقذًا، ونية المرء خير من عمله، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي

الصدور.

٣ -ومن الجهاد في سبيل الله: أن تنزل عن بعض وقتك وبعض مالك، وبعض مطالب نفسك لخير الإسلام والمسلمين، فإن كنت قائدًا ففي مطالب القيادة تنفق، وإن كنت تابعًا ففي مساعدة الداعين تفعل، وفي كل خير قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥].

٤ -ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن تأمر بالعروف وتنهى عن المنكر وأن تنصح لله ورسوله وكتابه ولأئمة السلمين وعامتهم، وأن تدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وما ترك قوم التناصح إلا ذلوا، وما أهملوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا خذلوا، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

٥ -ومن الجهاد في سبيل الله: أن تتنكر لمن تنكر لدينه، وأن تقاطع من يعادي الله ورسوله، فلا يكون بينك وبينه صلة، ولا مؤاكلة ولا مشاربة.

٦ -ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن تكون جنديًا لله تقف له نفسك ومالك لا تبقى على ذلك من شيء، فإذا هدد مجد الإسلام وديست كرامته ودوى نفير النهضة لاستعادة مجد الإسلام كنت أول مجيب للنداء، وأول متقدم للجهاد. وبذلك يتحقق ما يريد الله من نشر الإسلام حتى يعم الأرض جميعًا.

٧-ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن تعمل على إقامة ميزان العدل وإصلاح شئون الخلق، وإنصاف الظلوم والضرب على يد الظالم، مهما كان مركزه وسلطانه.

٨-ومن الجهاد في سبيل الله ﷻ: إن لم توفق إلى شيء من ذلك كله أن تحب المجاهدين من كل قلبك، وتنصح لهم بمحض رأيك، وقد كتب الله لك بذلك

الأجر وأخلاك من التبعة، ولا تكن غير ذلك فيطبع الله على قلبك ويؤاخذك أشد المؤاخذة[١].

مراتب فرض الجهاد في سبيل الله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كان رسول الله ﷺ في أول الأمر مأمورًا أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده، فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن. وكان مأمورًا بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك. ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان، أُذن له في الجهاد، ثم لما قووا كتب عليهم القتال، ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم، لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار»[٢].

أهمية النية

عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «لقد تركتم بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا أنفقتم من نفقةٍ، ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم معكم فيه. قالوا: يا رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ فقال: حبسهم العذر»[٣].

وعن مكحول، أنَّه عاد حكيم بن حزام بن حكيم، فقال: أتراك مرابطًا العام؟

قال: كيف تسألني عن هذا وأنا على ذي الحال؟

قال: «وما عليك أن تنوي ذاك، فإنَّ شفاك الله مضيت لوجهك، وإن حال بينك

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد (٢/ ٢٠٦-٢٠٧).

(٢) الجواب الصحيح (١/ ٧٤).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٤٢٣)، ومسلم في «صحيحه» (٤٨)، وأبو داود في «سننه» (٢٥٠٨)، وسكت عنه.

وبينه أجل كتب لك نيتك»[١].

وقال الأصمعي: سمعت أعرابيًا يدعو وهو يقول: «اللهم ارزقني مالًا أكبت به الأعداء، وبنين أصول بهم على الأقوياء»[٢].

قال وهيب بن الورد: «لا يكون هم أحدكم في كثرة العمل؛ ولكن ليكن همه في إحكامه وتحسينه، فإنَّ العبد قد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه»[٣].

ذم الجبن والحث على الشجاعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «شر ما في رجل شح هالع، وجبن خالع»[٤].

إنَّ عيش الجبان هو بمثابة الموت السريري لا ينتفع الإنسان منه، فهو ليس في الدنيا على حقيقته يعيش كعيش أهله، ولا في الآخرة يتنعم بنعيمها وما أعده الله لأهلها من وقت النزع إلى القبر، ثمَّ البعث، ثمَّ الجزاء والعطاء[٥].

إنَّ الجبن صغار وإذلال، وعيش الجبان هو عيش الذليل الحقير، يقول ابن الأثير

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ١٧٨).

(٢) البيان والتبين (٣/ ٢٩٦).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ١٥٣).

(٤) رواه أحمد في «مسنده» (٨٠١٠)، و(٨٢٦٣) وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٤٢٦) وأبو داود في «سننه» (٢٥١١)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٠٨)، والبزار في «مسنده»، (٨٨١٦). قوله (هالع) أصل الهلع الجزع. وقوله (الجبن الخالع) هو الشديد الذي يخلع فؤاده من شدقه. ومعناه: البخل يمنعه من إخراج الحق الواجب عليه فإذا استخرج منه هلع وجزع منه. معالم السنن (٢/ ٢٤١).

(٥) ففي كل مرحلة من هذه المراحل يبشر المؤمن بالخير والرحمة والرضا من نزع روحه إلى دخول جنة ربه.

في «الكامل» عن فتنة التتار وجبن الحاضرين وعدم المقاومة لهم، «ولقد حكي لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي ألقى الله -ﷻ- في قلوب الناس منهم، حتى قيل: إنَّ الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب وبه جمع كثير من النَّاس، فلا يزال يقتلهم واحدًا بعد واحدٍ، لا يتجاسر أحدٌ أن يمد يده إلى ذلك الفارس.

ولقد بلغني أنَّ إنسانًا منهم أخذ رجلًا، ولم يكن مع التتري ما يقتله به، فقال له: ضع رأسك على الأرض ولا تبرح، فوضع رأسه على الأرض، ومضى التتري فأحضر سيفًا وقتله به.

وحكى لي رجل قال: كنت أنا ومعي سبعة عشر رجلًا في طريق، فجاءنا فار من التتر، وقال لنا: حتى يكتف بعضنا بعضًا، فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم.

فقلت لهم: هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب؟

فقالوا: نخاف.

فقلت: هذا يريد قتلكم الساعة، فنحن نقتله، فلعل الله يخلصنا، فوالله ما جسر أحد أن يفعل، فأخذت سكينا وقتلته وهربنا فنجونا، وأمثال هذا كثير»[(١)] أهـ.

وهذه الأمثلة ذكرتها حتى أبين لك بشاعة الجبن، وأنَّه ذلٌّ وعارٌ على صاحبه، وإن

---

(١) الكامل في التاريخ (١٠/ ٤٤٩-٤٥٠)، وكان يقول في مطلع ترجمة دخول التتار واجتياحهم لبلاد الإسلام (١٠/ ٣٣٣): «لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا، إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعا، فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله آدم، إلى الآن، لم يبتلوا بمثلها، لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها».

أردت أن تقرأ في الشجاعة وضروبِها فتاريخُ الأمةِ ورجالاتِها عظيمٌ حافل بذلك، ولعلَّك تنظر في ما قيل عن الشَّجاعةِ وأهلها في كتاب الأمير أسامة بن منقذ المسمى بـ«لباب الآداب»، و«الفروسية» لابن القيم الجوزية، والله يرزقنا الاعتبار والاتعاظ[١].

وقد كان نقش خاتم عمر بن عبد العزيز ﵁ «عمر ابن عبد العزيز يؤمن بالله». وقيل: «لكل عمل ثواب». وقيل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له». وقيل: «اغز غزوة تجادل عنك يوم القيامة»[٢].

الحث على الخروج وترك التواني

عن ثابت، عن أنس بن مالك ﵁ دنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض.

قال يقول: عمير بن الحمام الأنصاري ﵁ يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟

قال: «نعم».

---

(١) قال الإمام ابن القيم في «الفروسية» (ص٥٠٣) «فصل في مراتب الشجاعة والشجعان

أول مراتبهم: الهمام: وسمِّي بذلك لهمته وعزمه.

الثاني: المقدام: وسمِّي بذلك من الإقدام، وهو ضد الإحجام.

الثالث: الباسل: وهو اسم فاعل من بسل يبسل؛ كشرف يشرف.

الرابع: البطل: وجمعه أبطال، وسمِّي بذلك لأنه يبطل فعل الأقران فتبطل عند شجاعة الشجعان، أو لأنه الذي يبطل شجاعة غيره فيجعلها بمنزلة العدم.

الخامس: الصنديد: بكسر الصاد الذي لا يقوم له شيء».

(٢) انظر: كتاب أحكام الخواتيم للحافظ ابن رجب (ص١٢٢) ط: مكتبة المعارف.

قال: «بخٍ بخٍ».

فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ».

قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها.

قال: فإنَّك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهنَّ ثمَّ قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة.

قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثمَّ قاتل حتى قتل»(١).

وعن عثمان بن أبي سودة، وتلا هذه الآية: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١٠-١١] قال: «هم أولهم رواحًا إلى المسجد، وأولهم خروجًا في سبيل الله ﷻ»(٢).

أخلاق الغازي وأدب الغزو

الجهاد في سبيل الله يقوم على الأخلاق، تلك هي الثمرة التي كان المسلمون يتميزون بها خلال معاركهم وفتوحاتهم، عن غيرهم من الملل الكافرة، والأمم المنحلة، كما روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن يحيى بن سعيد، قال: حدثت أنَّ أبا بكر بعث جيوشًا إلى الشام فخرج يتبع يزيد بن أبي سفيان، فقال: إنِّي أوصيك بعشر: «لا تقتلنَّ صبيًا، ولا امرأة، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطعنَّ شجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرا، ولا تعقرنَّ شاة، ولا بقرة إلا لمأكلة، ولا تغرقنَّ نخلًا، ولا تحرقنَّه

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٩٠١)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٥٥)، وأحمد في «مسنده» (١٢٣٩٨)، وأبو داود في «سننه» (٢٦١٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٣٧٣).

قوله: (بخ بخ) فيه لغتان: إسكان الخاء وكسرها منونًا، وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير. وقوله: (إلا رجاءة) معناه والله ما فعلته لشيء إلا رجاء أن أكون من أهلها. وقوله: (قرنه) أي جعبة النشاب.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٩٦٨٥).

ولا تغل، ولا تجبن»[١].

وعن زيد بن وهب، قال: «أتانا كتاب عمر: لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدًا، واتقوا الله في الفلاحين»[٢]. وبعث النبي ﷺ، إلى خالد رجلًا، وقال له: «قل لخالد: لا يقتلنَّ امرأة ولا عسيفًا»[٣].

مَلكْنا فكان العَفْو منَّا سَجيَّةً ... فلمَّا ملكْتُمْ سالَ بالدَّم أبْطَحُ
وحَلَّلْتُمُ قتلَ الأسارى وطالَما ... غَدوْنا عن الأسْرى نَعفُّ ونصفَح
فحسْبُكُمُ هذا التَّفاوتُ بيْنَنا ... وكلُّ إناءٍ بالذي فيهِ يَنْضَحُ

ومن أهم الآداب في هذا الخصوص وأجمعها: ما روي عن عوف بن مالك الأشجعي، أنه قال: من أراد أن يكون غازيًا حقًا، مجاهدا في سبيل الله بالسنة، فليحافظ على عشر خصال:

«**أولها**: أنْ لا يخرج إلا برضا الوالدين.

والثاني: أنْ يؤدي أمانة الله التي في عنقه من الصلاة، والزكاة، والحج، والكفارة، ثمَّ يؤدي أمانات الناس التي في عنقه من المظالم والغيبة وقول الزور.

والثالث: أنْ يدع لأهلِهِ من النَّفقةِ ما يكفيهم، قدر إقامته.

والرابع: أنْ تكون نفقته من كسب حلال، فإنَّ الله تعالى لا يقبل إلا الطيب.

والخامس: أن يسمع ويطيع لأميره، وإن كان عبدًا حبشيًّا بعدما كان أميرًا عليه.

---

(١) المصنف (٣٣٧٩٣)

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٧٩٢)، وعند البيهقي في «السنن الكبرى» (١٨١٥٩) بلفظ: «اتقوا الله في الفلاحين فلا تقتلوهم إلا أن ينصبوا لكم الحرب».

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٢٦٦٩) والنسائي في «الكبرى» (٨٥٧١) وأحمد في «المسند» (١٥٩٩٢).

والسادس: أن يؤدي حق رفيقه، ويبتسم في وجهه كلما لقيه، وينفق أكثر مما هو ينفق، ويمرضه، ويقوم في حوائجه.

والسابع: أن لا يؤذي في طريقه مسلمًا، ولا معاهدًا.

والثامن: أن لا يفر من الزحف.

والتاسع: أن لا يغل من الغنيمة شيئا لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

والعاشر: أن يريد بغزوه إعزاز الدين ونصرة المؤمنين»(١).

فائدة: في ذكرِ السر في تقديم كتاب النكاح على كتاب الجهاد

قال الإمام البخاري ﵀ في «صحيحه» (باب من طلب الولد للجهاد) وساق بسندِهِ: عن عبد الرحمن بن هرمز قال: سمعت أبا هريرة ﵁: عن رسول الله ﷺ قال: (قال سليمان بن داود ﵉ لأطوفن الليلة على مئة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهنَّ إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل؛ والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون)(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «أي ينوي عند المجامعة حصول الولد، ليجاهد في سبيل

---

(١) تنبيه الغافلين للفقيه الحنفي أبي الليث السمرقندي (ص٥٠٥-٥٠٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٢٦٦٤)، وبرقم (٣٢٤٢)، ومسلم في «صحيحه»، (١٦٥٤٩). وهي: «قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل ولم تحمل شيئا إلا واحدا ساقطا أحد شقيه. فقال النبي ﷺ (لو قالها لجاهدوا في سبيل الله). قال شعيب وابن أبي ازناد (تسعين). وهو الأصح» وبرقم (٤٩٤٤).

الله، فيحصل له بذلك أجر، وإن لم يقع له ذلك»[١].

وعن الحسن يقال: «إذا أتى الرجل أهله فليقل: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، ولا تجعل للشيطان نصيبًا فيما رزقتنا، قال: فكان يرجى إن حملت؛ أو تلقت أن يكون ولدًا صالح»[٢].

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: «فالزواج صلة شرعية تُبْرم بعقد بين الرجل والمرأة بشروطه وأركانه المعتبرة شرعًا، ولأهميته قَدَّمه أكثر المحدِّثين والفقهاء على الجهاد، ولأن الجهاد لا يكون إلا بالرجال، ولا طريق له إلا بالزواج، وهو يمثل مقامًا أعلى في إقامة الحياة واستقامتها، لما ينطوي عليه من المصالح العظيمة، والحكم الكثيرة، والمقاصد الشريفة»[٣].

---

(١) فتح الباري (٦/ ٣٤-٣٥)

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٠٤٦٧)

(٣) حراسة الفضيلة (ص٧٨).



الباب الثالث:
مسائل في الرباط

المسألة الأولى: معنى الرباط

الرِباط: «بكسر الراء، ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار؛ لحراسة المسلمين»[1].

وقيل: «الرباط في الأصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها، فشبه به ما ذكر من الأفعال الصالحة والعبادة».

قال القتيبي: «أصل المرابطة أن ربط الفريقان خيولهم في ثغر، كل منهما معد لصاحبه[2] فسمي المقام في الثغور رباطًا»[3].

قال ابن رشد المالكي: «هو ملازمة الثغور لحراسة من بها من المسلمين، وهو مأخوذٌ من الربط لأنَّه إذا لازم الثغر؛ فكأنَّه قد ربط نفسه به»[4].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٨٥).

(٢) فسر القاموس المرابطة بقوله: «أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة، وكل معد لصاحبه».

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ١٨٥-١٨٦)، وعنه ابن منظور في «لسان العرب» (٧/ ٣٠٢)، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢/ ٢٧٨).

(٤) المقدمات الممهدات (١/ ٣٦٤).

المسألة الثانية: فضل الرباط في سبيل الله

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان»[١].

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٩١٣)، والنسائي في «الكبرى» (٣١٦٧)، وابن ماجه (٢٧٦٧).

وقوله: (وأمن الفتان) ضبطوا أمن بوجهين أحدهما أمن بفتح الهمزة وكسر الميم من غير واو، والثاني أُومِن بضم الهمزة وبواو، وأما (الفتان) فقال القاضي: رواية الأكثرين بضم الفاء؛ جمع فاتن، قال: ورواية الطبري بالفتح.

ومن الأحاديث في الباب:

(١) في «صحيح البخاري» (٢٧٣٥) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها» وهو عند أحمد في «مسنده» (٢٢٨٧٢) والترمذي (١٦٦٤)، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٢) وفي «مسند أحمد» (٦٦٥٣)، من حديثِ عبد الله بن عمرو، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم خير من صيام شهر وقيامه»

(٣) ولأحمد في «مسنده» (٤٤٢)، و(٤٧٠) و(٥٥٨)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٩٩)، وابن المبارك في «الجهاد» (٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٦٨).، عن عثمان رضي الله عنه قال بمنى: «يا أيها الناس، إني أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، يقول: «رباط يوم في سبيل الله أفضل من ألف يوم فيما سواه، فليرابط امرؤ كيف شاء» هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد»

(٤) في «سنن أبي داود»، (٢٥٠٠) عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «كل الميت يختم على عمله، إلا المرابط، فإنَّه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر»، وهو عند سعيد بن منصور في «سننه» (٢٤١٤)، والترمذي (١٧١٥) وقال: حديث حسن صحيح، وهو في «مسند أحمد» (٢٣٩٥١)، و«صحيح ابن حبان» (٤٦٢٤).

(٥) وفي «سنن أبي داود»، (١٩٨) بسندٍ ضعيف، «عن جابر، قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ -يعني في غزوة ذات الرقاع- فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين، فحلف أن لا أنتهي حتى أهريق دما في أصحاب محمد، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ، فنزل النبي ﷺ منزلا، فقال: «من رجل يكلؤنا؟» فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فقال: «كونا بفم الشعب» قال: فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب واضطجع المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، وأتى الرجل، فلما رأى شخصه عرف أنه ربيئة للقوم، فرماه بسهم فوضعه فيه، فنزعه حتى رماه بثلاثة أسهم، ثم ركع وسجد، ثم أنبه صاحبه، فلما

عن عتبة بن الندر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتاط غزوكم، وكثرت العزائم، واستحلت الغنائم، فخير جهادكم الرباط»(١).

وخرج أبو هريرة -رضي الله عنه- من المدينة متوجهًا إلى عسقلان مرابطًا، فقيل له: هذا شهر رمضان، أفتدع الصيام في مسجد رسول الله؟

فقال: والذي نفسي بيده لحرس ليلة في سبيل الله أحب إلي من صيام ألف يوم لا أفطر، وقيام ألف ليلة لا أفتر في المسجد الحرام(٢).

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لولا أن الله عز وجل يدفع بمن يحضر المساجد عمن لا يحضرها، وبالغزاة عمن لا يغزو لجاءهم العذاب قبلا»(٣).

إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ جَاءَ يَجْرِي ... عَلَيْهِ الْأَجْرُ عُدَّ ثَلَاثَ عَشْرِ

عرف أنهم قد نذروا به هرب، ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله، ألا أنبهتني أول ما رمى قال: كنت في سورة أقرؤها، فلم أحب أن أقطعها».

وهو عند أحمد في «مسنده» (١٤٧٠٤) و(١٤٨٦٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٣٦)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠٩٦)، والدارقطني (٨٦٩). وغزوة ذات الرقاع، هي غزوة نجد، فقد خرج رسول الله ﷺ في جمادى الأولى من السنة الرابعة، وقيل: في المحرم في أربع مئة من أصحابه وقيل: سبع مئة يريد محارب وبني ثعلبة بن سعد من غطفان، فلقي جمعًا من غطفان فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال، وصلى بهم صلاة الخوف، وإنما سميت هذه الغزوة بذات الرقاع، لأن أقدامهم نقبت (رقت جلودها وتنفطت من المشي) وكانوا يلقون عليها الخرق.

(٦) وفي «سنن ابن ماجه» (٢٧٦٦) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رابط ليلة في سبيل الله سبحانه، كانت كألف ليلة، صيامها وقيامها» وإسناده ضعيف، وأخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٥٠)، والبزار في «مسنده» (٣٥٠).

(١) قدوة الغازي (ص٣١)، وهو في «صحيح ابن حبان» (٤٨٥٦) وإسناده ضعيف. قوله: (إذا انتاط غزوكم). قال الزمخشري في «الفائق» (١/ ٣٧٨): «(انتاطت): بعدت. و(العزائم): عزمات الأمراء على الناس في الغزو إلى الأقطار البعيدة وأخذهم به» اهـ. وقوله: (استحلت الغنائم) أي: لم تقسم على الغانمين.

(٢) قدوة الغازي (ص ٣١).

(٣) جامع بيان العلم (١/ ٦٢).

عُـلُـومٌ بَـثَّـهَـا وَدُعَـاءُ نَـجْـلٍ ... وَغَرْسُ النَّخْلِ وَالصَّـدَقَاتُ تَجْرِي
وِرَاثَـةُ مُصْـحَـفٍ وَرِبَـاطُ ثَـغْـرٍ ... وَحَـفْـرُ الْـبِـئْـرِ أَوْ إِجْـرَاءُ نَـهْـرِ
وَتَـعْـلِـيـمٌ لِـقُـرْآنٍ كَـرِيـمٍ ... شَـهِـيدٌ فِي الْقِـتَـالِ لِأَجْلِ بِـرِّ
كَذَا مَنْ سَـنَّ صَـالِحَـةً لِيُقْفَى ... فَخُذْهَا مِنْ أَحَادِيثَ بِشِعْرِ[1]

المسألة الثالثة: حكم الرباط

والرباط من حيث العموم من القربات التي يندب إليها، والطاعات التي يحث عليها، لما ورد فيه من أحاديث نبويَّة، وآياتٍ قرآنيَّة، ويختلف حكمه بحسب الحال، والمكان.

فإذا كان الجهاد: جهاد صد ودفع، كان واجبًا.

وإذا كان الجهاد: جهاد طلب، ولم يكن فيه أمرٌ من قائدٍ أو مسؤول، فهو على الكفاية.

وعلى العموم فهو فضيلة ينبغي التنافس فيها، ومكرمة يحبذ السعي لطلبها، وتقدم حديث سلمان: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان)[2]، قال النووي: «هذه فضيلة ظاهرة للمرابط، وجريان عمله عليه بعد موته فضيلة مختصة به لا يشاركه فيها أحد، وقد جاء صريحًا في غير مسلم، كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنَّه ينمى له عمله إلى يوم القيامة»[3].

ولذلك كثرُ كلامهم في الحص عليه والإنفاق على المرابطين في سبيل الله؛ فقد

---

(١) غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب للسفاريني (١/ ٤٠).

(٢) صحيح مسلم (١٩١٣).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٣/ ٦١).

روى أبو زيد وغيره عن ابن القاسم أنَّه قال في الزكاة: «يعطى منها الغازي وإن كان معه في غزاته ما يكفيه من ماله وهو غني في بلده. وروى ابن وهب عن مالك أنَّه: يعطى منها الغزاة، ومن لزم مواضع الرباط فقراء كانوا أو أغنياء»[١].

وقال الشافعي: «الغزو غزوان: نافلة وفريضة، فأمَّا الفريضة فالنفير إذا أظل العدو بلد الإسلام، والنَّافلة الرباط والخروج إلى الثغور إذا كان فيها من فيه كفاية»[٢].

وعن سعيد بن سفيان القارئ قال: «توفي أخي وأوصى بمئة دينار في سبيل الله، فوافق ذلك صالح بن فرعون فلم يكن عامئذ غازية فقدمت المدينة في حج أو عمرة؛ فدخلت على عثمان بن عفان وعنده رجل قاعد، وعليَّ قباءٌ من بزن، والصواب بزيون[٣] وكان أصابه من الغنيمة بأرض الروم، وكان جيبه وفروجه مكفوف بحرير، فلمَّا رأى ذلك الرجل أقبل علي يجاذبني قبائي ليخرقه، فلما رأى ذلك عثمان قال: دع الرجل فتركني، ثمَّ قال: لقد عجلتم، فسألت عثمان فقلت: يا أمير المؤمنين توفي أخي وأوصى بمئة دينار في سبيل الله فوافق ذلك صالح بن فرعون فلم يجئنا غازية فما تأمرني قال: هل سألت أحدًا قبلي. قلت: لا .

قال: لئن استفتيت أحدًا قبلي فأفتاك غير الذي أفتيتك به ضربت عنقك؛ إنَّ الله ﷻ أمرنا بالإسلام فأسلمنا، كلنا فنحن المسلمون، وأمرنا بالهجرة فهاجرنا فنحن المهاجرون أهل المدينة، ثمَّ أمرنا بالجهاد فجاهدتم فأنتم المجاهدون أهل الشام، أنفقها على نفسك أو على أهلك، وعلى ذوي الحاجة ممن حولك؛ فإنَّك لو خرجت بدرهم ثمَّ اشتريت به لحمًا، وأكلت

(١) الاستذكار (٣/ ٢٠٥).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٣٠٣).

(٣) البزيون والبزيون: السندس (قاموس)

أنت وأهلك كتب لك بسبع مئة درهم»[١].

المسألة الرابعة: أرض الرباط وفضلها على مواضع العبادة

الأجر في الجهاد على قدر المشقة، وهو منوط بالنية، والعمل الصحيح الذي يكون مبنيًا على القواعد الشرعيَّة.

والمتقرر بالبديهة والعقل، فضلًا عما جاء في النقل؛ أن الجهاد في المناطق الأكثر ضراوة، وأشد معاناة: أفضل من غيرها في العموم.

فعن أبي صالح الفراء قال: قال سلم الخواص: «بينما أنا ببلد الروم أسير في جوف الليل؛ فإذا هاتف يهتف وهو يقول: القوت كثير لمن يموت، طوبى لمن سكن الثغور»[٢]

قال الألوسي في «سُفرة الزاد»: «تَضاعف ثواب الرباط بحسب المشقة، ضرورة أن الرباط في شهر رمضان والمرابط صائم -على ما هو الظاهر- أشدُّ من الرباط في غيره، ولا يبعد أن يقال: الرباطُ في الشتاء في المواضع الباردة -كأرزن الرُّوم، وساحل نهر طوية ممَّا يلي أفلاق مثلًا- أكثر ثوابًا، وأعظم أجرًا من رباطٍ لا يكون كذلك، فليبشر المرابطون هناك، في أيام البردِ بثوابٍ من الله تعالى جزيلٍ وأجرٍ عظيم»[٣].

وحكى ابن المنذر في «الأوسط» عن الإمام أحمد بن حنبل، أنه سئل: المقام بمكة

---

(١) تاريخ دمشق (١/ ٢٤٨).

(٢) المجالسة وجواهر العلم (٢/ ٢٣٦).

(٣) سُفرة الزاد لِسفرة الجهاد، مع مجموع رسائل (ص٢٤٦) ط: أروقة.

أحب إليك أم الرباط؟ قال: «الرباط أحب إلي».

ونقل حنبل عن أحمد قال: إذا لم يكن للرجل حرمة فالساحل والرباط أعظم للأجر، يَردُّ عن المسلمين، والشام بلد مبارك.

وسأل رجل الإمام مالكًا رحمه الله: أيُّما أحب إليك أقيم بالمدينة الشريفة أو أقيم بالإسكندرية؟

فقال: بل أقم بالإسكندرية»[1].

وقيل لسفيان بن عيينة: يا أبا محمد ما تقول في الرباط وراء جيحون؟

فقال: «لأن أنام على الفراش وراء جيحون -يعني أنوي به الرباط-؛ أحب إليَّ من الطواف بهذا البيت من السنةِ إلى السنةِ صائمًا قائمًا، ومن ألفِ حجة متتابعة»[2]

المسألة الخامسة: فضل الرباط في أرض الشام[3]

عن ابن حوالة، أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق.

قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذاك.

قال: عليك بالشام، فإنَّه خيرة الله من أرضه، يجتبي إليه خيرته من عباده، فإن أبيتم

---

(١) مشارع الأشواق لابن النحاس (ص٢١٠)، وتهذيبه (ص١٨٣).

(٢) ربيع الأبرار (١٨٢)

(٣) عني العلماء في التصنيف في ما يتعلق بفضائل الشام كثيرًا، ومن ذلك كتاب: «فضائل الشام» للحافظ ابن عبد الهادي. و«فضائل الشام» للربعي، و«فضائل الشام» للحافظ أبي سعد السمعاني، و«فضائل الشام» لابن رجب الحنبلي، و«سعاد الأخصَّا بذكر صحيح فضائل الشام والمسجد الأقصى» (معاصر)، وغيرهم.

فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله ﷻ قد توكل لي بالشام وأهله»[1].

قال أرطاة بن المنذر: قال عمر رضي الله عنه: «أعظم النَّاسِ أجرًا: رويجل بالشام آخذ بلجام فرسه يكلأ، من ورائه بيضة المسلمين؛ لا يدري أسبع يفترسه أم هامة تلدغه أو عدو يغشاه».

وكان ابن عيينة[2] وغيره من العلماء يقولون: «من أراد علم السير فعليه بأهل الشام؛ فإنهم لكثرة جهادهم أعلم الناس بأحكام الجهاد».

وعن الإمام الشافعي قال: «من أراد علم الملاحم فعليه بأهل الشام»[3].

وقال مالك بن أنس: قال لي أبو جعفر يومًا على ظهرها أحد أعلم منك؟

قلت: بلى.

قال فسمهم لي.

قلت: لا أحفظ أسماءهم، قال: قد طلبت هذا الشأن في زمن بني أمية فقد عرفته، أمَّا أهل العراق فأهل كذب وباطل وزور، وأمَّا أهل الشام فأهل جهاد ليس عندهم كبير علم، وأمَّا أهل الحجاز ففيهم بقية علمٍ وأنت عالم الحجاز، فلا تردن على أمير

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٧٠٠٥) وإسناده ضعيف، وفي «فضائل الصحابة»، وهو أصح إسنادًا من المسند (١٧٠٧)، ورواه معمر بن راشد (٢٠٤٥٦)، وعبد الرزاق من طريقه (٢٤٨٣) ومن طريقه أحمد في «فضائل الصحابة» أيضًا وهو مرسل (١٧٢٥)، وأبو داود في «سننه» (٢٤٨٣).

(٢) قال محقق «مجموع رسائل ابن رجب» ط: الفاروق «بياض بالأصل»، ولعلها عيينة، وقد رُوي عنه هذا الكلام في تاريخ دمشق (١/ ٣١٦).

(٣) مجموع رسائل ابن رجب «رسالة فضائل الشام» (٣/ ٢٢٧)، ت: الحلواني و(٢/ ١٦٦) ت: النجار.

المؤمنين قوله(١).

وقال خلف بن تميم: رأيت إبراهيم بن أدهم بجبيل، وسألته: منذ كم قدمت الشام؟

قال: مذ أربع وعشرين سنة، فقلت: هنيئًا لك مرابطًا ومجاهدًا.

فقال: «والله ما قدمت مرابطًا ولا مجاهدًا؛ وإنَّما قدمت الشام لأشبع من خبز الحلال، تراني أحمل هذا الحطب من الجبل فأبيعه فلا يراني أحد إلّا قال فلاح أو حمَّال»(٢).

وقال شقيق بن إبراهيم البلخي يقول: لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام، فقلت: يا إبراهيم، تركت خراسان؟

فقال: «ما تهنيت بالعيش إلا في بلاد الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، فمن رآني يقول: موسوس، ومن رآني يقول: حمال».

ثمَّ قال: «يا شقيق لم ينبل عندنا من نبل بالحج، ولا بالجهاد. وإنَّما نبل عندنا من نبل من كان يعقل ما يدخل جوفه، يعني -الرغيفين- من حله، ثمَّ قال: يا شقيق ماذا أنعم الله على الفقراء، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا عن حج، ولا عن جهاد، ولا عن صلة رحم، إنمَّا يسأل عن هذا هؤلاء المساكين، يعني الأغنياء»(٣).

قال أحمد بن داود: سمعت سفيان بن عيينة: وسأله رجل في المسجد الحرام

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٢٩) و(ص١١٠/ المقدمة) ط: الناشر المتميز، مع النظر في كلامه (ليس عندهم كبير علم) بيد أنَّه ليس فيه نفي، ولعلَّ ذلك في زمانه وأقرانه، وإلا فأهل الشام علامة فارقة بين البلدان في العلم، والله أعلم.

(٢) بغية الطلب (٧/ ٣٣٣٥).

(٣) تهذيب الكمال (١/ ٣٣).

ونحن عنده جلوس، يا أبا محمد إنَّا نغزو أرض الروم، فيخرج معنا بالطاحونة؟ فقال: «سل عن هذا أهل الشام، فإنهَّم أعلم به منَّا»(١).

قال الحافظ ابن رجب: «وحاصل ما نُقِل عن الإمام أحمد أنَّه يُسْتَحَبُّ سُكْنَى الشام والانتقال بالذرية والعيال إِلَى معاقلها كدمشق، فأما أطرافها وثغورها القريبة من السواحل فلا يستحب سكناها بالذرية، لما يخشى عليهم من إغارة الكفار، وإنَّما يستحب الإقامة بها للرباط بدون نقل النساء والذرية. وكل ما كان من بلد من بلدانها أقرب إِلَى السواحل، وأشد خوفًا، فإنَّه يكره نقل الذرية إِلَيْهِ.

فأمَّا الأحاديث في فضائل الشام فلا تختص عنده بثغورها، بل هي عامة لجميع أرض الشام، كبيت المقدس، وما والاه ودمشق وغيرها، والله تعالى أعلم.

وكذلك كره الأوزاعي نقل الذرية إلى الثغور التي يخشى عليها من العدو دون الثغور التي يغلب عليها الأمن من العدو.

وفي كتاب «المراسيل» لأبي داود عن الوضين بن عطاء عن مكحول والقاسم أبي عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنزلوا الذرية -يعني- بإزاء العدو»(٢).

وروى جويبر، عن الضحاك، عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يعرض ذريته لسَبَاء المشركين» خرّجه أبو إسحاق الفزاري في كتاب «السير» وهو مرسل، وجويبر ضعيف.

وروى أبو إسحاق عن الحسن بن الحسن عن عمر بن عبد العزيز أنَّه صرف قومًا قدموا عليه من اليمامة أرادوا سُكنى دمشق عنها، فقالوا: اختر لنا، قال: قِنَّسرِين.

---

(١) حلية الأولياء (ترجمة ابن سفيان بن عيينة) (٧/ ٢٩٥).

(٢) المراسيل (٣٤٤).

وهكذا كان عمر بن العزيز يختار لنفسه بلاد قنسرين عَلَى دمشق، وإنَّما اختار هذا لقرب العدو، وكون مقامه فيه أنفع للمسلمين؛ لتجهيز الجيوش ووصول الأخبار، وغير ذلك من مصالح العامة. والله أعلم»[١].

ولما أرسل ابن المنجا إلى القائد صلاح الدين الأيوبي، يستحثه على السكن بمصر، وأورد في ذلك من الآيات والأخبار والآداب والآثار، فرد كما يقول أبو شامة في «الروضتين»: فكتبت إلى زين الدين الواعظ في جوابه عن السلطان.

أمَّا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على اختيار السكنى بالشام، أما فتح دمشق بكر الإسلام، وما ننكر أن الله تعالى ذكر مصر وسماها أرضًا فما الذكر والتسمية في فضيلة القسم، ولا الإخبار عنها دليلًا على الكرم، وإنَّما اكتسبت الفضيلة من الشام بنقل يوسف الصديق إليها عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم المقام بالشام أقرب للرباط، وأوجب للنشاط، وأجمع للعساكر السائرة من سائر الجهات للجهاد[٢].

---

(١) رسالة فضائل الشام (٣/ ١٨٦)، ت: الحلواني و(٢/ ١٢٣)، ت: النجار.

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين (٣/ ٢١٦-٢١٧).



وينبغي أنْ يُعلم أنَّ تصانيف العلماء في باب الجهاد من أعظم أنواع الجهاد، وهي من خير الوسائل -لما في ذلك من إعانة المتعلم وتبصير الجاهل- في الحث على الاقتداء بهدي خير الأنبياء، وبمن لحقه من الصحابة الكرام والتابعين الأعلام، ومن اقتفى أثرهم من ورثة الأنبياء من الصالحين والعلماء.

وقد ألف عدة علماء في الجهاد بطلب من ولاة الأمر

١- فألَّف الحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) كتابه «الأربعون في الحث على الجهاد» للسلطان نور الدين زنكي ﷺ. ونصُّ ذلك: «فإنَّ الملك العادل الزاهد المجاهد المرابط وفقه الله للسداد وأعانه على القيام بمصالح العباد، وأمده من فضله بصالح الإمداد، وأعز نصره بجنده، وشد أزره بالأمداد، أحب أن أجمع له أربعين حديثًا في الجهاد؛ تكون واضحة المتن، متصلة الإسناد، تحريضًا للمجاهدين الأجلاد وأولي الهمم العالية، والسواعد الشداد، وذوي المرهفات الماضية، والأسنة الحداد ليكون لهم تحضيضًا على الصدق عند اللقاء والجلاد، وتحريضًا على قلع ذوي الكفر والعناد؛ الذين سعوا بكفرهم في البلاد، وأكثروا فيها من البغي والفساد، صبَّ عليهم ربنا سوط عذاب، إنَّه لبالمرصاد؛ فسارعت إلى امتثالِ ما التمس من المرادِ، وجمعتُ له ما يرتضيه أهل المعرفة والانتقاد،

واجتهدت في جمعها غايةَ الاجتهاد، رجاءَ أن يحصل لي أجرَ التبصيرِ والإرشاد، والله الموفقُ للصوابِ في الإصدار والإيراد، والمسدِّدُ في الأقوال في الإسهاب والاقتصاد»[١].

٢- وألَّف القاضي ابن شداد (ت ٦٣٢هـ) كتابًا في الجهاد وفضائله وما يتعلق به للسلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

٣- وصنَّف الشيخ مجد الدين طاهر بن نصر الله بن جهبل الحلبي (ت٥٩١هـ) كتابًا في فضائل الجهاد لصلاح الدين[٢].

٤- وألَّف العلامة أحمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ، أبو عبد الله بن المناصف الأزدي القرطبي (ت: ٦٢٠هـ) كتابًا حافلًا، وسمَّاه: «الإنجاد في أبواب الجهاد، وتفصيل فرائضه وسننه، وذكر جمل من آدابه، ولواحق أحكامه»[٣].

٥- وألَّف سلطان العلماء العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) كتابه «أحكام الجهاد

---

(١) مقدمة كتابه (ص٤٨-٤٩)، وصنف أيضًا كتاب وسمَّاه بعنوان: «الاقتداء بالصادق في حفر الخندق»، يحث فيه أهل الشام على الثبات، والتصدي للغزاة.

(٢) انظر: كشف الظنون (٢/ ١٢٧٥).

(٣) قال في «مقدمته» «أمَّا بعد: فإن تقوى الله والتزام أمره هو جماع الخير، وملاكُ الأمر، وفوزٌ في الدَّارين ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٥]. ولمَّا آتى الله في ذلك عبده: السيّد الأجل، المجاهد في سبيل الله، الحريص في التزام حدود الله أبا عبد الله ابن السيّد الأجلِّ أبي حفصٍ ابن الإمام الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه، أوفر حظٍّ، وهداه من ذلك إلى أرشد سبيل، فاعتصم -في مراقبة حدود الشرع فيما يأتي ويذر - بالعُروة التي لا انفصام لها، وكان مما يسَّره الله له واستعمله فيه ملازمة أجلّ الأعمال، وأفضل أنواع الطاعات: جهاد عدو الله في عقر دورهم، وحراسة المسلمين في أقصى ثغورهم، تقبَّل الله قصده وعمله، وأبلغه من مراتب السعادة أمله؛ أجدّ في العزم، وأحفى في الإرشاد على تقييد مجموعٍ في الجهاد وأبوابه، وتفصيل فرائضه وسننه، وذكر جُملٍ من آدابه ولواحق أحكامه، استظهارًا على ما يخصه من ذلك فيما وليه وأخلص فيه عمله، وسباقًا لإحراز الأجرين والجمع بين الحسنيين. فانتدبت لذلك موجهًا قصدي وعملي في سبيل الله، ومشاركًا قدر وسعي ولو بالنية والقول في جهاد عدو الله، وأضرع مع ذلك إلى الله ربنا في قبول ذلك لوجهه الكريم، وأن يوفر الأجر، ويجزل المثوبة لسيدنا المبارك، فيما دعا من ذلك إليه، ودلَّ برأيه الموفق عليه، فجمع له بكرمه -تعالى- فضيلة العلم إلى الجهاد، وتوخّي القول في الطاعة إلى العمل ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣]. ومِنَ الله ربِّنا جلَّت قدرته نرجو الإجابة وكمال الزُّلْفَى بِمَنِّه».

وفضائله»، وقد عاصر دولة المماليك، وشارك في التحريض لقتال المغول.

٦- وألَّف ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) كتابه «الاجتهاد في طلب الجهاد»، للأمير المجاهد المرابطي منجك الكبير، قال في مقدمته: «الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى... أمَّا بعد: فقد أمر من أمره عزّ وغنم، وطاعته فرض وحتم، أعز الله أنصاره، وأدام ملك سلطانه واقتداره أن أكتب ما تيسر من الكتاب والسنة والآثار الحسنة في المرابطة بالثغور المحروسة الإسلامية ليرغب أهلها في ثواب ما أهلهم الله له، من الرباط في الثغور الإسلامية، التي هي حفظ حوزة الإسلام، وأمان الأنام في جميع المعاقل والأمصار، في سائر الليالي والأيام...»[١].

٧- وألف الشيخ الشهيد العالم الجليل ابن النَّحاسِ الدمشقي الدمياطي (ت ٨١٤هـ) كتابه المبارك «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق»، وطبع طبعة مباركة في دار البشائر جزى الله من قام على تحقيقه وطبعه خيرًا.

٨- وألَّف الشيخ محمود بن محمد بن صفي أبو عبد الله الوراقي الذهلي الحنفي. واسم كتابه «تحفة السلاطين في الغزو والجهاد» وأهداه إلى السلطان[٢].

٩- وألَّف الشيخ محمد بن عمر بن حمزة[٣]. كتابًا في «الغزو وفضائل الجهاد».

---

(١) انظر: (ص٦١-٦٢).

(٢) الضوء اللامع (١٠/ ١٤٦) كان فقيهًا عارفًا محققًا مدققًا في مذهبه ذا يد طولى في الفروع والأصول والمعاني والبيان والمنطق والنحو وغيرها كل ذلك مع الصلاح والتخلي للعبادة والتدريس.

(٣) محمد بن عمر بن حمزة، محيي الدين: فقيه، من علماء الدولة العثمانية. كان جده من بلاد ما وراء النهر، وانتقل إلى أنطاكية فولد بها صاحب الترجمة، وتأدب بالعربية. وتنقل في طلب العلم، فزار إيران والحجاز، حاجا ومجاورا، واتصل بالسلطان قايتباي في مصر وألف له كتاب (النهاية) في الفقه. ورحل إلى بلاد الترك بعد وفاة قايتباي (سنة ٩٠٣ هـ فاتصل

وأهداه للسلطان سليم.

١٠- وألَّف محمد بن محمد ابن الشيخ شرف الدين أبي المكارم، حمزة بن عوض، الواعظ المشهور بالديار الرومية، وكان في زمن السلطان سليم، فاجتمع به وحرضه على قتال عساكر في الرافض قزلباش، وألَّف له كتابًا نفيسًا جدًا في «الغزو وفضائله»، وذهب معه إلى حربهم، وكان يعظ الجند في الطريق، ويحرضهم على الجهاد[1].

١١- وألَّف الشيخ علي بن عبد السلام بن علي، أبو الحسن التُّسُولي المالكي (ت ١٢٥٨هـ)، كتابًا واسمه: «أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد».

ومن العلماء من ألَّف في المغازي

فقد حرص المسلمون على تعلم أحكام الجهاد، ومعرفة المغازي وما يتعلق بأرض الرباط، ويخبرنا عن هذا الحرص إسماعيل بن محمد بن سعد، فيقول: «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا، وسراياه ويقول: يا بنيَّ هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها».

وعن عبد الله بن محمد بن علي، عن أبيه، قال: سمعت علي بن الحسين، يقول: «كنَّا نُعلم مغازي النبي ﷺ وسراياه كما نعلم السورة من القرآن»[2].

بالسلطان بايزيدخان، وألف له كتاب (تهذيب الشمائل) في السيرة النبويّة. ورحل إلى حلب فأقام ثماني سنين، ثم استقر في بروسة، وتوفي بها، وقد ولد له نحو مئة ولد، وكان شديد الحملة على المبتدعة، من «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣١٦-٣١٧).

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (٢/ ٥٣-٥٤).

(٢) ذكرهما ابن رجب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١٥٨٩) و(١٥٩٠) و(١٥٩١).

ولهذا الحرص الكبير الذي كان عليه علماء الأمة، نجدهم يؤلفون ويكتبون في ما يتعلق بالمغازي وأخبار الغزاة، ومن هؤلاء:

١- **موسى بن عقبة**، صاحب المغازي، أحد الحفّاظ[1].

٢- **ومنهم**: **أبو إسحاق إبراهيم** بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، له كتاب سمَّاه «السير»، وهو مطبوع بحمد الله.

قال عنه الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «وقد صنَّف أبو إسحاق الفزاري كتابًا كبيرًا في السير فيه علم كبير مما يتعلق بالجهاد لا يكاد يوجد في غيره مجموعًا»[2].

٣- **ومنهم**: **محمّد بن إسحاق المطلبي** صاحب كتاب المغازي، قال الذّهبي: «كان بحرًا من بحور العلم، ذكيًا، حافظًا»[3].

قال الإمام الشافعي: «النَّاسُ عيالٌ على هؤلاء». وقال: «من أراد أن يتبحَّر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق بن يسار»[4].

٤- ومنهم: **إبراهيم بن إسحاق** بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله، أبو إسحاق الحربي. ذكره ابن العماد[5]، وابن الجوزي[6]، والعليمي[7]، وصاحب «المطلع»، و«القطف»، والمرداوي في «الإنصاف» وقال: كان إمامًا في جميع العلوم، متقنًا، مصنفًا، محتسبًا، عابدًا، زاهدًا، نقل عن أحمد مسائل كثيرة جدًا حسانًا جيادًا، أحد

---

(١) تذكرة الحفاظ لابن المبرد (٨٢١).

(٢) فضائل الشام من مجموع رسائله (٣/ ٢٢٧) ت: الحلواني، و(٢/ ١٧٧) ت: النجار.

(٣) تذكرة الحفاظ لابن المبرد (٦١٢).

(٤) مناقبه للبيهقي (١/ ٥٢٢).

(٥) شذرات الذهب (٢/ ١٩٠).

(٦) المناقب (١٢٧).

(٧) المنهج الأحمد (١/ ٢٨٣).

نقلة مذهب أحمد عنه.

ومن المصنفات له -غير ما تقدم- كتاب: «الأدب»، «القضاة والشهود»، «المغازي»، وله سبعة وعشرون مسندًا عن كبار الصحابة[1].

٥- ومنهم: **عبد الرزاق بن همام** بن نافع الحميري، أبو بكر الصنعاني.

قال الذهبي: صنف «الجامع الكبير» وهو خزانة علم، وله غير الجامع كتاب «تزكية الأرواح عن مواقع الأفلاح» و«تفسير القرآن»، وكتاب «السنن» في الفقه، وكتاب «المغازي»[2].

٦- ومنهم: **يونس بن بكير** الحافظ المؤرخ، أبو بكر الشيباني الكوفي الحمال، صاحب المغازي.

حدث عن: الأعمش، وهشام بن عروة، وعمر بن ذر، وابن إسحاق، وكهمس بن الحسن، وخلق. وعنه: ابنه عبد الله، وابن معين، وأبو كريب، وابن نمير، وأبو سعيد الأشج، ومحمد بن عثمان بن كرامة، وأحمد بن عبد الجبار العطاردي، وغيرهم[3].

٧- أبو معشر السندي المدني الفقيه، صاحب المغازي، هو نجيح بن عبد الرحمن.

روى عن: محمد بن كعب القرظي، وموسى بن يسار، ونافع، وابن المنكدر، ومحمد بن قيس، وجماعة. حدث عنه: ابنه محمد، وعبد الرزاق، وأبو نعيم، ومحمد بن بكار، ومنصور بن أبي مزاحم، وغيرهم.

---

(١) تسهيل السابلة (١/ ١٨٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٧٢).

(٣) طبقات علماء الحديث (١/ ٤٧٥).

قال أحمد: «كان بصيرًا بالمغازي، صدوقًا، وكان لا يقيم الإسناد»[١].

٨- ومنهم: **الحافظ عمر بن يوسف بن عبد البر** النمري (ت ٤٦٣هـ)، وله كتاب في المغازي، ولعله ما يزال مخطوطًا[٢].

ومن العلماء من ألف في الرمي وما يتعلق به

ومن هذه الكتب المصنفة في الباب على سبيل الذكر لا الحصر:

١- **كتاب الرمي**، لأبي بكر محمد بن خلف، المعروف: بوكيع الشاعر (ت ٣٠٦هـ)[٣].

٢- **الواضح في الرمي والنشاب**، للطبري[٤].

٣- **فضل الرمي وتعليمه**، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ).

٤- **فضائل الرمي في سبيل الله**، لإسحاق بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن السرخسي الهروي، المعروف بـ القَرَّاب (ت ٤٢٩هـ).

٥- **الفروسية**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، وقد تضمن فصولًا مهمة في الحديث عن الرمي وغيره.

٦- **غرس الأنشاب؛ في الرمي بالنشاب**، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)[٥].

---

(١) طبقات علماء الحديث (١/ ٣٤٦)، والجرح والتعديل (٨/ ٤٩٤).

(٢) ذكره الشيخ أبو الأشبال في تحقيقه لكتاب «جامع بيان العلم» (١/ ١٨).

(٣) كشف الظنون (٢/ ١٤٢١).

(٤) ولا أعلم هل هو ابن جرير الطبري شيخ المفسرين أم غيره؟

(٥) ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٢/ ١٢٠٢)، وقال: «ذكره في (فهرس مؤلفاته)، في فن الحديث».

٧- **القول التام، في فضل الرمي بالسهام**، ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون»[1].

(١) (٢/ ١٣٦٣).

القسم الثاني:

صور من جهاد الصحابة والتابعين والعلماء والأمراء





قال وراق الإمام البخاري صاحب الصحيح ابن أبي حاتم عن الإمام البخاري: ورأيته استلقى على قفاه يومًا ونحن بفربر -حصن من الحصون- في تصنيفِ التفسير، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث.

فقت له: يا أبا عبد الله سمعتك تقول يومًا: إنِّي ما أتيت شيئًا بغير علم قط منذ عقلت، فأيُّ علمٍ في هذا الاستلقاء؟

فقال: «أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة ذلك، فإن غافصنا[١] العدو كان بنا حراك»[٢]. فرضي الله عن الإمام البخاري الذي رابط وصنف وهو في الثغرِ.

وإنني أذكر بإذن الله جملةً من العلماء حدثوا أو صنفوا في أرض الرباط والثغور، والله المعين:

٢٥ إسحاق بن إبراهيم الحنيني مولى العباس (ت ١٦ هـ)

من أهل المدينة، كنيته أبو يعقوب، سكن طرسوس.

---

(١) (غافصنا): بالغين المعجمة: فاجأنا العدو وأخذنا على غرة منا. وبالعينِ المهملة معناه: صارعنا.

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٥-٧٦).

يروي عن: مالك، وهشام بن سعد. وروى عنه: علي بن زيد الفرائضي، وأهل الثغر[١].

٢٦ أبو إسحاق الفزاري إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة، الكوفي (ت ١٨٥هـ)

نزل الشام وسكن المصيصة مرابطًا في سبيل الله[٢]. قال أبو حاتم: «الثقة المأمون الإمام»[٣]. وقال النسائي: «ثقة مأمون، أحد الأئمة». وقال ابن سعد: «أبو إسحاق ثقة، صاحب سُنَّةٍ وغزو»[٤].

وقال أحمد بن عبد الله العجلي[٥]: «كان ثقًة رجلًا صالحًا صاحب سنة، وهو الذي أدب أهل الثغر، وعلمهم السنة، وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه، وكان كثير الحديث، وكان له فقه، وكان عربيًا فزاريًا، أمر سلطانًا ونهاه فضربه مئتي سوط، فغضب له الأوزاعي، وتكلم في أمره»[٦]. ونعته ابن العماد: بالإمام الغازي القدوة، ونقل قول أبي داود الطيالسي: «مات أبو إسحاق الفزاري وما على وجه الأرض أفضل منه»[٧]. وقال إبراهيم بن أبي الوزير، عن سفيان بن عيينة: «كان إمامًا».

وقيل: إنَّ الرشيد أخذَ زنديقًا ليقتله، فقال: أين أنت من ألف حديث وضعتها؟ قال: فأين أنت -يا عدو الله- «من أبي إسحاق الفزاري، وابن المبارك يتخللانها

(١) الثقات لابن حبان (٨/ ١١٥).

(٢) تاريخ الإسلام (٤/ ٧٩٨).

(٣) الجرح والتعديل (٢/ ١٢٩).

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٨٤٤).

(٥) الثقات (١/ ٢٠٥)، وتهذيب الكمال (٢/ ١٦٩)

(٦) الثقات للعجلي (١/ ٢٠٥).

(٧) الأعلام للزركلي (١/ ٥٩).

فيخرجانها حرفًا حرفًا».

وقال أبو صالح الفراء: لقيت الفضيل بن عياض فعزاني بابي إسحاق، قال: «ربما اشتقت إلى المصيصة، ما بي فضل الرباط إلا أن أرى أبا إسحاق»[1].

قال نعيم بن حماد يقول سمعت ابن عيينة يقول: «ما أعلم أحدًا من أهل الإسلام أجدى وأدفع عن أهل الإسلام من أبي إسحاق الفزاري»[2]. وسماه الذهبي بـ «شيخ الثغور»[3].

٢٧ أبو حنيفة الأصغر، الملقب بشمس الأئمة (ت ٥١٢هـ)

مفتي بخارى، أبو الفضل بكر بن محمد بن علي بن الفضل الأنصاري، الخزرجي. قال الذهبي:[4]وتفرد، وعلا سنده[5]، وعظم قدره، حتى كان يقال له: أبو حنيفة الأصغر، وكان يدري التاريخ والأنساب.

وسئل يومًا عن مسألة، فقال: «كررت هذه المسألة ليلة في برج من حصن بخارى أربع مئة مرة».

وفي سيرته: ومتى طلب المتفقه منه الدرس ألقى عليه من أي موضع أراد من غير

---

(١) تهذيب الكمال (٢/ ١٦٧-١٧٠)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٠)، وطبقات علماء الحديث (١/ ٤٠٠).

(٢) الجرح والتعديل (١/ ٢٨٣)، ومقدمة الجرح والتعديل (ص٥٨٠-٥٨١) ط: الناشر المتميز.

(٣) تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٤١).

(٤) كما في «السير» (١٩/ ٤١٥-٤١٧).

(٥) ذكر الشيخ شعيب في «التعليق على السير» في «التحبير» (١/ ١٣٧) «اشتغل بسماع الحديث في صغره، وسمع الحديث الكثير، وتفرد بالرواية في وقته عن جماعة لم يحدث عنهم سواه، وأملى الكثير، وكتبوا عنه ...، كتب إليَّ الإجازة في سنة ثمان وخمس مئة حصلها لي أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ، روى لي عنه جماعة كبيرة بخراسان وما وراء النهر، وكانت عنده كتب عالية ما وقعت إلينا إلا من روايته».

وقال صاحب «الجواهر المضية» (١/ ١٧٢): فمن جملتها «الجامع الصحيح» للبخاري بروايته عن أبي سهل الابيوردي سنة ٤٤٦ هـ، وكتاب «اللؤلؤيات» لأبي مطيع النسفي بروايته عن أبي القاسم الميموني، عن أبي بكر أحمد بن محمد البخاري الاسماعيلي المصنف» اهـ.

مطالعـة، ولا مراجعـة لكتـاب، وكـان الفقهـاء إذا أشـكل علـيهم شـيء رجعـوا إليـه، وحكموا بقوله ونقله[1].

٢٨ الحافظ رجاء بن مرجى بن رافع أبو محمد المروزي (ت ٢٤٩هـ)

قـال عمـر بـن حفـص الأشـقر: لمـا قـدم رجـاء بـن مرجـى المـروزي الحـافظ بخـارى يريـد الخـروج إلـى الشـاش نـزل الربـاط وصـار إليـه مشـايخنا وصـرت فـيمن صـار إليـه، فسـألني عـن أبـي عبـد الله محمـد بـن إسـماعيل، فأخبرتـه بسـلامته، وقلـت لـه: لعلـه يجيئك الساعة، فأملى علينا وانقضى المجلس ولم يجئ أبو عبد الله[2].

٢٩ السلفي الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو طاهر، عماد الدين، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ)

قـال عبـد القـادر الرهـاوي: كـان لـه عنـد ملـوك مصـر الجـاه والكلمـة النافـذة مـع مخالفتـه لهـم في المـذهب، وكـان لا يبـدو منـه جفـوة لأحـد، ويجلـس للحـديث فـلا يشـرب مـاء، ولا يبـزق، ولا يتـورك، ولا يبـدو لـه قـدم، وقـد جـاوز المئـة، بلغنـي أنَّ سلطان مصر حضـر عنده ليسمع؛ فجعل يتحدث مع أخيه فزبرهمـا، وقـال: أيش هـذا، نحـن نقـرأ الحـديث وأنتمـا تتحـدثان! وبلغنـي أنَّـه مـدة مقامـه بالإسكندرية مـا خـرج إلـى فرجـة إلا مـرة واحـدة، ومـا نكـاد نـدخل إلا نـراه مطالعًـا في شـيء، وكـان حليمًـا، ولمـا دخـل الثغـر رآه الفضـلاء والكـبراء فاستحسـنوا علمـه وأخلاقـه وآدابـه؛ فـأكرموه وخـدموه، حـدثني بعـض رفقـائي عـن ابـن شـافع قـال: السـلفي شـيخ العلمـاء، وسـمعت بعض فضلاء همذان يقول: السلفي أحفظ الحفاظ.

---

(١) ينظر: المنتظم (٩/ ٢٠٠)، ومرآة الزمان (٨/ ٤٦).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٣٤٠).

وقال ابن عساكر: سمعت بقراءة السلفي من جماعة، ولم أظفر بالسماع منه، تزوج بالإسكندرية امرأة ذات يسار، وحصلت له ثروة بعد فقر وتصوف، وصارت له بالثغر وجاهة، وبنى له العادل علي بن إسحاق بن السلار؛ أمير مصر مدرسة، ووقف عليها

وقال عبد القادر: كان آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، أزال من جواره منكرات كثيرة، رأيته منع القراء بالألحان، وقال: هذه القراءة بدعة، اقرؤوا ترتيلًا[1].

٣٠ سلمان الفارسي ﷺ، صاحب رسول الله ﷺ (ت ٣٣ أو ٣٦هـ)

سابق الفرس إلى الإسلام، خدم النبي ﷺ وصَحِبَه. قال مكحول الدمشقي: مر سلمان الفارسي على ابن السمط، وهو مرابط في سبيل الله فقال: ألا أرغبك فيما أنت فيه؟ قال رسول الله ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطًا في سبيل الله جرى له عمله، أو نما له عمله، ووقي فتنة القبر»[2].

وعن نعيم بن حماد، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا عبد الله بن المبارك، عن خالد الحذاء عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «البركة مع أكابركم».

قلت للوليد: إنِّي سمعت من ابن المبارك، قال: «في الغزو»[3].

وعن القاسم أبي عبد الرحمن أنَّه حدثه قال: زارنا سلمان الفارسي فصلى الإمام بالناس الظهر، ثمَّ خرج وخرج النَّاس يتلقونه كما يتلقى الخليفة فتلقيته وقد صلى بأصحابه العصر وهو يمشي فوقفنا نسلم عليه فلم يبق فينا شريف إلا عرض عليه أن

---

(١) طبقات علماء الحديث (٤/ ٧٥-٧٦).

(٢) حديث إسماعيل بن جعفر رقم (٢٣٤).

(٣) حلية الأولياء (١/ ١٧١).

ينزل عليه، فقال: إنَّي جعلت في نفسي مرتي هذه أن أنزل على بشير بن سعد فلما قدم سأل عن أبي الدرداء رضي الله عنه، فقالوا: هو مرابط.

قال: وأين مرابطكم؟

قالوا بيروت فتوجه قبله.

فقال: سلمان يا أهل بيروت ألا أحدثكم حديثًا يذهب الله به عنكم غرض الرباط سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رباط يوم صيام شهرين، ومن مات مرابطًا أجير من فتنه القبر، وأجري له صالح عمله إلى يوم القيامة؟»[1].

وقال عقبة بن أبي الصهباء: حدثنا ابن سيرين، قال: حدثنا عبيدة، أن سلمان الفارسي مر بجسر المدائن غازيًا، وهو أمير الجيش، وهو ردف رجل من كندة، على بغل موكوف، فقال أصحابه: أعطنا اللواء أيها الأمير نحمله، فيأبى ويقول: «أنا أحق من حمله»، حتى قضى غزاته ورجع، وهو ردف ذلك الرجل، حتى رجع إلى الكوفة[2].

٣١ سعيد بن أبي سعيد، واسمه كيسان المقبري (ت ١٢٥ هـ)

روى عنه: أبو حازم سلمة بن دينار المدني، وشعبة بن الحجاج، والضحاك بن عثمان الحزامي، وطلحة بن أبي سعيد. يُعرف بسعيد بن أبي سعيد المقبري، بضم الباء وفتحها، منسوب إلى المقابر؛ «لأنَّه كان يسكن عندها».

وقيل: لأنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعله على حفرِ القبور بالمدينة.

---

(١) الجهاد لابن أبي عاصم (ذكر الرباط وفضله) (٣٠٣)، وقصة رباطه في «تاريخ أبي زرعة» (ص٢٢٢).

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٨٦).

قال علي بن المديني، ومحمد بن سعد، وأحمد بن عبد الله العجلي، وأبو زرعة، والنسائي، وعبد الرحمن بن يوسف بن حراش: «ثقة».

زاد ابن حراش: جليل، أثبت الناس فيه الليث بن سعد[١]. روى له البخاري ومسلم.

قال ابن عساكر: «قدم الشام مرابطًا، وحدث بساحل بيروت»[٢].

٣٢ العباس بن الفضل بن شاذان الرازي المقرئ المفسر (ت ٣١٠ هـ)

قرأ القرآن على أبيه عن الحلواني. سمع: محمد بن حميد الرازي، ومحمد بن علي بن شقيق، وأحمد بن أبي سريج الرازي. **مر بقزوين غازيًا فحدث بها سنة [ثلاث مئة و] عشر**. وكان عنده رواية الكسائي، عن أحمد بن أبي سريج.

أخذ عنه: النقاش، ومحمد بن أحمد الداجوني، وابن مجاهد، وأبو علي بن حبش. قال الخليلي: «أدركت بقزوين من أصحابه ثمانية أنفس»[٣].

٣٣ الصفراوي عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل (ت ٦٣٦ هـ)

عالم الإسكندرية، سمع كثيرًا من: أبي طاهر السلفي، وأبي الطاهر بن عوف، وأبي محمد العثماني، وجماعة. وتفقه به أهل الثغر. حدث بالثغر، وبالمنصورة، وبمصر[٤].

٣٤ علي بن إسماعيل بن علي بن حسين بن عطية، الملقب شمس الدين وشهرته بأبي الحسن الأبياري (ت ٦١٦ هـ)

---

(١) تهذيب الكمال (١٠/ ٤٧٠).

(٢) تهذيب التهذيب (١٤/ ٩٦-٩٧).

(٣) تاريخ الإسلام (٧/ ١٥٥).

(٤) السير (٢٣/ ٤١).

قال الحافظ أبو المظفر منصور بن سليم: كان الأبياري من العلماء الأعلام، وأئمة الإسلام، بارعًا في علوم شتى: الفقه وأصوله.

قال ابن فرحون: «درَّس بالثغر المحروس ثغر الإسكندرية، وناب في الحكم عن القاضي أبي القاسم عبد الرحمن بن سلامة القضاعي المالكي، وانتفع به جماعة»[1].

٣٥ أبو القاسم مخلوف بن علي بن جارة المغربي ثمَّ الإسكندري (ت ٥٨٣ هـ)

أحد الأئمة الكبار من المالكية. تفقه به أهل الثغر زمانًا[2].

٣٦ الإمام عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ)

الإمام العابد الزاهد المحدث المجاهد، قال إبراهيم بن شماس: «رأيت ابن المبارك يقرأ كتابًا على النَّاسِ في الثغر»[3]. وسوف تأتي ترجمته مفصلة إن شاء الله.

٣٧ أبو محمد عبد الله بن سعيد الشنتجالي (ت ٤٣٦هـ)

الشيخ الصالح العالم المحدث المرابط، رحل إلى المشرق وجاور بمكة بضعًا وثلاثين سنة، واشتهر هناك وانتفع به، وحصل على منزلة رفيعة في النسك والخير.

سمع من: أبي بكر المطوعي وأبي ذر الهروي وأبي عبد الله الوشا.

وانصرف إلى الأندلس سنة ثلاث وثلاثين راغبًا في الجهاد فلم يزل مثابرًا عليه في الثغور، والناس يأخذون عنه خلال ذلك حدث عنه خلق كثير، وآخر من حدث عنه بالإجازة: أبو

---

(١) الديباج المذهب (٢/ ١٢٢).

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي (١/ ٤٥٣).

(٣) الثقات لابن حبان (٨/ ٧٠).

محمد بن عتاب وله مختصر في الفقه مشهور[١].

٣٨ عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري (ت ٣٨٣هـ)

سمع بالثغور من ابن شبل، وابن عباس، ووهب بن مسرة، ووهب بن عيسى، وأحمد بن خالد التَّاجر، والأنطاكي.

ورحل فدخل العراق، فسمع بها وبالبصرة: من أبي إسحاق المالكي، والدينوري، ونظائهما. وببغداد أبا بكر الأبهري، وأبا علي الصواف، وابن مالك، وأبا بكر الشافعي، وابن مقسم، وغيرهم.

انصرف إلى الأندلس ولزم العبادة والجهاد، ووليَ قضاء بلده، ثمَّ استعفى فعوفي.

قال ابن الفرضي: وكان فقيهًا فاضلًا، ديّنًا ورعًا، صليبًا في الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، ما كنَّا نشبهه إلا بسفيانَ الثوري في زمانه.

وأنكر على بعض أصحاب السلطان في ناحيةٍ شيئًا، فسُعي به وعهد بإسكانه قرطبة، فقدمها، فحدث بها، وسمع منه خلق كثير[٢].

قال ابن الحذّاء: وكان رجلًا صالحًا فاضلًا، زاهدًا، وبطلًا شجاعًا منقطع القرين. قال ابن الفرضي: «بلغني أنَّه كان يقف وحده للفئة».

وقال ابن الحذاء: «يذكر عنه أهل جهته في هذا الباب، مقامات مشهورة، منها: أنَّ العدو قصد بلدهم في نحو ثلاثة آلاف فارس، وكان قائد القلعة شجاعًا أيضًا،

---

(١) الديباج المذهب لابن فرحون (ص٨٠).

(٢) وهكذا هم العلماء الربانيين ينفعون أينما حلوا، وهم كما قيل: «العالم كالعين العذبة نفعها دائم».

وكما قيل: «العالم كالسراج من مرَّ به اقتبس» كما في «المجموع شرح المهذب» للنووي (١/ ٢٠)، و«نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف» (ص٣٨).

فاجتمعا فقال أبو محمد: معنا خمسمئة فارس، وأنت تعدّ بخمسمئة فارس، وأنا بخمسمئة فارس، فقد وجب علينا لقاؤهم بنص الكتاب. فأطاعه الناس وبدروا إليهم، فظهروا عليهم وانهزم العدو، وتحكموا فيهم قتلًا وغنيمة. فحسن ظن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ»(١).

٣٩ عبد الله بن وهب (ت ١٩٧ هـ)

مولى يزيد بن رمانة، ويقال: بني فهر. قال الدارقطني: مولى يزيد بن ربابة.

قال أبو عمر: يقولون إن مالكًا لم يكتب لأحد بالفقيه، إلا إلى ابن وهب، وقال ابن وضاح وكان يكتب إليه: «عبد الله بن وهب فقيه مصر».

قال محمد بن عبد الحكم: «هو أثبت الناس في مالك».

سأل رجل علي بن معبد عن مسألة، وكان بالإسكندرية مرابطًا، فقال: «ما كنت لأجيب بموضع فيه ابن وهب، فأذهب فأسأله».

قال ابن أخيه: كنت معه **بالإسكندرية مرابطًا**، فاجتمع الناس عليه يسألونه نشر العلم، فقال لي: «هذا بلد عبادة».

وقال: ما أمهد لنفسي فيه مع شغل الناس، فترك الجلوس لهم في الأوقات التي كان يجلس، وأقبل على العبادة والحراسة، فبعد يومين أتاه إنسان فأخبره، أنَّه رأى نفسه في المسجد الحرام، والنبي ﷺ فيه، وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وأنت بين يديه وفي المسجد قناديل تزهر أحسن شيء وأشدها ضياء، إذا طفيت منها قنديلًا فانطفأ. فقال لك رسول الله ﷺ: قم يا عبد الله أوقده، فأوقدته ثم آخر كذلك

---

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٢٤-٢٧).

ثم أقمت أيامًا فرأيت القناديل كلها همت أن تطفأ، فقال أبو بكر يا رسول الله: أما ترى هذه القناديل. فقال ﷺ: هذا عمل عبد الله يريد أن يطفيها.

فبكى ابن وهب، وقال له الرجل: جئت لأبشرك ولو علمت أنه يغمك لم أأتك.

فقال: خير هذه الرؤيا وعظت بها نفسي، ظننت أنَّ العبادة أفضل من نشر العلم، فترك كثيرًا من عمله للعلم، وحبس نفسه لهم يقرأون عليه ويسألونه[١].

٤٠ أبو عمر الطلمنكي (ت ٤٢٩ هـ)

الإمام، المقرئ، المحقق، المحدث، الحافظ، الأثري، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن أبي عيسى بن قزلمان المعافري.

صنَّف كتبًا كثيرة في السنةِ يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته واتباعهِ للأثرِ.

قال ابن الحصار الخولاني: كان من الفضلاء الصالحين، على هدي وسنّة.

وقال ابن بشكوال: «كان سيفًا مجردًا على أهل الأهواء والبدع، قامعًا لهم، غيورًا على الشريعة، شديدًا في ذات الله، أقرأ النَّاس محتسبًا، وأسمع الحديث، والتزم للإمامة بمسجد منعة، ثمَّ خرج، **وتحول في الثغر وانتفع الناس بعلمه**، وقصد بلده في آخر عمره، فتوفي بها».

قال ابن الحذاء: «وكان فاضلًا شديدًا في كتاب الله تعالى، سيفًا على أهل البدع، سكن قرطبة وأقرأ بها، ثم سكن المرية، ثمَّ البيرة، ثم سرقسطة، ثم **عاد الى بلده طلمنكة مرابطًا** فتوفي بها»[٢].

---

(١) ترتيب المدارك (٣/ ٢٣٢-٢٣٥).

(٢) ترتيب المدارك (٨/ ٣٣)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٦-٥٦٨)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٩٩- ١١٠٠)، وطلمنك - بفتحات ونون ساكنة -: مدينة أندلسية استولى عليها العدو قديمًا.

٤١ عيســى أبو الروح الزواوي بن مســعود بن المنصــور بن يحيى بن يونس بن يوينو بن عبد الله بن أبي حاج الحميري المالكي (ت ٧٤٣ هـ)

كان فقيهًا عالمًا متفننًا في العلوم. تفقه ببجاية على أبي يوسف يعقوب الزواوي، وقدم الاسكندرية وتفقه بها، ثم رحل إلى قابس فأقام بها مدة، وولي القضاء بها ثمَّ رحل إلى ثغر الإسكندرية فأقام بها مدة يسيرة، ثمَّ رحل إلى القاهرة فأقام بها يشغل الناس في العلوم بالجامع الأزهر. وسمع كتب الحديث الستة، وحدَّث عن شرف الدين الدمياطي[(١)].

٤٢ محمد بن يوسف الفريابي (ت ٢١٢ هـ)

الإمــام، الحــافظ، شــيخ الإســلام، أبــو عبــد الله الضــبي مــولاهم، نزيــل قيســارية الساحل من أرض فلسطين.

سـمع مـن: يـونس بـن أبـي إسـحاق، وفطـر بـن خليفـة، ومالـك بـن مغـول، وعمـر بـن ذر، والأوزاعـي، والثـوري - فـأكثر عنـه - وإسـرائيل، وجريـر بـن حـازم، وعيسـى بـن عبد الرحمن البجلي.

قـال عبـاس الترقفـي عـن الفريـابي: قـال لـي سـفيان الثـوري يومًـا، وقـد اجتمـع النـاس عليـه: «يـا محمـد تـرى هـؤلاء مـا أكثـرهم ثلـث يموتـون، وثلـث يتركـون هـذا الـذي يسمعونه، ومن الثلث الآخر ما أقل من ينجب».

وقـال إبـراهيم بـن أبـي طالـب: سـمعت محمـد بـن سـهل بـن عسكر: خرجنـا مـع محمـد بن يوسف الفريابي في الاستسقاء، فرفع يديه، فما أرسلهما حتى مطرنا».

---

(١) الديباج المذهب (٢/ ٧٢).

روى له الجماعة[1]. ورحل إليه أحمد، فلما قرب من قيسارية، نعي إليه، فعدل إلى حمص[2].

قال شيخ الإسلام: «السلف كانوا يستثنون في الإيمان، فيقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، وعلى ذلك كان أهل الثغر -عسقلان وما يقرب منها- فإنَّه كان قد سكنها محمد بن يوسف الفريابي، وكان يأمر بذلك، وكان شديدًا على المرجئة، وعامة هؤلاء القوم جيران عسقلان، ثمَّ صار كثير منهم يستثنى في الأعمال الصالحة، فيقول: صليت إن شاء الله، وهو يخاف أن لا يكون أتى بالصلاة كما أمر، ولا تقبلت منه، فيستثنى خوفًا من ذلك. وصنَّف في ذلك بعض أهل الثغر مصنفًا»[3]. فتبين لنا بهذا القول ثناء شيخ الإسلام عليه بما كان فيه من سكناه الثغر، وإنكاره البدع، والله أعلم.

٤٣ محمد بن يوسف ابن محمد أبو عبد الله الأموي مولاهم القرطبي النجاد المقرئ خال أبي عمرو الداني (ت ٤٢٩ هـ)

من أهل الضبط والإتقان والمعرفة بما يقرئ مع نصيب وافر من العربية وعلم الفرض والحساب. أقرأ النَّاس بقرطبةٍ في مسجده من بعد سنة اثنتين وثمانين، ثمَّ نزح في الفتنة وسكن الثغر وأقرأ النَّاس به دهرًا، ثمَّ رُدَّ إلى قرطبة وبها توفي[4].

٤٤ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحذاء التميمي (ت ٤١٦ هـ)

لقي جماعة من الشيوخ: ابن بطال، وابن السليم، والأنطاكي، وابن عون الله، والقلعي، وغيرهم، ثمَّ رحل فلقي بن أبي زيد بالقيروان، وتفقه معه جماعة وحمل عنه تآليفه.

---

(١) تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٨).

(٢) السير (١٠/ ١١٤-١١٧).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٢٩).

(٤) معرفة القراء الكبار (١/ ٣٨٨-٣٨٩).

له شرح في الموطأ سمَّاه «كتاب الاستنباط لمعاني السنن والأحكام من أحاديث الموطأ» ثمانون جزءًا، و«كتاب التعريف برجال الموطأ أربعة أسفار»، وغيرها من الكتب والمؤلفات. لحقته فتنة البرابر فخرج إلى ثغر الأندلس فولي القضاء بتطيلة، ثمَّ استوطن سرقسطة حتى مات بها[(١)].

وقد ذكر الإمام ابن حبان في «الثقات» جماعة لم أذكرهم وأكتفي بما ذكرت هنا، ولو تتبعنا من كتب وصنف في الثغور لما وسعنا المقام، والله الموفق.

---

(١) الديباج لابن فرحون (٢/ ٢٣٧).

وأما من ولي القضاء من العلماء في الثغور فجماعات كُثر، منهم:

٤٥ أسد بن الفرات أبو عبد الله الحراني ثم المغربي (ت ٢١٣ هـ)

الإمام، العلامة، القاضي، الأمير، مقدم المجاهدين، أبو عبد الله الحراني، ثم المغربي. قال بعضهم: ولد بحرّان من ديار بكر. وقيل: بل قدم أبوه وأمه حامل.

أحد كبار أصحاب مالك، روى «الموطأ»، ورحل إلى الكوفة فأخذ عن أهلها.

قال أسد بن الفرات: لزمت أنا وصاحب لي مالكًا، فلمَّا أردنا الخروج إلى العراق أتيناه مودعين له، فقلنا له أوصنا. فالتفت إلى صاحبي وقال: أوصيك بالقرآن خيرًا، والتفت إليَّ وقال: أوصيك بهذه الأمة خيرًا. قال أسد: «فما مات صاحبي حتى أقبل على العبادة والقرآن، وولي أسد القضاء»[١].

دخل القيروان مع أبيه في الجهاد، وكان أبوه الفرات بن سنان من أعيان الجند.

روى: أسد، عن مالك بن أنس (الموطأ)، ويحيى بن أبي زائدة، وجرير بن عبد الحميد، وأبي يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن.

وغلب عليه علم الرأي، وكتب علم أبي حنيفة.

قال الذهبي: «كان مع توسعه في العلم فارسًا، بطلًا، شجاعًا، مقدامًا، زحف إليه صاحب صقلية في مئة ألفٍ وخمسين ألفًا»[٢].

وكان يقول: «ضربنا في طلب العلم آباط الإبل، واغتربنا في البلدان ولقينا العلماء،

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ١٣٧)، قلت: وهذه من فراسته ﵀.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٥-٢٢٨)، وفي «معجم البلدان»: سرقوسة: أكبر مدينة بجزيرة صقلية. وانظر «ترتيب المدارك» (٢/ ٤٧٧) وفيه: وتوفي وهو محاصر سرقوسة.

وغيرنا إنما طلب العلم خلف كانون أبيه ووراء منسج أمه، ويريدون أن يلحقوا بنا!».

ومن فوائدِهِ قوله: «أهل الكوفة إذا أرسلوا في الرواية عن عبد الله فهو ابن مسعود، وأهل المدينة إذا أرسلوا عن عبد الله فهو ابن عمر»[1].

وكان بطلًا شجاعًا زحف إليه ملك صقلية في مئة ألف وخمسين ألفًا.

ويقال: إنَّ أسدًا قال: أيُّها الأمير، عزلتني عن القضاء؟

فقال: لا، ولكن زدتك الإمرة وهي أشرف؛ فأنت أمير وقاض[2].

مضى الإمام أسد بن الفرات غازيًا أميرًا من قبل زيادة الأغلبي أمير القيروان، فافتتح بلدًا من جزيرة صقلية، ومات هناك في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائتين.

٤٦ ثابت بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي (ت ٢٠٨ هـ)

أخو أحمد بن نصر الشهيد (ت ٢٣١هـ).

قال الخطيب البغدادي: كان يتولى إمارة الثغور، ولي الثغور سبع عشرة سنة، وحسن أثره فيها، ويذكر عنه فضل وصلاح[3].

٤٧ الحسن بن علي بن الحسن بن حربٍ (ت٣٣٤هـ)

ذكره أبو علي القشيري في «تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) طبقات علماء القيروان (١/ ٢٦٧).

(٢) تاريخ الإسلام (٥/ ٢٧٤).

(٣) تاريخ بغداد (٨/ ١٥).

والتابعين والفقهاء والمحدثين» ونعته بـ «**قاضي الثغور**»[١].

٤٨ الحسين بن الحسين بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأنطاكي (ت ٣١٩ هـ)

يعرف «بقاضي ثغور الشام»، ويعرف «بابن الصابوني»، قدم بغداد، وحدث بها عن أبي حميد أحمد بن محمد بن المغيرة الحمصي، وحميد بن عياش الرملي، ومحمد بن سليمان بن أبي فاطمة، ومحمد بن أصبغ بن الفرج.

روى عنه: أبو بكر الشافعي، ومحمد بن عبيد الله بن الشخير، وأبو الحسن الدارقطني، وأبو حفص بن شاهين، ويوسف بن عمر القواس، وغيرهم[٢].

٤٩ ابن الجرج أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني المالكي (ت ٦٥٦هـ) نزيل الثغر.

كان من صلحاء العلماء، سمع بسبته الموطأ من أبي محمد بن عبيد الله الحجري[٣].

وعن يعقوب بن سفيان، قال: «ذاكرني زيد بن بشر فقال: قد أقمت بمصر أفحي أبواك؟ فقلت: أما الأم فنعم وقد عزمت أن أحج العام وأخرج إليها فقال: سبحان الله وتقيم إلى إبان[٤] الحج ثم تحج وتخرج إليها وما يؤمنك أن تموت فتبقى غصة[٥] في نفسك؟ ثمَّ قال: ما كنت أظن أنك ترضى لنفسك هذه المنزلة تغيب عن أمك في طلب العلم فقلت: إنهَّا راضية بغيبتي عنها فقال: لا تقل ذلك فإن أصحابنا كانوا إذا

---

(١) تاريخ الرقة (ص١٨٤).

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٥٦٨)، والثقات لابن حبان (٨/ ٢٠).

(٣) حسن المحاضرة (١/ ٤٥٧).

(٤) الإبان: الوقت والأوان.

(٥) الغصة: ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب.

طعنوا في السن لحقوا بالرباط بالإسكندرية ورفضوا الفسطاط.

قال: فأخبرني أبو عمر بن إدريس بن يحيى الخولاني وكنا نقول: إنَّه من الأبدال، بل كان كذلك.

قال: لما طعن أبي في السن لحق بالإسكندرية للرباط فأقام بها ورفض الفسطاط قال: وكانت أمي حية فإذا كان أيام الرباط استأذنتها فتأذن لي فأخرج إلى الإسكندرية فأرابط بها الشهر أو الأكثر ثم أقدم عليها فمات أبي فلما كان أيام الرباط استأذنتها في الرباط فقالت: يا بني أخبرك بحالي وأنت أمير نفسك والله يا بني ما خرجت قط إلى الإسكندرية إلا وقلبي معلق بيدي حتى ترجع إلي فقلت: يا أمه فما لك لم تخبريني بهذا؟ حتى كنت لا أخرج قالت: يا بني كان أبوك حيا وكنت أرى أنَّ له عليك حقًا وبرًا فكنت أرى وأوجب على نفسي أن أصبر لما يجب لأبيك عليك من الحق والبر فلما أن مات أبوك فإن شئت أن تخرج إلى الرباط على ما أعلمتك فاخرج قال: فقلت: «معاذ الله أن أخرج على ما تصفين ولو علمت من قبل الحال ما كنت لأخرج فتركت الرباط حتى ماتت أمي»[1].

٥٠ جعفر بن عبد الواحد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب من ساكني بغداد، وأصله بصري (ت ٢٦٨هـ)

خرج إلى الثغر قاضيًا فمات به، وكان ثقة. روى عنه: أبو داود، فيما ذكره أبو علي الجياني ومسلمة[2].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٣/ ٤٥٣).

(٢) إكمال التهذيب لمغلطاي (٢/ ٢٢٥).

٥١ عبد الواحد أبو محمد بن شرف الدين بن المنير (ت ٧٣٦ هـ)

هو ابن أخي القاضي ناصر الدين بن المنير.

كان هذا الرجل «شيخ ثغر الإسكندرية»، ويلقب بعز القضاة، وكان فقيهًا فاضلًا أديبًا، وعمر وانتفع الناس به، جمع تفسيرًا حسنًا في عشرة مجلدات[١].

٥٢ أحمد بن خالد أبو جعفر الخلال العسكري قاضي الثغر (ت ٢٤٦ هـ)

ذكره الخطيب، وقال مسلمة بن قاسم: بغدادي ثقة[٢].

٥٣ أحمد بن محمد بن أحمد العكي اللوشي أبو جعفر بن الأصلع (ت ٦٢٤ هـ)

قال ابن عبد الملك: كان من جلة أهل بلده وأعيانهم، متقدما في تجويد القرآن والعربية والرواية للحديث، تلا على أبي العباس الأندرشي، وأخذ كتاب سيبويه عن أبي بحر علي بن جامع وأبي محمد القاسم بن دحمان، وروى عن أبيه والسهيلي وابن بشكوال.

وعنه ابن الطيلسان، وتصدر ببلده للإفادة، مات بأندوجر أسيرًا بأيدي الروم رحمه الله[٣].

٥٤ أبو عبيد القاسم بن سلّام البغدادي اللغوي الفقيه (ت ٢٢٤هـ)

كان حافظًا للحديثِ وعلله، عارفًا بالفقه والاختلاف، رأسًا في اللغة، إمامًا في القراءات له فيها مصنف. ولي قضاء الثغور مدة[٤]. وستأتي ترجمته -بعون الله-.

---

(١) الديباج المذهب (٢/ ٦٢).

(٢) إكمال التهذيب (١/ ٣٩).

(٣) بغية الوعاة (١/ ٣٦٠).

(٤) طبقات علماء الحديث (٢/ ٦٤).

٥٥ موسى بن داود الضبي الحافظ أبو عبد الله الكوفي، قاضي طرسوس (ت ٢١٦هـ)

سمع: شعبة، وسفيان، ومبارك بن فضالة، وجرير بن حازم، ومالكًا، والليث، وطبقتهم. وعنه أخذ: أحمد، والذهلي، وعباس الدوري، وآخرون[١].

قال في «تاريخ بغداد» قال أبو الحسن الدارقطني، قال: «موسى بن داود أبو عبد الله الضبي القاضي أصله كوفي، ثمَّ نزل بغداد، وكان مكثرًا مصنفًا مأمونًا، ولي قضاء الثغور فحُمِد فيها»[٢].

٥٦ السفاقسي أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام المعمر، المسند، الفقيه (ت ٦٥٤ هـ)

شرف الدين، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام بن عتيق بن محمد التميمي، السفاقسي، المغربي، ثم الإسكندراني، المالكي، المعروف: بابن المقدسية، ابن أخت الحافظ علي بن المفضل المقدسي.

«ناب في القضاء بالثغر وقتًا»[٣].

ويقال لمن يسكن الثغور: الثغري، ومَن أكثر من شيء عرف به، ولما ترجم الحافظ أبو طاهر السلفي لمشايخه ومن سمع منهم في كتابه «معجم السفر»[٤] نجد

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٧)، وقيل سنة (٢١٨)، وقيل سنة (٢١٩)، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٥/ ٢١).

(٢) تاريخ بغداد (١٥/ ٢١).

(٣) السير (٢٣/ ٢٩٥-٢٩٦).

(٤) انظر: رقم (٦١)، و(٧٠)، (٨٥)، و(٨٨)، و(٤٦٥)، و(٤٦٨)، و(٥٢٧)، وقال عبد الله بن جابر بن عبد الله العكي المالقي، قدم الثغر للحج، وسمع عليَّ كثيرًا وكان من أهل العلم والخير، و(٥٥٨)، و(٦٥٨)، و(٦٦٦)، و(٧٥٤)، و(٧٨٦)، وذكر جماعة فليرجع للكتاب فهو زاخر بالحكم والشعر والحكايات والدرر.

أنَّه ذكر جماعة كثر لزموا الثغر وسكنوا فيه، وكذا الإمام ابن أبي حاتم ﷺ في كتابِ «الجرح والتعديل»، ذكر أيضًا جماعة أنهم سكنوا الثغور، وهم:

٥٧ أحمد بن حرب الموصلي (ت بين ٢٦١-٢٧٠هـ)

أخو علي بن حرب الموصلي، كان سكن الثغر. قال: روى عن أبي معاوية الضرير، وأدركته ولم أكتب عنه، وكان صدوقًا[١].

٥٨ إبراهيم بن يزيد بن قديد.

وكان يسكن الثغر، روى عن الأوزاعي. وروى عنه: سعد بن عبد الحميد بن جعفر[٢].

٥٩ أشعث بن شعبة المصيصي (ت ١٩١-٢٠٠ هـ)

روى عن: أرطاة بن المنذر، وحنش بن الحارث.

وروى عنه: محمد بن عيسى ابن الطباع، وأحمد بن عمرو بن السرح، سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك، وزاد أبي: وروى عنه المسيب ابن واضح.

قال أبو محمد: روى هو عن إبراهيم بن أدهم.

روى عنه: سلمة بن عقار، والحسن بن الربيع. وهشام بن المفضل أصله خراساني

---

(١) الجرح والتعديل (١٠/ ٥٠)، وهذا يعرف بأبي بكر الطائي، وهو غير أحمد بن حرب الطائي (ت ٢٣٦هـ).

(٢) (١٠/ ١٤٦-١٤٧)، ومن حواشي تهذيب الكمال (١/ ٢٤٥)، ذكره البخاري فقال: إبراهيم بن يزيد بن قديد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة - مرفوع: إذا دخل بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين «سمع منه سعد بن عبد الحميد. قال أبو عبد الله: هذا لا أصل له» تاريخه الكبير (١/ ١/ ٣٣)، وتناوله الحافظ ابن عدي وأورد حديثه هذا، وقال: وإبراهيم بن يزيد هذا لا يحضرني له حديث غير هذا، وهذا بهذا الإسناد منكر» وتناوله الذهبي في «الميزان» (١/ ٧٤) وأورد الحديث وقولي البخاري وابن عدي فيه.

سكن الثغر[١].

٦٠ أبو الحسن علي الإسكندراني بن المفضل ابن القاضي الأنجب أبي المكارم المقدسي، ثمَّ المالكي (ت ٦١١ هـ)

ولد سنة أربع وأربعين وخمسمئة، «**وتفقه بالثغر**» على الإمام الصالح ابن بنت معافى، وأبي الطاهر بن عوف وعبد السلام بن عتيق السفاقسي، وأبي طالب اللخمي، وسمع منهم ومن الحافظ السلفي فأكثر عنه وانقطع إليه وتخرج به وبطلبته.

قال الذهبي: له تصانيف مفيدة، رأيت له في سنة ست وثمانين وستمئة كتابًا في الصيام بأسانيده، وكان ذا ورع ودين مع أخلاق رضية ومشاركة في الفضائل[٢].

٦١ ابن العمادية (ت ٦٧٣هـ)

الإمام الحافظ المفيد الرحال، وجيه الدين أبو المظفر منصور بن سليم بن منصور بن فتوح الهمداني الإسكندراني الشافعي، «**محتسب الثغر**».

ولد سنة سبع وستمئة، وسمع من محمد بن عماد والصفراوي وجعفر الهمداني وطبقتهم، وفي الرحلة من ابن روزبة والقطيعي وابن الخازن وطبقتهم، وبمصر من علي بن مختار وبابته، وبدمشق من مكرم، وبحماة من ابن رواحة، وبحلب من يعيش النحوي، وبحران من حمد بن صديق، وبمكة من أبي النعمان التبريزي.

وصنَّف «المعجم» و«الأربعين البلدانية» و«تاريخ بلده» في مجلدين وغير ذلك،

---

(١) (١٠/ ٢٧٣-٢٧٤).

(٢) تذكر الحفاظ (٤/ ١٢٣)، والسير (٢٢/ ٦٦).

وعني بالحديث وفنونه ورجاله وبالفقه، وكان موصوفًا بالديانة والثقة والمروءة، وكان محسنًا إلى الرحالة لين الجانب، كتب عنه الدمياطي وعز الدين الحسيني والقاضي سعد الدين الحارثي وغيرهم ولم يخلف بعده في الثغر مثله.

قال السيوطي: «ولم يخلف بعده في الثغر مثله»[1].

٦٢ عثمان بن طلحة الزبيري بن محمد بن عثمان بن طلحة بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام (ت ٢٧٠-٢٧٣هـ)

دخل قزوين مرابطًا وأقام بها. سمع سليمان الشاذكوني، وبندارًا، وأبا موسى، وأقرانهم مات سنة نيف وسبعين ومائتين[2].

٦٣ عمر بن يزيد السياري أبو حفص الصفار مات سنة (بضع وأربعين ومائتين).

بصري نزل الثغر، ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال: «مستقيم الحديث»[3].

٦٤ داود بن منصور النسائي (ت ٢٢٣ هـ)

نزل بغداد، ثمَّ ولي قضاء المصيصة وسكنها، ويقال له: أبو سليمان الثغري بالمثلثة والغين المعجمة[4].

روى عن: جرير بن حازم، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، والليث بن سعد، وإبراهيم بن طهمان، ومحمد بن راشد المكحولي، وطائفة.

---

(١) (٤/ ١٧٢)، وطبقات علماء الحديث (٤/ ٢٥١)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٥٦).

(٢) الإرشاد الخليلي (٢/ ٧٦٩).

(٣) إكمال التهذيب (١٠/ ١٣٢)، والثقات (٨/ ٤٤٦).

(٤) تقريب التهذيب (١/ ٢٨٠).

وعنه: يوسف بن مسلم، وأبو حاتم، وعبد الكريم الدَّيْر عاقولي[١].

٦٥ سعيد بن نصير الإمام المحدث أبو عثمان البغدادي الوراق (ت ٢٥١-٢٦٠هـ)

مصنف كتاب البكاء وكتاب العوائد، سكن الثغور والرقة.

يروي عن: سفيان بن عيينة، ووكيع، والقواريري.

روى عنه: أبو داود، والنسائي خارج السنن[٢].

٦٦ عبيد بن وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي، أخو سفيان بن وكيع

نزل الثغر، روى عن: أبيه وكيع بن الجراح.

روى عنه: النسائي وجماعة، وقال: «شويخ لا بأس به»[٣].

٦٧ داود بن معاذ العتكي أبو سليمان البصري ابن بنت مخلد بن الحسين، بصري سكن المصيصة (ت ٢٣٣هـ)

كان صوامًا قوامًا، قانتًا لله[٤].

روى عنه: أبو داود، وأحمد بن عبد الوهاب التميمي المصيصي، وجعفر بن محمد الفريابي، والحسين بن منصور الرماني المصيصي، وأبو الهيثم خالد بن يزيد، وعبد الله بن الحسين بن جابر المصيصي، وعثمان بن خرزاذ الأنطاكي، وعلي بن

---

(١) تذهيب تهذيب (٣/ ١٧٣).

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٠).

(٣) تهذيب الكمال (١٩/ ٢٤٨).

(٤) تذهيب تهذيب (٣/ ١٧٣).

محمد بن علي بن أبي المضاء قاضي المصيصة[١].

٦٨ ابن عين الدولة محمد بن عبد الله بن الحسن الإسكندراني (ت ٦٣٩هـ)

ولي قضاء الثغر من أقاربه ثمانية، ثمَّ استقل بقضاء القاهرة سنةَ ثلاث عشرة، ثمَّ ولي قضاء الإقليم سنة سبع عشرة.

وله فقه، وفضائل، ونظم ونثر مع العفة والنزاهة[٢].

٦٩ لوين؛ أبو جعفر محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي (ت ٢٤٥هـ)

ولوين لقبه، روى عن: إبراهيم بن سعد، وبقية بن الوليد، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، وشريك بن عبد الله، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ومالك بن أنس.

وكان ممَّن يؤثر نزول الثغور، وآثر المصيصة على ما سواها، وكان معروفًا بلوين، وكان لا يكره أن يلقب بلوين، ويقول: لوين تصغير لون، وذكر أنَّه كان له حلقة أيام سفيان بن عيينة في الفرائض.

حدث عن: مالك بن أنس، وسليمان بن بلال، والفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، والأئمة[٣].

وقال أبو جعفر محمد بن علي المري الطرائفي: «مات سنة خمس وأربعين ومئتين بالثغر، وكنت ممَّن صلى عليه»[٤].

---

(١) تهذيب الكمال (٨/ ٤٥١)، وينظر: «الجرح والتعديل» (٣/ ٤٢٥)، و«تهذيب التهذيب» (٣/ ١٧٥).

(٢) السير (٢٣/ ١٠٦).

(٣) طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٤٤٦).

(٤) تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٠١).

٧٠ **ميمون بن عون.**

كان من العرب الذين تبنكوا خراسان، قال للخليفة موسى الهادي بالله: «**أسألك أن تأذن لي فأقيم بثغر قزوين مرابطًا فأذن له**»، فدخل قزوين، ودخل المدينة التي بناها الخليفة الهادي، وتعرف بمدينة موسى، فبنى بها دارين، **ورابط فيها، وولد له ابنان**؟[1].

---

(١) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢/ ٧٠٧)، و«التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ٣٧).

صور من نصائح العلماء للأمراء تحريضًا على الجهاد، وحفظًا للبلاد

٧١ الأوزاعي (ت ١٥٧هـ) عالم الشام ومحدثها.

قال سالم بن جنادة: حدثنا أبو سعيد التغلبي قال: لما خرج إبراهيم، ومحمد على المنصور أراد أهل الثغور أن يعينوه عليهما فأبوا ذلك، فوقع في يد ملك الروم ألوف من المسلمين أسرى، وكان ملك الروم يحب أن يفادي بهم، ويأبى أبو جعفر، فكتب إليه الأوزاعي، أمَّا بعد: فإنَّ الله استرعاك هذه الأمة لتكون فيها باللين قائمًا وبنبيه ﷺ في خفض الجناح والرأفة متشبهًا، وأنا أسأل الله أن يسكن على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة، ويرزقه رحمتها، فإن سائخة المشركين وموطأهم حريم المسلمين، واستنزالهم العواتق من المعاقل لا يلقون لهنَّ ناصرًا ولا عنهنَّ مدافعًا، كاشفات عن رؤوسهنَّ وأقدامهنَّ، وكان ذلك من الله بمرأى وبمسمع، فليتقِ الله أمير المؤمنين وليسع بالمفاداة فيهم من الله سبيلا، وليخرج من حجة الله عليه، فإن الله قال لنبيه: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ [النساء: ٧٥]، والله يا أمير المؤمنين ما لهم يومئذ فيء موقوف، ولا ذمة تؤدي خراجا إلا خاصة أموالهم، وقد بلغني عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إنِّي لأسمع بكاء الصبي في الصلاة فأتجوز فيها مخافة أن تفتن أمه»، وكيف بتخليتهم في أيدي عدوهم يمتهنونهم ويطئونهم، وأنت راعٍ، والله فوقك ومستوف منك يوم توضع الموازين القسط ليوم القيامة، فلمَّا وصل كتابه أمر بالفداء(١).

وكتب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى المهدي رسالة طويلة، ومنها قوله: «وقد علم أمير

---

(١) تاريخ الإسلام (٤/ ١٢٠).

المؤمنين أن حمل عليه في هذه الرعية خصال أربع: الثغور، والأحكام، والفيء، والصدقة، وأن مما تصح بهذه الخصال الأربع بإذن الله خصلتان: فأما الثغور فقد علم أمير المؤمنين أن قوامها بإذن الله أهل النجدة والشجاعة، من أهل الحنكة والتجربة، وأن مما يصلح أولئك ما استعين بهم أن يسبغ عليهم وعلى جندهم من العطاء والأرزاق، وأن لا يوكلوا إلى ما يصيبون من غنائمهم، بل يجلب لهم ولجندهم عندما يحدث الله لهم وعلى أيديهم من ذلك العطاء، والألطاف، ويخص بجمال ذلك أهل النجدة والبأس والنكاية في العدو منهم، ويسمو بهم إلى أفضل غايتهم ويعرف ذلك لهم، ويذكرون به، ويحفظ لهم، ويحفظون به في أعقابهم من بعدهم بواجب حقهم، وليتنافس في ذلك من سواهم وليستنصروا به ثم لا يحجب لهم بقبولها ولو طرق طروقًا، فقد بلغني أن بعض الفقهاء التابعين رفع الحديث؛ قال: لا يزال لهذه الأمة طعمة ما بيتت ثغورها، فإذا بيتت من قبل ثغورها بينت طعمها أو انقطعت مدتها، وهنالك يطعن الرجال فيهم، فالثغور الثغور يا أمير المؤمنين، ثمَّ الثغور الثغور يا أمير المؤمنين، فإنَّ الثغور حصون بإذن الله للعباد، وسكن للبلاد، وقرار لهذه الأمة ليبلغوا منافعهم وصلاحهم في دينهم ودنياهم، ولتتم لهم مدة بقاء معالم دينهم آمنين مطمئنين وفي ذلك يا أمير المؤمنين بلاء من الله في نعمه عليهم وإحسانه إليهم عظيم، والأجر في ذلك لمن ولاه إقامتهم، والورد فيه على حسب ذلك، فعصم الله أمير المؤمنين من سيء ذلك، ووفقه لأحسنه»[١].

٧٢ حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي (ت ١٥٨ هـ)

الإمام، الرباني، الفقيه، شيخ الديار المصرية، أبو زرعة التجيبي، المصري.

حدث عنه: ابن المبارك، وابن وهب، والمقرئ، وأبو عاصم، وهانئ بن المتوكل، وعبد الله بن يحيى البرلسي، وآخرون.

---

(١) أخبار القضاة لوكيع (٢/ ١٠٠-١٠١).

قال ابن وهب: كان حيوة يأخذ عطاءه في السنة ستين دينارًا، فلم يطلع إلى منزله حتى يتصدق بها، ثمَّ يجيء إلى منزله، فيجدها تحت فراشه.

وبلغ ذلك ابن عم له، فأخذ عطاءه، فتصدق به كله، وجاء إلى تحت فراشه، فلم يجد شيئا.

قال حيوة مرة لبعض نواب مصر: «يا هذا! لا تخلين بلادنا من السلاح، فنحن بين قبطي لا ندري متى ينقض، وبين حبشي لا ندري متى يغشانا، وبين رومي لا ندري متى يحل بساحتنا، وبربري لا ندري متى يثور»(١).

٧٣ ابن أبي ذئب (ت ١٥٩ هـ)

قال محمد بن القاسم بن خلاد: قال ابن أبي ذئب للمنصور: يا أمير المؤمنين، قد هلك الناس؛ فلو أَعنتهم مما في يديك من الفيء؟

قال: ويلك لولا ما سددت من الثغور، وبعثت من الجيوش؛ لكنت تؤتى في منزلك وتذبح.

فقال ابن أبي ذئب: فقد سد الثغور، وجيَّش الجيوش، وفتح الفتوح، وأعطى الناس أعطياتهم من هو خير منك.

قال: ومن هو ويلك؟

قال: عمر بن الخطاب، فنكس المنصور رأسه، والسيف بيد المسيب، والعمود بيد مالك بن الهيثم، فلم يعرض له، والتفت إلى محمد بن إبراهيم الإمام، فقال: «هذا الشيخ خير أهل الحجاز»(٢).

٧٤ عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤ هـ)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٥).

(٢) تاريخ بغداد (٣/ ٥١٥).

جاء عطاء بن أبي رباح إلى سدّة سليمان بن عبد الملك فجعل يقعقع الحلقة، فقال سليمان بن عبد الملك: افتحوا له، وتزحزح له عن مجلسه فقال: أصلحك الله، احفظ وصية رسول الله ﷺ في أبناء المهاجرين والأنصار.

قال: أصنع بهم ماذا؟

قال: انظر في أرزاقهِم.

قال: ثمَّ ماذا؟

قال: أهل البادية تفقّد أمورهم فإنَّهم مادة العرب.

قال: ثمَّ ماذا؟

قال: ذمّة المسلمين تفقد أمورهم، وخفف عنهم من خراجهم؛ فإنَّهم عون لك على عدو الله وعدوهم.

قال: ثَّم ماذا؟

قال: أهل الثغور تفقدهم فإنَّه يدفع بهم عن هذه الأمّة.

قال: ثمَّ ماذا؟

قال: يصلح الله أمير المؤمنين.

فلما ولى قال: «هذا والله الشرف لا شرفنا! وهذا والله السؤدد لا سؤددنا! والله لكأنَّما معه ملكان ما أقدر أن أراجعه في شيء سألني، ولو سألني أن أتزحزح عن هذا المجلس لفعلت»[1].

---

(١) تهذيب الكمال (٢٠/ ٨٠)، و«التذكرة الحمدونية» (٢/ ٩٢-٩٣)، و«مختصر منهاج القاصدين» (ص١٣٧).

٧٥ عبد الله بن محيريز بن جنادة أبو محيريز الجمحي المكي نزيل الشام (ت ٩٩هـ)

ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال: «كان من العبَّاد، وكان يشبه بعبد الله بن عمر، ومات في ولاية الوليد بن عبد الملك».

وفي كتاب ابن سعد: أنبأ محمد بن عمر سمعت عبد الله بن جعفر يقول: لقي ابن محيريز قبيصة بن ذؤيب فقال يا أبا إسحاق عطلتم الثغور وأغزيتم الجيوش إلى الحرم وإلى مصعب بن الزبير فقال له قبيصة: أخزن من لسانك فوالله ما فعل فأرسل إليه عبد الملك فأتى به متقنعًا فوقف بين يديه. فقال: ما كلمة قلتها يغيض لها ما بين الفرات إلى العريش؟ يعني عريش مصر ثمَّ لان له، فقال: «الزم الصمت فإنَّ من رأى البقية في قريش والحكم». قال: فرأى ابن محيريز أنَّه قد غنم نفسه يومئذٍ[1].

٧٦ عبد الملك بن حبيب الفقيه (ت٢٣٨ أو ٢٣٩هـ)

كتب لعبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن الداخل يحرضه على بناء سور إشبيلية، يقول له: «حقن دماء المسلمين -أيدك الله، وأعلى يدك- ابتناء السور أحق وأولى»[2].

---

(١) إكمال التهذيب (٨/ ١٨٩).

(٢) السير (٨/ ٢٦٠) سكن حبيب إلبيرة من الأندلس مدة، ثمَّ استقدمه الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فرتبه في الفتوى بقرطبة، وقرر معه يحيى بن يحيى في النظر والمشاورة، فتوفي يحيى بن يحيى، وانفرد ابن حبيب برئاسة العلم.



الباب الثاني:
الألقاب في الجهاد

قال أبو الفرج ابن الجوزي: «الألقاب جمع لقب: وهو اسم يُدعى به الإنسان، سوى الاسم الذي سمَّي به»[1].

وقيل: «هو ما يسمَّى به الإنسان بعد اسمه الأول «العَلَم» من لفظ يدل على المدح أو الذم لمعنىً فيه»[2].

وللألقابِ أقسام، فمنها: اللقب الموافق للشرع، واللقب المخالف للشرع[3].

- فالموافق للشرع: كأسد الله، وسيف الله؛ وهي ألقاب شرعية، لقب النبي ﷺ أصحابه بها.

- والمخالف للشرع: كملك الأملاك، وشاهان شاه، وقد جاء النهي النبوي صريحًا عنها.

ومن هذه الألقاب التي جاءت في الجهاد:

١ - **(الثغري)** قال ابن ماكولا: «أمَّا (الثغري) ممَّن ينسب إلى الثغر»[4].

قال ياقوت في «معجم البلدان»: «الثَّغْرُ: بالفتح ثم السكون، وراء كل موضع قريب من أرض العدوّ يسمّى ثغرًا، كأنَّه مأخوذ من الثّغرة، وهي الفرجة في الحائط،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٧/ ٤٦٧).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص٢٤٧).

(٣) انظر: كتابنا (إبهاج الطالبين بقطوف من ألقاب المحدثين) وقد ذكرت فيه قواعد في خصوص هذا الباب والله الموفق المعين.

(٤) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (١/ ٥٨٦).

وهو في مواضع كثيرة، منها: ثغر الشام...»(١).

٢- (**المرابط**): من الألقاب السّلطانية، وهو مفاعل من الرّباط، وهو ملازمة ثغر العدوّ؛ والمرابطيّ نسبة إليه للمبالغة. وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف، كنوّاب السلطنة ونحوهم(٢).

٣- (**الرباطي**): لقب الحافظ الإمام، أبو عبد الله، أحمدُ بنُ سعيد بن إبراهيم الخُراسانيُّ الْأشقر، نزيل نَيسابور، وكان قد ولّاه ابنُ طاهر أمرَ الرِّباط(٣).

٤- (**المطوعي**): بضم الميم وفتح الطاء المشددة وكسر الواو وفي آخرها عين مهملة، هذه النسبة إلى المطوعة، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور، وقصدوا جهاد العدو في بلادهم، لا إذا قصد العدو بلاد الإسلام(٤).

٥- (**حبيب الروم**) وهو لقب حبيب بن مسلمة بن مالك القرشي الفهري، وكان يقال له: «لكثرة دخوله بغزوهم»(٥).

٦- (**الجرادة الصفراء**) قَال الزبير بن بكار: عن مسلمة بن عَبد المَلِك بن مروان بن الحكم، وكان يلقب الجرادة الصفراء، وله آثار كثيرة في الحروب ونكاية في

---

(١) معجم البلدان (٢/ ٧٩).

(٢) صبح الأعشى (٦/ ٢٧).

(٣) طبقات علماء الحديث (٢/ ٢٢٠)، انظر «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٥)) نسبة إلى الرباط: اسم لموضع رباط الخيل وملازمة أصحابها الثغر لحفظه من عدو الإسلام، فيقال لفاعل ذلك: مرابط وإنمَّا قيل له: الرباطي، لأن كان على الرباط وعمارته، وتولي الاوقاف التي له.

(٤) حواشي السير (١١/ ٣١٦).

(٥) أخرج الحاكم في «المستدرك» (٥٤٧١)، عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: «حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر كان شريفا قد سمع من النبي ﷺ، وكان يقال له: «حبيب الروم من كثرة الدخول عليهم».

الروم»[١]. قلت: ولا أعلم هل لنكايته وقتله الروم لقب بهذا، الله أعلم.

٧- **(القضاميريّ)** من الألقاب التي يستعملها بعض الكتّاب في ألقاب من اجتمع له رياسة السيف والقلم[٢].

٨- **(القصاب)** الإمام، الحافظ، أبو أحمد، محمد بن علي بن محمد، الكرجي المجاهد. قال ابن عبد الهادي في «طبقات علماء الحديث»: «وإنَّما عرف بالقصاب لكثرة ما أهراق من دماء الكفار في الغزوات»[٣].

٩- (مالك السرايا) لقب أبو حكيم مالك بن عبد الله الخثعمي، كان من أبطال الإسلام، قاد جيوش الصوائف أربعين سنة. ولما توفي كسر على قبره -فيما قيل- أربعون لواء. وكان ذا حظ من صيام، وقيام، وجهاد[٤]. ويقال كانت تسميه الروم (الثعلب).

فائدة: قال أبو القاسم غازي بن عمار بن عبد الله المقدسي: «كانت أمي بي حاملًا وأبي في الغزو؛ فولدتني والأب غائب، فسمتني باسمه غازيًا، وكنتني أبا القاسم»[٥].

---

(١) تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٦٣).

قال عنه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣/ ٣١٢): «ولي غزو القسطنطينية لأخيه سليمان، وغزا الروم مرات، وكان بطلا شجاعا مهيبا، له آثار حميدة في الحروب، وقد ولي لأخيه يزيد بن عبد الملك إمرة العراقين، ثمَّ عزل، وولي أرمينية حفظا لذلك الثغر، وأول ما ولي غزو الروم في آخر دولة أبيه، فافتتح ثلاثة حصون».

وقال سعيد بن عبد العزيز: «أوصى مسلمة بثلث ماله لطلاب الأدب، وقال: إنَّها صناعة مجفو أهلها».

من كلامه: «إنَّ أقل النَّاسِ همًا في الدنيا، أقلهم همًا في الآخرة».

(٢) صبح الأعشى (٦/ ٢٣).

(٣) طبقات علماء الحديث (٣/ ١٣٢).

(٤) السير (٤/ ١٠٩-١١٠).

(٥) معجم السفر (١٠٩٧).



الباب الثالث:

غزوات الرسول ﷺ وجهاده

قال الحافظ عبد الغني المقدسي: «غزا رسولُ الله ﷺ خمسًا وعشرينَ غزوةٌ، هذا هو المشهورُ، قاله محمد بن إسحاق، وأبو معشرٍ، وموسى بنُ عقبةَ وغيرهم.

وقيلَ: غزا سبعًا وعشرين. والبعوثُ والسَّرايا خمسونَ أو نحوُها.

ولم يقاتل إلَّا في تسعٍ: بدرٍ، وأُحُدٍ، والخندقِ، وبني قُريظةَ، والمُصطلقِ، وخيبرَ، وفتحِ مكةَ، وحُنينٍ، والطَّائف.

وقد قيل: إنَّه قاتلَ بوادي القُرى، وفي الغابة، وبني النَّضير»[1].

وقال المحدث شمس الدين البابلي (ت١٠٧٧هـ): في فضائل الجهاد: «وقد قاتل ﷺ في كثير من الغزوات بنفسه، ورمى يوم أحد حتى صار القوس شظايا.

إلا أنَّه لم يباشر قتل أحد من الكفار، إلا رَجلًا واحدًا هو أُبيُّ بن خلف لعنه الله، قتله يوم أُحد، وسرُّه: أنَّه كان له فرس يطعمهُ القديد من اللحم والبُرِّ، فإذا لقي النبي ﷺ بمكة يقول له: أنا أقتلك على فرسي هذا. فيقول له ﷺ «بل أنا أقتلك وأنت عليه»، فلمَّا كان يوم أحد، جاء ذلك اللعينُ وهو على فرسه وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجا. فأرادتُ الصحابةُ أن تحولَ بينه وبينه، فنهاهم النبي ﷺ وقال: «افرجوا له»، ثم تناول حربَة من بعض أصحابه، ثم نظر ببصره الحديد، فرأى ترقوته

(١) سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه العشرة (ص٦٤).

من خلف الدرع، فضربوه فخرَّ صريعًا، فكبرت الصحابة، وقد جاء المشركون وحملوه، فلمَّا كشفوا عنه الدِّرعَ قال له أبو سفيان: تبًا لك من شجاعٍ، والله لو كانت هذه في عيني ما آذتني! فقال: مه أبا سفيان، والله لو بصق عليَّ محمد لقتلني»[1].

وَاللَه ما طَلَعَت شَمسٌ وَلا غَرُبَت ... إِلّا وحُبُّكَ مَقرونٌ بِأَنفاسي
وَلا خلوتُ إِلى قَوم ... إِلّا وَأَنتَ حَديثي بَينَ جُلّاسي

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «ذكرت في «التفسير» عن بعض السلف أنه استنبط من قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ٨٤] أن رسول الله ﷺ كان مأمورا أن لا يفر من المشركين إذا واجهوه، ولو كان وحده، من قوله: ﴿ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إلا نَفۡسَكَۚ﴾ وقد كان ﷺ من أشجع الناس وأصبر الناس وأجلدهم، ما فر قط من مصاف ولو تولى عنه أصحابه.

قال بعض الصحابة: كنا إذا اشتد الحرب وحمي البأس نتقي برسول الله ﷺ.

ففي **يوم بدر** رمى ألف مشرك بقبضة من حصباء، فنالتهم أجمعين حين قال: «شاهت الوجوه».

وفرَّ أكثر أصحابه في ثاني الحال يوم أحد، وهو ثابت في مقامه لم يبرح منه، ولم يبق معه إلا اثنا عشر، قتل منهم سبعة، وبقي الخمسة، وفي هذا الوقت قتل أبي بن خلف، لعنه الله، فعجله الله إلى النار.

ويوم حنين ولى الناس كلهم، وكانوا يومئذٍ اثني عشر ألفًا، وثبت هو في نحو من

---

(١) فضائل الجهاد (ص٣٨-٣٩) ط: أروقة، ورواه إسحاق في «السير»، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٤٦)، كما قاله محققه. وانظر زاد المعاد لابن القيم في هديه ﷺ في الجهاد فهو نافع ومفيد.

مئة من أصحابه وهو راكبٌ يومئذٍ بغلته، وهو يركض بها إلى نحو العدو، وهو ينوه باسمه الكريم ويعلن بذلك قائلا:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

حتى جعل العباس وعلي وأبو سفيان بن الحارث يتعلقون في تلك البغلة ليبطؤوا سيرها؛ خوفًا عليه من أن يصل أحد من الأعداء إليه، وما زال كذلك حتى نصره الله وأيده في مقامه ذلك، وما تراجع الناس إلا والأسارى مكبلة بين يديه ﷺ»[1].

قال أبو بكر الخوارزمي: «ثمَّ إنَّ الجهاد والحرب كان مشروعًا في بني اسرائيل، وأول من غزا أولاد يعقوب، ثمَّ موسى وهرون صلوات الله عليهم، وعيسى عليه السلام كان غازيًا باللسان دون السيف، ولهذا النَّصارى لا يرون الدم، والإفرنج بمعزل عن النصرانية، ثمَّ نبينا محمد ﷺ: وفرض الجهاد بالمدينة، ومن جميع الأنبياء المبعوثين إلى الخلق ثلاثة نفر كانوا أهل حرب فقط؛ داود وموسى ومحمد ﷺ يدعى في التوراة والإنجيل نبي القتال»[2].

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٥٢٦-٥٢٧).

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم (ص٥٢٢).



الباب الرابع:
من جهاد الصحابة رضي الله عنهم

إن الصحابة ومن تبعهم بذلوا أغلى ما عندهم، وأنفسَ ما لديهم في نصرة الدين، وإعلاء كلمة التوحيد.

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن يجعلَ لكل نبي حواريون وأتباعًا، وقد كان أتباع نبينا المكرم في هذه الأمة هم صحابته رضي الله عنهم، ونال هذا الشرف من بعدهم من تبعهم، وكل من سار عل ما ساروا عليه من العلم والعمل والاتباع والاقتداء، وإنّ من عواقب هذه التضحيات النفيسة التي تقدم بها الصحابة الكرام، والتابعون لهم بإحسان أن فتح الله البلاد، وانتشر التوحيد، وتوطد الأمن، وحل السلام والأمان في قلوب الأصفياء، ودبَّ الخوف والرعب في قلوب الأعداء.

فلنا أن نتصور بعضًا من مشاهد العز والكرامة، والبذل والتضحية في سبيل الله:

(١) فعندما أتت عمرو بن العاص رضي الله عنه رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال لأصحابه: أترون أنهم يقتلون الرسل ويستحلون ذلك في دينهم! وإنمَّا أراد عمرو بذلك أنهم يرون حال المسلمين.

فردَّ عليهم عمرو مع رسلهم: إنَّه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال: إمَّا أن دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون، وإمَّا أنْ جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين.

فلمَّا جاءت رسل المقوقس إليه قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: «رأينا قومًا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنَّما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصَّلاة لم يتخلف عنها منهم أحد؛ يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم».

فقال عند ذلك المقوقس: والذي يحلفُ به لو أنَّ هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتالِ هؤلاء أحد! ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض، وقووا على الخروج من موضعهم.

فردَّ إليهم المقوقس رسله يقول لهم: ابعثوا إلينا رسلًا منكم؛ نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم.

فبعث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت، وكان طوله عشرة أشبار، وأمره عمرو أنْ يكون متكلم القوم وألا يجيبهم إلى شيءٍ دعوه إليه إلا إحدى هذه الثلاث الخصال، فإنَّ أمير المؤمنين قد تقدم إليَّ في ذلك وأمرني ألا أقبل شيئًا إلا خصلة من هذه الثلاث الخصال، وكان عبادة أسود، فلمَّا ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة، فهابه المقوقس لسواده، وقال: نحوا عنِّي هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني؛ فقالوا جميعًا: إنَّ هذا الأسود أفضلنا رأيًا وعلمًا؛ وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا، وإنَّما نرجع جميعًا إلى قوله ورأيه، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله.

فقال: وكيف رضيتم أنْ يكون هذا الأسود أفضلكم وإنَّما ينبغي أن يكون هو دونكم؟

قالوا: كلا! إنَّه وإن كان أسود كما ترى فإنَّه من أفضلنا موضعًا، وأفضلنا سابقة

وعقلًا ورأيًا، وليس ينكر السواد فينا[١].

(٢) ولما عبر خاقان ويزدجرد النَّهر لَقِيا رسول يزدجرد الذي أرسله إلى ملك الصين؛ فأخبرهما أنَّ ملك الصين قال له: صفْ لي هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإنِّي أراك تذكر قلَّة منهم وكثرَة منكم، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم، إلا بخيرٍ عندهم وشرٍ فيكم.

فقلت: سلني عما أحببت.

فقال: أيوفون بالعهد؟

قلت: نعم.

قال: وما يقولون لكم قبْل القتال؟

قال قلت: يدعوننا إلى واحدة من ثلاثٍ: إمَّا دينهم، فإن أجبنا أجرونا مجراهم، أو الجزية والمنعة، أو المنابذة.

قال: فكيف طاعتهم أمراءهم؟

قلت: أطوع قوم وأرشدهم.

قال: فما يحلون وما يحرمون؟ فأخبرته.

قال: هل يحلون ما حرم عليهم أو يحرمون ما حلل لهم؟

قلت: لا.

قال: فإنَّ هؤلاء القوم لا يزالونَ على ظفرٍ حتى يحلوا حرامهم أو يحرموا

---

(١) فتوح مصر (١/ ٨٧)، و«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (١/ ١١-١٢).

حلالهم.

ثم قال: أخبرني عن لباسهم؟ فأخبرته.

وعن مطاياهم؟ فقلت: الخيل العراب، ووصفتها له.

فقال: نعمت الحصون! ووصفت له الإبل وبروكها وقيامها بحملها.

فقال: هذه صفة دواب طوال الأعناق. وكتب معه إلى يزدجرد: إنَّه لم يمنعني أن أبعث إليك بجند أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق علي، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو خلا لهم سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف، فسالمهم وارض منهم بالمساكنة، ولا تهيجهم ما لم يهيجوك. فأقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان.

ولما وصل خبر الفتح إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس، وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح، وحمد الله في خطبته على إنجاز وعده، ثم قال: ألا وإنَّ ملك المجوسية قد هلك، فليسوا يملكون من بلادهم شبرًا يضر بمسلم. ألا وإنَّ الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون، فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم، فإنِّي لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم[1].

(٣) وقيل أنَّ ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أنَّ أحدهما أقوى الروم، والآخر أطول الروم، فإنْ كان في جيشك من يفوقهما في قوة هذا، وطول هذا بعثت إليك من الأسارى كذا وكذا، ومن التحف كذا وكذا، وإن لم يكن في جيشك من يشبههما فهادني ثلاث سنين؛ فلمَّا حضرا عند معاوية قال: من لهذا

---

(١) ينظر: الكامل في التاريخ (٢/ ٤١٧)، و«تاريخ الطبري» (٤/ ١٧٢).

القوي؟

فقالوا: ما له إلا أحد رجلين: إما محمد ابن الحنفية، أو عبد الله بن الزبير.

فجيء بمحمد ابن الحنفية -وهو ابن علي بن أبي طالب من غير فاطمة رضي الله عنهم جميعًا-، فلمَّا اجتمع الناس عند معاوية، قال له معاوية: أتعلم فيم أرسلت إليك؟

قال: لا. فذكر له أمر الرومي وشدة بأسه.

فقال له: ما تريد؟

فقال: تجلس لي أو أجلس لك، وتناولني يدك أو أناولك يدي، فأينا قدر على أنْ يقيم الآخر من مكانه غلبه، وإلا فقدْ غُلِب.

فقال له: ماذا تريد; تجلس أو أجلس؟

فقال له الرومي: بل اجلس أنت. فجلس محمد ابن الحنفية وأعطى الرومي يده، فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيله من مكانه أو يحركه ليقيمه، فلم يقدر على ذلك، ولا وجد إليه سبيلا، فغلب الرومي عند ذلك، وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب، ثم قام محمد ابن الحنفية، فقال للرومي: اجلس لي. فجلس وأعطى محمدا يده، فما لبث أن أقامه سريعًا، ورفعه في الهواء، ثمَّ ألقاه على الأرض، فسرَّ بذلك معاوية سرورًا عظيمًا، ونهَض قيس بن سعد، فتنحى عن النَّاسِ، ثمَّ خلع سراويله، وأعطاها لذلك الرومي الطويل، فلبسها فبلغت إلى ثدييه وأطرافها تخط بالأرض، فاعترف الروم بالغلب، وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية، وعاتب الأنصار قيس بن سعد في خلعه سراويله بحضرة الناس، فقال ذلك

الشعر المتقدم[١] معتذرًا به إليهم، وليكون ذلك ألزم للحجة التي تقوم على الروم، وأقطع لما حاولوه[٢].

(٤) وأُتِي رستم برجل من العرب، فقال له: ما جاء بكم وماذا تطلبون؟ فقال: جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تسلموا. قال رستم: فإن قتلتم قبل ذلك!

قال: من قتل منَّا دخل الجنة، ومنْ بقي منا أنجزه الله ما وعده، فنحن على يقين.

فقال رستم: قد وضعنا إذن في أيديكم!

فقال: أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها، فلا يغرنك من ترى حولك، فإنَّك لست تجاول الإنس إنمَّا تجاول القدر. فضرب عنقه، ثمَّ سار فنزل البرس، فغصب أصحابه النَّاس أبناءهم وأموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور، فضج أهلها إلى رستم فقال: يا معشر فارس، والله لقد صدق العربي، والله ما أسلمنا إلا أعمالنا، والله إنَّ العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرة منكم، إنْ الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم في البلاد بحسن السيرة، وكف الظلم والوفاء والإحسان، فإذا تغيرتم فلا يرى الله إلا مغيرًا ما بكم، وما أنا بآمن من أن ينزع الله سلطانه منكم.

---

(١) والشعر هو:

أَرَدْتُ بِهَا كَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا ... سَرَاوِيلُ قَيْسٍ وَالْوُفُودُ شُهُودُ
وَأَنْ لَا يَقُولُوا غَابَ قَيْسٌ وَهَذِهِ ... سَرَاوِيلُ عَادِيٌّ نَمَتْهُ ثَمُودُ
وَإِنِّي مِنَ الْحَيِّ الْيَمَانِي لَسَيِّدٌ ... وَمَا النَّاسُ إِلَّا سَيِّدٌ وَمَسُودُ

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٣٦٠-٣٦١).

وأتي ببعض من يشكى منه فضرب عنقه[١]. إلى آخر الخطاب الذي تظهر من ملامح العز واليقين بنصر الله، والهمة والهم لإعلاء كلمة الله والانقياد لها قولًا وفعلًا.

(٥) وفتح خالد للأنبار، وتسمى هذه الغزوة ذات العيون. ركب خالد في جيوشه، فسار حتى انتهى إلى الأنبار وعليها رجل من أعقل الفرس وأسودهم في أنفسهم، يقال له: شيرزاذ. فأحاط بها خالد وعليها خندق وحوله أعراب من قومهم على دينهم، واجتمع معهم أهل أرضهم، فمانعوا خالدا أن يصل إلى الخندق، فضرب معهم رأسا، ولما تواجه الفريقان أمر خالد أصحابه فرشقوهم بالنبال حتى فقئوا منهم ألف عين، فتصايح الناس: ذهبت عيون أهل الأنبار. فسميت هذه الغزوة ذات العيون[٢].

إنَّ الصحابة لم يتخلفوا عن الجهاد، ولم يجبنوا عن القتال، ويتذرعون بالأعذار الواهية، والحجج الساقطة، كما فعله أهل النفاق، بل كانوا كما قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «كان بعض من يقعد عن الجهادِ من امرأةٍ وضعيفٍ في عهد النبي ﷺ يسألهُ عن عملٍ يعدلُ الجهاد».

وقال: «كان منهم منْ إذا تخلف عن الغزو واجتهد في مشاركة الغزاة في أجرهم، فإمَّا أن يخرج مكانه رجلًا بماله، وإمَّا أن يعين غازيًا، وإمَّا أن يخالف في أهله بخيرٍ؛ فإنَّ منْ فعل هذا كله فقد غزا»[٣].

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «لولا ثلاث في الدنيا لما احببت البقاء فيها: لولا أن أحمل أو أجهز جيشًا في سبيل الله، ولولا مكابدة هذا الليل،

---

(١) الكامل في التاريخ (ذكر ابتداء أمر القادسية) (٢/ ٢٩٥).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٥٢٦).

(٣) لطائف المعارف (المجلس الثالث فيما يقوم مقام الحج) (ص٢٤٩).

ولـولا مجالسـة أقـوامٍ ينتقـون أطايـب الكـلام كمـا ينتقـى أطايـب التمـر لمـا احببـت البقاء».

قـال الإمـام ابـن القـيم: «فـالأول الجهـاد، والثـاني قيـام الليـل، والثالـث مـذاكرة العلـم؛ **فاجتمعت في الصحابة بكمالهم وتفرقت فيمن بعدهم**»[١].

وقال ابن عبد ربه: «ورجال الأنصار أشجع الناس».

قـال عبـد الله بـن عبـاس رضي الله عنه وعـن أبيـه: «مـا اسـتلّت السـيوف، ولا زحفـت الزحـوف، ولا أقيمـت الصـفوف، حتـى أسـلم ابنـا قيلـة: يعنـي الأوس والخـزرج، وهمـا الأنصـار من بني عمرو بن عامر من الأزد»[٢].

وعـن عتبـة الخـولاني الصـحابي رضي الله عنه أنَّـه قيـل لـه إنَّ عبـد الله بـن عبـد الملـك خـرج هاربًـا مـن الطـاعون، فقـال: إنـا لله وإنَّـا إليـه راجعـون، مـا كنـت أرى أنَّـي أبقـى حتـى أسـمع بمثل هذا، أفلا أخبركم عن خلال كان عليها إخوانكم؟

أولها: لقاء الله تعالى كان أحب إليهم من الشهد.

والثانية: لم يكونوا يخافون عدوًا، قلوا أو كثروًا.

والثالثة: لم يكونوا يخافون عوزًا من الدنيا، كانوا واثقين بالله أن يرزقهم.

والرابعة: إنَ نزل بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضي الله فيهم ما قضى[٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٣٥).

(٢) العقد الفريد (١/ ١٠٦).

(٣) شرح الصدور للسيوطي (ص٢٤).

واعلم أنَّ إفراد الصحابة بالذكر يحتاج لأكثر من مجلد، وحسبي وأنا الفقير لعفو ربي، أن أنقل بعضًا من أسمائهم، وبعض مواقفهم، وربما أطلت الترجمة لبعضهم، أو اختصرت؛ فليعذرني القارئ، ولعل تراجمهم تفرد بمبحث مستقل بعون الله تعالى، ولكني أقول قبل ذلك:

إنَّ الجيش الإسلامي داعية بسلوك قادته، وأفراده، وعلمائه، في أقوالهم وأعمالهم. تدفعهم العقيدة للجهاد، والرغبة في إنقاذ الأمم والأفراد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وقد تميزوا بالتمسك بالعقيدة، والتزموا بأحكام دينهم. فكان الخلفاء والقادة يوصون جندهم بالاستعانة بالله، والتقوى، وإيثار أمر الآخرة على الدنيا، والإخلاص في الجهاد، وإرادة الله في العمل، والابتعاد عن الذنوب. فكان عمل القادة والجند تبليغ الدعوة، وتميزت مواقفهم بأنَّها أنبل المواقف التي عرفها التاريخ العالمي.

فكان القادة على رأس جندهم، يتلقون الصدمات الأولى في معارك الجهاد، فاستشهد كثير منهم مثل: المثنى بن حارثة الشيباني، وأبو عبيد الثقفي الذي اندفع لنيل الشهادة مع أولاده الأربعة يوم الجسر مع سبعة من قادة المسلمين، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الأزور، والنعمان بن مقرن ﭫ جميعًا.

والقادة الذين ضربوا أروع أمثلة الجهاد في سبيل الله كثير عددهم مثل: أبو عبيدة عامر بن الجراح- أمين الأمة- وشرحبيل بن حسنة، ومعاذ بن جبل، وحذيفة ابن اليمان، وعمرو بن العاص، والزبير بن العوام، والقعقاع بن عمرو التميمي، وعاصم بن عمرو التميمي، ويزيد بن أبي سفيان، وعياض بن غنم، وهاشم المرقال، وسعد

بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان، والأحنف بن قيس، وعبد الله بن عامر وغيرهم كثير رضي الله عنهم جميعًا من القادة الذين أنجبتهم مدرسة الإسلام، وربوا على يدي رسول الله ﷺ، أو صحابته. فضربوا أعظم الأمثلة في النبل، والشجاعة، والوقار، والتقوى، فكان أثرهم كبيرًا في عوامل النصر، وفي تبليغ الدعوة في البلاد المفتوحة[١].

ونشرعُ في ذكر بعض الصحابة الذين عُرفوا بالجهاد (مرتبين على حروف المعجم بعد ذكر العشرة المبشرين بالجنة)، فمنهم:

٧٧ خليفة رسول الله أبي بكر الصديق (ت١٣هـ)

عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمير بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القريشي التيمي.

قال النووي رحمه الله: وكم للصديق من مواقف وأثر، ومن يحصى مناقبه ويحيط بفضائله غير الله عز وجل.

أسلم على يده خلائق من الصحابة، منهم خمسة من العشرة -المبشرين-، وهم: عثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن، وسعد بن أبي وقاص.

وأعتق سبعة كانوا يعذبون في الله تعالى منهم: بلال، وعمار.

وكان من رؤساء قريش في الجاهلية، وأهل مشاورتهم، ومحببًا فيهم، ومألفاهم، فلما جاء الإسلام آثره على ما سواه، ودخل فيه أكمل دخول، ولم يزل مترقيًا في معارفه متزايدًا في محاسنه حتى توفي[٢].

(١) انظر: انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين (ص٨٤).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٨٢-١٨٣).

وأهم أعمال الصديق: تنفيذ جيش أسامة، وقتال أهل الردة ومانعي الزكاة، ومسيلمة الكذاب، وجمعه القرآن.

وهو أول من أسلم، وأول من جمع القرآن، وأول من سماه مصحفًا، وأول من سُمّي خليفة، وأول من ولي الخلافة وأبوه حي، وأول خليفة فرض له رعيته العطاء[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط، ما نفعني مال أبي بكر فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟»[2].

عن محمد بن عقيل، قال: خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أيها الناس أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: -أو قال- قلنا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: أما إني ما بارزت أحدا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر رضي الله عنه، أنَّه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ ليلا؟ يهوي إليه أحد من المشركين فوالله، ما دنا منه إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ: لا يهوي إليه أحد إلا أهوى عليه فهذا أشجع الناس فقال علي: ولقد رأيت رسول الله ﷺ، وأخذته قريش فهذا يجؤه وهذا يتلتله وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا قال: فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا ويجاء هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال: «ألا تجيبوني

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٧٤و٧٩) وما بعد.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٧٤٤٦)، وفي «فضائل الصحابة» (٢٥)، وابن ماجه في «سننه» (٩٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٢٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨١١٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٥٩٩).

فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ذاك رجل كتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه»(١).

وكان ﵁ يحتسب خطواته وهو يودع قائد سرية من سرايا جيشه، ويوصيه بوصية مهمة.

روى مالك في «موطئه» عن يحيى بن سعيد، أنَّ أبا بكر الصديق ﵁ بعث جيوشًا إلى الشام. فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان وكان أمير ربع من تلك الأرباع. فزعموا أن يزيد قال لأبي بكر: إما أن تركب، وإما أن أنزل.

فقال أبو بكر «ما أنت بنازلٍ، وما أنا براكب، إنِّي أحتسب خطاي هذه في سبيل الله».

ثُّم قال له: «إنَّك ستجد قومًا زعموا أنهَّم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجد قوما فحصوا عن أوساط رءوسهم من الشعر فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف».

وإنَّي موصيك بعشر: «لا تقتلن امرأة، ولا صبيًا، ولا كبيرا هرمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرنَّ شاة، ولا بعيرًا، إلا لمأكلة، ولا تحرقنَّ نخلًا، ولا تغرقنَّه، ولا تغلل ولا تجبن»(٢).

٧٨ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ (ت ٢٣هـ)

بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، أمير المؤمنين، أبو حفص، القرشي، العدوي، الفاروق.

وهو الرجل الذي يكرم أهل الجهاد والثغور، فعن عبد الله قال: «بينما الناس

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٧٦١)، وعنه السيوطي في «تاريخ الخلفاء» (ص٤٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٤٣٣٣) «رواه البزار وفيه من لم أعرفه».

(٢) موطأ مالك كتاب الجهاد (١٠) (٢/ ٤٤٧).

يأخذون أعطياتهم بين يدي عمر ﷺ، إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضربة، قال: فسأله، فأخبره أنَّه أصابته في غزاة كان فيها، فقال: عدوا له ألفا، فأعطى الرجل ألف درهم، ثم حول المال ساعة، ثم قال: عدوا له ألفا، فأعطى الرجل ألفا أخرى، قال له أربع مرات، كل ذلك يعطيه ألف درهم، فاستحى الرجل من كثرة ما يعطيه فخرج، قال: فسأل عنه، فقيل له: إنَّا رأينا أنَّه استحى من كثرة ما أعطي فخرج، فقال عمر: أما والله لو أنَّه مكث ما زلت أعطيه ما بقي من المال درهم، رجل ضرب ضربة في سبيل الله حفرت وجهه»[١].

ومنها: إكرامه ﷺ لأم سليط وتقديمها في العطاء على زوجه التي هي من أحب الناس إليه، فضلًا عن مكانتها فهي من آل البيت، ولكن فضيلة الجهاد من أعظم الفضائل، بل فضيلة سبقت غيرها من الفضائل، ففي الصحيح، عن ثعلبة بن أبي مالك: إن عمر بن الخطاب ﷺ قسم مروطًا بين نساء من نساء المدينة فبقي مرط جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك -يريدون أم كلثوم بنت علي- **فقال عمر**: «**أم سليط أحق**».

وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ قال عمر: «فإنَّها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد»[٢].

كان الفارس الشجاع، فعن عبد الله بن كعب بن مالك، قال: «كان عمر يأخذ بيده اليمني أذنه اليسرى، ويثب على فرسه فكأنما خلق على ظهره»[٣].

وكان عمر الأمير الرفيق بالجيش الذي يقول: «إنَّ رجلًا من المسلمين أحب إليَّ

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٣٥٥).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٢٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٧١).

من مئة ألف دينار، والسلام عليك»[١].

وهذا الخلق العظيم وَرِثه عمر بن عبد العزيز ﷺ من جده عمر بن الخطاب ﷺ، كما أخرج ابن عساكر: أنَّ عمر بن عبد العزيز كَتب إلى المسلمين الأسرى في القسطنطينية: أمَّا بعد: «فإنَّكم تعدون أنفسكم الأسارى، ومعاذَ الله، بل أنتم الحبساء في سبيل الله، واعلموا أنَّي لست أقسم شيئًا بين رعيتي إلا خصصت أهلكم بأكثر من ذلك وأطيبه.

وإنَّي قد بعثت إليكم فلان بن فلان بخمسة دنانير، ولولا أنَّي خشيتُ أن يحبسها عنكم طاغيةُ الروم لزدتكم عليها! وقد بعثتُ إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم، وذكركم وأنثاكم، وحُرَّكُم ومَملوككم، بما يُسأل عنه، فأبشروا ثم أبشروا. والسلام»[٢].

ومن أهم المعارك التي حصلت في زمان عمر ﷺ، على الجبهة الشاميَّة: (معركة الجسر، ومعركة البويب، ومعركة القادسية، وفتح المدائن، وفتح جلولاء وحلوان، وفتح الأحواز، وفتح نهاوند).

وعلى الجبهة الشاميَّة: (فتح فحل ودمشق وحمص، ومعركة اليرموك، وإتمام فتوح الشام، وفتوح الجزيرة الفراتية).

وعلى الجبهة المصريَّة: (فتح حصن بابليون، وفتح الإسكندرية...)[٣].

وفي عهد عمر ﷺ (دونت الدواوين، وأنشأ النظام السياسي، وعمل بالقضاء على أساس متقدم، وكذا الشرط والسجون، والحسبة، وغيرها من شؤون الدولة).

٧٩ أمير المؤمنين عثمان ﷺ (ت ٣٥هـ)

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ١١٥).

(٢) انظر: تهذيب كتاب «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» (ص٣٥٣) ط: الدار الشاميَّة.

(٣) انظر ذلك كله باختصار في كتاب التاريخ الإسلامي الوجيز (ص٨٢-٩١) ط: دار النفائس.

بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أمير المؤمنين، أبو عمرو، وأبو عبد الله، القرشي الأموي.

وعن الحسن قال: إنمَّا سمي عثمان ذا النورين؛ لأنا لا نعلم أحدًا أغلق بابه على ابنتي نبي غيره.

استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوته إلى ذات الرقاع، وإلى غطفان[1].

عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه، حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فصبها في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ، يقلبها بيده، ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم» يرددها مرارا[2].

وعن أبي الغادية المزني، قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو يخطب على المنبر، ويقول: «يا أهل المدينة! ألا تأخذون بحظكم ونصيبكم من الجهاد في سبيل الله؟ ألا ترون إخوانكم من أهل الشام، وإخوانكم من أهل مصر، وإخوانكم من أهل العراق؟

والله ليومٌ يعمله أحدكم وهو يجاهد في سبيل الله، خير من ألف يومٍ يعمله في بيته صائمًا لا يفطر، وقائمًا لا يفتر»[3].

ومن أهم المعارك والفتوحات في زمانه وعهده: إعادة فتح همذان، وغزو الري، وإعادة فتح الإسكندرية، وكرمان، وسجستان، وخراسان، ونيسابور، وإخضاع

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص١٥٢) ط: دار ابن حزم.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢٠٦٣٠)، وهو في «فضائل الصحابة» (٧٣٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٧٩)، وفي «الجهاد» (٨٢)، والطبراني في «الأوسط» (٩٢٢٢).

(٣) تهذيب مشارع الأشواق (ص٨١)، وعزاه لتاريخ دمشق، ولم أجده في تاريخ دمشق!.

الثائرين في أذربيجان وأرمينية، واستعاد المسلمون بعض مدن الساحل التي كان البيزنطيون قد استعادوها بدورهم من الحكم الإسلامي. وفتحت داربجرد، وطبرستان، وجرجان، والجوزجان، والطالقان، وفتحت أرمينية، وقرطاجنة في أفريقية، وغزا معاوية بن أبي سفيان ﵁ عمورية الواقعة في قلب آسيا الصغرى، وتولى الإشراف على الغزوات الموسمية المسماة بالصوائف والشواتي[١].

وفتح قبرص ثمَّ صقليَّة، وقاد حملة على ردوس في معركة ذات الصواري (٣٤هـ)، وسمِّيت بذات الصواري؛ لكثرة عدد صاريات السفن التي اشتركت فيها)[٢].

٨٠ علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ) ﵁

بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمير المؤمنين، أبو الحسن القرشي الهاشمي.

قال عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن سهل، أنَّ رجلًا مِن آل مروان استعمل على المدينة، فدعاني وأمرني أن أشتم عليا فأبيت، فقال: أما إذا أبيت فالعن أبا تراب، فقال سهل: «ما كان لعلي اسم أحب إليه منه، إن كان ليفرح إذا دعي به»، فقال له: أخبرنا عن قصته لم سمي أبا تراب؟ فقال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد عليا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟

قالت: قد كان بيني وبينه شيء فغاظني، فخرج ولم يقل عندي، فقال لإنسان: اذهب انظر أين هو. فجاء فقال: يا رسول الله هو راقد في المسجد، فجاءه رسول الله ﷺ، وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه، فأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ

---

(١) تاريخ خليفة خياط (ص٩٢).

(٢) التاريخ الإسلامي الوجيز (ص٩٦-٩٧).

يمسح عنه التراب ويقول: «قم أبا تراب قم أبا تراب»(١).

وقال قتادة: «إنَّ عليًا كان صاحب لواء رسول الله ﷺ يوم بدر، وفي كل مشهد».

وقال أبو هريرة وغيره: «إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطينَّ الراية رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ويفتح الله على يديه».

قال عمر: «فما أحببت الإمارة قبل يومئذ قال: فدعا عليا فدفعها إليه»(٢)، وذكر الحديث، كما تقدم في غزوة خيبر بطرقه.

وقال أبو الزبير، عن جابر رضي الله عنه، قال: «ما كنَّا نعرف منافقي هذه الأمة إلا ببغضهم عليًا».

وعن جابر بن عبد الله، أنَّ عليًا حمل الباب على ظهره يوم خيبر، حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها يعني خيبر، وأنَّهم جروه بعد ذلك، فلم يحمله أربعون رجلًا

وقال سفيان، عن كليب، عن جسرة، قالت: ذكر عند عائشة صوم عاشوراء، فقالت: من يأمركم بصومه؟ قالوا: علي.

قالت: «أمَا إنَّه أعلم من بقي بالسنة»(٣).

قال عكرمة بن عمار: حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع، قال: حدثني أبي أن عمه عامرا حدا بهم، فقال له النبي ﷺ: «غفر لك ربك».

قال: وما خص بها أحد إلا استشهد. فقال عمر: هلا متعتنا بعامر؟ فقدمنا خيبر، فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه، ويقول:

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٩).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٨٣)، وصحيح مسلم (٢٤٠٦). قوله: (الراية) العلم.

(٣) السير (سيرة الخلفاء الراشدين/ ٢٢٩و٢٣٦و٢٣٩).

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاح بَطَلٌ مُجَرَّبُ[١]
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فبرز له عامر، وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ[٢]

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، فذهب عامر يسفل له، فرجع بسيفه على نفسه فقطع أكحله، وكانت نفسه. قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه. فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قال: ما لك؟

فقلت: قالوا إنَّ عامرًا بطل عمله.

قال: من قال ذلك؟

قلت: نفر من أصحابك.

فقال: كذب أولئك بل له من الأجر مرتين.

قال: فأرسل إلى علي يدعوه وهو أرمد فقال: لأعطينَّ الرايةَ اليوم رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

قال: فجئت به أقوده.

قال: فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ، فأعطاه الراية.

قال: فبرز مرحب وهو يقول:

---

(١) أي مجرب بالشجاعة.

(٢) أي: يركب غمرات الحرب وشدائدها.

قَـدْ عَـلِـمَـتْ خَـيْـبَـرُ أَنِّـي مَـرْحَـبُ ... شَاكِي[١] السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ[٢]

إِذَا الْـحُـرُوبُ أَقْـبَـلَـتْ تَـلَـهَّـبُ

قال: فبرز له علي ﷺ وهو يقول:

أَنَـا الَّـذِي سَـــمَّـتْـنِـي أُمِّـي حَـيْـدَرَهْ ... كَـلَـيْـثِ غَـابَـاتٍ[٣] كَـرِيـهِ الْـمَـنْـظَـرَهْ

أُوفِـيـهِـمُ بِـالصَّـــاعِ كَـيْـلَ السَّـــنْـدَرَهْ[٤]

فضرب مرحبًا ففلق رأسه فقتله، وكان الفتح[٥].

٨١ أبو عبيدة بن الجراح (ت ١٨هـ)

عـامر بـن عبـد الله ابـن الجـراح بـن هـلال بـن أهيـب بـن ضبـة بـن الحـارث بـن فهـر بـن مالك بن النضر.

أحد السابقين الأولين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة، وأشار به يوم.

شــهد لــه النبــي ﷺ بالجنــة، وســمَّاه: أمــين الأمــة، ومناقبــه شــهيرة جمــة، وروى أحاديث معدودة، وغزا غزوات مشهودة، وكان معدودًا فيمن جمع القرآن العظيم.

---

(١) (شاكي السلاح) أي تام السلاح.

(٢) أي: مجرب بالشجاعة.

(٣) (غابات) جمع غابة وهي الشجر الملتف، وتطلق على عرين الأسد أي مأواه كما يطلق العرين على الغابة أيضًا، ولعل ذلك لاتخاذه إياه داخل الغاب غالبًا.

(٤) معناه أقتل الأعداء قتلًا واسعًا ذريعًا، والسندرة مكيال واسع.

(٥) انظر: صحيح مسلم (١٨٠٧)، و«مسند أحمد» (١٦٥٣٨). قيل: إنَّ أم علي ﷺ سمته أسدًا باسم أبيها وكان أبوه أبو طالب غائبًا، فلما قدم كره ذلك وسماه عليًا، أي ومن أسماء الأسد حيدرة، والحيدرة: الغليظ القوي. وقيل: لقب بذلك في صغره لأنَّه كان عظيم البطن ممتلئًا لحمًا، ومن كان كذلك يقال له حيدرة.

ويقال: إنَّ ذلك كان [رؤية] من علي ﷺ، فإنَّ مرحبًا كان رأى في تلك الليلة في المنام أنَّ أسدًا افترسه فذكره عليّ ﷺ بذلك ليخيفه ويضعف نفسه. كما في «السيرة الحلبية» (٢/ ١٦٩)، وانظر: «شرح السنة» للبغوي (١٣/ ١٢٧).

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ لكل أمةٍ أمينًا، وأمينُ هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح»(١).

وعن أبي نجيح: قال عمر لجلسائه: تمنوا. فتمنوا، فقال عمر: «لكني أتمنى بيتا ممتلئًا رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجراح»(٢). كلمة تكتب بماء الذهب، الأمة تحتاج

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٧٤٤)، وفي فضائل القرآن (٤٣٨٢)، وفي المغازي (٧٢٥٥)، وفي أخبار الآحاد، ومسلم في «صحيحه» (٢٤١٩) في الفضائل.

(٢) رجاله ثقات، لكن فيه انقطاع بين ابن أبي نجيح وعمر. والخبر في «الطبقات» (٣/ ١/ ٣٠٠)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٦٢) وفيه زيادة: «فقالوا له: ما آلوت الإسلام خيرًا. قال: ذلك أردت»، وفي «الحلية» (١/ ١٠٢).

والبخاري مطولًا في «تاريخهِ الصغير» (١/ ٥٤) من طريق عبد الله بن يزيد المقري، عن حيوة، عن أبي صخر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنَّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، قال لأصحابه: «تمنوا.

فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله.

فقال: تمنوا، فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبًا فأنفقه في سبيل الله.

قال: تمنوا.

قال آخر: أتمنى أن يكون ملءَ هذا البيت جوهرًا أو نحوه، فأنفقه في سبيل الله.

فقال عمر: تمنوا.

فقالوا: ما تمنينا بعد هذا.

قال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله.

قال: ثمَّ بعث بمال إلى حذيفة، قال: انظر ما يصنع، قال: فلما أتاه قسمه.

ثمَّ بعث بمال إلى معاذ بن جبل فقسمه، ثمَّ بعث بمال.

يعني إلى أبي عبيدة - قال: انظر ما يصنع.

فقال عمر: قد قلت لكم».

أو كما قال.

ورجاله ثقات غير أبي صخر، وهو حميد بن زياد الخراط فإنه مقبول الحديث حيث يتابع. كما في حواشي السير (الطبقة الأولى) (١/ ١٤).

الرجال أصحاب الثبات، صناع القرار، أصحاب العزم والهم في ساعة المحنة.

قال خليفة بن خياط: «وقد كان أبو بكر ولى أبا عبيدة بيت المال»[١].

وقال أبو عبيدة رضي الله عنه: «يا أيُّها الناس! إنِّي امرؤٌ من قريش، وما منكم من أحمر ولا أسود يفضلني بتقوى، إلا وددت أنِّي في مسلاخه»[٢].

وفي البلاد الشاميَّة قام أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بدعوة الروميين إلى الإسلام قبل بدء القتال معهم، فقد ذهب بنفسه ومعه يزيد بن أبي سفيان وضرار بن الأزور، والحارث بن هشام، وأبو جندل بن سهيل رضي الله عنهم إلى القائد الرومي أخي الملك تذارق ودعوه إلى الله عز وجل، وكان ذلك قبل معركة اليرموك.

كما دعا أبو عبيدة رضي الله عنه الرسول الرومي الذي وفد إليه من قبل ما هان (وزير ملك الروم) طالبًا منه إرسال خالد بن الوليد رضي الله عنه، إلى ماهان كي يتفاهم معه، وشرح الله صدره للإسلام فاستجاب لدعوة أبي عبيدة رضي الله وصاح: «اشهدوا عليَّ بأجمعكم أنِّي من المسلمين»[٣].

٨٢ سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري، أبو إسحاق القرشي، الزهري، المكي (ت ٥٥هـ)

أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدرًا، والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى.

قال: ما أسلم أحدًا في اليوم الذي أسلمت، ولقد مكثتُ سبع ليال، وإنِّي لثلث

---

(١) تاريخ خليفة (ص١٢٣).

(٢) انظر: الحلية (١/ ١٠١)، و«الإصابة» (٥/ ٢٨٨-٢٨٩).

(٣) انظر: الفتوح لابن عثم (١/ ٢٣٨)، و«تاريخ فتوح الشام» للأزدي (ص١٩٨).

الإسلام[١].

قال سعد بن مالك: ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد قبلي، ولقد رأيته ليقول لي: «يا سعد! ارمِ فداك أبي وأمي».

وإنِّي لأول المسلمين رمى المشركين بسهم، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ سابع سبعة، ما لنا طعام إلا ورق السمر، حتى إنَّ أحدنا ليضع كما تضع الشاة، ثمَّ أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام، لقد خبت إذن وضل سعيي[٢].

وعن القاسم بن عبد الرحمن: «أول من رمى بسهم في سبيل الله: سعد، وإنه من أخوال النبي ﷺ».

وعن ابن شهاب قال: قتل سعد يوم أحد بسهم رمي به، فقتل، فرد عليهم، فرموا به، فأخذه سعد فرمى به الثانية، فقتل، فرد عليهم، فرمى به الثالثة، فقتل، فعجب الناس مما فعل[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنَّا جلوسًا عند النبي ﷺ، فأقبل سعد بن أبي وقاص، فقال النبي ﷺ: «هذا خالي فليرني امرؤ خاله»[٤].

وكان مجاب الدعوة مشهورًا بذلك، وفي معركة الجسر، أراد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن يعبر دجلة إلى المدائن، وقطع الفرس عليه الجسر، وحازوا السفن، نظر

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٧٢٦) و(٣٧٢٧) في الفضائل: «باب مناقب سعد» (٣٨٥٨)، وفي مناقب الانصار: «باب إسلام سعد»، وابن ماجه في «سننه» (١٣٢) في المقدمة: باب فضل سعد.

(٢) رواه البخاري (٣٧٢٨) في الفضائل «باب مناقب سعد» (٥٤١٢)، وفي «الأطعمة» مختصرًا: باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، و(٦٤٥٣) في الرقاق: باب كيف كان عيش النبي وأصحابه. ومسلم في «صحيحه» (٢٩٦٦) في الزهد.

(٣) السير (١/ ٩٩)، وإسناده منقطع كما قال الذهبي.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٩٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.

سعد في جيشه، فلما اطمئن إلى حالهم، اقتحم الماء وجعل سعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه، **إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات**.

فقال له سلمان -الفارسي-: «إنَّ الإسلام جديد، ذللت لهم والله البحور، كما ذلل لهم البر، أمَا والذي نفس سلمانَ بيده ليخرجنَّ منه أفواجًا كما دخلوا أفواجًا. فخرجوا منه كما قال سلمان، لم يغرق منهم أحد، ولم يفقدوا شيئًا!»[1].

ألا هل أتى رسول الله أنّي ... حميت صحابتي بصدور نبلي
أذود بها عدوّهم ذيادا ... بكلّ حزونة وبكلّ سهل
فما يعتدّ رام من معدّ ... بسهم في سبيل الله قبلي[2]

وسأل عمر بْن الخطاب عمرو بْن معد يكرب عن خبر سعد بْن أَبِي وقاص -رضي الله عنهم- جميعًا-، فقال: «متواضع في خبائه، عربي في نمرته، أسد في تاموره، يعدل في القضية، ويقسم بالسوية، ويبعد في السرية، ويعطف علينا عطف الأم البرة، وينقل إلينا حقنا نقل الذرة»[3].

٨٣ الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب (ت ٣٦هـ)

حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله،

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ١٢).

(٢) الإصابة (٣/ ٦٤-٦٥).

(٣) أسد الغابة (٢/ ٤٥٢).

أبو عبد الله رضي الله عنه أسلم وهو حدث، له ست عشرة سنة[١].

وقد قال النبي ﷺ: «لكل نبي حواري، وحواري الزبير»[٢].

وقد ورد أنَّ الزبير كان رجلًا طويلًا[٣]، إذا ركب خطت رجلاه الأرض، وكان خفيف اللحية والعارضين.

وعن موسى بن طلحة، قال: كان علي، والزبير، وطلحة، وسعد، عذار عام واحد، يعني: ولدوا في سنة.

وقال هشام بن عروة: عن أبيه، قال: «كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير»[٤].

عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قال الزبير: «ما تخلفت عن غزوة غزاها المسلمون، إلا أن أقبل، فألقى ناسا يعقبون».

وعن الثوري قال: هؤلاء الثلاثة نجدة الصحابة: حمزة، وعلي، والزبير».

وعن هشام، عن عروة قال: «كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف: إحداهنَّ في عاتقه، إن كنت لأدخل أصابعي فيها، ضرب ثنتين يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك».

وقال عروة: قال عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير: يا عروة! هل تعرف سيف الزبير؟

قلت: نعم.

---

(١) السير للذهبي (١/ ٤١-٦٧).

(٢) رواه البخاري (٣٧١٩)، ومسلم (٢٤١٥).

(٣) رواه ابن سعد (٣/ ١/ ٧٥)، والطبراني في «الكبير» برقم (٢٢٣) و(٢٢٤).

(٤) رواه الطبراني (٢٣٠)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٨٤)، ونسبه إلى الطبراني، وقال: «هو مرسل صحيح الإسناد».

قال: فما فيه؟

قلت: فلة فلها يوم بدر، فاستله فرآها فيه، فقال: بهنَّ فلول من قراع الكتائب(١). ثمَّ أغمده ورده علي، فأقمناه بيننا بثلاثة آلاف، فأخذه بعضنا، ولوددت أنَّي كنت أخذته(٢).

٨٤ عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، أبو محمد القرشي الزهري (ت ٣٢هـ)

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى.

قال: «كان اسمي عبد عمرة، فسماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن».

قال الذهبي: كان تاجرًا سعيدًا فتح عليه في التجارة وتمول، حتى إنَّه باع مرة أرضًا بأربعين ألف دينار فتصدق بها، وحمل على خمس مئة فرس في سبيل الله، ثمَّ على خمس مئة راحلة.

وعن سعد بن الحسن قال: كان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من بين عبيده.

وعن الزهري قال: «أوصى عبد الرحمن بن عوف لمن شهد بدرًا، فوجدوا مئة، لكل رجل أربع مئة دينار، وأوصى بألف فرس في سبيل الله»(٣).

---

(١) عجز بيت صدره «ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم». وهو للنابغة من بائيته المشهورة التي مطلعها:

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

(٢) رواه البخاري (٣٩٧٣) في المغازي: باب قتل أبي جهل و(٣٧٢١) في فضائل الصحابة: باب مناقب الزبير، و(٣٩٧٥) في المغازي: باب قتل أبي جهل.

(٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٠)، والسير (١/ ٦٨-٩٢).

وعنه، قال: تصدق ابن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثمَّ تصدق بأربعين ألف دينار، وحمل على خمس مئة فرس في سبيل الله، ثمَّ حمل على خمس مئة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة[1].

٨٥ طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره التيمي (ت ٣٦هـ)، ويلقب بالفياض لكرمه وجوده

عن موسى بن طلحة، عن أبيه، قال: «لما كان يوم أحد سمَّاه النبي ﷺ طلحة الخير، وفي غزوة ذي العشيرة: طلحة الفياض، ويوم خيبر: طلحة الجود»[2].

وهو أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة.

روى الترمذي بإسنادٍ حسن، أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم أحد: «أوجب طلحة»[3].

وقال الصلت بن دينار، عن أبي نضرة، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى شهيدٍ يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة»[4].

وعن محمد بن إبراهيم التيمي، قال: كان يغل طلحة بالعراق أربعمئة ألف، ويغل بالسراة عشرة آلاف دينار، وكان يكفي ضعفاء بني تيم، ويقضي ديونهم، ويرسل إلى عائشة كل سنة بعشرة آلاف.

---

(١) رواه الطبراني (٢٦٥) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٩٩) وهو في «الإصابة» (٦/ ٣١١) ونسبه صاحب الكنز (٣٦٦٧٩) إلى ابن عساكر. ورجاله ثقات. لكنه منقطع بين الزهري وابن عوف، كما ذكره محققو السير (١/ ٨١).

(٢) راه الطبراني في «الكبير» (١٩٧) و(٢١٨)، والحاكم (٣/ ٣٧٤)، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ١٤٧) ونسبه إلى الطبراني وقال: وفيه من لم أعرفهم، وسليمان بن أيوب الطلحي وثق وضعف، ولين سنده الذهبي في «السير» (١/ ٣٠).

(٣) (١٦٩٢)، وأحمد في «مسنده» (١٤١٧).

(٤) رواه الترمذي في «سننه» (٣٧٣٩).

وقال ابن عمران قاضي المدينة: أن طلحة فدى عشرة من أسارى بدر بماله.

وعن عائشة، وأم إسحاق ابنتي طلحة قالتا: جرح أبونا يوم أحد أربعا وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجة، وقطع نساه، وشلت أصابعه[١].

٨٦ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي، أبو الأعور (ت ٥١هـ)

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان أميرًا على ربع المهاجرين، وولي دمشق نيابةً لأبي عبيدة، وشهد فتحها.

وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ وشهد حصار دمشق، وفتحها، فولاه وهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة[٢].

كان والده زيد بن عمرو ممن فر إلى الله من عبادة الأصنام، وساح في أرض الشام يتطلب الدين القيم، فرأى النصارى واليهود، فكره دينهم، وقال: اللهم إني على دين إبراهيم، ولكن لم يظفر بشريعة إبراهيم -عليه السلام- كما ينبغي، ولا رأى من يوقفه عليها، وهو من أهل النجاة، فقد شهد له النبي ﷺ بأنَّه: «يبعث أمة وحده».

وعن ابن مكيث أنَّ النبي ﷺ بعث سعيدًا وطلحة يتحسسان خبر عير قريش، فلهذا غابا عن وقعة بدر، فرجعا إلى المدينة وقدماها في يوم الوقعة، فخرجا يؤمانه، وشهد سعيد أحدا وما بعدها[٣].

---

(١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩٣)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٠-٣١).

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨٨)، والإصابة (٤/ ١٨٨).

(٣) تاريخ الإسلام (٢/ ٤٩٥)، والسير (/ ١٢٤-١٤٣).

وأما جهاد الصحابة من غير العشرة المبشرين بالجنَّةِ فكثر، منهم:

٨٧ أبو أمامة الباهلي (ت ٨١-٨٦هـ)

صدي بن عجلان بن وهب، صاحب رسول الله ﷺ ونزيل حمص.

وقد قال: يا رسول الله، ادع الله لي بالشهادة، فقال: «اللهم سلمهم وغنمهم»، قال: فسلمنا وغنمنا.

قال: ثمَّ أنشأ رسول الله ﷺ غزوا ثانيًا، فأتيته فقلت: يا رسول الله، ادع الله لي بالشهادة، فقال: «اللهم سلمهم وغنمهم»، قال: فسلمنا وغنمنا.

قال: ثمَّ أنشأ غزوا ثالثًا، فأتيته فقلت: يا رسول الله، إنِّي أتيتك مرتين قبل مرتي هذه فسألتك أن تدعو الله لي بالشهادة، فدعوت الله أن يسلمنا ويغنمنا فسلمنا وغنمنا، يا رسول الله، فادع الله لي بالشهادة، فقال: «اللهم سلمهم وغنمهم».

قال: فسلمنا وغنمنا، ثمَّ أتيته فقلت: يا رسول الله، مرني بعمل. قال: «عليك بالصوم؛ فإنَّه لا مثل له». قال: فما رئي أبو أمامة ولا امرأته ولا خادمه إلا صيامًا.

قال: فكان إذا رئي في دارهم دخان بالنَّهارِ قيل اعتراهم ضيف نزل بهم نازل[1].

وعن سليمان بن حبيب المحاربي، قال: خرجت غازيًا فلمَّا مررت بحمص، خرجت إلى السوق لأشتري ما لا غنى للمسافر عنه، فلمَّا نظرت إلى باب المسجد، قلت: لو أنِّي دخلت وركعت ركعتين، فلمَّا دخلت نظرت إلى ثابت بن معبد، وابن أبي زكريا، ومكحول في نفر من أهل دمشق، فلمَّا رأيتهم أتيتهم فجلست إليهم، فتحدثوا شيئًا، ثمَّ قالوا: إنا نريد أبا أمامة الباهلي، فقاموا وقمت معهم فدخلنا عليه،

---

(١) مسند أحمد (٢٢١٤٠) والطبراني في «الكبير» (٧٤٦٥).

فإذا شيخ قد رق وكبر، وإذا عقله ومنطقه أفضل مما نرى من منظره، فكان أول ما حدثنا أن قال: إنَّ مجلسكم هذا من بلاغ الله إيَّاكم، وحجته عليكم أن رسول الله ﷺ قد بلغ ما أرسل به، وأن أصحابه قد بلغوا ما سمعوا، فبلغوا ما تسمعون، ثلاثة كلهم ضامن على الله: رجل خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يدخله الجنة أو يرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل دخل بيته بسلام، وذكر الثالث[1].

٨٨ أنس بن النضر (ت ٣هـ) رضي الله عنه.

قال أنس: عمي الذي سميت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا، قال: فشق عليه.

قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غيبت عنه، وإن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع.

قال: فهاب أن يقول غيرها.

قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد.

قال: فاستقبل سعد بن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟.

فقال: واها لريح الجنة أجده دون أحد.

قال: فقاتلهم حتى قتل.

قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية.

قال: فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾

(١) الإصابة (٣/ ١٥٢٧).

[الأحزاب: ٢٣] قال: «فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه»(١).

٨٩ بسر بن أبي أرطأة ﷺ (ت بين ٧١-٨٠ هـ)

كان مجاهدًا انغماسيًا كريما سخيًا عن عُبَيد الله بن سعد الزُّهْرِيّ، عَن أبيه قال: شتا بسر بأرض الروم مع سفيان بن عوذ الأزدي، يعني سنة اثنتين وخمسين.

قَال الذهبي: كان أميرًا سريًا بطلًا شجاعًا فاتّكا، ساق ابن عساكر أخباره في «تاريخه».

وقال إسماعيل بن عياش، عَن أبي بكر بن عبد الله بن أَبي مريم، عن العلاء بن سفيان الحضرمي قال: غزا بسر بن أَبي أرطاة الروم فجعلت ساقته لا تزال يصاب منها طرف، فجعل يلتمس أن يصيب الذين يلتمسون عورة ساقته، فيكمن لهم الكمين، فيصاب الكمين، فجعلت بعوثه تلك لا تصيب ولا تظفر، فلما رأى ذلك، تخلف في مئة من جيشه، ثمَّ جعل يتأخر حتى تخلف وحده، فبينا هو يسير في بعض أودية الروم.

إذ دفع إلى قرية ذات حور كثير، وإذا براذين مربوطة بالحور، ثلاثين برذونا، والكنيسة إلى جانبهم، فيها فرسان تلك البراذين الذين كانوا يعقبونه في ساقته، فنزل عن فرسه فربطه مع تلك البراذين، ثم مضى حتى أتى الكنيسة فدخلها، ثم أغلق عليه وعليهم بابها، فجعلت الروم تعجب من إغلاقه وهو وحده× فما استقلوا إلى رماحهم حتى صرع منهم ثلاثة، وفقده أصحابه، فلاموا أنفسهم، وَقَالوا: إنكم لأهل أن تجعلوا مثلا للناس إن أميركم خرج معكم فضيعتموه حتى هلك× ولم يهلك منكم أحد، فبينا هم يسيرون في ذلك الوادي حتى أتوا مرابط تلك البراذين، فإذا

---

(١) صحيح مسلم (١٩٠٣).

فرسه مربوط معها، فعرفوه، وسمعوا الجلبة في الكنيسة، فأتوها فإذا بابها مغلق، فقلعوا طائفة من سقفها، فنزلوا عليهم، فلما تمكن أصحابه في الكنيسة، سقط بسر مغشيا عليه، فأقبلوا على من كان بقي، فأسروا أو قتلوا، فأقبلت عليهم الاسارى

فقالوا: ننشدكم الله من هذا الرجل الذي دخل علينا؟ قالوا: بسر بن أَبي أرطاة، فقالوا: ما ولدت النساء مثله، فعمدوا إلى معاه فردوه في جوفه، ولم ينخرق منه شيء، ثم عصبوه بعمائمهم، وحملوه على شقه الذي ليس به جراح، حتى أتوا العسكر، فخاطوه فسلم وعوفي.

وَقَال خالد بن يزيد المري، عن أيوب بن ميسرة بن حلبس: كان بسر بن أرطاة على شاتية بأرض الروم، فوافق يوم الأضحى، فالتمسوا الضحايا فلم يجدوها× فقام في الناس يوم الأضحى.

فحمد الله: وأثنى عليه، ثمَّ قال: أَيُّها الناس إنا قد التمسنا الضحايا اليوم والتمسوها فلم نقدر منها على شيء، قال: وكانت معه نجيبة له يشرب لبنها لقوح، ولم يجد شيئًا يضحي به إلا هذه النجيبة- وأنا مضح بها عنى وعنكم.

فإن الإمام أب ووالد، ثمَّ قام فنحرها، ثمَّ قال: اللهم تقبل من بسر ومن بنيه، ثمَّ قسم لحمها بين الاجناد، حتى صار له منها جزء من الاجزاء مع الناس(١).

٩٠ أبو برزة الأسلمي نضلة بن عبيد (ت ٦٤هـ)، صاحب رسول الله ﷺ.

قيل: إنَّه قتل ابن خطل يوم الفتح، وهو تحتَ أستارِ الكعبة.

روى عن النَّبي ﷺ، وأبي بكر.

---

(١) تهذيب الكمال (٤/ ٦٣-٦٤)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٧٩٣)، قال الذهبي في «سيره»: بقي إلى حدود سنة سبعين.

وعنه: ابنه المغيرة، وحفيدته منية بنت عبيد، وأبو عثمان النهدي، والأزرق بن قيس، وأبو المنهال سيار بن سلامة، وأبو الوضيء عباد بن نسيب، وكناية بن نعيم العدوي، وجماعة.

سكن البصرة، وتوفي رضي الله عنه غازيًا بخراسان[1].

٩١ البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري (ت ٢٠ هـ)

البطل الكرار، صاحب رسول الله ﷺ، وأخو خادم النبي ﷺ أنس بن مالك.

شهد أحدًا، وبايع تحت الشجرة.

قيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش: «لا تستعملوا البراء على جيش، فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم»[2].

قال الذهبي: وبلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس، على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة.

فاقتحم إليهم، وشد عليهم، وقاتل حتى افتتح باب الحديقة.

فجرح يومئذٍ بضعة وثمانين جرحًا، ولذلك أقام خالد بن الوليد عليه شهرًا يداوي جراحه.

وقد اشتهر أنَّ البراء قتل في حروبه مئة نفس من الشجعان مبارزة[3].

٩٢ بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي.

(١) تاريخ الإسلام (٣/ ٥٥٣).

(٢) المستدرك للحاكم (٣/ ٢٩١).

(٣) السير (١/ ١٩٦)، و«تاريخ خليفة خياط» (ص١٠٩).

أسلم عام الهجرة، وشهد: غزوة خيبر، والفتح، وكان معه اللواء.

استعمله النبي ﷺ على صدقة قومه.

وكان يحمل لواء الأمير أسامة حين غزا أرض البلقاء، إثر وفاة رسول الله ﷺ.

له جملة أحاديث، نزل مرو، ونشر العلم بها.

قال رضي الله عنه: «شهدت خيبر، وكنت فيمن صعد الثلمة، فقاتلت حتى رئي مكاني، وعلي ثوب أحمر، فما أعلم أني ركبت في الإسلام ذنبًا أعظم علي منه»، أي: الشهرة، وقال: «لا عيش إلا طراد الخيل بالخيل»[1].

وصدق ما قاله رضي الله عنه، وما أشبهه بقول شداد بن معاوية العبسي أبو عنترة عن هذا الموقف بقوله:

جزى الله الأغرّ جزاء صدق ... إذا ما أوقدت نار الحروب
يقيني بالجبين ومنكبيه ... وأحميه بمطّرد الكعوب[2]

٩٣ بلال بن رباح رضي الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ.

من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله، شهد بدرا، وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة، وحديثه في الكتب.

قال سعيد بن المسيب: إنَّ أبا بكر لما قعد على المنبر يوم الجمعة، قال له بلال:

أعتقتني لله أو لنفسك؟

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٩-٤٧٠)، و«تاريخ الإسلام» (٢/ ٣٨٦).

(٢) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، لأبي محمّد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني كان حيًا (٤٣٠ هـ) (ص١٩).

قال: لله

قال: فائذن لي في الغزو

فأذن له، فذهب إلى الشام، فمات(١).

٩٤ أبو زيد الأنصاري ثابت بن زيد بن قيس بن زيد.

شهد أحدًا، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن، نزل البصرة، ثمَّ قدم المدينة، فمات بها.

وقف عمر على قبره، فقال: «رحمك الله أبا زيد! لقد دفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة»(٢).

وعن الحسن أبي محمد، قال: «دخلنا على أبي زيد، وكانت رجله أصيبت يوم أحد، فأذن، وأقام قاعدًا»(٣).

٩٥ ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك الأنصاري (ت ١٢ هـ)

لما كان يوم اليمامة انهزم الناس، فقال ثابت: أفٍّ لهؤلاء ولما يعبدون! وأف لهؤلاء ولما يصنعون! يا معشر الأنصار! خلوا سنني، لعلي أصلى بحرها ساعة.

ورجل قائم على ثلمة، فقتله، وقتل(٤).

٩٦ حبيب بن مسلمة بن مالك القرشي الفهري الأمير أبو عبد الرحمن -وقيل: أبو مسلمة- القرشي، الفهري (ت ٤٢ هـ)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥٧).

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠).

(٣) السير (١/ ٣٣٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٣١٠).

له صحبة[(١)]، ورواية يسيرة.

حدث عنه: جنادة بن أبي أمية، وزياد بن جارية، وقزعة بن يحيى، وابن أبي مليكة، ومالك بن شرحبيل.

وجاهد في خلافة أبي بكر، وشهد اليرموك أميرا، وسكن دمشق، وكان مقدم ميسرة معاوية نوبة صفين.

وهو القائل: شهدت النبي ﷺ نفل الثلث، وكان في غزوة تبوك ابن إحدى عشرة سنة.

وقيل: كان يقال له: «حبيب الروم؛ لكثرة دخوله بغزوهم»[(٢)].

وكُلُّ امرِئٍ يُدعَى حَبِيبا ولَو بَدَتْ   مُرُوءتُه يَفدِى حَبِيبَ بَنِي فِهْرِ
أَمَامٌ يَقُودُ الخَيلَ حتَّى كأَنَّمَا   يَطَأْنَ برَضْرَاضِ[(٣)] الحَصَى جَاحِمَ

---

(١) وهذا رأي البخاري ﷺ. وانظر: الخلاف حوله في «تهذيب الكمال» (٥/ ٣٩٨-٣٩٩) وكان الإمام يحيى بن معين ‌ يقول: وحبيب بن مسلمة يقولون يعني أهل المدينة: لم يسمع من النبي ﷺ، وأهل الشام يقولون: قد سمع من النبي ﷺ.

وفي حواشي التهذيب (قال ابن قانع في معجمه (الورقة: ٣٦): مختلف في صحبته والراجح ثبوتها، لكنه كان صغيرا»، وأيد صحبته: أبو نعيم، وابن منده، وأبو موسى المديني، وابن الاثير، والذهبي، وابن حجر).

(٢) أخرج الحاكم في «المستدرك» (٥٤٧١)، عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: «حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر كان شريفا قد سمع من النبي ﷺ، وكان يقال له: حبيب الروم من كثرة الدخول عليهم»، قال: وفيه يقول شريح بن الحارث:

أَلَا كُلُّ مَنْ يَدَّعِي حَبِيبًا وَلَوْ بَدَتْ   مُرُوءَتُهُ تَفْدِي حَبِيبَ بَنِي فِهْرٍ
هُمَامٌ يَقُودُ الْخَيْلَ حَتَّى كَأَنَّمَا   يَطَأْنَ بِرَضْرَاضِ الْحَصَى حَاجِمَ الْجَمْرِ

وفي «السير» لأبي إسحاق الفزاري (٤٨٥) «عن عوف بن مالك، قال: أتي حبيب بن مسلمة برجل قد غل، وكان أول غلول، أراه الشام، فقام فحمد الله، وأثنى عليه فقال: إياكم وما لا كفارة له من الذنوب، إن الرجل ليزني ثم يتوب فيتوب الله عليه، وإن الرجل ليسرق ثم يتوب فيتوب الله عليه، وإنهما ذنبان لا كفارة لهما: الغلول والربا، فإن الله قال: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] فلا كفارة لصاحب الغلول، حتى يأتي بما غل يوم القيامة يحمله على ظهره، وإن آكل الربا يجيء يوم القيامة مجنونا يخنق».

(٣) الرضراض: ما دق من الحصى.

(٤) تهذيب الكمال (٥/ ٣٩٧).

وولي أرمينية لمعاوية، فمات بها، سنة اثنتين وأربعين.

وله نكاية قوية في العدو[١].

وفي «فتوحِ البلدان» كان حبيب ذا أثر جميل في فتوح الشام وغزو الروم، قد علم ذلك منه عمر ثم عثمان رضى الله عنهما ثم من بعده.

وقالت أم عبد الله بنت يزيد الكلبية امرأة حبيب ليلتئذ له: أين موعدك؟ قال: سرادق الطاغية أو الجنة، فلما انتهى إلى السرادق وجدها عنده[٢]

وكان حبيب بن سلمة: يستحب إذا لقي عدوًا أو ناهض حصنًا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنَّه ناهض يومًا حصنًا للروم فانهزم، فقاتلها المسلمون وكبروا فانهدم الحصن[٣]

٩٧ حمزة بن عمرو بن عويمر بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم الأسلمي (ت ٦١هـ)، أبو صالح، ويقال: أبو محمد المدني، له صحبة.

روى عن: النبي ﷺ، وعن أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب.

روى له البخاري تعليقًا، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

وقدم الشام غازيًا، وكان البشير بوقعة أجنادين إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٨٨-١٨٩).

(٢) فتوح البلدان (١/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٣) الوابل الصيب (ص١٣٠).

(٤) تهذيب الكمال (٧/ ٣٣٤).

٩٨ حممة بن أبي حمية ﵁

قال حميد بن عبد الرحمن: كان رجل يقال له: حممة، من أصحاب رسول الله ﷺ خرج إلى أصبهان غازيًا، وفتحت في خلافة عمر ﵁.

فقال: «اللهم إنَّ حممة يزعم أنَّه يحب لقاءك، فان كان صادقًا فأعزُم له عليه بصدقه، وإنْ كان كاذبًا فأعزم له عليه، وإنْ كره اللهم لا ترد حممة في سفره هذا» فمات بأصبهان.

فقام أبو موسى فقال: «إلا أنا والله ما سمعنا فيما سمعنا من بينكم، وما بلغ علمنا إلا إن حممة شهيد»[١].

٩٩ جندب بن كعب بن عبد الله بن غنم الأزدي الغامدي (ت ٣٧ هـ)

وفي «كتاب» العسكري: ذكر النبي ﷺ فقال: «جندب، وما جندب؟ يضرب ضربة يفرق بها بين الحق والباطل.

وفي كتاب أبي عمر: لما سجن الوليد جندبًا، انقض ابن أخيه، وكان فارس العرب، على صاحب السجن فقتله وأخرجه، وقال:

أفي ضربةِ السحَّار يسجنُ جندب ... ويقتل أصحاب النبيّ الأوائل
فإنْ يكُ ظنَّي بابن سلمى ورهطه ... هو الحقُّ يطلق جندب أو يقاتل

قال: وانطلق -يعني جندبًا- إلى أرض الروم فلم يزل يقاتل أهل الشرك حتى مات، لعشرِ سنواتٍ خلتْ من خلافة معاوية»[٢].

قال الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» «الذي قتل الساحر على الصحيح». وكان هذا

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٩٢)، وانظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢٣٢٤)، وأسد الغابة (٢/ ٧٥) ط: العلمية.

(٢) إكمال تهذيب الكمال (٣/ ٢٤٧).

الساحر يقتل رجلًا ثمَّ يحييه، ويدخل في فم ناقة ويخرج من حياها، فضرب جندب بن كعب عنقه ثمَّ قال: أحي نفسك. وتلا: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٣]، فرفعوا جندبًا إلى الوليد بن عقبة فحبسه.

وقيل: قتل السجان أقرباء جندب وأطلقوه، فذهب إلى أرض الروم يجاهد، ومات سنة خمسين، وكان شريفًا كبيرًا في الأزدِ.

وقيل: بل الذي قتل الساحر جندب الخير المذكور بعد الستين[(١)].

١٠٠ أبو أيوب الأنصاري النجاري؛ خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة (ت ٥٢ هـ)

من بني غنم بن مالك بن النجار، غلبت عليه كنيته، أمه هند بنت سعد بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر.

شهد العقبة وبدرًا، وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله ﷺ.

كان أبو أيوب الأنصاري مع علي بن أبي طالب في حروبه كلها، ثمَّ مات بالقسطنطينية من بلاد الروم في زمن معاوية، وكانت غزاته تلك تحت راية يزيد، هو كان أميرهم يومئذ، وذلك سنة خمسين أو إحدى وخمسين من التاريخ.

وقيل: بل كانت سنة اثنتين وخمسين، وهو الأكثر في غزوة يزيد القسطنطينية[(٢)].

وعن محمد، قال: شهد أبو أيوب بدرًا، ثمَّ لم يتخلف عن غزاة إلا عامًا، اسْتُعْمِلَ على الجيش شاب، فقعد، ثمَّ جعل يتلهف، ويقول: «ما عليَّ من استعمل عليَّ».

---

(١) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٩٥).

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ٤٢٥-٤٢٦)، وانظر: «الإصابة» (٢/ ٢٣٤).

وكان يقول: قال الله: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] لا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلًا(١).

وقال أبو زرعة النصري: قدم دمشق زمن معاوية.

وقال الخطيب: شهد حرب الخوارج مع علي رضي الله عنه(٢).

لقد كان لأبي أيوب رضي الله عنه مكانة كبير عند الأتراك، فـ «بعد مجيء الدولة العثمانية وفتح القسطنطينية أصبحت مكانة أبي أيوب الأنصاري عظيمة في الثقافة العثمانية، فقد درج السلاطين العثمانيون يوم يتربعون على الملك أن يقيموا حفلًا دينيًا في مسجد أبي أيوب، حيث يتقلدون سيفًا للرمز إلى السلطة، التي أفضت إليهم وكان لأبي أيوب رضي الله عنه عند الترك خواصهم وعوامهم رتبة ولي الله الذي تهوي إليه القلوب المؤمنة وينظرون إليه كونه مضيف رسول الله، فقد أكرمه وأعانه وقت العسرة كما أنه له مكانة مرموقة بين المجاهدين واعتبروها ضيافته لرسول الله وجهاده في سبيل الله أعظم مناقبه وأظهر مآثره.

وقد ترك أبو أيوب رضي الله عنه في وصيته بأن يدفن في أقصى نقطة من أرض العدو صورة رائعة تدل على تعلقه بالجهاد، فيكون بين صفوفهم حتى وهو في نعشه على أعناقهم وأراد أن يتوغل في أرض العدو حيًا وميتًا، وكأنما لم يكفه ما حقق في حياته فتمنى مزيدًا عليه بعد مماته، وهذا ما لا غاية بعده في مفهوم المجاهد الحق بالمعنى الأصح الأدق. ومن الغريب ما نراه في حياتنا من حرص بعض المسلمين إذا مات خارج بلده أن يوصي أهله بإرجاعه ودفنه في أرضه، والأرض أرض الله، والبلاد بلاد الله.

---

(١) السير (٢/ ٤٠٤-٤٠٥)، و«الطبقات» لابن سعد (٣/ ٤٨٥).

(٢) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٠).

وقد مدحه شعراء الأتراك في أشعارهم، وهذا شيخ الإسلام أسعد أفندي يشير إشارة لامحة إلى موقعه بقوله:

شهد المشاهد جاهدًا ومجاهدًا ... ومكابدًا بحروبه ما كابدا
حتى أتى بصلابة ومهابة ... في آخر الغزوات هذا المشهدا
قد مات مبطونًا غريبًا غازيا ... فغدا شهيدًا قبل أن يستشهدا[1]

١٥١ خالد بن الوليد (ت ٢١هـ) رضي الله عنه.

سيف الله تعالى وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد الإمام، الأمير الكبير، قائد المجاهدين، أبو سليمان القرشي، المخزومي، المكي، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث.

هاجر مسلمًا في صفر، سنة ثمان، ثمَّ سار غازيًا، فشهد غزوة مؤتة، واستشهد أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة: مولاه زيد، وابن عمه جعفر ذو الجناحين، وابن رواحة، وبقي الجيش بلا أمير، فتأمر عليهم في الحال خالد، وأخذ الراية، وحمل على العدو، فكان النصر.

وسمَّاه النبي ﷺ: سيف الله، فقال: «إنَّ خالدًا سيف سله الله على المشركين».

وشهد الفتح، وحنينا، وتأمر في أيام النبي ﷺ واحتبس أدراعه ولامته في سبيل الله، وحارب أهل الردة، ومسيلمة، وغزا العراق، واستظهر، ثمَّ اخترق البرية السماوية بحيث إنه قطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه، وشهد حروب الشام.

عن قيس بن أبي حازم، قال: قال خالد بن الوليد: «لقد شغلني الجهاد في سبيل الله

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار (١/ ٤١٧-٤١٨).

عن كثير من قراءة القرآن»[١].

قال الحافظ الذهبي معلقًا: «هذه -والله- الكرامة، وهذه الشجاعة»[٢].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: «ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد أحدًا في حربه منذ أسلمنا»[٣].

وقال: «انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية»[٤].

وقال الصديق رضي الله عنه في حق خالد: «عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد»[٥].

وعن العيزار بن حريث: أنَّ خالد بن الوليد رضي الله عنه أتى على اللات والعزى، فقال:

يَا (عُزُّ) كُفْرَانَكِ لاَ سُبْحَانَكِ ... إِنِّي رَأَيْتُ اللهَ قَدْ أَهَانَك

وقال:

أَيَا عُزُّ شُدِّي شَدَّةً لا شَوَى لَهَا ... عَلَى خَالِدٍ أَلْقِي الْقِنَاعَ وَشَمِّرِي

وَيَا عُزُّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْيَوْمَ خَالِدًا ... فَبُوئِي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تنصري[٦]

وعن نافع، قال: لما مات خالد، لم يدع إلا فرسه وسلاحه وغلامه.

فقال عمر: رحم الله أبا سليمان، كان على ما ظنناه به[٧].

---

(١) «فضائل القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص١٨٩)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (٨٩١٣)، وأبي يعلى في «مسنده» (٦/ ٣٦١- ٧١٥٢)، وابن حجر في «المطالب العالية» وصححه (١٦/ ٣١٤).

(٢) السير (١ / ٣٧٦).

(٣) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٥٠) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، والكبير ورجاله ثقات.

(٤) صحيح البخاري (٤٠١٧).

(٥) السيرة الحلبية (٣/ ٣٤).

(٦) تاريخ الطبري (٣/ ٦٥).

(٧) السير (١/ ٣٨٣)، و«الطبقات» لابن سعد (٧/ ١/ ١٢١).

١٥٢ أبو دجانة الأنصاري سماك بن خرشة بن لوذان (ت ١٢هـ) ﵁.

قال الواقدي: «ثبت أبو دجانة يوم أحد مع النبي ﷺ وبايعه على الموت. وهو ممَّن شارك في قتل مسيلمة الكذاب، ثم استشهد يومئذٍ»[١].

قال زيد بن أسلم: دخل على أبي دجانة وهو مريض، وكان وجهه يتهلل.

فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟

فقال: «ما منْ عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليمًا»[٢].

وعن أنس بن مالك ﵁، قال: «رمى أبو دجانة بنفسه يوم اليمامة إلى داخل الحديقة، فانكسرت رجله، فقاتل وهو مكسور الرجل حتى قتل ﵁»[٣].

عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: «لمَّا وضعت الحرب أوزارها، افتخر أصحاب رسول الله ﷺ بأيامهم، وطلحة ساكت لا ينطق، وسماك بن خرشة أبو دجانة ساكت لا ينطق».

فقال رسول الله ﷺ حين رأى سكوتهما: «لقد رأيتني يوم أحد وما في الأرض قربي مخلوق غير جبريل عن يميني، وطلحة عن يساري»[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٥٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٣).

(٣) أسد الغابة (٢/ ٤٥٢).

(٤) إسناده ضعيف جدًا؛ لضعف صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله الطلحي الكوفي. ضعفه ابن معين، وأبو حاتم، والبخاري، والنسائي.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه أحد. كما ذكره (محقق السير).

وكان سيف أبي دجانة غير ذميم؛ وذلك أن النبي ﷺ عرض ذلك السيف حتى قال: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟».

فأحجم الناس عنه.

فقال أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟

قال: «تقاتل به في سبيل الله حتى يفتح الله عليك، أو تقتل».

فأخذه بذلك الشرط.

فلمَّا كان قبل الهزيمة يوم أحد، خرج بسيفه مصلتا وهو يتبختر، ما عليه إلا قميص وعمامة حمراء قد عصب بها رأسه، وإنه ليرتجز، ويقول:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي ... بِالشِّعْبِ ذِي السَّفْحِ لَدَى النَّخِيل
أَلَا أَكُونَ آخِرَ الْأُفُولِ ... أَضْرِبْ بِسَيْفِ اللهِ وَالرَّسُولِ[1]

١٠٣ حكيم الأمة أبو الدرداء (ت ٣٢) ﷺ.

عن عروة بن رويم أنَّ القاسم أبا عبد الرحمن حدثه قال: «زارنا سلمان وخرج الناس يتلقونه كما يتلقى الخليفة فلقيناه وهو يمشى فلم يبق شريف إلى عرض عليه

---

(١) الشعر في «طبقات ابن سعد» (٣/ ٥٥٦)، والحديث رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٣)، ومسلم في «صحيحه» (٢٤٧٠) في فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي دجانة، من طريق حماد بن سلمة عن ثابت، عن أنس ﷺ: أنَّ رسول الله، ﷺ، أخذ سيفًا يوم أحد فقال: من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا.

قال: فمن يأخذه بحقه؟ قال: فأحجم القوم.

فقال سماك بن خرشة، أبو دجانة: أنا آخذه بحقه.

قال: فأخذه ففلق به هام المشركين.

وأحجم: تأخر وكف.

وفلق هام المشركين: شق رؤوسهم.

وحديث: إنها لمشية ... ذكره الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٠٩) ونسبه إلى الطبراني، وقال: «وفيه من لم أعرفه».

أن ينزل به.

فقال: جعلت في نفسي مدتي هذه أن أنزل على بشير بن سعد فلما قدم سأل عن أبي الدرداء، فقالوا: مرابط ببيروت فتوجه قبله»(١).

وعن يحيى بن سعيد أن أبا الدرداء ﵁، كتب إلى سلمان الفارسي، أن هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان: «إنَّ الأرض لا تقدس أحدًا. وإنَّما يقدس الإنسان عمله، وقد بلغني أنَّك جعلت طبيبًا تداوي فإنْ كنت تبرئ فنعما لك. وإن كنت متطببا فاحذر أن تقتل إنسانًا فتدخل النار»(٢).

وعن سفيان بن عيينة، عن الحريري أنَّ أبا الدرداء ﵁ نزل الغزو عامًا فأعطى رجلًا صرة فيها دراهم، فقال له: «إذا رأيت رجلًا يسير من القوم حجزه في هيئة كذا فادفعها إليه.

قال: فرأى رجلًا في الهيئة التي ذكرها أبو الدرداء، وهو يمشي خارجًا من طريق العسكر فدفع إليه الصرة، وأعلمه أنَّ أبا الدرداء بعث بها إليه، فرفع رأسه إلى السماء فقال: لم تنسَ حديرًا فاجعل حديرًا لا ينساك»(٣).

وعن أبي الدرداء ﵁، كان يقول: «اعمل عملًا صالحًا قبل الغزو؛ فإنَّما تقاتلون النَّاسَ بأعمالِكم»(٤).

وقال أبو الدرداء ﵁: «لولا ثلاثٌ ما باليت متى متُّ لولا أنَّ أسير غازيًا في سبيل الله، أو أعفر وجهي في التراب، ولولا أن أقاعد قومًا يلتقطون طيب الكلام» قال

---

(١) التاريخ الصغير للبخاري (٢٨٣)، (١/ ٧٣)، و«تاريخ دمشق» (٢١/ ٣٧٤)، و«تاريخ الإسلام» (٢/ ٢٨٦).

(٢) الموطأ كتاب الوصية (٧) (٢/ ٧٦٩).

(٣) المستغيثين بالله (ص١٢٤-١٢٥).

(٤) الزهد لأحمد (٧٢٤).

شعبة أو قال: حسن الكلام كما يلتقط طيب التمر[١].

وعن جبير بن نفير، قال: «لما افتتح المسلمون قبرس وفرق بين أهلها، فقعد بعضهم يبكي إلى بعض، وبكى أبو الدرداء رضي الله عنه.

فقلت: ما يبكيك في يومٍ أعزَّ اللهُ فيه الإسلام، وأذل الشرك وأهله؟

قال: دعنا منك يا جبير! ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا تركوا أمره، بينا هو أمة قاهرة قادرة؛ إذ تركوا أمر الله عز وجل فصاروا إلى ما ترى»[٢].

١٠٤ زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، أبو عبد الرحمن (ت ١٢ هـ)، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله.

وجاء أنَّ راية المسلمين يوم اليمامة كانت مع زيد، فلم يزل يتقدم بها في نحر العدو، ثم قاتل حتى قتل، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة.

وكان زيد يقول ويصيح: «اللهم إنِّي أعتذر إليك من فرارِ أصحابي، وأبرأُ إليك

---

(١) تاريخ ابن معين رواية الدوري (٤/ ٣٤٠).

(٢) العقوبات (ص١٩)، و«حلية الأولياء» (١/ ٢١٦)

قال ابن القيم في «الجواب الكافي» (ص١٠١-١٠٢): «وما الذي أرسل على قوم شعيب سحابَ العذاب كالظُّلل، فلمّا صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظّى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نُقلت أرواحُهم إلى جهنّم. فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟ وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنول العقوبات، ودمّرها تدميرًا؟ وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟ وما الذي بعث على بني إسرائيل قومًا أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرّية والنساء، وأحرقوا الديار، ونهبوا الأموال. ثم بعثهم عليهم مرة ثانية، فأهلكوا ما قدروا عليه، وتبّروا ما علوا تتبيرًا؟

وما الذي سلّط عليهم أنولَ العقوبات مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرّةً بجور الملوك، ومرّةً بمسخهم قردة وخنازير؟ وآخر ذلك أقسم الرب ﷻ: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

ممَّا جاء به مسيلمة ومحكم بن الطفيل»[١].

١٠٥ سالم مولى أبي حذيفة (ت ١٢ هـ)

من السابقين الأولين، البدريين، المقربين، وكان من أهل العلم، كان معه لواء المهاجرين يوم اليمامة، قيل له: إنَّا نخاف عليك. كأنَّهم يعنون الفرار، فقال: «بئس حامل القرآن أنا إذا»[٢].

وذكر جماعة عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: لمَّا انكشف المسلمون يوم اليمامة، قال سالم مولى أبي حذيفة: «ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ»، فحفر لنفسه حفرة وقام فيها ومعه راية المهاجرين يومئذ، فقاتل حتى قتل يوم اليمامة شهيدًا سنة اثنتي عشرة، وذلك في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٣].

وفي مسند الإمام أحمد بسنده، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أبطأت على النبي ﷺ، فقال: «ما حبسك يا عائشة؟».

قالت: يا رسول الله، إنَّ في المسجد رجلًا ما رأيت أحدًا أحسنَ قراءة منه.

قال: فذهب رسول الله ﷺ، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك»[٤].

١٠٦ سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري رضي الله عنه ابن مالك بن امرئ القيس بن

(١) السير (سير الخلفاء الراشدين/ ٥٦).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص١١٦)، ومن هنا تعلم ما رواه عن أبي الدرداء، قال: سئلت عائشة عن خلق، رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن؛ يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه».

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٦٤-٦٥)، و«السير» للذهبي (١/ ١٦٩).

(٤) المسند (٢٥٣٢٠).

مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

الأنصاري، الخزرجي، الحارثي، البدري، النقيب، الشهيد، الذي آخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، فعزم على أن يعطي عبد الرحمن شطر ماله، ويطلق إحدى زوجتيه ليتزوج بها، فامتنع عبد الرحمن من ذلك، ودعا له، وكان أحد النقباء ليلة العقبة.

عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة: أن رسول الله ﷺ قال: «من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟»

فقال رجل من الأنصار: أنا.

فخرج يطوف في القتلى، حتى وجد سعدًا جريحًا مثبتًا بآخرِ رمق.

فقال: يا سعد! إنَّ رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم في الأموات؟

قال: فإنِّي في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ السلام، وقل: إنَّ سعدًا يقول: «جزاك الله عني خير ما جزى نبيا عن أمته، وأبلغ قومك مني السلام.

وقل لهم: إنَّ سعدًا يقول لكم: إنَّه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف»[(١)].

١٠٧ أبو سفيان بن حرب (ت ٣١ هـ)

من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم، فشهد حنينا، وأعطاه صهره رسول الله ﷺ من الغنائم مئة من الإبل، وأربعين أوقية من الدراهم يتألفه بذلك.

---

(١) السير (١/ ٣١٨-٣١٩)، وانظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ١٤٥)، و«أسد الغابة» (٢/ ٣٤٨).

ففرغ عن عبادة هبل، ومال إلى الإسلام.

وشهد قتال الطائف، فقلعت عينه حينئذ، ثمَّ قُلِعت الأخرى يوم اليرموك، وكان يومئذٍ قد حسن إيمانه، فإنَّه كان يومئذٍ يحرض على الجهاد.

وكان يقف على الكراديس -كتائب الخيل- يذكر، ويقول: «الله الله، إنَّكم أنصار الإسلام ودارة العرب، وهؤلاء أنصار الشرك ودارة الروم؛ اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك».

عن ابن المسيب، عن أبيه، قال: خمدت الأصوات يوم اليرموك، والمسلمون يقاتلون الروم إلا صوت رجل يقول: «يا نصر الله اقترب، يا نصر الله اقترب، فرفعت رأسي فإذا هو أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه يزيد بن أبي سفيان»[١].

١٠٨ سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع: سنان بن عبد الله، أبو عامر، وأبو مسلم

ويقال: أبو إياس الأسلمي، الحجازي، المدني

عن يزيد بن أبي عبيد الله قال: قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: «على الموت»[٢].

وفي رواية: «غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات، وغزوت مع ابن حارثة استعمله علينا»[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ١٠٦-١٠٨).

(٢) صحيح البخاري (٣٩٣٦)، و«صحيح مسلم» (١٨١٥).

(٣) صحيح البخاري (٤٠٢٣).

وفي رواية: «غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات[١]، فذكر خيبر والحديبية ويوم حنين ويوم القرد»

قال يزيد: ونسيت بقيتهم[٢].

ولاه يزيد يقول: «بايعت رسول الله ﷺ على الموت، وغزوت معه سبع غزوات»[٣].

١٠٩ سهيل بن عمرو (ت ١٨هـ) رضي الله عنه.

عن أبي سعيد بن فضالة الأنصاري وكانت له صحبة رضى الله تعالى عنه قال اصطحبت أنا وسهيل بن عمرو ليالي أعزره أبو بكر رضي الله عنه فسمعت سهيلًا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مقام أحدكم في سبيل الله ساعة خير له من عمله عمره في أهله»، قال: سهيل وأنا مرابط حتى أموت ولا أرجع إلى مكة أبدا فبقي مرابطًا بالشام إلى أن مات بها في طاعون عمواس، وإنَّما وقع هذا الطاعون بالشام

---

(١) وثبت عدد السبعة عن جماعة منهم عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد». كما في «صحيح البخاري» (٥١٧٦)، و«صحيح مسلم» (١٩٥٢)، وفي رواية «أحمد» (١٩٣٩٨) «ست غزوات نأكل الجراد»، وعند البخاري على الشك، قال البخاري: قال سفيان وأبو عوانة وإسرائيل عن أبي يعفور عن ابن أبي أوفى «سبع غزوات».

وعن أم عطية الأنصارية قالت: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم؛ فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى». كما في «مسند أحمد» (٢٧٣٠٠)، و«صحيح مسلم» (١٨١٢).

وثبت عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، فعن الأزرق بن قيس قال: «كنَّا بالأهواز نقاتل الحرورية فبينا أنا على جرف نهر إذا رجل يصلي وإذا لجام دابته بيده فجعلت الدابة تنازعه وجعل يتبعها قال شعبة -هو أبو برزة الأسلمي- فجعل رجل من الخوارج يقول: اللهم افعل بهذا الشيخ، فلما انصرف الشيخ قال: إني سمعت قولكم، وإني غزوت مع رسول الله ﷺ ست غزوات أو سبع غزوات وثمان، وشهدت تيسيره، وإني إن كنت أن أراجع مع دابتي أحب إلي من أن أدعها ترجع إلى مألفها فيشق علي». كما في «صحيح البخاري» (١١٥٣)، وثبت عن غير هؤلاء عدد السبعة، والله أعلم.

(٢) صحيح البخاري (٤٠٢٤).

(٣) السير (٣/ ٣٢٦).

سنة ثمان عشرة من الهجرة[١].

١١٠ شمعون بن زيد بن خنافة، أبو ريحانة الأزدي

كان حليفًا للأنصار، ويقال له: مولى رسول الله ﷺ، ويقال: شمغون -بالغين المعجمة- له صحبة. شهد فتح دمشق واتخذ بها دارًا، وسكن بعد ذلك بيت المقدس، وكان يكون بمصر والشام، وكان يرابط بعسقلان، ورابط بميافارقين، من أرض الجزيرة. ويقال: أنَّه والد ريحانة سرية النبي ﷺ.

قال حبيب بن عبيد: أنَّ أبا ريحانة كان مرابطًا بالجزيرة بميا فارقين، فاشترى رسنا من نبطي من أهلها بأفلس فقفل أبو ريحانة ولم يذكر الفلوس أن يدفعها إلى صاحبها حتى انتهى إلى عقبة الرستن.

قال أبو بكر: وهي من حمص -على مسيرة اثني عشر ميلًا- فذكرها، فقال لغلامه: هل دفعت إلى صاحب الرسن فلوسه؟

قال: لا.

قال: فنزل عن دابته فاستخرج نفقة من نفقته فدفعها إلى غلامه، وقال لأصحابه: أحسنوا معاونته على دوابي حتى يبلغ أهلي.

قالوا: فما الذي تريد؟

قال: انصرف إلى بيعي حتى ادفع إليه فلوسه فأؤدي أمانتي، فانصرف حتى أتى ميا فارقين، فدفع الفلوس إلى صاحب الرسن، ثم انصرف إلى أهله.

وبه، قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي مريم، قال: حدثني حبيب بن عبيد أنَّ أبا ريحانة

---

(١) مستدرك الحاكم (فضائل الصحابة) (١١/ ٢٨٣).




مـر بحمـص فسـمع لأهلهـا ضوضـاء شـديدة، فقـال لأصـحابه: مـا هـذه الضوضـاء؟ قـالوا: أهـل حمـص يقسـمون بيـنهم مسـاكنهم، فرفـع ضـبعيه[١] فلـم يـزل يـدعو: اللهـم لا تجعلها لهم فتنة إنَّك على كل شيءٍ قدير.

فلم يزل على ذلك حتى انقطع عنهم صوتهم لا يدرون متى كف[٢].

١١١ الطفيل بن عمرو بن طريف الدوسي (ت ١١ هـ)

صاحب النبي ﷺ كان سيدًا مطاعًا، من أشراف العرب.

قـال: رأيـت كـأن رأسـي حلـق، وخـرج مـن فمـي طـائر، وكـأن امـرأة أدخلتني في فرجهـا، وكأنَّ ابني يطلبني طلبًا حثيثًا، فحيل بيني وبينه.

فحدثت بها قومي، فقالوا: خيرًا.

فقلت: أما أنا فقد أولتها: أمَّا حلق رأسي: فقطعه.

وأمَّا الطائر: فروحي.

والمرأة: الأرض أدفن فيها، فقد روعت أن أقتل شهيدًا.

وأمَّـا طلـب ابنـي إيَّـاي: فمـا أراه إلا سـيعذر في طلـب الشـهادة، ولا أراه يلحـق في سـفره هذا.

قال: فقتل الطفيل يوم اليمامة، وجرح ابنه، ثمَّ قتل يوم اليرموك بعد[٣].

---

(١) أي عضديه.

(٢) تهـذيب الكمـال (٢٧٧٤) (١٢/ ٥٦١-٥٦٤) وانظـر: «الآحـاد والمثـاني» (٢٣٢٣) (٤/ ١٦٦)، و«الإصـابة» (١/ ٣٠٥)، و«تهذيب التهذيب» (١٥/ ٦٩).

(٣) السـير (١/ ٣٤٦)، وذكـره ابـن هشـام (١/ ٣٨٢) عـن ابـن إسـحاق بـلا سـند. وذكـره ابـن عبـد الـبر (٥/ ٢٢٤) عـن ابن إسحاق.

١١٢ أَبُو طَلْحَة الأنصاري. زيد بن سهل بن الأسود النجاري الأنصاري (ت ٣٤ هـ)

صحابي من الشجعان الرماة المعدودين في الجاهلية والإسلام. مولده في المدينة.

ولمَّا ظهر الإسلام كان من كبار أنصاره، فشهد العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد.

وكان جهير الصوت، وفي الحديث: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل». وكان ردف رسول الله ﷺ يوم خيبر وتوفي في المدينة. وقيل: ركب البحر غازيا فمات فيه[١].

وعن أنس ﵁: أن أبا طلحة قرأ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، فقال: استنفرنا الله وأمرنا، شيوخنا وشبابنا، جهزوني.

فقال بنوه: يرحمك الله! إنَّك قد غزوت على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر، ونحن نغزو عنك الآن.

قال: «فغزا البحر، فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فلم يتغير»[٢].

عن أنس ﵁، أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «منْ قتلَ قتيلًا فله سلْبُهُ».

فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلًا، وأخذ أسلابهم[٣].

١١٣ طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي (ت ٢١ هـ)

---

(١) الأعلام (٣/ ٥٨)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٦٤)، و«تهذيب ابن عساكر» (٦/ ٤)، و«صفة الصفوة» (١/ ١٩٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٤)، وهو في «الطبقات» (٣/ ٥٠٧) من طريق عفان بن مسلم، عن حماد به.

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٢٧١٨)، وإسناده صحيح.

قال الذهبي: البطل الكرار، صاحب رسول الله ﷺ ومن يضرب بشجاعته المثل.

كتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص: أنْ شاور طليحة في أمر الحرب، ولا تولهِ شيئًا.

قال محمد بن سعد: «كان طليحة يعد بألفِ فارسٍ لشجاعتهِ وشدته».

قلت: أبلى يوم نهاوند[١]، ثمَّ استشهد رضي الله عنه وسامحه[٢].

قال تقي الدين السبكي في «فتاويه» «فالنَّاسُ ألفٌ منهم كواحد وواحد كالألف:

أَكُلُّ امْرِئٍ تَحْسِبِينَ امْرَأً ... وَنَارٍ تُوقِدُ بِاللَّيْلِ نَارًا»[٣]

١١٤ عباد بن بشر بن وقش بن زغبة الأنصاري (ت ١٢هـ)

أحد البدريين، كان من سادة الأوس، استعمله النبي ﷺ على صدقات مزينة،

---

(١) نهاوند: بفتح النون الأولى، وتكسر، وفتح الواو، ونون ساكنة ودال مهملة: هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام.

جمع الفرس جموعهم فيها، وقيل: بلغت هذه الجموع مئة وخمسين ألفا، وقدم عليهم الفيروزان.

وبلغ ذلك المسلمين فأنفذ عمر عليهم الجيوش وعليها النعمان بن مقرن، فواقعهم فكان أول قتيل، فأخذ حذيفة بن اليمان الراية، وتم الفتح والنصر للمسلمين.

وكان ذلك سنة (١٩) للهجرة وقيل سنة (٢١)، وقد ذكر الطبري هذه المعركة في هذه السنة، انظر: «تاريخه» (٤/ ١١٤) وما بعدها، وكذلك ذكرها ابن الأثير في «كامله» (٣/ ٥) وما بعدها.

وفيها يقول القعقاع بن عمرو المخزومي:

رمى الله من ذم العشيرة سادرا ... بداهية تبيض منها المقادم

فدع عنك لومي لا تلمني فإنَّني ... أحوط حريمي، والعدو الموائم

فنحن وردنا في نهاوند موردا ... صدرنا به، والجمع حران واجم

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣١٧).

(٣) فتاوى السبكي (٢/ ٣٤١).

وبني سليم، وجعله على حرسه في غزوة تبوك، وكان كبير القدر ﷺ أبلى يوم اليمامة بلاء حسنًا، وكان أحد الشجعان الموصوفين.

قال عباد بن بشر: رأيت الليلة كأن السماء فرجت لي، ثم أطبقت علي، فهي -إن شاء الله- الشهادة.

نظر يوم اليمامة وهو يصيح: احطموا جفون السيوف، وقاتل حتى قتل بضربات في وجهه ﷺ[١].

١١٥ عبادة بن الصامت (ت ٣٤هـ) ﷺ

روى ابن عاصم في «الآحاد والمثاني» أنَّ عبادة بن الصامت ﷺ «نزل بالمصيصة فابتنى بها دارًا فلم يزل بها مرابطًا حتى مات بها»[٢].

١١٦ عبد الله بن أم مكتوم القرشي العامري من السابقين المهاجرين (ت ١٥هـ)

عن البراء، قال: لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾، دعا النبي ﷺ زيدًا، وأمره، فجاء بكتف وكتبها.

فجاء ابن أم مكتوم، فشكا ضرارته، فنزلت: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥][٣].

وعن ابن أبي ليلى: إنَّ ابن أم مكتوم قال: أي رب! أنزل عذري.

فأنزلت: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾. فكان بعد يغزو، ويقول: ادفعوا إليَّ اللواء، فإنِّي أعمى لا أستطيع

---

(١) السير (١/ ٣٣٧)، و«تاريخ الإسلام» (١/ ٣٧٠)، و«الجرح والتعديل» (٦/ ٧٧).

(٢) الآحاد والمثاني (١٨٦٤) (٣/ ٤٣١).

(٣) رواه البخاري (٤٥٩٣) و(٤٥٩٤) والترمذي (٣٠٣٤) كلاهما في التفسير.

أن أفر، وأقيموني بين الصفين[1].

١١٧ عبد الله بن جحش رضي الله عنه

عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص، حدثني أبي أن عبد الله بن جحش، قال يوم أحد: ألا تأتي ندعو الله، فخلوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقينا القوم غدًا، فلقني رجلًا شديدًا بأسه شديدًا حرده، فأقاتله فيك ويقاتلني، ثمَّ ارزقني عليه الظفر حتى أقتله، وآخذ سلبه.

فقام عبد الله بن جحش ثمَّ قال: اللهم ارزقني غدًا رجلًا شديدًا حرده، شديدًا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثمَّ يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا قلت: يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فيقول: صدقت.

قال سعد بن أبي وقاص: يا بني كانت «دعوة عبد الله بن جحش خيرًا من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإن أذنه وأنفه لمعلقان في خيط»[2].

١١٨ عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري (ت ٣هـ)

أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرا، واستشهد يوم أحد.

عن جابر رضي الله عنه: لما قتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه، وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهوني، وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى

---

(١) الطبقات لابن سعد (٤/ ١٥٩)، و«السير» (١/ ٣٦٤).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٤٠٩)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

رفعتموه»[(١)].

١١٩ عبد الله بن قرط الأزدي الثمالي (ت ٥٦ هـ)

كان اسمه شيطانًا، فسمَّاه النبي ﷺ عبد الله.

له ولأخيه عبد الرحمن صحبة، عداده في الشاميين، كان أميرًا على حمص من قبل معاوية، قتل بأرض الروم غازيًا سنة ست وخمسين[(٢)].

١٢٠ عبد الملك بن جندب بن جنادة (ابن أبي ذر الغفاري) (ت ٨١هـ) رضي الله عنهما.

حدث عن: أبيه، وسلمان الفارسي.

روى عنه: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأبو تميم عبد الله بن مالك الجيشاني، وحنش بن عبد الله الصنعاني، وجعفر بن ربيعة، وقيس بن شريح المرادي المصريون، وعلي بن أبي طلحة الشامي.

قدم معه الشام مرابطًا، وكان مرابط سلمان ببيروت[(٣)].

١٢١ عرفجة بن هرثمة عبد العزى ابن زهير بن ثعلبة البارقي (ت ٣٤ هـ)

من الأزد: قائد، من رجال الفتوح في صدر الإسلام، من أهل البحرين. وجهه أميرها العَلاَء ابن الحَضْرَمي غازيًا (في أيام عمر) ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس. ثمَّ كتب عمر إلى العلاء بأن يمد به عتبة بن غزوان حين غزا «الأبلة» فشارك في فتحها.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٩٨)، والبخاري في «صحيحه» (١٢٤٤).

(٢) الإصابة (٤/ ١٧٥٧).

(٣) تاريخ دمشق (٤٢٢٧) (٣٧/ ١٤)، و«تاريخ الإسلام» (٢/ ٩٧٦).

قال البلاذري: ثمَّ إنَّه صار بعد إلى الموصل[١].

١٢٢ عروة بن الجعد ويقال ابن أبي الجعد الأزدي ثم البارقي الكوفي . وبارق جبل نزل عنده بعض الأزد[٢] فنسبوا إليه، ولعروة صحبة.

روى عن النبي ﷺ أحاديث.

نزل الكوفة وولي القضاء بها، وأتى المدائن، ثم انتقل إلى براز الروز[٣] على مرحلة من النهروان فأقام بها مرابطًا

وإنَّما قيل له: بارق؛ لأنَّه نزل عند جبل يقال له: بارق، فنسب إليه، وقيل غير ذلك

وكان مرابطًا معه عدة أفراس، منها فرس اشتراه بعشرة آلاف درهم

روى عنه قيس بن أبي حازم، والشعبي، والسبيعي، وشريح بن هانئ، وآخرون

وقال شبيب بن غرقدة: «رأيت في دار عروة بن الجعد سبعين فرسًا مربوطة للجهاد في سبيل الله ﷻ»[٤].

١٢٣ الشهيد السعيد عكاشة بن محصن أبو محصن الأسدي (ت ١١ هـ)

حليف قريش، من السابقين الأولين، البدريين، أهل الجنَّة، وكان من أجمل

---

(١) الأعلام (٨/ ٨٢)، و«فتوح البلدان للبلاذري» (٣٤٩-٣٩٣)، وقع ذكره في «الأعلام» (هرثمة بن عرفجة).

(٢) نزله سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو فريقيا بن عامر ماء السماء بن مازن بن الأزد بن الغوث. انظر تهذيب الكمال (١٣/ ٣).

(٣) براز الروز: من نواحي السواد ببغداد من الجانب الشرقي (معجم البلدان).

(٤) تاريخ دمشق (٤٠/ ٢١٥)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٣٣١).

الرجال رضي الله عنه، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على سرية الغمر[1]، فلم يلقوا كيدًا.

وروي عن: أم قيس بنت محصن، قالت: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعكاشة ابن أربع وأربعين سنة».

أبلى عكاشة يوم بدر بلاءً حسنًا، وانكسر سيفُه في يده، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عرجونًا من نخلٍ، أو عودًا، فعاد بإذن الله في يده سيفًا، فقاتل به، وشهد به المشاهد[2].

حدث عنه: أبو هريرة، وابن عباس، وغيرهما.

وكان خالد بن الوليد قد جهزه مع ثابت بن أقرم الأنصاري العجلاني طليعة له على فرسين، فظفر بهما طليحة، فقتلهما[3].

١٢٤ عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي (ت ١٣ هـ)

روى الترمذي من طريق مصعب بن سعد، عن عكرمة - ولم يدركه -: أن النبي

---

(١) قال ياقوت في «معجم البلدان» (٤/ ٢١٢): وهو منهل من مناهل طريق مكة، ومنزل من منازلها.

وهو فصل ما بين تهامة ونجد.

وقال ابن الفقيه: غمرة من أعمال المدينة، على طريق نجد، أغزاها النبي صلى الله عليه وسلم، عكاشة بن محصن، في أربعين رجلا فذهبوا إلى الغمر، فعلم القوم بمجيئه فهربوا، ونزل على مياههم وأرسل عيونه، فعرفوا مكان ما ماشيتهم فغزاها فوجد مئتي بعير، فساقها إلى المدينة.

(٢) الخبر عند ابن هشام (١/ ٦٣٧) بدون سند. وقال الحافظ ابن كثير في «السيرة» (٢/ ٤٤٧): وقد روى البيهقي، عن الحاكم، من طريق محمد بن عمر الواقدي، حدثني عمر ابن عثمان الخشني، عن أبيه، عن عمته، قال عكاشة: «انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، عودا فإذا هو سيف أبيض طويل، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين، ولم يزل عنده حتى هلك» وهذا كما ترى إسناد تالف فيه الواقدي.

(٣) السير (١/ ٣٠٧-٣٠٨).

ﷺ قال له: «مرحبا بالراكب المهاجر». قال: فقلت: يا رسول الله! والله لا أدع نفقة أنفقتها عليك، إلا أنفقت مثلها في سبيل الله»[١].

قال الشافعي: «كان محمود البلاء في الإسلام رضي الله عنه».

قال أبو إسحاق السبيعي: «نزل عكرمة يوم اليرموك، فقاتل قتالًا شديدًا، ثمَّ استشهد، فوجدوا به بضعًا وسبعين من طعنة، ورمية، وضربة».

وقال عروة، وابن سعد، وطائفة: قتل يوم أجنادين[٢].

١٢٥ عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم الأنصاري السلمي، سيد بني سلمة (ت ٣هـ)

قال ابن سعد وغيره: «شهد بدرًا».

وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح هو الذي قطع رجل أبي جهل، وقضى النبي ﷺ بسلبه لمعاذ.

وكان عمرو بن الجموح زوج أخت عبد الله بن عمرو بن حرام.

لما كان يوم أحد قال النبي ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، فقام وهو أعرج، فقاتل حتى قتل»[٣].

يا غازيًا أتتِ الأحزانُ غازيةً	إلى فؤاديَ والأحشاءِ حين غزا
إن بارزتْكَ كُماةُ الرومِ فارمِهم	بسَهمِ عينيكَ تقتُل من برزا

---

(١) سنن الترمذي (٣٧٣٦).

(٢) السير (١/ ٣٢٤).

(٣) السير (١/ ٤٣٠).

١٢٦ قرظة بن كعب الأنصاري الخزرجي (ت ٥٠هـ)

أحد فقهاء الصحابة، وهو أحد العشرة الذين وجههم عمر إلى الكوفة ليعلموا الناس، ثم شهد فتح الري زمن عمر، وولاه علي على الكوفة، ثم سار إلى الجمل مع علي، ثم شهد صفين.

توفي بالكوفة، وصلى عليه علي على الصحيح، وهو أول من نيح عليه بالكوفة، وقيل: توفي بعد علي رضي الله عنه.

١٢٧ القعقاع بن عمرو التميمي (ت ٤٠ أو ٤١هـ)

قيل: إنَّه شهد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وله أثر عظيم في قتال الفرس في القادسية وغيرها، وكان أحد الأبطال المذكورين.

يقال: إنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال: «صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل».

وشهد الجمل مع علي وكان الرسول في الصلح يومئذ بين الفريقين، وسكن الكوفة[1].

١٢٨ كعب بن عجرة رضي الله عنه

عن مكحول وعبادة بن نسي، قالا: مر سلمان بكعب بن عجرة، وهو مرابط ببعض فارس، فقال: ألا أحدثك بحديث يكون لك عونًا على مرابطتك؟

قال: بلى.

قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم يقول: «رباط ليلة خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطًا

(١) ذكرهما في «سير أعلام النبلاء» (سير الخلفاء الراشدين/ ٢٨٩)، وممَّن عدَّه من الصحابة (ابن قانع، وابن عبد البر، وابن الأثير)، وعدَّه البعض في طبقة التابعين، والله أعلم.

في سبيل الله أجير من فتنة القبر، وجرى عليه عمله إلى يوم القيامة»[1].

١٢٩ كعب بن مالك (ت ٥١ أو ٥٢هـ) رضي الله عنه

شاعر رسول الله ﷺ، وأحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم، شهد العقبة وأحدًا، وحديثه في تخلفه عن غزوة تبوك في «الصحيحين».

يروى أنَّ النبي ﷺ آخى بين طلحة وكعب بن مالك، وقيل: بل آخي بين كعب والزبير بن العوام؛ قاله عروة.

وفي مغازي الواقدي: إنَّ كعبًا قاتل يوم أحد قتالًا شديدًا، حتى جرح سبعة عشر جرحًا.

قال ابن سيرين: أمَّا كعب فكان يذكر الحرب ويقول: فعلنا ونفعل ويتهددهم. وأما حسان فكان يذكر عيوبهم وأيامهم. وأما ابن رواحة فكان يعيرهم بالكفر.

وقد أسلمت دوس فرقًا -خوفًا- من بيت قاله كعب:

نخيرها ولو نطقت لقالت　　　قواطعهنَّ دوسًا أو ثقيفًا[2]

١٣٠ المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرّة بن ذهل بن شيبان الرّبعي الشيبانيّ (ت ١٤هـ)

قال ابن حبان: له صحبة[3]. وكان عمر رضي الله عنه يسمّيه: مؤمّر نفسه[4].

وهو الَّذِي أطمع أبا بكر والمسلمين فِي الفرس، وهون أمر الفرس عندهم، وَكَانَ

---

(١) تاريخ بغداد (١٦/ ٦٤).

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٤٣٥).

(٣) الثقات (١٢٨٠).

(٤) الإصابة (٥/ ٥٦٩).

شهمًا شجاعًا ميمونًا النقيبة حسن الرأي، أبلى فِي قتال الفرس بلاء لَمْ يبلغه أحد وَكَانَ كَثِير الإغارة عَلَى الفرس، فكانت الأخبار تأتي أبا بكر، فقال: من هَذَا الَّذِي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟

فقال قيس بْن عَاصِم: «أمَّا إنَّه غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا قليل العدد، ولا ذليل الغارة، ذَلِكَ المثنى بْن حارثة الشيباني»(١).

١٣١ معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب الأموي (ت ٦٠هـ) رضي الله عنه

أمير المؤمنين، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن القرشي، الأموي، المكي.

وعن صالح بن حسان قال: رأى بعض متفرسي العرب معاوية وهو صبي صغير، فقال: إنِّي لأظنُّ هذا الغلام سيسود قومه!

فقالت هند: «ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه»(٢).

قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد رضي الله عنهما يوم صفين لمعاوية: «ما رأيت أعجب منك يا أمير المؤمنين! إن كنت لتتقدم حتى أقول: أحبّ الموت، ثم تستأخر حتى أقول: أراد الهرب!! قال: يا عبد الرحمن: إني والله ما أتقدم لأقتل، ولا أتأخر لأهرب، ولكن أتقدم إذا كان التقدم غنمًا وأتأخر إذا كان التأخر حزمًا. كما قال الكنانيّ:

شُجَاعًا إِذَا مَا أَمْكَنَتْنِيَ فُرْصَةٌ ... فإِنْ لَمْ تَكنّ لِي فُرْصَةٌ فَجَبَانُ»

قال الأمير أسامة بن منقذ معلقًا: «هذا كلام خبيرٍ بالحرب، وهو الذريعة إلى الظفر أو السلامة، إلاّ مع الاضطرار، فإنَّ المضطرَّ لا يليق به إلاّ الإقدام، فإن كان في الأجل فسحةٌ فهو

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٥٥).

(٢) تاريخ دمشق (٥٩/ ٦٥).

ينجو مشكورًا، وإن انتهت المدّة فموت المقدم أكرم من موت المولّي»[(١)].

١٣٢ المقداد بن الأسـود (ت ٣٣هـ) رضي الله عنه

وعن أبي راشد الحبراني قال: «وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله ﷺ جالسًا على تابوت من تابوت الصيارفة بحمص، قد أفضل عنها من عظمه يريد الغزو، فقلت له: لقد أعذر الله إليك، فقال: أتت علينا سورة البعوث ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]».

١٣٣ محمود بن الربيع أبو سراقة بن عمرو الأنصاري الخزرجي (ت ٩٩هـ)

وأمه جميلة بنت أبي صعصعة بن زيد النجارية الأنصارية المدنية.

عقـل مـن رسـول الله ﷺ مجـة مجهـا في وجهـه مـن بئـر في دارهـم ولـه أربـع أو خمـس سنين.

حدث عن: أبي أيوب الأنصاري، وعتبان بن مالك، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم.

روى عنـه: رجـاء بـن حيـوة، ومكحـول، والزهـري، وعبـد الله بـن عمـرو بـن الحـارث. وقد روى عنه أنس بن مالك مع تقدمه.

قال ابن سميع وغيره: هو ختن عبادة بن الصامت، نزل بيت المقدس.

وقال ابن معين: له صحبة. وقال أحمد العجلي: ثقة، من كبار التابعين.

وقال ابن عساكر: «اجتاز بدمشق غازيًا إلى القسطنطينية»[(٢)].

١٣٤ النعمان بن مُقَرِّنٍ. أبو عمرو المزني، الأمير (ت ٢٠هـ)

---

(١) لباب الآداب (ص١٩٣-١٩٤).

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ١١٦٧).

أول مشاهده الأحزاب، وشهد بيعة الرضوان، ونزل الكوفة، ولي كسكر لعمر، ثمَّ صرفه وبعثه على المسلمين يوم وقعة نهاوند، فكان يومئذٍ أول شهيد.

وللنعمان إخوة: سويد أبو عدي، وسنان ممَّن شهد الخندق، ومعقل والد عبد الله المحدث، وعقيل أبو حكيم، وعبد الرحمن.

قال الواقدي: سمعت أنَّهم شهدوا الخندق.

وقيل: كنية النعمان: أبو حكيم، وكان إليه لواء مزينة يوم الفتح[1].

وهذا النعمان يسير ومعه وجوه أصحاب النبي ﷺ، منهم حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وجرير بن عبد الله البجلي، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وطليحة بن خويلد الأسدي، وقيس بن مكشوح المرادي فلمَّا انتهى النعمان بن مقرن في جنده إلى نهاوند، طرحوا له حسك الحديد، فبعث عيونًا، فساروا لا يعلمون بالحسك، فزجر بعضهم فرسه، وقد دخلت في يده حسكة، فلم يبرح، فنزل، فنظر في يده فإذا في حافره حسكة، فأقبل بها، وأخبر النعمان الخبر، فقال النعمان للناس: ما ترون؟ فقالوا: انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنَّك هارب منهم، فيخرجوا في طلبك، فانتقل النعمان من منزله ذلك، وكنست الأعاجم الحسك، ثمَّ خرجوا في طلبه، وعطف عليهم النعمان، فضرب عسكره، ثمَّ عبى كتائبه، وخطب النَّاس، فقال: إنْ أُصبت فعليكم حذيفة بن اليمان، وإنْ أصيب فعليكم جرير بن عبد الله، وإنْ أصيب جرير بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح، فوجد المغيرة بن شعبة في نفسه إذ لم يستخلفه، فأتاه، فقال له: ما تريد أن تصنع؟ فقال: إذا أظهرت قاتلتهم، لأنَّي رأيت رسول الله ﷺ يستحب ذلك، فقال المغيرة: لو كنت بمنزلتك باكرتهم القتال، قال له النعمان: ربَّما باكرت القتال، ثمَّ لم يسود الله وجهك وذلك يوم الجمعة فقال النعمانُ: نصلي إنْ شاء

---

(١) السير (١/ ٤٠٤).

الله، ثمَّ نلقى عدونا دبر الصلاة، فلمَّا تصافوا قال النعمان للناس: إنِّي مكبر ثلاثًا، فإذا كبرت الأولى فشد رجل شسعه، وأصلح من شأنه، فإذا كبرت الثانية، فشد رجل إزاره، وتهيأ لوجه حملته، فإذا كبرت الثالثة فاحملوا عليهم، فإنِّي حامل وخرجت الأعاجم قد شدوا أنفسهم بالسلاسل لئلا يفروا، وحمل عليهم المسلمون فقاتلوهم، فرمي النعمان بنشابة فقتل ﷺ، فلفه أخوه سويد بن مقرن في ثوبه، وكتم قتله حتى فتح الله عليهم، ثم دفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، وقتل الله ذا الحاجب، وافتتحت نهاوند، فلم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة[1].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ١١٥-١١٦).

ومن النِّساءِ الصَّحابياتِ اللواتي لهنَّ مشاركةٌ في الجهاد:

١٣٥ أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية

يقال لها: خطيبة النساء، شهدت اليرموك، وقتلت تسعة من الروم بعمود فسطاط، وعاشت بعد ذلك دهرًا[١].

١٣٦ أميمة ابنة قيس بن أبي الصلت الغفارية العابدة الزاهدة

كانت محبة للخير صانعة للمعروف ناهية عن المنكر لها صحبة حسنة، وروت أحاديث كثيرة وروى عنها جملة من التابعين، وكانت شفيقة على المجاهدين، ودائمًا تحضر الوقائع، وتداوي الجرحى، وتدور بين القتلى، وكانت تحث الناس على ذلك، فقالت يومًا لرسول الله ﷺ وقد جاءته في نسوة من غفار: إنا نريد أن نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا. فقال رسول الله ﷺ: على بركة الله، وكان ذاهبًا إلى خيبر فذهبنَ معه، وصرن يداوين الجرحى، ويوارين القتلى، وهي تهديهن لما يلزم لذلك حتى انتهت الحرب، ورجع المسلمون منصورين فنالت بذلك رضا ربها، ومدح قومها»[٢].

١٣٧ أم حرام بنت ملحان الأنصارية، النجارية، المدنية (ت ٢٨ أو ٢٧ هـ)

أخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك، وزوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهم.

عن أنسٍ رضي الله عنه يقول: دخل رسول الله ﷺ على ابنة ملحان فاتكأ عندها ثمَّ ضحك فقالت لم تضحك يا رسول الله فقال: أناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله مثلهم مثل

---

(١) انظر: الإصابة (٤/ ٢٣٤)، و«مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (١٧٣).

(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور (ص٦٧).

الملوك على الأسرة. فقالت يا رسول الله: ادعُ الله أن يجعلني منهم. قال: اللهم اجعلها منهم. ثمَّ عاد فضحك، فقالت له: مثل أو ممَّ ذلك؟ فقال لها مثل ذلك. فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: أنتِ من الأولين ولست من الآخرين.

قال: قال أنس: «فتزوجت عبادة بن الصامت فركبت البحر مع بنت قرظة فلمَّا قفلت ركبت دابتها فوقصت بها فسقطت عنها فماتت»[١].

١٣٨ أم حكيم بنت الحارث بن هشام، زوج عكرمة بن أبي جهل ابن عمها

أسلمت يوم الفتح، واستأمنت النبي ﷺ لزوجها عكرمة بن أبي جهل، خرجت معه إلى الشام غازية.

قُتِل زوجها عنها بأجنادين، فاعتدت أربعة أشهر وعشرًا، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها وخالد بن سعيد يرسل إليها يعرض لها في الخطبة فخطبت إلى خالد بن سعيد فتزوجها على أربع مائة دينار، فلمَّا نزل المسلمون على مرج الصفر (١٤هـ) - وكان خالد شهد أجنادين وفِحْل ومرج الصُفَّر - فأراد أن يعرس بأم حكيم، فقالت له: لو أخرت الدخول حتى يفضِ الله هذه الجموع.

فقال خالد: «إنَّ نفسي تحدثني أنِّي أصاب في جموعهم».

قالت: فدونك، فأعرس بها عند القنطرة التي بمرج الصُفر، وبها سمِّيت قنطرة أم حكيم، وأولم عليها ودعا أصحابَه على طعام، فما فرغوا من الطعام حتى صفت الروم صفوفها، وبرز خالد فقاتل حتى قتل رحمه الله، وشدت أم حكيم عليها ثيابها، وقتلت يومئذٍ سبعة من الروم بعمود الخيمة التي بات فيها خالد معرسًا[٢]. رضي الله

(١) صحيح البخاري (٢٧٢٢).

(٢) الوافي بالوفيات (١٣/ ٨٢)، وينظر: «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٢٨/ ٢٥٢).

عنها وعن زوجها.

١٣٩ الخنساء؛ تماضر بنت عمرو بن الحارث السلمية (ت ٢٤هـ)

ولقبها الخنساء والخنس: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع الأرنبة، ولذلك قيل لها الخنساء.، لأنها كانت على هذه الصفة(١).

قدمت على رسول الله ﷺ، وكان يستنشدها شعرها وتعجبه، ويقول: هيه يا خناس، ويومئ بيده، وأخواها صخر ومعاوية.

وقيل إنَّ الخنساء لم تزل تبكي على أخويها صخر ومعاوية، حتى أدركت الإسلام فأقبل بها بنو عمها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي عجوز كبيرة، فقالوا: يا أمير المؤمنين هذه الخنساء قد قرحت مآقيها من البكاء في الجاهلية والإسلام، فلو نهيتها لرجونا أن تنتهي.

فقال لها عمر: اتقي الله وأيقني بالموت.

فقالت أنا أبكي أبي وخيريْ مضر: صخرًا ومعاوية، وإنِّي لموقنة بالموت.

فقال عمر: أتبكين عليهم وقد صاروا جمرة في النَّار؟

فقالت: ذاك أشد لبكائي عليهم، فكأن عمر رق لها، فقال خلوا عجوزكم لا أبا لكم فكل امرئ يبكي شجوه، ونام الخلي عن بكاء الشجي(٢).

روى الزبير بن بكار: أنَّ الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية في بنين لها أربعة، شهدت معهم حرب القادسية، فقالت لهم: «إنَّكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٦/ ٣٤)، وينظر: «زهر الآداب» للحصري (٣/ ٤٣١).

(٢) الوافي بالوفيات (١٠/ ٢٤٣).

مختارين»، وذكرت من صونها لبنيها، وعدم خيانتها لأبيهم ما ذكرت، ثمَّ قالت لهم: «وقد تعلمون ما أعد الله لكم من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أنَّ الدَّار الباقية خير من الدار الفانية؛ فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرب لظاها على سياقها، وجللت نارًا على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالمغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة.

فخرج بنوها قابلين لنصحها، فلمَّا أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم، وأنشأ أولهم يقول:

يَا إخوتي إن الْعَجُوز الناصحةْ ... قد نصحتنا إِذْ دعتنا البارحةْ
مقَالَة ذَات بَيَان واضحه ... فباكروا الْحَرْب الضروس الكالحةْ
وَإِنَّمَا تلقونَ عِنْد الصائحةْ ... من آل ساسان كلابا نابحه
قد أيقنوا مِنْكُم بِوَقع الجائحةْ ... وَأَنْتُم بَين حَيَاة صَالح

وتقدَّم فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى، ثمَّ تقدم الثاني وهو يقول:

إِنَّ الْعَجُوز ذَات حزم وَجلد ... وَالنَّظَر الأوفق والرأي الْأَسَد
قد أمرتنا بالسداد والرَّشد ... نصيحة مِنْهَا وَبرا بِالْوَلَدِ
فباكروا الْحَرْب حماة فِي الْعدَد ... إِمَّا لفوزٍ بَارِدٍ عَلَى الكبد
أَو ميتَةٍ تورثكم غُنْم الْأَبَد ... فِي جنَّة الفردوسِ والعيشِ الرَّغد

فقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى، ثمَّ تقدم الثالث وهو يقول:

وَالله لَا نعصي الْعَجُوز حرفًا ... قد أمرتنا حدبًا وعطفًا
نصحًا وَبرًا صَادِقًا ولطفًا ... فبادروا الْحَرْب الضروس زحفًا
حَتَّى تلفوا آل كسْرَى لفا ... وتكشفوهم عَن حماكم كشفًا

فقاتل حَتَّى اسْتشْهد رَحمَه الله تعالى وحمل الرَّابِع وَهُوَ يَقُول:

لســـت لـخـنســـا وَلَا لـلأخـرم ... وَلَا لـعَـمْـرو ذِي الســـنـاء الأقـدم

إِن لم أرد فِي الْجَيْش جَيش الْعَجم ... مَاض عَلَى الهول خضـم خضـرم

إِمَّـا لـفـوز عَـاجـل ومـغـنـم ... أَو لـوفـاة فِـي السَّـــبِـيـل الأكـرم

فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى، فبلغ خبرهم الخنساء أمهم فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطي الخنساء بعد ذلك أرزاق أولادها الأربعة، لكل واحد منهم مائتي درهم[(١)].

١٤٠ الربيع بنت معوذ ﵂

عن الربيع بنت معوذ قالت: «كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم، ونخدمهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة»[(٢)].

١٤١ أم سليط

قسم عمر بن الخطاب ﵁ مروطًا بين نساء من نساء المدينة فبقي مرط جيد فقال له بعض من عنده يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك يريدون أم كلثوم بنت علي فقال عمر أم سليط أحق. وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ. قال عمر: «فإنَّها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد»[(٣)].

١٤٢ أم سليم الغميصاء بنت ملحان الأنصارية

---

(١) طبقات الشافعية (١/ ٢٦٠-٢٦١)، و«الوافي بالوفيات» (١٠/ ٢٤٤).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٢٧)، وقريبًا منه برقم (٢٧٢٦).

(٣) صحيح البخاري (٢٧٢٥).

عاشت إلى دولة يزيد بن معاوية. قال محمد بن سيرين: «كانت أم سليم مع النبي ﷺ يوم أحد، ومعها خنجر»[١].

وعن حماد بن سلمة: عن ثابت، عن أنس: أنَّ أم سليم اتخذت خنجرًا يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله! هذه أم سليم معها خنجر

فقالت: يا رسول الله! «إن دنا مني مشرك بقرت به بطنه»[٢].

١٤٣ عائشة الصديقة بنت أبي بكر رضي الله عنهما

عن أنس بن مالك، قال: «لما كان يوم أحد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما مشمرتان أرى خدم سوقهما ينقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها في أفواه القوم وترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغان في أفواه القوم»[٣].

١٤٤ أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية رضي الله عنها

الفاضلة، المجاهدة، الأنصارية، الخزرجية، النجارية، المازنية، المدنية.

كان أخوها عبد الله بن كعب المازني من البدريين، وكان أخوها عبد الرحمن من البكائين.

شهدت أم عمارة: ليلة العقبة، وشهدت: أحدًا، والحديبية، ويوم حنين، ويوم اليمامة، وجاهدت، وفعلت الأفاعيل. روي لها أحاديث، وقطعت يدها في الجهاد.

وقال الواقدي: شهدت أحدًا مع زوجها غزية بن عمرو، ومع ولديها[٤]. خرجت تسقي ومعها

---

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ٤٢٥).

(٢) السير (٢/ ٣٠٤).

(٣) انظر: حلية الأولياء (٢/ ٦٠).

(٤) ينظر: الطبقات لابن سعد (٨/ ٤١٢).

شن، وقاتلت، وأبلت بلاءً حسنًا، وجرحت اثني عشر جرحًا.

عن عمارة بن غزية، قال: قالت أم عمارة: رأيتني، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي إلا في نفير ما يتمون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلًا موليًا ومعه ترسٌ، فقال: «ألق ترسك إلى من يقاتل». فألقاه، فأخذته، فجعلت أترس به عن رسول الله، وإنَّما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم -إن شاء الله-[1].

١٤٥ أم ورقة بنت نوفل

لما غزا ﷺ بدرًا قالت له: أتأذن لي في الغزو معك أمرض مرضاكم لعل الله يرزقني شهادة. قال: قري في بيتك فإن الله ﷻ يرزقك الشهادة فكانت تسمَّى (الشهيدة).

وقد كانت قرأت القرآن فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذنا فأذن لها. وكانت دبرت غلامًا لها وجارية فقاما إليها فغماها بقطينة لها حتى ماتت وذهبا.

فأصبح عمر ﵁. فقام في الناس فقال من عنده من هذين علم أو من رآهما فليخبر بهما. فأمر بهما فصلبا. فكانا أول مصلوب بالمدينة[2].

---

(١) السير (٢/ ٢٧٩).

(٢) كنوز الذهب في تاريخ حلب (٢/ ٩٦).



وهذا الباب ذكرتُ فيه الطبقة التابعين وأتباعهم من الذين عُرفوا بالجهاد، فمنهم:

١٤٦ الأسود بن كلثوم

عن حميد بن هلال قال: كان منَّا رجل يقال له الأسود بن كلثوم، وكان إذا مشى لا يجاوز بصره قدمه، وكان يمر وفي الجدر يومئذ قصر بالنسوة ولعل إحداهن تكون واضعًا يعني ثوبها أو خمارها فإذا رأينه راعهنَّ ثمَّ يقلنَّ: كلا إنَّه أسود بن كلثوم فلمَّا قرب غازيًا قال: «اللهم إن نفسي هذه تزعم في الرخاء أنهَّا تحب لقاءك فإنْ كانت صادقة فارزقها ذلك وإن كانت كارهة، -قال إسماعيل-: فاحملها عليه».

وقال مرة: «فارزقها ذلك، وإن كرهت أطعم لحمي سباعًا وطيرًا» فانطلق في جبل فدخلوا حائطًا فنذر بهم العدو، فجاءوا فأخذوا بثلمة في الحائط فنزل الأسود عن فرس فضربها حتى غارت فخرجت وأتى الماء ثم توضأ وصلى قال: يقول العجم: هكذا استسلام العرب إذا استسلموا، ثمَّ تقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله.

قال: فمر عظم الجيش بعد ذلك بذلك الحائط، فقيل لأخيه: لو دخلت فنظرت ما بقي من عظام أخيك ولحمه قال: لا دعا أخي بدعاء فأستجيب له فلست أعرض في

شيء من ذلك»[1].

١٤٧ تبيع بن عامر الحميري الحبر ابن امرأة كعب الأحبار (ت ١٠١هـ)

قرأ الكتب، وأسلم في أيام أبي بكر، أو عمر.

وروى عن: كعب فأكثر - وعن: أبي الدرداء، وعرض القرآن على مجاهد، وكان رفيقه في الغزو. روى عنه: مجاهد، وأبو قبيل المعافري، وعطاء بن أبي رباح، وحكيم بن عمير، وحيان أبو النضر، وآخرون.

وله سبع كنى ذكرها الحافظ ابن عساكر، وهي: أبو عبيدة، وأبو عبيد، وأبو عتبة، وأبو أيمن، وأبو حمير، وأبو غطيف، وأبو عامر، والأولى أشهرها.

وقال: قرأ القرآن بأرواد[2]، جزيرة قريبة من قسطنطينية، ونهى عمرًا الأشدق عن خروجه على عبد الملك.

وقال عبد الغني المصري: «هو تبيع صاحب الملاحم».

قال الذهبي: خرج له: النسائي، وما علمت به بأسًا، وحديثه عزيز[3].

١٤٨ الجرشي يزيد بن الأسود

---

(١) الزهد لأحمد (١١٥٣)، قال أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٥٤): «ومنهم: الأسود بن كلثوم ومنهم المستشهد الملثوم الأسود بن كلثوم خلصت دعوته فعجلت كرامته».

(٢) غزاها المسلمون وفتحوها سنة أربع وخمسين مع جنادة بن أبي أمية في أيام معاوية رضي الله عنه.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٣) وعن حسين بن شفي، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو، فأقبل تبيع، فقال: أتاكم أعرف من عليها.

ثم قال له: يا تبيع، أخبرنا عن الخيرات الثلاث؟ قال: «اللسان الصدوق، وقلب تقي، وامرأة صالحة».

من سادة التابعين بالشام، يسكن بالغوطة، بقرية زبدين، أسلم في حياة النبي ﷺ[١].

قال يونس بن ميسرة، قلت له: يا أبا الأسود! كم أتى عليك؟

قال: أدركت العزى تعبد في قرية قومي[٢].

قيل: إنَّه قال: قلت لقومي: اكتبوني في الغزو.

قالوا: قد كبرت.

قال: سبحان الله! اكتبوني، فأين سوادي في المسلمين؟

قالوا: أما إذ فعلت، فأفطر، وتقو على العدو.

قال: «ما كنت أراني أبقى حتى أعاتب في نفسي، والله لا أشبعها من الطعام، ولا أوطئها من منام حتى تلحق بالله»[٣].

١٤٩ الحارث بن مرّة العبدي (ت ٣٧ وقيل ٤٢هـ)

غزا بلاد السّند متطوعًا بأمر علي رضي الله عنه فغنم وأصاب سبيًا كثيرًا، وقسم في يوم واحد ألف رأس، وبقي غازيًا إلى أن قتل بأرض القيقان هو ومن معه إلا قليلًا في سنة اثنتين وأربعين[٤].

١٥٠ حباشة بن حسين اليحصبي (ت ٣٧٤ هـ)

قدم الأندلس، وسمع بالقيروان من زياد بن عبد الرحمن بن زياد، وابراهيم بن

---

(١) هي قرية في الغوطة الشرقية شرق دمشق.

(٢) تاريخ البخاري (٨/ ٣١٨).

(٣) السير (٤/ ١٣٦).

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢٠/ ٢٠٣).

عبد الله القلانسي، ونظرائهما.

صحب أبا عبد الله محمد بن أحمد الخراز القروي وسمع منه، ومن أبي بكر بن الأحمر، وتردد في الثغور مرابطًا؛ ثمَّ رحل الى المشرق حاجًّا فسمع من أبي زيد المروزي، وغيره. وانصرف إلى الأندلس، فلزم العبادة، ودراسة العلم. والجهاد إلى أن توفي به[١].

١٥١ الحسن البصري (ت ١١٠هـ)

الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت.

ويسار أبوه: من سبي ميسان[٢]، سكن المدينة، وأعتق، وتزوج بها في خلافة عمر، فولد له بها الحسن -رحمة الله عليه- لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه.

قال محمد بن سلام: حدثنا أبو عمرو الشعاب بإسناد له، قال: كانت أم سلمة تبعث أم الحسن في الحاجة، فيبكي وهو طفل، فتسكته أم سلمة بثديها، وتخرجه إلى أصحاب رسول الله ﷺ وهو صغير، وكانت أمه منقطعة إليها، فكانوا يدعون له، فأخرجته إلى عمر، فدعا له، وقال: «اللهم فقهه في الدين، وحببه إلى الناس»[٣].

نشأ بالمدينة، وحفظ كتاب الله عز وجل في خلافة عثمان، وسمعه يخطب، وكان يوم الدار ابن أربع عشرة سنة، فلما كبر لازم الجهاد والعمل والعلم، وكان أحد الشجعان، يذكر مع قطري بن الفجاءة[٤].

---

(١) ترتيب المدارك (٦/ ٢٦٥).

(٢) ميسان: كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط. انظر: (معجم البلدان).

(٣) السير (٤/ ٥٦٥)، و«أخبار القضاة» (٢/ ٥). وأعلَّ الذهبي الخبر بالإرسال.

(٤) طبقات علماء الحديث (١/ ١٤١).

وقال سليمان التيمي: «كان الحسن يغزو، وكان مفتي البصرة جابر بن زيد أبو الشعثاء، ثم جاء الحسن، فكان يفتي»(١).

من كلامه: «لولا النسيان لكان الفقهاء كثيرًا»(٢).

«اجتماع أهل البصائر، ومذاكرة المؤمنين بعضهم بعضًا حياة لقلوب المتقين، واذكار من الغفلة، وأمان من النسيان»(٣).

وقال: «إنَّ لكل طريق مختصرًا، ومختصر طريق الجنة الجهاد»(٤).

قال ابن علية: مات الحسن في رجب، سنة عشر ومئة.

وقال عبد الله بن الحسن: إنَّ أباه عاش نحوًا من ثمان وثمانين سنة(٥).

١٥٢ حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة (ت ٩٠ وقيل ١٠٠هـ)

أبو رشدين السبئي الصنعاني، صنعاء دمشق لا صنعاء اليمن.

روى عن: فضالة بن عبيد، وأبي هريرة، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، ورويفع بن ثابت.

روى عنه: ابنه الحارث، وقيس بن الحجاج، وعبد الله بن هبيرة، وخالد بن أبي عمران، وعامر بن يحيى المعافري، والجلاح أبو كثير، وربيعة بن سليم.

وغزا المغرب مع موسى بن نصير، وسكن إفريقية، ولهذا عامة أصحابه مصريون.

---

(١) السير (٤/ ٥٧٢).

(٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣).

(٣) آداب الحسن البصري (ص١٢٥).

(٤) حلية الأولياء (٦/ ١٥٧).

(٥) السير (٤/ ٥٨٧).

وتوفي غازيًا بإفريقية سنة مئة.

وثقه العجلي، وأبو زرعة[1].

١٥٣ خالد بن معدان الإمام، أبو عبد الله الكلاعي، الحمصي (ت ١٠٣هـ)

شيخ أهل الشام، روى عن: أبي أمامة، والمقدام بن معد يكرب، ولقي سبعين رجلًا من أصحاب النبي ﷺ.

وكان من خيار عباد الله، قدم العباس بن الوليد واليًا على حمص فحضر يوم الجمعة الصلاة وخالد بن معدان في الصف، فلمَّا رآه إذا على العباس ثوب حرير، فقام إليه خالد وشق الصفوف حتى أتاه، فقال يا بن أخي: إن رسول الله ﷺ نهى الرجال عن لبس هذا.

فقال يا عم: هلا قلت أخفى من هذا.

فقال: وغمك ما قلت والله، لا سكنت بلدًا أنت فيه، فخرج منها وسكن الطرطوس، فكتب العباس إلى أبيه يخبره بذلك فكتب الوليد إليه يا بني الحقه بعطائه أينما كان، فأنا لا نأمن أن يدعو علينا بدعوة فنهلك، فأقام بالطوس متعبدًا مرابطًا إلى أن مات.

عن بحير، عن خالد بن معدان، قال: «كان إبراهيم خليل الله إذا أتي بقطف من العنب، أكل حبة حبة، وذكر الله عند كل حبة».

وقال الأوزاعي: «بلغني عن خالد بن معدان، أنه كان يقول: أكل وحمد، خير من أكل وصمت».

---

(١) تاريخ الإسلام (٢/ ١٠٨٦).

وكان يقول: «من التمس المحامد في مخالفة الحق، رد الله تلك المحامد عليه ذما، ومن اجترأ على الملاوم في موافقة الحق، رد الله تلك الملاوم عليه حمدًا»[1].

وقال عفير بن معدان: قدم علينا عمر بن موسى الوجيهي الميثمي فاجتمعنا إليه فجعل يقول: حدثنا شيخكم الصالح.

قلنا: ومن هو؟

قال خالد بن معدان: كتبت عنه سنة ثمان ومئة بأرمينية.

فقلنا: اتقِ الله يا شيخ ولا تكذب، مات سنة أربع ومئة، ثمَّ قمنا.

وقال له عفير: «أزيدك أنَّه ما غزا أرمينية قط، ما كان يغزو إلا الروم»[2].

١٥٤ أبو ذُؤَيْب الهُذَلي (ت ٢٦ هـ)

خويلد بن خالد بن محرّث، من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة. واشترك في الغزو والفتوح.

ومن شعره:

وإذا المَنِيَّة أنْشَبَتْ أظفارها	ألفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لَا تنفعُ
وتَجَلُّدي للشّامتين أُرِيهم	أنّي لريْب الدَّهْر لَا أتَضَعْضَعُ

عاش إلى أيام عثمان ﷺ، وخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية (سنة ٢٦ هـ) غازيًا في سبيل الله، فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان ﷺ فلما كانوا بمصر مات أبو

(١) الثقات لابن حبان (٤/ ١٩٧)، و«السير» (٤/ ٥٣٩).

(٢) تاريخ الإسلام (٤/ ١٦٧)

ذؤيب فيها[١].

١٥٥ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ١٠٦هـ) رضي الله عنهم

كان بدابق حين ولي عمر بن عبد العزيز، وقيل: أنَّ عمر أرسل إليه وأحضره إليه من المدينة.

وغزا الروم مرات منها مع مسلمة بن عبد الملك، ومنها في خلافة عمر بن عبد العزيز. ومنها غزاة غزاها هو وعمر بن عبد العزيز مع الوليد ابن هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة.

روى عن: أبيه عبد الله بن عمر، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي هريرة وعائشة، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر.

وقال صالح بن محمد: «غزونا مع الوليد بن هشام، ومعنا سالم ابن عبد الله، وعمر بن عبد العزيز، ومكحول فغل رجل منا متاعا، فأمر الوليد بمتاعه فحرق وضرب ولم يعط سهمه»[٢].

١٥٦ سلمان بن ربيعة بن يزيد أبو عبد الله الباهلي (ت ٢٩هـ)

يقال: إنَّ له صحبةٌ شهد فتوح الشام مع أبي الباهلي، ثمَّ سكن العراق، ولاه عمر قضاء الكوفة، ثمَّ وُلي غزو أرمينية في خلافة عثمان فقتل ببلنجر.

---

(١) الأعلام للزركلي (٢/ ٣٢٥)، و«حسن المحاضرة» (١/ ٢٤٥)، وفي «أسد الغابة» (٦/ ٩٨) وقيل: إنَّه مات بمصر منصرفًا من غزوة إفريقية، وكان غزاها مع عبد الله بن الزبير ومدحه، فلمَّا عاد ابن الزبير من إفريقية عاد معه، فمات، فدفنه ابن الزبير، وقيل: «إنه مات غازيا بأرض الروم، ودفن هناك.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ندبه إلى الجهاد، فلم يزل مجاهدًا حتى مات بأرض الروم، فدفنه ابنه أبو عبيد، فقال له عند موته: «أبا عبيد، رفع الكتاب واقترب الموعد والحساب».

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب (٩/ ٤١١٣- ٤١١٥).

وحدث عن: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وروى عنه: أبو وائل وغيره.

وكان يغزو سنة ويحج سنة، وهو أول من قضى بالعراق، استشهد بأرض أرمينية سنة تسع وعشرين للهجرة[1].

وذهب الخطيب في «تاريخه» أنَّه تابعي، وزاد في ترجمته هذا الأبيات.

أيا غريم الموت أين الخطى	أنت بأنفاسك ملزوم
يا مغفل الموت تناسيته	حتى كأن الموت مكتوم
قد مات من كانت له فارس	حينا ومن كانت له الروم[2]

١٥٧ عبد الله، أبو محمد البطال، ويقال: أبو يحيى (ت ١١٢ أو ١١٣هـ)

أحد الموصوفين بالشجاعة والإقدام، ومن سارت بذكره الركبان، كان أحد أمراء بني أمية، وكان على طلائع مسلمة بن عبد الملك، وكان ينزل بأنطاكية، شهد عدة حروب، وأوطأ الروم خوفًا وذلًا، ولكن ما يحد ولا يوصف، ما كذبوا عليه من الخرافات المستحيلات.

وعن عبد الملك، أنَّه أوصى مسلمة، فقال: «صيَّر على طلائعك البطال، ومره فليعس بالليل، فإنَّه أمين شجاع مقدام»، وهكذا ينبغي أن تكون صفات القائد المجاهد.

قال البطال: «سألني بعض ولاة بني أمية عن أعجب ما كان من أمري، فقلت:

(١) الوافي بالوفيات (١٥/ ١٩٤)، وقال ابن حجر في «الإصابة» (٣٣٦٦): «ولي غزو أرمينية في زمان عثمان، فاستشهد قبل الثلاثين أو بعدها»، وقال: «مختلف في صحبته، قال أبو حاتم: له صحبة، يكنّى أبا عبد الله. وقال أبو عمر: ذكره العقيلي في الصحابة، وهو عندي كما قال أبو حاتم».

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٨٤).

خرجت في سرية ليلا، فأتينا قرية، وقلت لأصحابي: ارفعوا لجم خيولكم، ولا تهيجوا، ففعلوا واخترقوا في أزقتها، ودفعت في ناس من أصحابي إلى بيت فيه سراج وامرأة تسكت ولدها من بكائه، وتقول: اسكت أو لأدفعنَّك إلى البطال، ثمَّ انتشلته من سريره، وقالت: خذه يا بطال، قال: فأخذته»[1].

١٥٨ أبو بحرية عبد الله بن قيس الكندي التراغمي، الحمصي (ت ٥٣ أو ٥٤هـ)

من كبار التابعين، شهد خطبة عمر بالجابية.

وحدث عن: عمر، ومعاذ، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وطائفة رضي الله عنهم.

روى عنه: خالد بن معدان، ويزيد بن قطيب، وضمرة بن حبيب، ويونس بن ميسرة، وابنه؛ بحرية بن عبد الله، وأبو ظبية الكلاعي، وأبو بكر بن أبي مريم، وغيرهم.

وكان عالمًا، فاضلًا، ناسكًا، **مجاهدًا**.

عن الواقدي: أنَّ عثمان كتب إلى معاوية: أن أغز الصائفة رجلًا مأمونا على المسلمين، رفيقا بسياستهم. فعقد لأبي بحرية عبد الله بن قيس -وكان فقيهًا، ناسكًا، يحمل عنه الحديث- حتى مات في خلافة الوليد.

وقد كان معاوية وخلفاء بني أمية يعظمونه[2].

١٥٩ عبد الله بن مسافع بن عبد الله الأكبر (ت ٣٦هـ)

روى عن: عقبة، ويقال: عتبة بن محمد بن الحارث.

---

(١) تاريخ الإسلام (٣/ ٢٦٦).

(٢) السير (٤/ ٥٩٤).

وقيل: عن ابن عمه مصعب بن عثمان بن شيبة، وهو الصحيح، وعن عمته صفية بنت شيبة.

روى عنه: عبد الملك بن جريج، ومنصور بن عبد الرحمن الحجبي.

مات مرابطًا بدابقٍ من أرض الشام.

قال المزي: روى له: أبو داود، والنسائي حديثًا واحدًا، وقد وقع لنا عاليًا عنه[١].

١٦٠ عبد الرحمن بن يزيد (ت ٧٥هـ)

كان يصحب أضعف الرفقتين في الغزو. قال إبراهيم: «لم يكن عبد الرحمن بن يزيد يعمل شيئًا إلا بنيةٍ حتى إن كان يشرب الماء بنية»[٢].

١٦١ عبيد الله بن عبد الرحمن بن عوف

من عباد أهل المدينة، استشهد بإفريقية هو وأولاده؛ فسمي أبا الشهداء من كثرة من قتل من أولاده معه في ذلك البعث، لم ينتشر له كبير حديث[٣].

١٦٢ عُتْبَة بن أبي سُفْيَان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس

أمير مصر. وليها من قبل أخيه معاوية، فقدمها سنة (٤٣ أو ٤٤هـ)، ثمَّ خرج إلى الإسكندرية مرابطًا، فابتنى دارًا في حصنها القديم، وتوفي بها.

كان عاقلًا فصيحًا مهيبًا، من فحول بني أمية، شهد مع عثمان يوم الدار، وشهد يوم الجمل، مع عائشة، وفقئت عينه.

---

(١) تهذيب الكمال (١٦/ ١١٩).

(٢) العلل لأحمد (٤٣٥) و(٤٣٦).

(٣) مشاهير علماء الأمصار (٤٧٦).

قال الأصمعي: «الخطباء من بني أمية عتبة بن أبي سفيان، وعبد الملك ابن مروان»[1].

وعن أبي سلمة ابن يزيد قال: كان عثمان بن أبي العاص على عمان، وكان الحكم بن أبي العاص على البحرين، فكتب عمر إلى عثمان أن سر بأهل البحرين إلى شهرك.

قال: فقال عثمان بن أبي العاص لأهل عمان: ابغوا لي رجلًا أستخلفه.

قال: فجاءوه بأبي صفرة.

فقال: ما اسمك؟

قال: ظالم بن سراق.

قال: إنِّي أرسلت إليك، وإنِّي أريد أن أستخلفك فأمَّا إذ كان اسمك هذا فلا. قال: فلا تمنعني الغزو.

قال: أمَّا هذا فنعم.

قال: فخرج معهم[2].

١٦٣ عثمان بن أبي سودة المقدسي

روى عن: خليد بن سعد، وعبد الله بن محيريز، وأبي الدرداء، وأبي شعيب الحضرمي صاحب أبي أيوب الأنصاري، وأبي هريرة، وميمونة مولاة النبي ﷺ، وأم الدرداء.

(١) الأعلام (٤/ ٢٠١)، و«النجوم الزاهرة» (١/ ١٢٢-١٢٤).

(٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٠٠-٢٠١).

روى له البخاري في «الأدب»، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

وقال ضمرة بن ربيعة، عن رجاء بن أبي سلمة: قلت لعثمان بن أبي سودة: أتراك غازيا العام؟

قال: «ما أحب أن لا أغزو العام، وأنَّ لي مئة ألف دينار»(١).

قال الأوزاعي، عن عثمان بن أبي سودة وتلا هذه الآية: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١٠-١١] قال: «هم أولهم رواحًا إلى المسجد، وأولهم خروجا في سبيل الله ﷻ»(٢).

قال ابن النحاس الدمشقي: «وعثمان من أئمة التابعين، ومن أئمة الغزو والجهاد فيه»(٣).

١٦٤ عكرمة مولى عبد الله بن عباس، رضي الله تعالى (ت ١٠٥ هـ)

أحد العلماء الربانيين.

قال شهر بن حوشب: «عكرمة حبر الأمة».

وقال قتادة: «أعلم الناس بالتفسير عكرمة». وثقه يحيى بن معين وغيره، وكان أحمد بن حنبل والبخاري والجمهور يحتجون به(٤).

وسئل يحيى عن عكرمة وعن نافع مولى ابن عمر فقال: «كان عكرمة أعلمهم بابن عباس، ونافع أعلمهم بابن عمر».

---

(١) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٧٤)، و«تهذيب الكمال» (١٩/ ٣٨٦-٣٨٨)، وفي «تاريخ أبي زرعة» (ص٣٣٩)، عن أبي مسهر قال: «عثمان بن أبي سودة أسن من زياد بن أبي سودة، وقد أدرك عثمان عبادة بن الصامت».

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٩٦٨٥)، (٥/ ٢٩٧).

(٣) انظر: تهذيب مصارع العشاق (ص١١٧)، وانظر ترجمته «حلية الأولياء» (٦/ ١٠٩).

(٤) تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٦).

دخل عكرمة إفريقية وأقام بالقيروان، وبث بها العلم، وكان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غربي الصومعة[١].

١٦٥ علي بن خشرم بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي، أبو الحسن بن عم بشر الحافي، وقيل ابن أخته (ت ٢٥٨ هـ)

روى عنه: مسلم، والترمذي، والنسائي، وإبراهيم بن الليث النخشبي.

وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»[٢].

روى غنجار في «تأريخ بخارى» بإسناده عن محمد بن يوسف الفربري، قال: «سمعت من علي بن خشرم سنة ثمان وخمسين ومئتين وافى فربر مرابطًا»[٣].

١٦٦ علي بن رباح اللخمي (ت ١١٧ هـ)

أعور ذهبت عينه يوم ذات السواري في البحر مع عبد الله بن سعد سنة أربع وثلاثين.

قدم إفريقيا غازيًا في عهد موسى بن نصير، وسكن القيروان واختط بها مسجدًا ومنزلا لسكناه، وأن أهلها تفقهوا عليه.

روى عن: عمرو بن العاص، وأبي هريرة، وأبي قتادة، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم[٤].

١٦٧ أبو عمر بن إدريس بن يحيى الخولاني (ت ٢١١ هـ)

---

(١) طبقات علماء القيروان (١/ ١٤٦).

(٢) (٨/ ٤٧١).

(٣) تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٣٢).

(٤) انظر: الشعور بالعور للصفدي (ص١٧١)، و«نفح الطيب» (٣/ ٨)، و«تاريخ الأدب العربي» لشوقي ضيف (٩/ ١٩٣).

عن يعقوب بن سفيان، قال: «ذاكرني زيد بن بشر فقال: قد أقمت بمصر أفحي أبواك؟ فقلت: أما الأم فنعم وقد عزمت أن أحج العام وأخرج إليها فقال: سبحان الله وتقيم إلى إبان الحج ثم تحج وتخرج إليها وما يؤمنك أن تموت فتبقى غصة في نفسك؟ ثم قال: ما كنت أظن أنك ترضى لنفسك هذه المنزلة تغيب عن أمك في طلب العلم فقلت: إنها راضية بغيبتي عنها فقال: لا تقل ذلك فإن أصحابنا كانوا إذا طعنوا في السن لحقوا بالرباط بالإسكندرية ورفضوا الفسطاط قال: فأخبرني أبو عمر بن إدريس بن يحيى الخولاني وكنا نقول: إنه من الأبدال بل كان كذلك قال: لما طعن أبي في السن لحق بالإسكندرية للرباط فأقام بها ورفض الفسطاط قال: وكانت أمي حية فإذا كان أيام الرباط استأذنتها فتأذن لي فأخرج إلى الإسكندرية فأرابط بها الشهر أو الأكثر ثم أقدم عليها فمات أبي فلما كان أيام الرباط استأذنتها في الرباط فقالت: يا بني أخبرك بحالي وأنت أمير نفسك والله يا بني ما خرجت قط إلى الإسكندرية إلا وقلبي معلق بيدي حتى ترجع إلي فقلت: يا أمه فما لك لم تخبريني بهذا؟ حتى كنت لا أخرج قالت: يا بني كان أبوك حيًا وكنت أرى أن له عليك حقًا وبرًا فكنت أرى وأوجب على نفسي أن أصبر لما يجب لأبيك عليك من الحق والبر فلمَّا أن مات أبوك فإن شئت أن تخرج إلى الرباط على ما أعلمتك فاخرج قال: فقلت: «معاذ الله أن أخرج على ما تصفين ولو علمت من قبل الحال ما كنت لأخرج فتركت الرباط حتى ماتت أمي»[1].

١٦٨ عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ)

أخرج أحمد في «الزهد» عن حكيم بن كثير قال: قال عمر بن عبد العزيز: «وددت

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٢٩).

أن منزلي، بقزوين حتى أموت يعني بذلك الرباط»[١].

وكتب إلى الأمراء: «لا تركبوا في الغزو إلا أضعف دابة في الجيش سيرًا»[٢].

١٦٩ قيس بن أبي حازم (ت ٩٨هـ)

عن الفزاري، عن إسماعيل، عن قيس قال: «شغلني الجهاد عن كثير من القراءة»[٣].

١٧٠ محمد بن المنكدر (ت ١٣٠هـ)

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أنَّ محمدًا بن المنكدر وأصحابًا له كانوا في أرض الروم، فقال بعضهم: لو كان الآن عندنا من جبن المكتبة الرطبة.

قال: فإذا بين أيديهم على الطريق مكتل مخيط عليه فيه جبن رطب، فقالوا: لو كان عندنا عسل فأكلنا به، فإذا بين أيديهم قارورة فيها عسل[٤].

١٧١ أبو مسلم الخولاني (ت ٦٢هـ)

قال أبو بكر بن أبي مريم: عن عطية بن قيس، قال: دخل ناس من أهل دمشق على أبي مسلم وهو غاز في أرض الروم، وقد احتفر جورة في فسطاطه[٥]، وجعل فيها نطعا، وأفرغ فيه الماء، وهو يتصلق فيه[٦].

---

(١) الزهد (١٦٨٣) ط: دار الكتاب العربي.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٣).

(٣) السير لأبي إسحاق الفزاري رقم (٤٩٤).

(٤) حلية الأولياء (١/ ٤٦٠).

(٥) الفسطاط: البيت من الشعر.

(٦) تصلق: تقلب وتلوى على جنبيه.

فقالوا: ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟!

قال: «لو حضر قتال لأفطرت، ولتهيأت له وتقويت، إن الخيل لا تجري الغايات[1] وهنَّ بدن، إنما تجري وهن ضمر؛ ألا وإنَّ أيامنا باقية جائية، لها نعمل»[2].

وقال أبو زرعة في «تاريخه» حدثنا أبا مسهر، ومحمد بن معاذ قالا: حدثنا سعيد بن عبد العزيز: «أنَّ أبا مسلم الخولاني توفي بأرض الروم، وعلى الناس بسر بن أبي أرطأة بحمة بسر»[3].

١٧٢ مسلم بن عبد الرحمن الجرمي (ت ٢٤٠هـ)

من الغزاة، نزل طرسوس، وبها كانت وفاته[4].

روى عن: مخلد بن حسين، وروى عنه: المنذر بن شاذان الرازي.

وثَّقه جماعة[5].

قال الذهبي: «أحد أبطال الإسلام، ومن يضرب به المثل في الفروسية والإقدام، سمع من مخلد بن الحسين بالمصيصة»[6].

قلت الفقير لعفو ربه: يعني سمع منه وهو في أرض الرباط، فنعم السامع والمسمع والأرض.

---

(١) الغايات: النهايات، وفي الحديث: «أنَّه ﷺ سبق بين الخيل وفضل القرح في الغاية».

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٠)، و«تاريخ الإسلام» (٢/ ٧٤٥).

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ص٦٩٠).

(٤) تاريخ بغداد (١٥/ ١٢٠).

(٥) انظر: نثل النبال بمعجم الرجال (٣/ ٣١٨).

(٦) تاريخ الإسلام (٥/ ٧٠٣).

وذكر ابن أبي حاتم: «أنَّه قتل من الروم مئة ألف»[1].

١٧٣ أبو معاوية الأسود

قال أحمد بن فضيل العكي: غزا أبو معاوية الأسود، فحضر المسلمون حصنًا فيه علج، لا يرمي بحجرٍ ولا نشابٍ إلا أصاب، فشكوا إلى أبي معاوية، فقرأ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، استروني منه.

فلما وقف، قال: أين تريدون بإذن الله؟

قالوا: المذاكير.

فقال: أي رب، قد سمعت ما سألوني، فأعطني ذلك: بسم الله، ثم رمى المذاكير، فوقع.

ومن كلام أبي معاوية بن الأسود: «من كانت الدنيا همه، طال غدا غمه، ومن خاف ما بين يديه، ضاق به ذرعه»، وله مواعظ وحكم...[2].

١٧٤ موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ)

ابن أبي عياش، الامام الثقة الكبير، أبو محمد القرشي مولاهم، الاسدي المطرقي، مولى آل الزبير.

وكان بصيرًا بالمغازي النبوية، ألَّفها في مجلد، فكان أول من صنف في ذلك، وهو أخو إبراهيم بن عقبة، ومحمد بن عقبة، وعم إسماعيل بن إبراهيم.

قال موسى بن عقبة: غزوت الروم في خلافة الوليد بن عبد الملك مع سالم بن

---

(١) الجرح والتعديل (٨/ ١٨٨)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٧٠٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٧٩).

عبد الله

قال مصعب الزبيري: كان له هيئة وعلم.

وقال معن بن عيسى: كان مالك إذا سئل عن المغازي، قال: «عليك بمغازي الرجل الصالح موسى»(١).

١٧٥ المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سارق بن صبح بن كندي (ت ٨٢هـ)

ولد عام الفتح في حياة النبي ﷺ، وغزا في خلافة عمر.

قال الذهبي: أحسب هذا الكلام في حق أبيه.

روى عن: سمرة بن جندب، والبراء، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، وغيرهم.

روى عنه: سماك بن حرب، وأبو إسحاق السبيعي، وعمر بن سيف، وآخرون.

قال خليفة: في سنة أربع وأربعين غزا المهلب أرض الهند، وولي الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وستين، وولي حرب الخوارج، ثم ولي خراسان.

وقيل: أنَّ الحجاج بالغ في إكرام المهلب لما رجع من حرب الأزارقة، فإنَّه بدع فيهم وأبادهم، وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف وثمانمئة.

توفي غازيًا بمرو الروذ في ذي الحجة(٢).

وروي أنَّ أبا صفرة وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه عشرة من ولده، المهلب أصغرهم، فجعل عمر ينظر إليهم ويتوسمهم، ثمَّ قال لأبي صفرة: «هذا سيد ولدك، يعني المهلب».

---

(١) تاريخ الإسلام (٣/ ٩٨٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٦/ ١١٥).

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ١٠١).

وقال الحسن بن عمارة عن أبي إسحاق السبيعي: «ما رأيت أميرا كان أفضل من المهلب بن أبي صفرة».

وفي رواية قال: قيل له: لم رويت عن المهلب بن أبي صفرة؟ قال: لأنِّي لم أرَ أميرًا أيمن نقيبة -يعني نفسًا- ولا أشجع لقاء، ولا أبعد ممَّا يكره ولا أقرب ممَّا يحب من المهلب[1].

١٧٦ هانئ بن كلثوم بن عبد الله الكناني (ت ١٠٠هـ)

ويقال: الكندي الفلسطيني أراده عمر بن عبد العزيز على إمرة فلسطين فأبى عليه.

روى عن: ابن عمر، ومعاوية، ومحمود بن الربيع.

روى عنه: خالد بن دهقان، وأسيد بن عبد الرحمن، ويحيى بن أبي عمرو السيباني وغيرهم.

وكان شريفًا جليلًا عابدًا مجاهدًا غازيًا، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز[2].

١٧٧ همام بن منبه بن كامل بن سيج الصنعاني، أبو عقبة الصنعاني (ت ١٣١هـ)

المحدث، المتقن.

روى عن: عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي هريرة رضي الله عنهم.

روى عنه: أبن أخيه عقيل بن معقل بن منبه، وعلي بن الحسن بن أتش، ومعمر بن راشد، وأخوه وهب بن منبه الصنعانيون.

---

(١) ذكرهما في «تهذيب الكمال» (٢٩/ ١٠).

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ١١٨١).

ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»[(١)].

روى له الجماعة[(٢)].

قال أحمد بن حنبل: **كان يغزو، وكان يشتري الكتب لأخيه**، فجالس أبا هريرة بالمدينة، وعاش حتى أدرك ظهور المسودة[(٣)]، وسقط حاجباه على عينيه من الكبر[(٤)].

وعن عبد الرزاق بن همام، عن أبيه، قال: رأيت وهبًا إذا قام في الوتر، قال: «لك الحمد السرمد حمدًا لا يحصيه العدد، ولا يقطعه الأبد، كما ينبغي لك أن تحمد، وكما أنت له أهل، وكما هو لك علينا حق».

١٧٨ يونس بن عبيد (ت ١٣٩أو ١٤٠هـ)

الإمام، القدوة، الحجة، أبو عبد الله العبدي مولاهم، البصري من صغار التابعين، وفضلائهم.

وحدث عن: الحسن، وابن سيرين، وعطاء، وعكرمة، ونافع مولى ابن عمر، وزياد بن جبير، وإبراهيم التيمي، وعمرو بن سعيد الثقفي، ومحمد بن زياد الجمحي، وأبي بردة بن أبي موسى، وحميد بن هلال، والحكم بن الأعرج، وحصين بن أبي الحر، وثابت البناني، وأبي العالية البراء، وعدة.

وحدث عنه: حجاج بن حجاج، وشعبة، وسفيان، وحماد بن سلمة، ويزيد بن

---

(١) الثقات (٥/ ٥١٠).

(٢) تهذيب الكمال (٣٠/ ٣٠٠).

(٣) أي: العباسيين، فإن السواد كان شعارهم.

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٢).

زريع، وهشيم، وعبد الوارث، وحماد بن زيد، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى، وعبد الوهاب الثقفي، ومحمد بن أبي عدي، وأبو همام محمد بن الزبرقان، ومعتمر بن سليمان، وسالم بن نوح، ووهيب، وخلق كثير.

قال غسان بن المفضل الغلابي: حدثني بعض أصحابنا، قال: جاء رجل إلى يونس بن عبيد، فشكا إليه ضيقًا من حاله، ومعاشه، واغتمامًا بذلك، فقال: «أيسرك ببصرك مئة ألف؟

قال: لا.

قال: فبسمعك؟

قال: لا.

قال: فبلسانك؟

قال: لا.

قال: فبعقلك؟

قال: لا...، في خلال، وذكره نعم الله عليه.

ثمَّ قال يونس: أرى لك مئين ألوفا، وأنت تشكو الحاجة»؟!

وعن أحمد بن إبراهيم، قال: نظر يونس إلى قدميه عند موته فبكى، فقيل له: ما يبكيك، أبا عبد الله؟ **قال: «قدماي لم تغبرا في سبيل الله ﷻ»**[1].

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ١٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٩٢).



الباب السادس: جهاد الأمراء والسلاطين

١٧٩ الأمير الكبير أسامة بن منقذ: العلامة، فارس الشام، مجد الدين، مؤيد الدولة، أبو المظفر ابن الأمير مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، الشيزري (ت ٥٨٤هـ)[١]

قال الذهبي: «أحد أبطال الإسلام، ورئيس الشعراء الأعلام».

وقال ابن السمعاني: قال لي أبو المظفر: «أحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية»[٢].

وقال ياقوت: «وفي بني منقذ جماعة أمراء شعراء؛ لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم»[٣].

وقال الشيخ أحمد شاكر ﵀: «بطل من أبطال الإسلام الكبار، وأديب من أدباء العرب الفصحاء، وسياسي من الطراز الأول».

وكان المستشار الحربي لصلاح الدين الأيوبي، بما نال من خبرة طويلة، في الحرب والسياسة، وبما خاض من غمار الحروب الصليبية، وقد نشأ في عنفوانها[٤].

---

(١) انظر: الروضتين (فصل فِي ذكر حصن شيزر وَولَايَة بني منقذ) (١/ ٣٥٢).

(٢) تاريخ الإسلام (١٢/ ٧٧٠).

(٣) معجم الأدباء (٢/ ٥٧٢).

(٤) جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر (أسامة بن منقذ) (١/ ٢٩٨و٣٠٠).

روى عنه: ابن عساكر، وابن السمعاني، وأبو المواهب، والحافظ عبد الغني، والبهاء عبد الرحمان، وابنه؛ الأمير مرهف، وعبد الصمد بن خليل الصائغ، وعبد الكريم بن أبي سراقة، ومحمد بن عبد الكافي الصقلي.

عاش سبعًا وتسعين سنة، ومات بدمشق، في رمضان، سنة أربع وثمانين وخمس مئة.

ومن شعره:

مَعَ الثَّمَانِيْنَ عَاثَ الضَّعْفُ فِي جَسَدِي ... وَسَاءنِي ضَعْفُ رِجْلِي وَاضْطِرَابُ يَدِي

إِذَا كَتَبتُ فَخطِّي خطُّ مُضطَربِ ... كخطِّ مُرْتَعِشِ الكفَّيْنِ مُرْتَعِدِ

فَاعجَبْ لضَعْفِ يَدِي عَنْ حَمْلهَا قَلَمًا ... مِنْ بَعْدِ حَطْمِ القنَا فِي لبَّةِ الأَسَدِ

فَقُلْ لِمَنْ يَتَمَنَّى طولَ مُدَّتِه ... هَذِي عَواقِبُ طولِ الْعُمرِ وَالمُدَدِ[1]

ومن شعره:

أنظر إلى لاعب الشَّطْرَنْج يجمعُها ... مُغالِبًا ثُمَّ بعد الجمْع يرميها

كالمرءِ يكدحُ للدّنيا ويجمعُها ... حَتَّى إذا مات خلّاها وما فيها[2]

١٨٠ ألب أرسلان (ت ٤٦٥هـ)

السلطان الكبير، الملك العادل، عضد الدولة، أبو شجاع ألب آرسلان محمد ابن السلطان جغريبك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق بن سلجوق التركماني، الغزي.

من عظماء ملوك الإسلام وأبطالهم.

قد غزا بلاد الروم مرتين، وافتتح قلاعا، وأرعب الملوك، ثمَّ سار إلى أصبهان، ومنها إلى كرمان وبها أخوه حاروت، وذهب إلى شيراز، ثمَّ عاد إلى خراسان،

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) تاريخ الإسلام (١٢/ ٧٧٠).

وكاد أن يتملك مصر.

في سنة (٤٦٢هـ) خرج أرمانوس طاغية الروم في مائتي ألف من الفرنج والروم والبجاك والكرج، وهم في تجمل عظيم، فقصد بلاد الإسلام، ووصل إلى منازكرد بليدة من أعمال خلاط. وكان السلطان ألب أرسلان بخوي من أعمال أذربيجان قد عاد من حلب، فبلغه كثرة جموعهم وليس معه من عساكره إلا خمسة عشر ألف فارس، فقصدهم وقال: أنا ألتقيهم صابرًا محتسبًا، فإنْ سلمت فبنعمة الله، وإن كانت الشهادة فابني ملكشاه ولي عهدي.

فوقعت مقدمته على مقدمة أرمانوس فانهزموا وأسر المسلمون مقدمهم، فأحضر إلى السلطان فجدع أنفه، فلمَّا تقارب الجمعان أرسل السلطان يطلب المهادنة، فقال أرمانوس: «لا هدنة إلا بالري».

فانزعج السلطان، فقال له إمامه **أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي: إنَّك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح، فالقهم يوم الجمعة في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين.**

فلمَّا كان تلك الساعة صلى بهم، وبكى السلطان، فبكى الناس لبكائِهِ، ودعا فأمنوا، فقال لهم: من أراد الانصراف فلينصرف، فما هاهنا سلطان يأمر ولا ينهى. وألقى القوس والنشاب، وأخذ السيف، وعقد ذنب فرسه بيده، وفعل عسكره مثله، ولبس البياض وتحنط، وقال: «إن قتلت فهذا كفني»، وزحف إلى الروم، وزحفوا إليه، فلمَّا قاربهم ترجل وعفَّر وجهه على التراب، وبكى، وأكثر الدعاء، ثمَّ ركب وحمل الجيش معه، فحصل المسلمون في وسطهم، فقتلوا في الروم كيف شاؤوا،

وأنـزل الله نصـره، وانهزمـت الـروم، وقتـل مـنهم مـا لا يحصـى، حتـى امـتلأت الأرض بـالقتلى، وأسـر ملـك الـروم، أسـره غـلام لكـوهرايين فـأراد قتلـه ولـم يعرفـه، فقـال لـه خدم مع الملك: لا تقتله فإنَّه الملك(١).

١٨١ بايزيد الثاني (ت ٩١٨هـ)

تـولى سـلطة الـبلاد بعـد وفـاة السـلطان محمـد الفـاتح، وكـان محبًـا لـلأدب، متفقهًـا في علـم الشـريعة، شـغوفًا بعلـم الفلـك. عظمـت سـلطنته وافتـتح عـدة قـلاع للنصـارى، وكـان السـلطان بايزيـد سـلطانا مجاهـدًا مشـاغرًا مرابطًـا، محبًـا لأهـل العلـم، محسـنًا إليهم(٢).

وكـان مـن عادتـه أن يجمـع في قـارورة مـا علـق بثيابـه مـن غبـار، وهـو راجـعٌ مـن أي غزوة من غزوات جهاده في سبيل الله(٣).

وفي إحـدى المـرات عنـدما كـان السـلطان يقـوم بجمـع هـذا الغبـار مـن علـى ملابسـه لوضعه في القارورة، قالت له زوجته: أرجو أن تسمح لي يا مولاي بسؤال.

فقال: اسألي.

لم تفعل هذا يا مولاي؟ وما فائدة هذا الغبار الذي تجمعه في هذه القارورة؟

فقـال: إنَّنـي سأوصـي بعمـل طابوقـة مـن هـذه الغبـار، وأن توضـع تحـت رأسـي في قـبري عنـد وفـاتي...ألا تعلمـين أنَّ الله سيصـون مـن النـار يـوم القيامـة جسـد مـن جاهـد في سبيله؟

---

(١) تاريخ الإسلام (١٠/ ١٤١)، و«السير» (١٨/ ٤١٤- ٤١٨)، و«الكامل في التاريخ» (٨/ ٢٢٣).

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/ ١٥١).

(٣) يذكرنا فعله بفعل محمد بن أبي عامر، كما ذكرنا سيرته في كتابنا.

ونفذت فعلًا وصيته، إذ عمل من هذا الغبار المجتمع في تلك القارورة... غبار الجهاد في سبيل الله... عمل منه طابوقة، وضعت تحت رأسه[1].

١٨٢ الظاهر بيبرس ركن الدين أبو الفتوح البندقداري الصالحي النجمي الأيوبي التركي، صاحب مصر والشام (ت ٦٧٦هـ)

كان مملوكًا للعمادِ الصائغ الذي كان يسكن عند المنكلانية، ثمَّ اشتراه الأمير علاء الدين البندقدار الصالحي فطلع بطلًا شجاعًا نجيبًا لا ينبغي أن يكون إلا عند ملك.

شهد وقعة المنصورة بدمياط وصار أميرًا في الدولة المعزية. وتقلبت به الأمور وجرت له أحوال، واشتهر بالشجاعة والإقدام وبعد صيته.

ولما سارت الجيوش المنصورة من مصر لحرب التتار كان هو طليعة الإسلام، وجلس على سرير الملك بعد قتل الملك المظفر.

وكان غازيًا، مجاهدًا، مرابطًا، خليقًا للملك، لولا ما كان فيه من الظلم والله يرحمه ويغفر له ويسامحه، فإنَّ له أيامًا بيضاء في الإسلام، ومواقف مشهودة، وفتوحاتٍ معدودة.

وقد دخل الروم، قبل موته بشهرين وكسر التتار، ودخل مدينة قيصرية وجلس بها في دست الملك، وصلى بها الجمعة، وخطبوا له، وضربت السكة باسمه وذلك في ذي القعدة[2].

---

(١) روائع من التاريخ العثماني (ص٥٥-٥٦) ط: دار الكلمة.

(٢) تاريخ الإسلام (١٥/ ٣٠٦).

١٨٣ ترمشين بن دُوا المغلي (ت ٧٣٥هـ)

صاحب بلخ وسمرقند وبخارى ومر، كانت دولته ست سنين واستشهد إلى رضوان الله.

كان ذا إسلام وتقوى وعدل وخير، أبطل مكوس مملكته، وعمَّر البلاد، وألزم جنده بالكف عن الأذى، وأن يزرعوا الأراضي.

ملازمًا للصلوات الخمس في الجماعة، وأمر بالشرع، واستعمل أخاه على ؛مدينةٍ فقتل رجلًا ظُلمًا فسار أهله إلى ترمشين وشكوا إليه فبذل لهم أموالًا ليعفوا، فقالوا: «نطلب حكم الله»، فسلمه إليهم فقتلوه ودعا النَّاس لهُ.

ثمَّ قوي به الدِّين والتأله، وعزم على ترك الملك والتبتل برأس جبل، وسافر معرضًا عن السلطنة فظفر به أمير كان يبغضه فقتله[1].

١٨٤ أمير المؤمنين أبو الفضل جعفر المتوكل على الله، ابن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد القرشي العباسي البغدادي (ت ٢٤٧هـ)

قال خليفة: «استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة، وبسطها ونصر أهلها، يعني محنة خلق القرآن»[2].

وفي سنة أربع وثلاثين. واستقدم المحدثين إلى سامرا، وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية، وجلس أبو بكر بن أبي

---

(١) الوافي بالوفيات (١٠/ ٢٣٦).

(٢) تاريخ الإسلام (٥/ ١٠٩٧).

شيبة في جامع الرصافة، فاجتمع إليه أيضًا نحو من ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور، فاجتمع إليه أيضًا نحو من ثلاثين ألف نفس، وتوفّر دعاء الخلق للمتوكل، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له، حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم[1].

١٨٥ الحكم بن عبد الرحمن بن محمد المستنصر بالله أمير المؤمنين بالأندلس، أبو العاص، المستنصر بالله بن الناصر الأموي، المرواني (ت ٣٦٦هـ)

قال اليسع بن حزم: «كان الحكم عالمًا، راوية للحديث، فطنًا، ورعًا».

وكان شجاعًا باسلًا، أديبًا مفتنًا، خطيبًا مفوهًا، وشاعرًا مجودًا، تحذر صولاته وتستندر أبياته.

وكان حسن السيرة، جامعًا للعلم، مكرمًا للأفاضل، كبير القدر، ذا نهمة مفرطة في العلم والفضائل، عاكفا على المطالعة.

جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الملوك، لا قبله ولا بعده، وتطلبها، وبذل في أثمانها الأموال، واشتريت له من البلاد البعيدة بأغلى الأثمان، مع صفاء السريرة والعقل والكرم، وتقريب العلماء.

أكثر عن: زكريا بن الخطاب، وأجاز له: قاسم بن ثابت كتاب (الدلائل في غريب الحديث).

وكتب عن خلق كثير، منهم: قاسم بن أصبغ، ومحمد بن محمد بن عبد السلام

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص٣٤٧).

الخشني، وأحمد بن دحيم.

ولقد ضاقت خزائنه بالكتب إلى أن صارت إليه، وآثرها على لذات لملوك، فغزر علمه، ودق نظره، وكان له يد بيضاء في معرفة الرجال، والأنساب، والأخبار، وقلما تجد له كتابًا إلا وله فيه قراءة أو نظر، من أي فن كان، ويكتب فيه نسب المؤلف، ومولده ووفاته، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد.

وفي دولة الحكم همت الروم بأخذ مواضع من الثغور، فقواها بالمال والجيوش، وغزا بنفسه، وزاد في القطيعة على الروم، وأذلهم.

قال الذهبي: ومن محاسنه: «أنَّه شدد في مملكته في إبطال الخمور تشديدًا عظيمًا».

وكان موته: بالفالج، في صفر رحمه الله[1].

١٨٦ حسام الدين طمان (ت ٥٨٥هـ)

صاحب الرقة، الحسام الفاضل، والهمام الباسل، والقرم البازل، والندب الحلاحل. والمحترق لحمية الدين، والمقترح لحماية المسلمين.

ولما وافت وفاته؛ وفاته رجاؤه ولم يرج فواته؛ أسف على عمره، وأسى على أمره. وحزن كيف لم يقتل شهيدًا، ولم يستشهد في الجهاد سعيدًا.

وقال: «قدموا حصاني حتى أشهد الحرب واستشهد، وأجاهد إلى أن أقتل وأجهد. فإني أرى موتي على الفراش غبنًا، وقد عرفتم مني شجاعة لا جبنًا، توفي عصر الأربعاء ثالث عشر شعبان؛ وبوأه الله الجنان، وبشر به رضوان.

---

(١) السير (٨/ ٢٦٩-٢٧١)، و«الحلة السيراء» (ص٤٣-٤٤).



قال العماد الأصبهاني: في ذكر (فتح حصن هونين) الأمير طمان بن غازي ما اطمأن يومًا في الغزو ولا سكن، وعز الدين جرديك النوري كم جرد على أعناق المشركين سيفه الذي به تمكن، وهما هماما مقدمان مقداما، من عادتهما الوثبات على ثبات العداة يرومان الثبات ولا يريمان. وجماعة أخر بهما يتشبهون، وبالكريهة لا يتكرهون[1].

١٨٧ الملك الأشرف خليل بن السلطان قلاون الصالحي (ت ٦٩٣هـ)

جلس على تخت الملك في ذي القعدة سنة (٦٨٩ هـ) بعد موت والده.

واستفتح ملكه بالجهاد، حيثُ سار ونازل عكا وافتتحها، ونظف الشام كله من الفرنج، ثمَّ سار في السنة الثانية فنازل قلعة الروم وحاصرها خمسة وعشرين يومًا وافتتحها، وفي السنَة الثالثة جاءته مفاتيح قلعة بهسنى من غير قتال إلى دمشق، ولو طالت مدته لملك العراق وغيرها؛ فإنَّه كان بطلًا شجاعًا مقدامًا مهيبًا، عاليَ الهمة يملا العين ويرجف القلب، وكان ضخمًا سمينًا كبير الوجه بديع الجمال مستدير اللحية، على وجهه رونق الحسن ، وهيبة السلطنة، وكان إلى جوده وبذله الأموال في أغراضه المنتهى تخافه الملوك في أقطارها[2].

١٨٨ خوارزمشاه أبو الفتح محمد بن نوشتكين

الملك، العالم، أبو الفتح محمد بن نوشتكين، دين فاضل، خير تقي، سخي، كثير التلاوة والغزو، عارف بالتفسير، كان يقول: سمعت نظام الملك يقول: صلاة

---

(١) الفتح القسي (ص١٦٦) و(ص٩٥)، و«الروضتين» (٤/ ٨٢).

(٢) الوافي بالوفيات (١٣/ ٢٤٩-٢٥٠).

الصبح بغلس تذهب ظلمة القبر[1].

١٨٩ السلطان سليم الأول (ت ٩٢٦هـ)

حكم ثماني سنوات فقط، ولكنه حقق في هذه السنوات الثمانية من الأعمال ما لا تسعها أضعاف هذه السنوات.

وقيل: عندما رجع هذا السلطان من حملته المشهورة على مصر، والتي ألحق فيها للدولة العثمانية؛ سورية، وفلسطين، وشمالي العراق، والحجاز، ومصر، واستلم فيها الخلافة ايضًا... عندما رجع متوجهًا الى عاصمته اسطنبول واقترب منها؛ علم أنَّ أهالي اسطنبول سمعوا بقدومه، وأنَّه أصبح على مقربة من العاصمة؛ لذا فإنَّهم يخرجون كل يوم ويملئون الشوارع انتظارًا لقدومه، ولرؤيته وللاحتفال به، والهتاف بحياته بعد أن تكللت حملته بهذه السلسلة الباهرة من الانتصارات.

ضاق صدر السلطان بما سمع، فأمر الجيش أن يعسكر في القسم الآسيوي، وألا يدخل إلى مدينة اسطنبول (حيث كانت في القسم الأوروبي آنذاك) حتى إصدار أمره بذلك.

احتار الوزراء والقواد والجنود، ولم يعرفوا سبب هذا الأمر والداعي إليه، ولم يجد أحد في نفسه الجرأة لسؤال السلطان عن معنى، ومغزى هذا الأمر، الذي نفذوه فورًا، فهم في النهار، وليس أمامهم للوصول الى اسطنبول إلا ساعة، أو ساعتين فَلِمَ هذا التأخير، والجميع في شوق إلى بيته وإلى أولاده وزوجته؟ ولم هذا التأخير وأهالي اسطنبول تنتظر قدوم السلطان على أحر من الجمر؟، وقد احتشدت في

---

(١) السير (١٩/ ٥٢٩).

الشوارع والساحات للاحتفال به، وبجيشه المنتصر وللهتاف بحياته، والدعاء له.

انتظر الجيش والقواد على مضض، والكل يأمل أن يغير السلطان رأيه فيسمح لهم بدخول إسطنبول ... ولكن الساعات مضت، وبدأت الشمس تميل للغروب، وليس هناك من إشارة الى تبديل رأي السلطان ... ولكن من يستطيع أن يكلم السلطان؟ تشاور الوزراء والقواد حول هذا الأمر، فلم يجدوا أفضل من العالم ابن الكمال، الذي كان السلطان يحترمه، ويوقره جدًا ويحبه.

كلموا ابن الكمال فقبل ذلك، وأخذ على عاتقه مراجعة السلطان في الأمر، استأذن ابن الكمال في الدخول على السلطان، فأذن له.

ولما مثل بين يديه قال للسلطان: عندي ما أقوله لكم أيها السلطان.

هات ما عندك يا ابن الكمال.

إن جنودك يا -مولاي- في حيرة، وهم يتساءلون: لماذا لا يدخل السلطان إلى اسطنبول؟ مع أن أهاليها ينتظرونه هناك في شوق؛ لكي يهتفوا بحياته ويحتفلوا بقدومه، وبقدوم جيشه المنتصر.

فأجابه السلطان سليم هذا الجواب الرائع الذي حفظه التاريخ:

«ألا تعرفني بعد يا ابن الكمال؟ إنَّنا لم نحارب من أجل الشهرة والمجد، أو من أجل الحصول على الهتاف بحياتي ... لم نحارب إلا في سبيل الله ومن أجل الحصول على رضاه».

وعندما أقبل المساء أمر الجيش بدخول المدينة، وركب السلطان زورقًا مع بعض حراسه ودخل المدينة، وتوجه الى قصره دون أن يعلم أحد من أهالي اسطنبول

بقدومه[(١)].

١٩٠ سليمان بن عبد الملك، أبو أيوب (ت ٩٩هـ)

كان من خيار ملوك بني أمية.

روى قليلًا عن أبيه، وعبد الرحمن بن هبيرة، روى عنه ابنه عبد الواحد، والزهري.

وكان فصيحًا، مفوهًا، مؤثرًا للعدل، محبًّا للغزو، ومولده سنة ستين.

قال عبد الرحمن بن حسان الكناني: «مات سليمان غازيًا بدابق»[(٢)].

١٩١ سيف الدولة الحمداني (ت ٣٥٦هـ)

أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب، مقصد الوفود، وكعبة الجود، وفارس الإسلام، وحامل لواء الجهاد.

كان أديبًا مليح النَّظم، فيه تشيعٌ.

يقال: تم له من الروم أربعون وقعة، أكثرها ينصره الله عليهم، وله غزو ما اتفق لملك غيره، وكان يضرب بشجاعته المثل، وله وقع في النفوس -فالله يرحمه-.

قال الصفدي عنه: «وكان قد جمع من نفضِ الغبارِ الذي يجتمعُ عليه أيَّام الحروبِ ما جاء منه لبنة بقدرِ الكف، فأوصى أنْ يوضعَ خدُه عليها في قبرِهِ ففعل به ذلك»[(٣)].

---

(١) روائع التاريخ العثماني (ص٦٥-٦٧).

(٢) تاريخ الخلفاء (ص٢٢٩).

(٣)وهذا حصل مع محمد بن أبي عامر، وبايزيد الثاني رحمهم الله.

ولزمه في فداء الأسرى سنة خمس وخمسين وثلاث مائة ست مائة ألف دينار، وكان ذلك خاتمة عمله؛ لأنَّه مات بعد ذلك بقليل، واشترى كل أسير من الضعفاء بثلاثة وثمانين دينارا وثلث دينار رومية، فأمَّا الجلة من الأسرى ففادى بهم أسارى عنده من الروم من رؤسائهم، وكانت أخته قد توفيت وخلفت خمس مائة ألف دينار، فصرفها في هذا الوجه فقال الببغاء:

مَا الـمَال إِلَّا مَا أَفَادَ ثَنَاء ... مَا الْعِزّ إِلَّا مَا حمى الْأَعْدَاء
وفديت من أسر الْعَدو معاشراً ... لولاك مَا عرفُوا الزَّمَان فدَاء
كَانُوا عبيد نداك ثمَّ شريتهم ... فَغَدوْا عبيدك نعْمَة وَشِرَاء[1]

وقيل: إنَّه في عيدٍ أنفذ إلى النَّاس ضحايا لا تعد كثرة؛ فبعث إلى اثني عشر ألف إنسان، فكان أكثر ما يبعث إلى الكثير منهم مئة رأس[2].

إذا زار سيفُ الدولةِ الرومَ غَازِيًا ... كفَاهَا لِمامٌ لو كَفَاهُ لِمَامُ[3]

١٩٢ شيركوه بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني (ت ٥٦٤هـ)

الملك المنصور، فاتح الديار المصرية، أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني، الكردي، أخو الأمير نجم الدين أيوب.

وشيركوه بالعربي: أسد الجبل.

---

(١) الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٨٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٨٧-١٨٨)، ويقال: ما اجتمع بباب ملك من الشعراء ما اجتمع ببابه. وكان يقول: عطاء الشعراء من فرائض الأمراء، وقد جمع له من المدائح مجلدان. مات بالفالج، وقيل: بعسر البول، في صفر سنة ست وخمسين..

(٣) المآخذ على شُراح ديوان أبي الطَّيب المُتنبِّي (٥/ ٢٤٩)، قال: اللمام الزيارة القليلة.

يقول: إذا غزاهم كفاهم أدنى نزول منه بهم لو اكتفى هو بذلك، لكنه لا يكتفي حتى يبلغ أقصى بلادهم.

وأقول: لو قال: حتى يطيل الغزو والنزول في بلادهم، ويكثر القتل والسبي، لكان أولى، وهو ضد اللمام.

مولده: بدوين؛ بليدة بطرف أذربيجان ممَّا يلي بلاد الكرج -بضم أوله وكسر ثانيه- ويقال في النسبة إليها: دويني بفتح ثانيه.

نشأ هو وأخوه بتكريت لما كان أبوهما شاذي نقيب قلعتها، وشاذي بالعربي: فرحان، أصلهم من الكرد الروادية فخذ من الهذبانية.

وأنكر طائفة من أولاده أن يكونوا أكرادًا، وقالوا: بل نحن عرب نزلنا فيهم، وتزوجنا منهم.

نعم قدم الأخوان الشام، وخدمًا، وتنقلت بهما الأحوال إلى أن صار شيركوه من أكبر أمراء نور الدين، وصار مقدم جيوشه.

وكان أحد الأبطال المذكورين، والشجعان الموصوفين، ترعب الفرنج من ذكره[1].

قال ابن الأثير: فحدثني من رأى أسد الدين حين خرج من بلبيس، قال: أخرج أصحابه بين يديه، وبقي في آخرهم وبيده لت من حديد يحمي ساقتهم، والمسلمون والفرنج ينظرون إليه، قال: فأتاه فرنجي من الغرباء الذين خرجوا من البحر، فقال له: أمَا تخاف أنْ يغدر بك هؤلاء المصريون والفرنج، وقد أحاطوا بك وبأصحابك، ولا يبقى لكم بقية؟ فقال شيركوه: يا ليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما أفعله، كنت والله أضع السيف، فلا يقتل منَّا رجل حتى يقتل منهم رجالًا، وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين، وقد ضعفوا، وفني شجعانهم، فنملك بلادهم، ويهلك من بقي منهم، والله لو أطاعني هؤلاء لخرجتُ إليكم من أول يوم، ولكنهم امتنعوا.

فصلب على وجهه، وقال: كنَّا نعجب من فرنجِ هذه البلاد ومبالغتهم في صفتك

---

(١) السير (٢٠/ ٥٨٨).

وخوفهم منك، والآن فقد عذرناهم، ثمَّ رجع عنه[١].

١٩٣ صلاح الدين الأيوبي؛ يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان الدويني الأصل التكريتي المولد (ت ٥٨٩هـ)

سمع الحديث: من الحافظ أبي طاهر السلفي، وأبي طاهر بن عوف، والشيخ قطب الدين النيسابوري، وعبد الله بن بري النحوي، وجماعة.

روى عنه: يونس بن محمد الفارقي والعماد الكاتب وغيرهما

قال السبكي: «كان فقيهًا، يقال إنَّه: كان يحفظ القرآن، و«التنبيه» في الفقه[٢]، والحماسة في الشعر».

وملك البلاد ودانت له العباد، وأحبه الخلق، ونصر الإسلام، وغزا الفرنج وكسرهم مرات، وفتح المدن الكبار، وأقام في السلطنة أربعًا وعشرين سنة يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله[٣].

وَلِلنَّاسِ بِالمَلِكِ النَّاصِرِ الصَّلاَ ... ح صَلاَحٌ وَنَصْرٌ كَبِيْرُ
هُوَ الشَّمْسُ أَفلاَكُهُ فِي البِلاَ ... دِ وَمَطْلَعُهُ سَرْجُهُ وَالسَّرِيْرُ
إِذَا مَا سَطَا أَوْ حَبَا وَاحْتَبَى ... فَمَا اللَّيْثُ مِنْ حَاتِمٍ مَا ثَبِيْرُ

يقول القاضي ابن شداد رحمه الله عنه: «ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله، وأولاده، ووطنه وسكنه، وسائر بلاده، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمةٍ تهبُّ بها الرياح ميمنة وميسرة، ولقد وقعت عليه الخيمة في ليلة ريحية على مرج عكا، فلو

---

(١) الكامل (٩/ ٣٠٧).

(٢) كتابٌ في الفقه الشافعي.

(٣) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٧/ ٣٤٠).

لم يكن في البرج لقتلته، ولا يزيده ذلك إلا رغبة ومصابرة واهتمامًا»[١].

وقال الموفق عبد اللطيف: أتيت، وصلاح الدين بالقدس، فرأيت ملكًا يملأ العيون روعة، والقلوب محبّة، قريبًا بعيدًا، سهلًا، محببًا، وأصحابه يتشبهون به، يتسابقون إلى المعروف، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٧] وأول ليلة حضرته وجدت مجلسه حفلًا بأهل العلم يتذاكرون، وهو يحسن الاستماع والمشاركة، ويأخذ في كيفية بناء الأسوار، وحفر الخنادق، ويأتي بكل معنى بديع، وكان مهتمًا في بناء سور بيت المقدس وحفر خندقه، ويتولى ذلك بنفسه، وينقل الحجارة على عاتقه، ويتأسى به الخلق حتى القاضي الفاضل، والعماد إلى وقت الظهر، فيمد السماط، ويستريح، ويركب العصر، ثمَّ يرجع في ضوء المشاعل، قال له صانع: هذه الحجارة التي تقطع من أسفل الخندق رخوة[٢].

قال: كذا تكون الحجارة التي تلي القرار والنداوة، فإذا ضربتها الشمس، صلبت.

ومحاسن صلاح الدين جمة، لا سيَّما الجهاد، فله فيه اليد البيضاء ببذل الأموال والخيل المثمنة لجنده، وله عقل جيد، وفهم، وحزم، وعزم.

وكان يحفظ (الحماسة)، ويظن أنَّ كل فقيه يحفظها، فإذا أنشد، وتوقف، استطعم فلا يطعم، وجرى له ذلك مع القاضي الفاضل، ولم يكن يحفظها، وخرج فما زال حتى حفظها، وكتب لي صلاح الدين بثلاثين دينارًا في الشهر، وأطلق أولاده لي رواتب، فأشغلت بجامع دمشق[٣].

وفتح بيت المقدس يومَ الجمعة في الثالث والعشرين من رجب، سنة ثلاث

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (ص٥٣).

(٢) ينظر: الطبقات للسبكي (٧/ ٣٤٧-٣٤٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٨٢).

وثمانين وخمس مئة، بعد أن استولى الفرنج عليه وعلى الخليل إحدى وتسعين سنة، وهدم ما أحدثوه من الكنائس، وبنى موضع كنيسةٍ منها مدرسةً للشَّافعية.

وكانت مدة سلطنة صلاح الدين نحوُ أربعةٍ وعشرين سنةً، وتوفَّي سابع عشر صفرٍ سنة تسعٍ وثمانين وخمسة مئة بمحروسة دمشقَ، وعمرُهُ سبعٌ وخمسون سنة، وقبره بها.

مات عن سبعة عشر ولدًا ذكرًا، ولم يخلِّف في خزائنِه من الدراهم والدنانير سوى سبعةٍ وأربعين درهمًا لا غير، لا مِلكًا ولا بستانًا ولا قريةً، فاللهُ تعالى يرحمهُ، فلو لم يكن له من الفضل في الدنيا إلا فتحُ بيت المقدس، وقطعُ دابرِ الرَّافضةِ الفاطميين من أرضِ مصرَ، لكان كافيًا له عند الله تعالى في رفعِ درجاته في الآخرة[1].

يقول العماد الأصفهاني رحمه الله: «ولما تسلم السلطان القدس أمر بإظهار المحراب. وحتم به أمر الإيجاب، وكان الداوية قد بنوا في وجهه جدارًا وتركوه للغلة هريًا، وقيل: كانوا اتخذوه مستراحًا عدوانًا وبغيًا. وكانوا قد بنوا من غربي القبلة دارًا وسيعة، وكنيسة رفيعة. فأوعز برفع ذلك الحجاب، وكشف النِّقاب عن عروس المحراب. وهدم ما قدامه من الأبنية، وتنظيف ما حوله من الأفنية بحيث يجتمع الناس في الجمعة في العرصة المتسعة، ونصب المنبر واظهر المحراب المطهر، ونقض ما أحدثوه بين السواري، وفرشوا تلك البسيطة بالبسط الرفيعة عوض الحصر والبواري. وعلقت القناديل، وتلي التنزيل، وحُق الحق وبطلت الأباطيل، وتولى الفرقان وعزل الإنجيل. وصفت السجادات، وصفت العبادات، وأقيمت الصلوات، وأديمت الدعوات، وتجلت البركات، وانجلت الكربات، وانجابت

---

(١) نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر (٨/ ٦٣و٦٥).

الغيايات، وانتابت الهدايات، وتليت الآيات، وأعليت الرايات.

ونطق الأذان وخرس الناقوس، وحضر المؤذنون وغاب القسوس، وزال العبوس والبوس، وطابت الأنفاس والنفوس، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس، وعاد الإيمان الغريب منه إلى موطنه، وطلب الفضل من معدنه. وورد القراء وقرئ الأوراد، واجتمع الزهاد والعباد، والأبدال والأوتاد. وعبد الواحد ووحد العابد، وتوافد الراكع والساجد، والخاشع والواجد، والزاهي والزاهد، والحاكم والشاهد، والجاهد والمجاهد، والقائم والقاعد، والمتهجد الساهد، والزائر والوافد.

وصدح المنبر وصدع المذكر، وانبعث المعشر وذكر البعث والمحشر. وأملى الحفاظ، وأسلى الوعاظ. وتذاكر العلماء، وتناظر الفقهاء، وتحدث الرواة وروى المحدثون، وتحنف الهداة وهدى المتحنفون. واخلص الداعون ودعا المخلصون، وأخذ بالعزيمة المترخصون، ولخص المفسرون وفسر الملخصون. وانتدى الفضلاء، وانتدب الخطباء. وكثر المترشحون للخطابة، المتوشحون بالإصابة، المعروفون بالفصاحة، الموصوفون بالحصافة»[1].

وكان يقول: «إِنَّ الله أَمر بِالْجِهَادِ، وتكفل بالرزق فَأمره وَاجِب الِامْتِثَال، ووعده ضَامِن الصدْق؛ فنأتي بِمَا كلفنا لنفوز بِمَا كفله وَمن أغفل أمره أغفله، وَأَنا بالعسكر الْحَاضِر أنازل وأباري وأحمي الْحمى، وأدني فِي المرام المرمى، وَمَا دَامَت بالشعاب أعشاب فَخَيرهَا لخيلنا إشباع...»[2].

ويذكر ابن شداد أنَّ السلطان صلاح الدين بعد أن فتح بيت المقدس أخبره بأنَّ

---

(١) الفتح القسي في الفتح القدسي (ص٧٦-٧٧).

(٢) البراق الشامي (٣/ ١٤٦).

هدفه الآن أن يموت أشرف الميتات، فلمَّا سأله عن كيفية ذلك؟

فأجابه: «أنَّه يرغب أن يركب البحر، ويغزو مواطن الفرنجة، لنشر الإسلام»[1].

١٩٤ طارق بن زياد مولى موسى بن نصير (ت ١٠١هـ)

وكان أميرًا على طنجة بأقصى المغرب، فبلغه اختلاف الفرنج واقتتالهم، وكاتبه صاحب الجزيرة الخضراء ليمده على عدوه، فبادر طارق، وعدى في جنده، وهزم الفرنج، وافتتح قرطبة، وقتل صاحبها لذريق، وكتب بالنصر إلى مولاه، فحسده على الانفراد بهذا الفتح العظيم، وتوعده، وأمره أن لا يتجاوز مكانه، وأسرع موسى بجيوشه، فتلقاه طارق، وقال: إنمَّا أنا مولاك، وهذا الفتح لك.

فأقام موسى بن نصير بالأندلس سنتين يغزو ويغنم، وقبض على طارق، وأساء إليه، ثمَّ استخلف على الأندلس ولده عبد العزيز بن موسى، وكان جنده عامتهم من البربر، فيهم شجاعة مفرطة وإقدام.

وله فتوحات عظيمة جدًا بالمغرب، كما كان لقتيبة بن مسلم بالمشرق -في هذا الوقت- فتوحات لم يسمع بمثلها.

وفي هذه المدة وبعدها كانت غزوة القسطنطينية في البر والبحر، ودام الحصار نحوًا من سنة، وكان علم الجهاد في أطراف البلاد منشورًا، والدين منصورًا، والدولة عظيمة، والكلمة واحدة.

قال سعيد بن عبد العزيز: أخبرني رجل: أن سليمان همَّ بالإقامة ببيت المقدس، وقدم عليه موسى بن نصير، وأخوه مسلمة، فجاءه الخبر أنَّ الروم طلعوا من ساحل

---

(١) النوادر السلطانية (ص٢٢-٢٣)، كما عزاه مؤلف كتاب «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص٣٣٣)، ولم أجده!.

حمص، وسبوا جماعة فيهم امرأة لها ذكر.

فغضب سليمان، وقال: «ما هو إلا هذا، نغزوهم ويغزونا، والله لأغزونهم غزوة أفتح فيها القسطنطينية، أو أموت».

ثمَّ التفت إلى مسلمة وإلى موسى بن نصير، فقال: أشيرا عليه.

فقال موسى: يا أمير المؤمنين، إنْ أردت ذلك، فسر سيرة الصحابة فيما فتحوه، كلما فتحوا مدينة اتخذوها دارًا، وحازوها للإسلام، فابدأ بالدروب، وافتح حصونها حتى تبلغ القسطنطينية، فإنَّهم سيعطون بأيديهم.

فقال لمسلمة: ما تقول أنت؟

قال: هذا الرأي إن طال عمر إليه، أو كان الذي يأتي على رأيك، وبريد ذلك خمس عشرة سنة، ولكني أرى أن تُغزي المسلمين برًا وبحرًا القسطنطينية، فيحاصرونها، فإنَّهم ما دام عليهم البلاء، أعطوا الجزية، أو أخذت عنوة، فمتى وقع ذلك، كان ما دونها من الحصون بيدك. قال: هذا الرأي.

فأغزى أهل الشام والجزيرة في البر، في نحو من عشرين ومئة ألف، وأغزى أهل مصر والمغرب في البحر، في ألف مركب، عليهم عمر بن هبيرة، وعلى الكل مسلمة بن عبد الملك[(١)].

أَنَا الأَشْقَرُ المَوْعُوْدُ بِي فِي المَلاَحِمِ ... وَمَنْ يَمْلِكُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ مُزَاحِمِ
سَتَبْلُغُ أَرْضَ الرُّوْمِ خَيْلِي وَتُنْتَضَى ... بِأَقْصَى بِلاَدِ الصِّيْنِ بِيْضُ صَوَارِمِي

١٩٥ طغتكين أبو منصور الأتابك (ت ٥٢٢هـ)

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٠-٥٠٢).

صاحب دمشق، الملك، أبو منصور طغتكين الأتابك، من أمراء السلطان تتش بن ألب أرسلان السلجوقي، فزوجه بأم ولده دقاق، فقتل السلطان، وتملك بعده ابنه دقاق، وصار طغتكين مقدم عسكره، ثمَّ تملك بعد دقاق.

وكان شهمًا شجاعًا، مهيبًا مجاهدًا في الفرنج، مؤثرًا للعدل، يلقب ظهير الدين.

قال الذهبي: «لولا أن الله أقام طغتكين للإسلام بإزاء الفرنج، وإلا كانوا غلبوا على دمشق، فقد هزمهم غير مرة، وأنجده عسكر الموصل، مع مودود، ومع البرسقي، وسار إلى بغداد هو إلى خدمة السلطان محمد بن ملكشاه، فبالغ في احترامه وإجلاله»[1].

١٩٦ عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي (ت ١٧٢هـ)

المشهور: بالداخل؛ لأنَّه حين انقرضت خلافة بني أمية من الدنيا، وقتل مروان الحمار، وقامت دولة بني العباس، هرب هذا، فنجا، ودخل إلى الأندلس، فتملكها.

كان عبد الرحمن هذا من أهل العلم والعدل، وأمه بربرية.

قال أبو المظفر الأبيوردي: فكانوا يقولون: «ملك الدنيا ابنا بربريتين: المنصور، وعبد الرحمن بن معاوية»[2].

قال الحميدي: دخل عبد الرحمن الأندلس، فقامت معه اليمانية، وحارب يوسف بن عبد الرحمن الفهري متولي الأندلس، فهزمه، وكان عبد الرحمن من أهل العلم على سيرة جميلة من العدل[3].

---

(١) السير (١٩/ ٥١٩).

(٢) تاريخ الخلفاء (ص٢٦٣).

(٣) جذوة المقتبس (٨-٩).

وكان أبو جعفر المنصور يقول عن عبد الرحمن بن معاوية: «ذاك صقر قريش، دخل المغرب وقد قتل قومه، فلم يزل يضرب العدنانية بالقحطانية حتى ملك.

شيد قرطبة، وغزا عدة غزوات من ذلك: غزوة قشتالة، جاز إليها من نهر طليطلة، وفرت الروم أمامه، وتعلقت بالحبال، فلم يزل حتى وصل مدينة برنيقة، من مملكة قشتالة، فنزل عليها، وأمر برفع الخيام، وشرع في البناء، وأخذ الناس يبنون، فسلموا إليه بالأمان عند إياسهم من النجدة، وخرجوا بثيابهم فقط، وما يزودهم، ثم كتب لأهل قشتالة الأمان.

ورأى الداخل نخلة مفردة بالرصافة، فهاجت شجنه، وتذكر وطنه، فقال:

تَبَدَّتْ لَنَا وَسْطَ الرُّصَافَةِ نَخْلَةٌ ... تَنَاءتْ بِأَرْضِ الغَرْبِ عَنْ بَلَدِ النَّخْلِ
فَقُلْتُ: شَبِيْهِي فِي التَّغَرُّبِ وَالنَّوَى ... وَطُوْلِ انْثِنَائِي عَنْ بَنِيَّ وَعَنْ أَهْلِي
نَشَأْتِ بِأَرْضٍ أَنْتِ فِيْهَا غَرِيْبَةٌ ... فَمِثْلُكَ فِي الإِقْصَاءِ وَالمُنْتَأَى مِثْلِي
سَقَتْكِ عَوَادِي المُزْنِ مِنْ صَوْبِهَا الَّذِي ... يَسُحُّ وَتَسْتَمِرِي السِّمَاكَيْنِ بِالوَبْلِ

وأمَّا الإسلام، فكان عزيزًا منيعًا بالأندلس في دولة الداخل، فانظر إلى هذا الأمان الذي كتب عنه للنصارى: بسم الله الرحمن الرحيم: كتاب أمان ورحمة، وحقن دماء وعصمة، عقده الأمير الأكرم الملك المعظم عبد الرحمن بن معاوية، ذو الشرف الصميم، والخير العميم، للبطارقة والرهبان، ومن تبعهم من سائر البلدان، أهل قشتالة وأعمالها، ما داموا على الطاعة في أداء ما تحملوه، فأشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب، وعشرة آلاف رطل من الفضة، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل، ومثلها من البغال، مع ذلك ألف درع وألف بيضة، ومن الرماح الدردار مثلها في كل عام، ومتى ثبت عليهم النكث بأسير يأسرونه، أو مسلم يغدرونه، انتكث ما عوهدوا عليه، وكتب لهم هذا الأمان

بأيديهم إلى خمس سنين، أولها صفر عام اثنين وأربعين ومئة[1].

١٩٧ عبد الله بن الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، الأسدي، كنيته: أبو بكر (ت ٧٣هـ)

أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وأم أبيه صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم.

ولد بالمدينة بعد عشرين شهرًا من الهجرة، وقيل: في السنة الأولى، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة، وفرح المسلمين بولادته فرحًا شديدًا؛ لأن اليهود كانوا يقولون: سحرناهم فلا يولد لهم ولد، فحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها، وسماه عبد الله، وكنّاه أبا بكر، باسم جده الصديق وكنيته، وكان صومًا قوامًا، طويل الصلاة، وصولًا للرحم، عظيم الشجاعة، قسم الدهر ثلاث ليال: ليلة يصلي قائمًا حتى الصباح، وليلة راكعًا، وليلة ساجدًا حتى الصباح[2].

مسنده: نحو من ثلاثة وثلاثين حديثًا، اتفقا له على حديث واحد، وانفرد البخاري: بستة أحاديث، ومسلم: بحديثين[3].

قال الذهبي: «كان فارس قريش في زمانه، وله مواقف مشهودة».

وقيل: إنَّه شهد اليرموك وهو مراهق، وفتح المغرب، وغزو القسطنطينية، ويوم الجمل مع خالته، وبويع بالخلافة عند موت يزيد سنة أربع وستين، وحكم على

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٤-٢٥٣)، و«نفح الطيب» (١/ ٣٢٩).

(٢) تاريخ الخلفاء (ص٢١٤).

(٣) انظر: البخاري (في الحج، وفي الشرب، وفي المناقب، وفي التفسير، وفي اللباس، وفي الرقاق. ومسلم في المساجد، وفي الفضائل).

الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وخراسان، وبعض الشام[١].

سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش في الإسلام، فقال: «معاوية وابنه، وعبد الله بن الزبير، وسعيد وابنه».

وكان عبد الله لا ينازع في ثلاثة: شجاعة، وعبادة، وبلاغة. وفيه يقول أبو ذؤيب الهذلي ورأى شجاعته في غزوه إفريقية:

وصاحب صدق كسيد الضرا	ء ينهض من الغر نهضا نجيحًا
قريع الغزاه فما إن يزا	ل مضطمرا طرتاه طليحًا
وشك الفضول بعيد القفو	ل إلا مشاحاه أو مشيحًا
قد أبقا لك الاين من جسمه	نواشر سيد ووجهًا صبيحًا
ارتب لصحبتهِ فانطلقت أزجي	بحب اللقاءِ السنيحًا[٢]

١٩٨ عثمان بن أرطغرل (ت ٧٢٦هـ)

مؤسس الدولة العثمانية، ولد سنة (٦٥٦هـ)، وهي السنة التي غزا فيها المغول بقيادة هولاكو بغداد عاصمة الخلافة. وكان صاحب شجاعة، وحكمة، وإخلاص وتجرد لله، وصبر، وإيمان بالله عظيم، مع تحليه بشمائل عطرة من الوفاء، والعدل[٣].

---

(١) السير (٣/ ٣٦٣-٣٦٤).

(٢) إكمال التهذيب (٧/ ٣٥٢).

(٣) تذكر معظم المراجع التركية التي أرخت للعثمانيين أن أرطغرل عهد لابنه عثمان مؤسس الدولة العثمانية بولاية القضاء في مدينة قره جه حصار بعد الاستيلاء عليها من البيزنطيين في عام (٦٧٤هـ)، وأن عثمان حكم لبيزنطي نصراني ضد مسلم تركي؛ فاستغرب البيزنطي وسأل عثمان: كيف تحكم لصالحي وأنا على غير دينك، فأجابه عثمان: بل كيف لا أحكم لصالحك، والله الذي نعبده يقول لنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء:٥٨] وكان هذا العدل الكريم سببًا في اهتداء الرجل وقومه إلى الإسلام» كما في كتاب: جوانب مضيئة (ص٣٢)، والسلطان محمد الفاتح (ص١٩).

ومن وصاياه لابنه:

يا بنيَّ: «إيَّاك أن تشتغل بشيءٍ لم يأمر به الله رب العالمين، وإذا واجهتك في الحكم معضلة فاتخذ من مشورة العلماء موئلًا»(١).

يا بنيَّ: «أحط من أطاعك بالإعزاز، وأنعم على الجنود، ولا يغرنك الشيطان بجندك وبمالك، وإيَّاك أن تتبعد عن أهل الشريعة».

يا بنيَّ: «إنَّك تعلم أنَّ غايتنا هي إرضاء الله رب العالمين، وأنَّ بالجهاد يعم نور ديننا كل الافاق، فتحدث مرضات الله ﷻ».

يا بنيَّ: «لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم، أو سيطرة أفراد، فنحن بالإسلام نحيا وللإسلام نموت، وهذا يا ولدي ما أنت له **أهل**»(٢).

ومن وصاياه أيضًا قوله: يا بنيَّ: «أوصيك بعلماء الأمة، أدم رعايتهم، وأكثر من تبجيلهم، وانزل على مشورتهم، فإنهم لا يأمرون إلا بخير»

يا بنيَّ: «إيَّاك أن تفعل أمرًا لا يرضى الله ﷻ، وإذا صعب عليك أمر فاسأل علماء الشريعة، فإنَّهم سيدلونك عل الخير».

واعلم يا بنيَّ: «أنَّ طريقنا الوحيد في هذه الدنيا هو طريق الله، وأن مقصدنا الوحيد هو نشر دين الله، وأنَّنا لسنا طلاب جاه ولا دنيا»(٣).

قال العلامة مرعي الكرمي الحنبلي في كتابه (قلائد العقيان في فضائل آل

---

(١) انظر: كتابي «نبذة مختصرة عن أحكام الشورى في الإسلام» نشر الألوكة.

(٢) العثمانيون في التاريخ والحضارة (ص١٦).

(٣) جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين (ص٣).

عثمان)[١]: «ومن فضائل سلاطين بني عثمان: تحصين ثغورِ المسلمين وقلاع الموحدين، وتعميرُ سفُنِ الجهادِ وإقامة العساكر بها، والأجناد يطوفون في البحرِ شتاءً وصيفًا، ويدفعون عن بلادِ المسلمين بلاءً وحيفًا، وآمن في أيامهم مثلُ دمياط وعكًّا وحيفا.

وأقاموا في البحر وزيرًا يقال له: (القبطان)، بمنزلة الوزيرِ الأعظم في الرفعة والشان، ومن تحت يده عدِّةُ باشواتٍ مع كل واحد عدة سفن مشحوناتٍ بالمدافع، وآلات الحرب والسلاح، والطعن والضربِ والكفاح، بحيث نامت الرعايا في بلادهم في مهادِ الأمان، وباء الفرنج بسوء الطردِ والخسران»[٢].

وقال: «ومن فضائلهم: قمع النصارى الحربيين، وطردُ الفرنج المخذولين إلى أقصى بلاد المسلمين، وهم معهم في غاية الذل والهوانِ، والطردِ والخذلانِ، والقهر والحرمان، ضربت عليهم الذلةُ والمسكنةُ في زمانهم، وأُهينوا غاية الهوان في أيامهم»[٣].

١٩٩ عقبة بن نافع القرشي الفهري الأمير (ت ٦٣هـ)

نائب إفريقية لمعاوية، وليزيد، وهو الذي أنشأ القيروان، وأسكنها الناس.

وكان ذا شجاعة، وحزم، وديانة، لم يصح له صحبة، شهد فتح مصر، واختط بها.

قال الواقدي: جهزه معاوية على عشرة آلاف، فافتتح إفريقية، واختط قيروانها.

---

(١) وهو كتاب قيم مبارك يجدر بطالب العلم وخصوصًا من يقرئ في تاريخ العثمانيين أن يطالعه، وقد زاده فعل المحقق عليه وتخريجه له جمالًا؛ أثابه الله وسدده للخير.

(٢) قلائد العقيان في فضائل آل عثمان (الاعتناء بالثغور وإقامة الأسطول البحري) (٧/ ٤٥٥) وهو مطبوع ضمن مجموع رسائله.

(٣) المصدر نفسه (٧/ ٤٣٨).




وكان الموضع غيضة لا يرام من السباع والأفاعي، فدعا عليها، فلم يبق فيها شيء، وهربوا، حتى إنَّ الوحوش لتحمل أولادها.

فحدثني موسى بن علي، عن أبيه، قال: نادى: إنا نازلون فاظعنوا.

فخرجن من جحرتهن هوارب(١).

وقال: «اللهم إنِّي لم أخرج بطرًا ولا أشرًا، وإنَّك لتعلم إنَّما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين، وهو أن تعبد ولا يشرك بك شيء، اللهم إنَّا معاندون لدين الكفر، ومدافعون عن دين الإسلام، فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والإكرام»(٢).

وعن علي بن رباح، قال: قدم عقبة على يزيد، فرده واليا على المغرب سنة اثنتين وستين، فغزا السوس الأدنى، ثم رجع، وقد سبقه جل الجيش، فخرج عليه جمع من العدو، فقتل عقبة وأصحاب(٣).

٢٠٠ عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي (ت ٥٨٧هـ)

الملك المظفر صاحب حماة، وكان بطلًا شجاعًا مقدامًا جوادًا ممدحًا، له مواقف مشهودة مع عمه السلطان صلاح الدين، وكان قد استنابه على مصر، وله وقوف بمصر والفيوم.

وسمع من: السلفي، وابن عوف، وروى شيئًا من شعره(٤).

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٠/ ٥٣٠).

(٢)الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١/ ١٣٨).

(٣) السير للذهبي (٣/ ٥٣٢-٥٣٣).

(٤) السير (٢١/ ٢٠٢).

٢٠١ المولى علي بن المولى الحسن بن القاسم، المعروف بالشريف

كان رحمه الله رجلًا صالحًا مجابَ الدعوةِ، كثير الأوقاف والصدقات، حاجًا مجاهدًا، ذا همة سنية وأحوال مرضية.

ودخل عدوة الأندلس برسم الجهاد مرارًا، وأقام بها مدة طويلة ثمَّ عاد إلى سجلماسة، فكاتبه أهل الأندلس يطلبون منه العود إليهم، ويحضونه على الاعتناء بأمور الجهاد، ويشكون إليه ضعف أهل الأندلس عن مقاومة العدو، وأنَّها شاغرة ممَّن تجتمع عليه القلوب، وقد كانوا راودوه، وهو مقيم عندهم على أن يبايعوه ويملكوه عليهم والتزموا له الطاعة والنصرة فرغب عن ذلك ورعًا وزهدًا وعزوفًا عن الدنيا وزهراتها.

قال اليفرني رحمه الله: وقد وقفت على رسائل عديدة بعث بها إليه علماء غرناطة يحضونه على الجواز إليهم واستنفار المجاهدين إلى حماية بيضتهم ويذكرون له أن كافة أهل غرناطة من علمائها وصلحائها ورؤسائها قد وظفوا على أنفسهم من خالص أموالهم دون توظيف سلطان عليهم أموالا كثيرة برسم الغزاة الذين يردون معه من المغرب.

وكتبوا مع ذلك إلى علماء فاس يلتمسون منهم أن يحضوا المولى عليًا على العبور إلى العدوة فكتب إليه أعلام فاس بمثل ذلك وحثوه على المسارعة إلى إغاثتهم، وذكروا له فضل الجهاد وأنه من أفضل أعمال البر، وكان من موجبات تخلفه عن إغاثة أهل غرناطة أنَّه كان قد عزم على الذهاب إلى الحج، فقالوا له في بعض تلك الرسائل: وعوضوا هذه الوجهة الحجيَّة التي أجمع رأيكم عليها، وتوفر عزمكم لديها بالعبور إلى الجهاد فإنَّ الجهاد -أصلحكم الله- في حق أهل المغرب أفضل من الحج كما أفتى به الإمام ابن رشد رحمه الله حين سئل عن ذلك، وقد

بسط الكلام عليه في أجوبته ووجه ما ذهب إليه من ذلك[١]. في كلام طويل.

٢٠٢ عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين الفزاري الأمير، أبو المثنى الفزاري، الشامي، أمير العراقين، ووالد أميرها يزيد (ت ١٠٧هـ)

كان ينوب ليزيد بن عبد الملك، فعزله هشام.

وقد ولي غزو البحر سنة سبع، نوبة قسطنطينية، وجمعت له العراق في سنة ثلاث ومئة، ثم عزل بخالد القسري، فقيده، وألبسه عباءة، وسجنه، فتحيل غلمانه، ونقبوا سربا أخرجوه منه، فهرب، واستجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك، فأجاره[٢].

٢٠٣ فخر الملك بن عمار

صاحب طرابلس، كان من دهاة الرجال وأفراد الزمان شجاعة وإقدامًا ورأيًا وحزمًا.

ابتلي بلده بحصار الفرنج خمسة أعوام، وهو يقاومهم وينكي في العدو، ويستظهر عليهم، ويراسل ملوك الأطراف، ويتحفهم بالهدايا، وهم حائرون في أنفسهم، ولم ينجده أحد، وقد راسل صاحب الروم مرات، وكان حسن التدبير في الحصار، جيد المكيدة والمخادعة، برًا وبحرًا، شتاءً وصيفًا، حتى تفانت رجاله، وكلت أبطاله، فركب في البحر، وطلع حتى قدم دمشق، وأخذت طرابلس منه سنة اثنتين وخمس مئة، فأقطعه طغتكين قرية الزبداني[٣].

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب للسلاوي (٧/ ٧-٨).

(٢) السير (٤/ ٥٦٢).

(٣) السير (١٩/ ٣١١-٣١٢).

وقال ابن القلانسي في «تاريخه» (سنة سبع وتسعين وأربعمئة): «وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية طرابلس بظهور فخر الملك ابن عمار صاحبها في عسكره وأهل البلد وقصدهم الحصن الذي بناه صنجيل عليهم، وإنَّهم هجموا عليه على غرة ممَّن فيه فقتل من به، ونهب ما فيه، وأحرق وأخرب، وأخذ منه السلاح والمال والديباج والفضة الشيء الكثير، وعاد إلى طرابلس سالمًا غانمًا في التاسع عشر من ذي الحجة.

وقيل: إنَّ بيمند صاحب انطاكية ركب في البحر ومضى إلى الافرنج يستصرخها ويستنجد بهم على المسلمين في الشام وأقام مدة وعاد عنهم منكفئًا إلى أنطاكية»[1].

٢٠٤ قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي الأمير، أبو حفص (ت ٩٦هـ)

أحد الأبطال والشجعان، ومن ذوي الحزم، والدهاء، والرأي، والغناء.

وهو الذي فتح خوارزم، وبخارى، وسمرقند، وكانوا قد نقضوا وارتدوا، ثم إنه افتتح فرغانة، وبلاد الترك في سنة خمس وتسعين. ولي خراسان عشر سنين.

وله رواية عن: عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

قال الذهبي: «لم ينل قتيبة أعلى الرتب بالنسب، بل بكمال الحزم، والعزم، والإقدام، والسعد، وكثرة الفتوحات، ووفور الهيبة».

ومن أحفادهِ: الأمير سعيد بن مسلم بن قتيبة، الذي ولي أرمينية، والموصل، والسند، وسجستان، وكان فارسًا جوادًا، له أخبار ومناقب، مات زمن المأمون، سنة

(١) تاريخ دمشق (١/ ٢٣٦).

سبع عشرة ومائتين[١].

٢٠٥ المظفر قطز: السلطان الشهيد، الملك المظفر، سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي (ت ٦٥٨هـ)

وكان فارسًا شجاعًا، سائسًا، دينًا، محببًا إلى الرعية، هزم التتار، وطهر الشام منهم يوم عين جالوت، ويذكر عنه أنَّه يوم عين جالوت لما أن رأى انكشافًا في المسلمين، رمى على رأسه الخوذة وحمل، ونزل النصر[٢].

يقول الحافظ ابن كثير عنه: وتسلطن هو، وسمَّى نفسه بالملك المظفر، وكان هذا من رحمة الله تعالى بالمسلمين، فإنه الذي يسر الله على يديه كسرة التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. وهذا الذي اعتذر به إلى ابن العديم فإنَّه قال: «لابدَّ للناس من سلطان قاهر يقاتل التتار»[٣].

وقد قال مخاطبًا الناس: «يا مسلمين قد سمعتم ما جرى على أهل الأقاليم من القتل والسبي والحريق، وما منكم أحد إلا وله مال وحريم وأولاد، وقد علمتم أنّ أيدي التتار تحكمت في الشام وقد أوهنوا قوى دين الاسلام، وقد لحقني على نصرة دين الاسلام الحمية، فيجب عليكم يا عباد الله القيام في جهاد أعداء الله حق القيام، يا قوم جاهدوا في الله بصدق النية، تجارتكم رابحة وأنا واحد منكم؛ وها أنا وأنتم بين يدي رب لا ينام، ولا يفوته فائت، ولا يهرب منه هارب.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٠-٤١١).

(٢) السير للذهبي (٢٣/ ٢٠٠-٢٠١).

(٣) البداية والنهاية (١٧/ ٣٨٨)، وفي كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك» للمقريزي (١/ ٥٠٨)، قال: «وإني ما قصدت إلا أن نجتمع على قتال التتر، ولا يتأتى ذلك بغير ملك، فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو، فالأمر لكم أقيموا في السلطنة من شئتم، فتفرقوا عنه وأخذ يرضيهم حتى تمكن».

قال: فعند ذلك ضجت الأمراء بالبكاء، وتحالفوا أنهم لا بقاء لهم في الدنيا إلى حين تنكشف هذه الغمة»(١).

لنتذكر هنا قول ابن عقيل الحنبلي: «إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنَّما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة»(٢).

٢٠٦ لؤلؤ العادلي الحاجب (ت ٥٩٨هـ)

من أبطال الإسلام، كان مندوبًا لحرب فرنج الكرك الذين ساروا لأخذ طيبة، أو فرنج سواهم ساروا في البحر المالح، فلم يسر لؤلؤ إلا ومعه قيود بعددهم، فأدركهم عند الفحلتين(٣)، فأحاط بهم، فسلموا نفوسهم، فقيدهم، وكانوا أكثر من ثلاث مئة مقاتل، وأقبل بهم إلى القاهرة، فكان يومًا مشهودًا(٤).

٢٠٧ المأمون عبد الله بن هارون الرشيد الخليفة، أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي (ت ٢١٨هـ)

وقرأ العلم، والأدب، والأخبار، والعقليات، وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ، وعمل الرصد(٥) فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ(٦)،

---

(١) انظر: نزهة الأنام في تاريخ الإسلام لابن دُقماق (ص٢٦٣).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي (١/ ٢٣٧).

(٣) ياقوت: (معجم البلدان) (٣/ ٨٥٤).

(٤) السير (٢١/ ٣٨٤-٣٨٥).

(٥) الرصد في علم الفلك: اسم لموضع تعين فيه حركات الكواكب.

(٦) ولم يقتصر على ذلك، بل حمل الناس على هذا الرأي الخطأ بالقوة والاكراه. قلت: وهذا من القوادح مع ما لديه من العدالة والفضل المذكور.

نسأل الله السلامة.

وسمع من: هشيم، وعبيد بن العوام، ويوسف بن عطية، وأبي معاوية، وطائفة.

روى عنه: ولده الفضل، ويحيى بن أكثم، وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي، وعبد الله بن طاهر الأمير، ودعبل الشاعر، وغيرهم.

وكان من رجال بني العباس حزمًا، وعزمًا، ورأيًا، وعقلًا، وهيبةً، وحلمًا، ومحاسنه كثيرة في الجملة(١).

أتته وفاة أبيه وهو بمرو سائرا لغزو ما وراء النهر.

وفي سنة خمس عشرة سار المأمون إلى غزو الروم، ففتح حصن قرة عنوة، وحصن ماجدة، ثم صار إلى دمشق، ثمَّ عاد في سنة ست عشرة إلى الروم وافتتح عدة حصون، ثم عاد إلى دمشق، ثمَّ توجه إلى مصر ودخلها؛ فهو أول من دخلها من الخلفاء العباسيين، ثمَّ عاد في سنة سبع عشرة إلى دمشق والروم(٢).

قال الذهبي: «وكان المأمون عالمًا، فصيحًا، مفوهًا، وكان يقول: معاوية بن أبي سفيان بعمره، وعبد الملك بحجاجه، وأنا بنفسي.

وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرُّكُمْ ... رَحْبَ الذِّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِعَا
لَا مُتْرَفًا إنْ رَخَاءُ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ ... وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا
مَا زَالَ يَحْلُبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطُرَهُ ... يَكُونُ مُتَّبِعًا يَوْمًا وَمُتَّبَعَا
حَتَّى اسْتَمَرَّ عَلَى شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ ... مُسْتَحْكَمِ الرَّأْيِ لَا فَخْمًا وَلَا ضَرَعَا

وقال محمد بن يزداد للمأمون -وكان وزيره-:

---

(١) تاريخ الإسلام (٥/ ٣٥١).

(٢) تاريخ الخلفاء (ص٣١١).

مَـنْ كَـانَ حَـارِسَ دُنْـيَـا إِنَّـهُ قَـمِـنٌ   أَنْ لَا يَـنَـامَ وَكُـلُّ الـنَّـاسِ نُـوَامُ
وَكَـيْـفَ تَـرْقُـدُ عَـيْـنَـا مَـنْ تَـضَـيَّـفَـهُ   هَـمَّـانِ مِـنْ أَمْـرِهِ حَـلٌّ وَإِبْـرَامُ[١]

٢٠٨ المجاهد الشهيد أبو عبد الله محمد بن الحسن أبو الليف (ت ١٠٠٢هـ)

صاحب شهامة وصرامة ونكاية، ومن شدة نكايته في العدو الكافر الطنجي، وبُعد أثره فيهم؛ جرت أمور بينه وبين صاحب عمل القصر، فسعى به إلى المنصور فأمر برحيله إلى فاس هو وعشيرته مغربين عن وطنهم كأنَّهم في سجن، فأقاموا بفاس مدة.

ثمَّ بعث إليهم القاضي أبو محمد عبد الواحد الحميدي فلما أتوه قال لهم: أبشروا بالسراح والرجوع إلى الوطن إن شاء الله؛ فإنَّه قد قرئ الآن بين يدي السلطان بعض الغزوات التي ذكرها ابن النحاس وغناء أبطال المسلمين فيها، فقال السلطان أو غيره: ترى هل بقي في هذا الزمان من يماثلهم.

فقالوا: قد بقي من يفعل فعلهم، وها هم أولاد أبي الليف المغربون هنا يفعلون مثل ذلك.

فقال السلطان: سرحوهم إلى بلادهم ليحموا ثغورهم ويجاهدوا في سبيل الله، فرجعوا إلى بلادهم وفعلوا الأفاعيل في عدو الدين إلى أن استشهد المقدم محمد[٢].

٢٠٩ محمد الفاتح (ت ٨٨٦هـ)

السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان يلقب بالفاتح، وأبي الخيرات.

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص٤١).

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب للسلاوي (٥/ ١٢٠).

حكم ما يقرب من ثلاثين عامًا كانت خيرًا وعزًّة للمسلمين[١]، امتاز رحمه الله بشخصية فذة، جمعت بين القوة، والعدل، وكان له ميل شديد لدراسة كتب التاريخ، ممَّا ساعده فيما بعد على إبراز شخصيته في الإدارة، وميادين القتال[٢].

كانت آسيا الصغرى -أي الأناضول- كلها في يده[٣].

قال الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي: «كان من أعظم الملوك جهادًا، وأقواهم إقدامًا واجتهادًا، وكان من أعظم سلاطين آل عثمان، وهو الذي سن لهم القوانين الخاصَّة بهم إلى الآن.

وفي أيامه افتتح القسطنطينية الكبرى، وساقَ إليها العساكر برًا وبحرًا، وأقام في حصارها خمسين يومًا، ثم افتتحها نهار الأربعاء، في جمادى الآخرة.

سنة سبع وخمسين وثمان مئةٍ، وصلَّى الجمعة في آيا صوفية، ثمَّ جعلها مقرَّ السلطنة، وبنى بها المدارس، ورتَّبَ الرواتب»[٤].

٢١٥ شهاب الدين، السلطان أبو المظفر محمد بن سام الغوري الغزنوي صاحب غزنة (ت ٦٠٢هـ)

قتلته الباطنية[٥] في شعبان، وهو أخو السلطان غياث الدين أبو الفتح محمد، وقد

(١) انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة (ص٢٥٣).

(٢) الدولة الأموية عوامل النهوض وأسباب السقوط (ص٨٩) ط: ابن كثير، بتصرف.

(٣) تاريخ الدولة العثمانية لشكيب أرسلان (ص٨٩) ط: ابن كثير.

(٤) نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر المطبوع ضمن مجموع رسائله (٨/ ١٣٤) ط: دار اللباب.

(٥) وهذا ثبت بأسماء القادة والعلماء الذين اغتيلوا بيد الباطنية الشيعة في التاريخ الإسلامي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، وخاصة أثناء فترة الحروب الصليبية، وسيتبين لنا ضخامة الدور البشع لتلك الحركات في القضاء على فاعلية الأمة وحيويتها، في الصراع الدائر بين المسلمين والغُزاة الصليبيين.

(١) الخليفة المسترشد بالله العباسي، وذلك (٥٢٩هـ) هجم عليه بضعة عشر من الباطنية وطعنوه بالخناجر، ثم مثلوا به.

(٢) الخليفة الراشد العباسي وذلك (٥٣٢هـ) اغتيل غدرًا في أصبهان.

(٣) الوزير نظام الملك السلجوقي، وذلك (٤٨٥ هـ) تقدم إليه باطني في صورة مستغيث، ولما اقترب منه طعنه بسكين وقتله.

(٤) الوزير نظام الملك (أبو نصر)، وذلك (٥٠٣هـ) وثب عليه جماعة من الباطنية وهو يؤدي الصلاة في الجامع وجرحوه عدة جراحات.

(٥) الوزير أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني، وذلك (٤٩٥هـ) عدا عليه شاب باطني وجرحه عدة جراحات مات بعدها.

(٦) الوزير الكمال أبو طالب السميرمي، وذلك (٥١٦هـ) وثب عليه الباطنية وهو سائر في طريق ضيق وقتلوه.

(٧) الوزير معين الملك (أبو نصر)، وذلك (٥٢١هـ) وثب عليه باطني وهو غافل مطمئن فقتله، وكان هذا الباطني يعمل سائسًا لخيل معين الملك ليصل إلى هدفه.

(٨) الوزير عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء، وذلك (٥٧٣هـ) تقدم إليه جماعة من الباطنية في صورة فقراء ومعهم رقاع وهو في طريقه إلى الحج، فتقدم إليه أحدهم وضربه بسكين وتبعه ثان وثالث حتى قتلوه.

(٩) الوزير نظام الملك مسعود بن علي، وذلك (٥٩٦هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(١٠) الوزير فخر الملك أبو المظفر علي ابن نظام الملك، وذلك (٥٠٠ هـ) تقدم إليه شاب من الباطنية وهو يتظلم وفي يده رقعة، وبينما كان يقرؤها الوزير وثب عليه ذلك الشاب بخنجر كان معه وقتله.

(١١) الأمير بلكابك سرمز، وذلك (٤٩٣ هـ) طعنه الباطنية بسكاكينهم غدرًا فقتلوه.

(١٢) الأمير مودود، وذلك (٥٠٧ هـ) وثب عليه الباطنية بعد فراغه من أداء صلاة الجمعة في جامع دمشق وقتلوه.

(١٣) الأمير أحمد بن إبراهيم الروادي، وذلك (٥١٠هـ) تقدم إليه رجل من الباطنية وهو يتظلم ويبكي ومد إليه رقعة سأله أن يوصلها له إلى السلطان، فلما أخذها منه وثب عليه ذلك الرجل على الفور بسكينه وقتله.

(١٤) الأمير قسيم الدولة آق سنقر البرسقي، وذلك (٥٢٠ هـ) هجم عليه بضعة عشر نفرًا من الباطنية في الجامع وهو يؤدي صلاة الجمعة فقتلوه.

(١٥) الأمير تاج الملوك بوري بن طغتكين، وذلك سنة ٥٢٥ هـ، هجم عليه اثنان من الباطنية وحاولا قتله، لكنه برئ من جراحه فيما بعد، ولكنه توفي في السنة التي بعدها متأثرًا بأحد تلك الجراح.

(١٦) الأمير آق سنقر الأحمديلي، وذلك (٥٢٠هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(١٧) الأمير أغلمش، وذلك (٦١٤هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(١٨) الأمير شهاب الدين الغوري، وذلك (٦٠٢هـ) قتله الباطنية غدرًا وخوفًا منه ومن بطشه.

(١٩) أمير من أمراء جلال الدين بن خوارزم شاه، وذلك (٦٢٤ هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(٢٠) الأمير جناح الدولة حسين، وذلك (٤٩٥هـ) وثب عليه ثلاثة من الباطنية في الجامع بعد فراغه من أداء صلاة الجمعة وقتلوه.

(٢١) الأمير خلف بن ملاعب، وذلك (٤٩٩هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(٢٢) الأمير شمس الملوك إسماعيل بن بوري، وذلك (٥٢٩هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(٢٣) الأمير برسق الكبير، (٤٩٠هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(٢٤) الأمير سيف الدين أخو علاء الدين الغوري، (٥٤٧هـ) قتله الباطنية غدرًا.

امتدت أيامهما وافتتحا بلادا كثيرة، وشهدا حروبًا عديدة.

كان ملكًا شجاعًا غازيًا، عادلًا، حسن السيرة، يحكم بما يوجبه الشرع، ينصف الضعيف والمظلوم، وكان يحضر عنده العلماء.

قال عنه السبكي: «أحد المشكورين من الملوك، الموصوفين بمحبة العلماء، وإحضارهم للمناظرة عنده. وهو الذي قال له الإمام فخر الدين الرازي في موعظة وعظها له على المنبر:

---

(٢٥) السلطان داود بن السلطان محمود، (٥٣٨هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(٢٦) السلطان بكتمر، (٥٨٩هـ) تقدم إليه وفد من الباطنية في زي الصوفية، وقدم إليه أحدهم قصة فأخذها وضربه بسكين على الفور وقتله.

(٢٧) السلطان صلاح الدين الأيوبي، وذلك (٥٧٠هـ) فقد حاولوا قتله داخل معسكر جيشه لكنهم فشلوا.

(٢٨) السلطان صلاح الدين الأيوبي، (٥٧١هـ، حيث حاولوا قتله وهو محاصر لحلب لكنهم فشلوا.

(٢٩) النائب نصر خان بن أرسلان خان محمد، (٥٢٤هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(٣٠) المقرب جوهر، (٥٤٧هـ) تعرض إليه جماعة من الباطنية في زي نساء واستغثن به، فوقف يسمع كلامهم، فوثبوا عليه وقتلوه.

(٣١) أبو صالح بن العجمي، (٥٧٣هـ) وثب عليه جماعة من الباطنية في الجامع وقتلوه.

(٣٢) أخو الأمير قتادة أمير مكة، (٦٠٨هـ) وثبوا عليه بمنى أيام الحج وقتلوه.

(٣٣) أبو القاسم ابن إمام الحرمين، (٤٩٢هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(٣٤) الفقيه أحمد بن الحسين البلخي، وذلك (٤٩٤هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(٣٥) الفقيه عبد اللطيف بن الخجندي، وذلك (٥٢٣هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(٣٦) الفقيه أبو المحاسن الروياني، (٥٠٢هـ) قتله الباطنية غدرًا.

(٣٧) القاضي أبو العلاء مساعد النيسابوري، (٤٩٩هـ) قتله الباطنية بجامع أصبهان.

(٣٨) القاضي عبيد الله بن علي الخطيبي، (٥٠٢هـ) قتله الباطنية بالجامع وهو يؤدي صلاة الجمعة.

(٣٩) القاضي صاعد بن عبد الرحمن أبو العلاء، (٥٠٢هـ) قتله الباطنية يوم عيد الفطر بنيسابور.

(٤٠) القاضي أبو سعد محمد بن نصر الهروي، (٥١٨هـ) هجم عليه قوم من الباطنية في جامع همذان وقتلوه.

(٤١) الواعظ أبو جعفر ابن المشاط، (٤٩٨هـ) كان يدرس للناس في الجامع ولما نزل من على كرسيه وثب عليه باطني وقتله.

(٤٢) الواعظ أبو المظفر الخجندي، (٤٩٦هـ) وكان يدرس للناس في الجامع ولما نزل من على كرسيه وثب عليه باطني وقتله.

ينظر: الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري (ص ١٤٦ - ١٥٠) نقلًا عن كتاب الدكتور علي الصلابي: (دولة السلاجقة) (ص ٥٩٠ - ٥٩٤)، وأحيلك لكتاب (أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين).

«يا سلطان العالم، لا سلطانك يبقى، ولا تلبيس الرازي يبقى ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٣]؛ فانتحب السلطان بالبكاء»، ملك غزنة والهند، وكثيرًا من بلاد خراسان، وكان شافعي المذهب، له بلاء حسن في الكفار. قتلته الباطنية اغتيالًا؛ جهزهم الكفار عليه، لشدة ما أنكى فيهم، فإنَّه كان جاهد في الكفار، وأوسعهم قتلًا ونهبًا وأسرًا، فجهزوا عليه الباطنيَّة، فقتلوه بعد عوده من لهاور»[1].

٢١١ محمد ابن السلطان الملك الكامل ابن السلطان الملك العادل بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي أبو المظفر وأبو المعالي صاحب مصر (ت ٦٣٥هـ)

مولده سنة خمس أو ست وسبعين وخمس مئة.

ولما أخذ أبوه الديار المصرية بعد الملك العزيز أعطاها له فحكم فيها في حياة أبيه وبعد وفاته بأربعين سنة.

كان شهمًا عاقلًا لبيبا محبًا للعلماء، بنى دار الحديث الكاملية بمصر، ووقف أشياء كثيرة على البر والصلات وكان عادلًا في أحكامه وقضاياه مع عسف وجبروت.

اشتكى عليه مهتار أن أستاذه استخدمه ستة أشهر ولم يعطه أجره، فأنزل أستاذه عن فرسه وألبسه أثواب المهتار، وأمر المهتار فلبس ثياب الجندي ورسم أن يخدمه الجندي ستة أشهر كما خدمه المهتار، وكان مع ذلك قد ضيق على الفرنج وأذلهم برا وبحرًا، **وأقام بدمياط مرابطًا نحوًا من ثلاث سنين**، وفي ذلك يقول البهاء زهير:

بك اهتز عطف الدين في حلل النصر   وردت على أعقابها بلد الكفر

---

[1] طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٦٠-٦١)، تاريخ الإسلام (١٣/ ٥٩)، و«الكامل في التاريخ» (١٠/ ٤٤).

وأقسم أن ذاقت بني الأصفر الكرى	لما حكمت إلا بأعلامك الصفر
ثلاثة أعوام أقمتَ وأشهر	تجاهدَ فيهم لا بزيدٍ ولا عمرو
وليلةٌ نفر العدو رأيتَها	بكثرةِ من أديته ليلة النَّحر
فيا ليلةً قد شرَّف الله قدرها	فلا غرو أن سميتها ليلة النَّحرِ[1]

٢١٢ الخليفة المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور العباسي (ت ١٦٩هـ)

وكان حسن الاعتقاد، تتبّع الزنادقة، وأفنى منهم خلقًا كثيرًا، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين.

وفي سنة ستين: فتحت أربد من الهند عنوة؛ وفيها حج المهدي فأنهى إليه حجبة الكعبة أنهم يخافون هدمها؛ لكثرة ما عليها من الأستار، فأمر بها فجردت، واقتصر على كسوة المهدي، وحمل المهدي الثلج إلى مكة، قال الذهبي: لم يتهيأ ذلك لملك قط.

وفي سنة إحدى وستين: أمر المهدي بعمارة طريق مكة، وبنى بها قصورًا، وعمل البرك، وأمر بترك المقاصير التي في جوامع الإسلام، وقصر المنابر، وصيرها على مقدار منبر رسول الله ﷺ.

وفي سنة ثلاث وستين وما بعدها: كثرت في زمانه الفتوح بالروم[2].

وقيل: إنَّه أثني عليه بالشجاعة، فقال: «لم لا أكون شجاعًا؟ وما خفت أحدًا إلا الله تعالى»[3].

٢١٣ الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر والشام وميافارقين

(١) طبقات الشافعيين لابن كثير (ص ٨٣٨).

(٢) تاريخ الخلفاء (ص٢٧٦).

(٣) السير (٧/ ٤٠١).

وآمد وخلاط والحجاز واليمن وغير ذلك (ت ٦١٥هـ)

قال ابن مسدي: «كان محبًا في الحديث وأهله، حريصًا على حفظه ونقله، وللعلم عنده سوق قائمة على سوق، خرج له الشيخ أبو القاسم ابن الصفراوي أربعين حديثا سمعها منه جماعة».

وقال المنذري: **أنشأ الكامل دار الحديث بالقاهرة**، ووقف الوقوف على أنواع البر، **وله المواقف المشهورة في الجهاد بدمياط المدة الطويلة**، وأنفق الأموال، وكافح الفرنج برًا وبحرًا، يعرف ذلك من شاهده، ولم يزل على ذلك حتى أعز الله الإسلام، وخذل الكفر.

وكان معظمًا للسنَّة وأهلها، راغبًا في نشرها والتمسك بها، مؤثرًا للاجتماع بالعلماء والكلام معهم حضرًا وسفرًا.

وقال بعضهم: «كان شهمًا، مهيبًا، عادلًا، يفهم ويبحث».

ومن همته أنَّ الفرنج لما أخذوا دمياط[1]، أنشأ على بريد منها مدينة المنصورة، واستوطنها مرابطًا حتى نصره الله، فإنَّ الفرنج طمعوا في أخذ مصر، وعسكروا بقرب المنصورة، والتحم القتال أيامًا، وألح الكامل على إخوته بالمجيء، فجاءه أخواه الأشرف والمعظم في جيش لجب، وهيئة تامة، فقوي الإسلام، وضعفت نفوس الفرنج، ورسلهم تتردد، وبذل لهم الكامل قبل مجيء النجدة القدس وطبرية وعسقلان وجبلة اللاذقية وأشياء على أن يردوا له دمياط، فأبوا، وطلبوا مع ذلك ثلاث مئة ألف دينار ليعمروا بها أسوار القدس، وطلبوا الكرك، فاتفق أن جماعة من المسلمين، فجروا من النيل ثلمة على منزلة العدو، فأحاط بهم النيل في هيجانه، ولا خبرة لهم بالنيل، فحال بينهم وبين دمياط، وانقطعت الميرة عنهم، وجاءوا وذلوا، فأرسلوا

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في الكتب المستوعبة للعصر، ومنها «مرآة الزمان» (٨/ ٦٠٣ فما بعد)، و«النجوم» (٦/ ٢٣٨-٢٤٤) وغيرها.




في طلب الأمان على تسليم دمياط، وعقد هدنة، فأجيبوا، فسلموا دمياط بعد استقرارهم بها ثلاث سنين-فلله الحمد-[1].

قال العماد: وكان فخر الكتاب أبو علي الحسن بن علي الجويني المقيم بمصر من أهل بغداد ينفذ إلي قصائده لأعرضها، فرأيت أن أثبت له هذه القصيدة في الفتح؛ وهي مشتملة على ذكر ملوك الإسلام وإهمالهم له تسعين عامًا حتى تجرد له سلطاننا فذكر منها:

جند السَّمَاء لهَذَا الْملك أعوان ... من شكّ فيهم فَهَذَا الْفَتْح برهَان

مَتى رأى النَّاس مَا نحكيه فِي زمن ... وَقد مَضَت قبل أزمان وأزمان

هذي الْفتُوح فتوح الْأَنْبِيَاء وَمَا ... لَهَا سوى الشُّكْر بالأفعال أَثمَان

أضحت مُلُوك الفرنج الصَّيْد فِي يَده ... صيدا وَمَا ضعفوا يَوْمًا وَمَا هانوا

كم من فحول مُلُوك غودروا وهم ... خوف الفرنجة ولدان ونسوان

استصرخت بملكشاه طرابلس ... فخام عَنْهَا وَصمت مِنْهُ آذان

هَذَا وَكم ملك من بعده نظر ... الْإِسْلَام يطوى ويحوى وَهُوَ سَكرَان

تسعون عَاما بِلَاد الله تصرخ ... وَالْإِسْلَام نصاره صم وعميان

فَالْآن لبّى صَلَاح الدّين دعوتهم ... بِأَمْر من هُوَ للمعوان معوان

للناصر ادخرت هذي الْفتُوح وَمَا ... سمت لَهَا همم الْأَمْلَاك مذ كَانُوا

حباه ذُو الْعَرْش بالنصر الْعَزِيز فَقَالَ ... النَّاس دَاوُد هَذَا أم سُلَيْمَان

فِي نصف شهر غَدا للشرك مصطلما ... فطهرت مِنْهُ أقطار وبلدان

فاين مسلمة عَنْهَا وَإِخْوَته ... بل أَيْن والدهم بل أَيْن مَرْوَان

وعد عَمَّا سواهُ فالفرنجة لم ... يبذهم من مُلُوك الأَرْض إِنْسَان

لَو أَن ذَا الْفَتْح فِي عصر النَّبِي لقد ... تنزلت فِيهِ آيَات وَقُرْآن

يَا قبح أوجه عباد الصَّلِيب وَقد ... غَدا يبرقعها شُؤْم وخذلان

خزنت عِنْد إِلَه الْعَرْش سَائِر مَا ... ملكته وملوك الأَرْض خزان

---

(١) السير (٢٢/ ١٢٧-١٣٠).

فَـالله يـبـقـيـك لِـلْإِسْـلَام تـحـرسـه ... مـن أَن يضـام ويـلـفـى وَهُـوَ حـيـران
وَهَـذِه سـنـة أَكْـرم بهَـا سـنـة ... فـالـكـفـر فِـي سـنـة والـنصـر يـقـظـان
يَـا جَـامـعـا كـلـمـة الْإِيـمَـان قـامـع مـن ... مـعـبـوده دون رب الْـعَـرْش صـلـبـان
إِذا طـوى الله ديـوَان الْـعـبـاد فَـمَـا ... يـطـوى لأجـر صَـلَاح الـدّين ديوَان[1]

٢١٤ محمود بن سبكتكين التركي، الملك أبو القاسم، يمين الدولة، فاتح الهند، ابن سيد الأمراء (ت ٤٢١هـ)

قال عبد الغافر الفارسي في ترجمة محمود: «كان صادق النِّيَةِ في إعلاء الدين، مظفرًا كثير الغزو، وكان ذكيًا بعيد الغورِ، صائبَ الرأي، **وكان مجلسه مورد العلماء**.

قال الذهبي: «وكانت غزوات السلطان محمود مشهورة عديدة وفتوحاته المبتكرة عظيمة»[2].

٢١٥ نور الدين محمود بن محمود بن زنكي التركي (ت ٥٦٩هـ)

صاحب الشام، الملك العادل، نور الدين، ناصر أمير المؤمنين، تقي الملوك، ليث الإسلام، أبو القاسم محمود ابن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد زنكي ابن الأمير الكبير آقسنقر التركي، السلطاني، الملكشاهي.

وكان نور الدين حامل رايتي العدل والجهاد، قلَّ أنْ ترى العيون مثله، حاصر دمشق، ثمَّ تملكها، وبقي بها عشرين سنة.

وكان بطلًا، شجاعًا، وافر الهيبة، حسن الرمي، مليحَ الشكل، ذا تعبد وخوفٍ وورعٍ، وكان يتعرض للشهادة، سمعه كاتبه أبو اليسر يسأل الله أن يحشره من بطون السباع، وحواصل الطير.

---

(١) الروضتين (٣/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٨٣).

وصف بأنَّه مليح الخط، كثير المطالعة، يصلي في جماعة، ويصوم، ويتلو، ويسبح، ويتحرى في القوت، ويتجنب الكبر، ويتشبه بالعلماء والأخيار، وكان بطلًا، شجاعًا، وافر الهيبة، حسنَ الرمي، مليحَ الشكل، ذا تعبد وخوف وورع.

افتتح أولًا حصونا كثيرة: فامية، والراوندان، وقلعة إلبيرة، وعزاز، وتل باشر، ومرعش، وعينتاب، وهزم البرنس صاحب أنطاكية، وقتله في ثلاثة آلاف من الفرنج، وأظهر السنة بحلب، وقمع الرافضة.

وبنى المدارس بحلب وحمص ودمشق وبعلبك والجوامع والمساجد، وسلمت إليه دمشق للغلاء والخوف، فحصنها، ووسع أسواقها، وأنشأ المارستان ودار الحديث والمدارس ومساجد عدة، وأبطل المكوس من دار بطيخ وسوق الغنم والكيالة وضمان النهر والخمر، ثمَّ أخذ من العدو بانياس والمنيطرة[١]، وكسر الفرنج مرات، ودوخهم، وأذلهم.

وبنى دار العدل، وأنصف الرعية، ووقف على الضعفاء والأيتام والمجاورين، وأمر بتكميل سور المدينة النبوية، واستخراج العين بأحد دفنها السيل، وفتح درب الحجاز، وعمَّر الخوانق والربط والجسور والخانات بدمشق وغيرها، وكذا فعل إذ ملك حران وسنجار والرها والرقة ومنبج وشيزر وحمص وحماة وصرخد وبعلبك وتدمر.

وكسر الفرنج والأرمن على حارم وكانوا ثلاثين ألفًا، فقلَّ من نجا.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: «جاهد، وانتزع من الكفار نيفًا وخمسين مدينة وحصنًا، وبنى بالموصل جامعًا غرم عليه سبعين ألف»[٢].

---

(١) حصن بالشام قريب من طرابلس كما في «معجم البلدان» (٥/ ٢١٧).

(٢) المنتظم (١٠/ ٢٤٨-٢٤٩)، وكذا سبطه في «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٢١/ ٢٠٣) قال: «فتح نيفًا وخمسين حِصْنًا».

وقال ابن خلكان: «ضربت السكة والخطبة لنور الدين بمصر، وكان زاهدًا، عابدًا، متمسكًا بالشرع، مجاهدًا، كثير البر والأوقاف، له من المناقب ما يستغرق الوصف»[١].

قال له القطب النيسابوري: بالله لا تخاطر بنفسك، فإن أصبت في معركة لا يبقى للمسلمين أحد إلا أخذه السيف، فقال: «ومن محمود حتى يقال هذا؟! حفظ الله البلاد قبلي لا إله إلا هو».

قال الذهبي: «كان دينًا، تقيًا، لا يرى بذلَ الأموالِ إلا في نفع، وما للشعراء عنده نفاق»، وفيه يقول أسامة:

سُلْطَانُنَا زَاهِد وَالنَّاس قَدْ زَهِدُوا ... لَهُ فَكُلٌّ عَلَى الخيرَات مُنْكَمِشُ
أَيَّامُه مِثْلُ شَهْر الصَّوْم طَاهِرَةٌ ... مِنَ المَعَاصِي وَفِيْهَا الْجُوع وَالعطشُ[٢]

قال الحافظ أبو القاسم: كسر نور الدين الروم والأرمن والفرنج على حارم، وكان عدتهم ثلاثين ألفًا.

وقال: وبلغني أنَّ نور الدين رحمه الله تعالى لما التقى الجمعان أو قُبَيله انفرد تحت تل حارم وسجد لربه عز وجل ومرَّغ وجهه، وتضرع وقال: «**يا رب: هؤلاء عبيدك وهم أولياؤك، وهؤلاء عبيدك وهم أعدائك، فانصر أولياءك على اعدائك**، إيش فضول محمود في الوسط، يشير إلى أنَّك يا رب إن نصرت المسلمين فدينك نصرت، فلا تمنعهم النصر بسبب محمود إن كان غير مستحقٍ للنصر.

وبلغني أنَّه قال: «اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودًا، من هو محمود الكلب حتى ينصر؟!

(١) وفيات الأعيان (٥/ ١٨٥-١٨٨).

(٢) السير للذهبي (٢٠/ ٥٣١-٥٣٥)، و«مرآة الزمان» (٨/ ١٩٤)، و«الكامل» لابن الأثير (١١/ ٤٠٣)، وينظر: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة الدمشقي (ت٦٦٥هـ).

وجرى بسبب ذلك منام حسن نذكره في أخبار سنة خمس وستين عند رحيل الفرنج عن دمياط بعد نزولهم عليها، وهذا فتح عظيم ونصر عزيز، أنعم الله به على نور الدين والمسلمين مع أن جيشه عامئذٍ كان منه طائفة كبيرة بمصر مع شيركوه، وهذا من عجيب ما وقع واتفق[١].

وقال: وبلغني من شدَّة اهتمام نور الدين -رحمه الله- بأمر المسلمين حين نزل الفرنج على دمياط أنَّه قُرئ عليه جزء من حديث كان له به رواية، فجاء في جملة تلك الأحاديث حديث مسلسل بالتبسم[٢]، فطلب منه بعض طلبة الحديث أن يتبسم لتتم السلسة على ما عُرِف من عادة أهل الحديث، فغضب من ذلك وقال: إنِّي لأستحيي من الله -تعالى- أن يراني متبسمًا والمسلمون محاصرون بالفرنج.

وبلغني: أنَّ إمامًا لنور الدين رأى ليلة رحيل الفرنج عن دمياط في منامه النبي ﷺ وقال له: أعلِم نور الدين أنَّ الفرنج رحلوا عن دمياط في هذه الليلة.

فقال: يا رسول الله: ربما لا يصدقني، فاذكر لي علامة يعرفها.

فقال: قل له بعلامةِ ما سجدت على تل حارم، وقلت: يا رب انصر دينك ولا تنصر محمودًا، من هو محمود الكلب حتى ينصر!؟

قال: فانتبهت ونزلت إلى المسجد، وكان من عادة نور الدين أنَّه ينزل إليه بغلس[٣]، ولا يزال يتركع فيه حتى يصلي الصبح، قال: فتعرضت له فسألني عن أمري، فأخبرته بالمنام وذكرت له العلامة إلا أنَّني لم أذكر لفظة الكلب، فقال نور الدين: -رحمه الله تعالى- اذكر العلامة كلها وألح

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (١/ ٤١٩-٤٢٠).

(٢) الحديث المسلسل مذكور في كتب المصطلح، قال ابن الصلاح كما في «معرفة أنواع علوم الحديث» (ص٢٧٥) «عبارة عن تتابع رجال الإسناد وتواردهم فيه، واحدا بعد واحد، على صفة أو حالة واحدة».

(٣) الغلس: ظلمة آخر الليل.

عليَّ في ذلك فقلتها، فبكى -رَحِمَهُ اللهُ- وصدق الرؤيا[١].

وما كان يتكل الجند على الأُمراء بل يتولاهم بنفسه، ويباشرهم، ويتفقد خيولهم وسلاحهم مخافة أن يقصِّر الأُمراءُ في حقِّهم، ويقول: «نحن كل وقت في النَّفير، فإذا لم تكن أجنادُنا كاملي العُدَّة دخل الوَهْن على الإسلام»[٢].

ولم يدخل نور الدين الموصل حتى قوي الشتاء، فأقام بها كما ذكرنا أربعة وعشرين يوما، فلما كان آخر ليلة أقام بها رأى رسول الله ﷺ في المنام يقول له: «طابت لك بلدك، وتركت الجهاد وقتال أعداء الله، فنهض من فوره إلى السفر وما أصبح إلا وهو سائر إلى الشام»[٣].

وكان رَحِمَهُ اللهُ يقول: طالما تعرضت للشهادة، فلم يدركها.

قلت -الذهبي-: قد أدركها على فراشه، وعلى ألسنة الناس: «نور الدين الشهيد».

قال السبكي: «قد اعتبرت فوجدت أربعة لا خامس لهم في العدل بعد عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلا أن يكون بعض أناس لم تطل لهم مدة، ولا ظهرت عنهم آثار ممتدة، وهم سلطانان، وملك، ووزيره في العجم وهما هذا السلطان -محمود بن سبكتكين- والوزير نظام الملك، وبينهما في الزمان مدة، وسلطان وملك في بلادنا، وهما السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس، وقبله الملك نور الدين محمود بن زنكي الشهيد، ولا أستطيع أن أسميه سلطانًا؛ لأنه لم يسم بذلك»[٤].

---

(١) الروضتين (٢/ ١٤٣-١٤٤).

(٢) مرآة الزمان (٢١/ ٢٠٧).

(٣) البداية والنهاية (١٦/ ٤٤٧).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٣١٥).

٢١٦ مراد الأول (ت٧٦١هـ)

سلطان الغزاة والمجاهدين ملك المشايخ شهاب الدين غازي ليث الإسلام السلطان العادل، قاهر الصرب.

كان السلطان مراد الأول شجاعًا مجاهدًا كريمًا متدينًا، عادلًا مع رعاياه، شغوفًا بالغزوات وبناء المساجد والمدارس.

من أهم أعماله: السيطرة على أدرنة سنة (٧٦٢هـ) وهي مدينة لها أهميتها من مدن البلقان، وكانت ثانية مدينة في الإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية، واتخذ مراد من هذه المدينة عاصمة للدولة العثمانية منذ عام (٧٦٨هـ).

ومنها: هزيمته للتحالف الصليبي الذي اجتمعت فيه كل من الدول التالية (الصرب، والبلغار، والمجر)، واستطاعت الدول أن تحشد جيشًا بلغ عدده ستين ألف جندي، وتصدى لهم القائد العثماني (لا لا شاهين) بقوة تقل عددًا عن القوات المتحالفة، وقابلهم على مقربة من (تشيرمن) على نهر مارتيزا، حيث وقعت معركة مروعة وانهزم الجيش المتحالف.

ووقعت في زمانه أول معاهدة بين الدولة العثمانية والدولة الصليبية، وذلك بإرسال جمهورية (راجوزه)[1] إلى السلطان مراد رسلًا ليعقدوا مع السلطان مراد معاهدة ودية وتجارية، تعاهدوا فيها بدفع جزية سنوية قدرها (٥٠٠) دوكا ذهب.

وكان آخر كلامٍ قاله بعد جهاد ونكاية بأعداء الله: «لا يسعني حين رحيلي إلا أن أشكر الله إنَّه علّام الغيوب المتقبل دعاء الفقير، أشهد أن لا إله إلا الله، وليس يستحق الشكر والثناء إلا هو، لقد أوشكت حياتي على النهاية ورأيت نصر جند

---

(١) تطل على البحر الأدرياتيكي.

الإسلام، أطيعوا ابني يزيد، ولا تعذبوا الأسرى ولا تؤذهم ولا تسلبوهم، وأودعكم منذ هذه اللحظة، وأودع جيشنا الظافر العظيم إلى رحمة الله فهو الذي يحفظ دولتنا من كل سوء، لقد استشهد هذا السلطان العظيم بعد أن بلغ من العمر (٦٥) عامًا»[١].

من مناجاته: كان يقول: «إلهي ومولاي، إنَّ الملك والقوة لك، تمنحها لمن تشاء من عبادك، وأنا عبدك العاجز الفقير، تعلم سري وجهري، أقسم بعزتك وجلالك أنَّني لا أبتغي من جهادي حطام هذه الدنيا الفانية، ولكن أبتغي رضاك ولا شيء غير رضاك».

«إلهي، ومولاي، أسألك بجاه وجهك الكريم، أن تجعلني فدًاء للمسلمين جميعًا، ولا تجعلني سببًا في هلاك أحدٍ من المسلمين، في سبيلٍ غير سبيلك القويم».

«إلهي، ومولاي، إن كان في استشهادي نجاةٌ لجندِ المسلمينَ فلا تحرمني الشهادة في سبيلك، لأنعم بجوارك ونعم الجوار جوارك»[٢].

٢١٧ مراد الثاني (ت ٨٥٥هـ)

وكان خير ملوك زمانه شرقًا وغربًا؛ مما اشتمل عليه من العقل والحزم والعزم والكرم والشجاعة والسؤدد.

أفنى عمره فى الجهاد فى سبيل الله تعالى، وغزا عدّة غزوات، وفتح عدّة فتوحات، وملك الحصون المنيعة، والقلاع والمدن من العدوّ المخذول. على أنَّه كان منهمكًا فى اللذات التي تهواها النفوس، ولعل حاله كقول بعض الأخيار- وقد سئل عن دينه- فقال: «أمزّقه بالمعاصي، وأرقّعه بالاستغفار». فهو أحقّ بعفو الله وكرمه، فإنَّ له المواقف المشهورة، وله

---

(١) ينظر: فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح (ص٥٠-٥٣)، والدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث (ص٣٨)، و«الفتوح الإسلامي عبر العصور» (ص٣٩١).

(٢) جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين (ص٤٠-٤١) بالاستفادة من كتاب «السلطان محمد الفاتح» (ص٥٤).

اليد البيضاء فى الإسلام ونكاية العدوّ، حتى قيل عنه إنه كان سياجا للإسلام والمسلمين- عفا الله عنه، وعوّض شبابه الجنة[(١)].

وكان ملكًا شجاعًا، وله الفتوحاتُ العديدةُ ببلاد الرومِ والصَّدقات الجزيلة، وكان يرسلُ الصرَّ للحرمين في كل سنة ثلاثة آلاف دينارٍ وخمس مئة دينار[(٢)].

٢١٨ المظفر بن الأفطس (ت ٤٦٠هـ)

سلطان الثغر الشمالي من الأندلس، ودار ملكه بطليوس.

كان رأسًا في العلمِ والأدب، والشجاعة، والرأي، فكان مناغرًا[(٣)] للروم، شجى في حلوقهم، لا ينفس لهم مخنقًا، ولا يوجد لهم إلى الظهور عليه مرتقى.

وللمظفر (تفسير) للقرآن.

وكان مع استغراقه في الجهاد لا يفتر عن العلم، ولا يترك العدل، صنع مدرسة يجلس فيها كل جمعة، ويحضره العلماء، وكان يبيت في منظرة له، فإذا سمع صوتا وجه أعوانا لكشف الخبر، لا ينام إلا قليلًا[(٤)].

٢١٩ المعتصم بالله بن هارون الرشيد، أبو إسحاق، محمد بن الرشيد (ت ٢٢٧هـ)

عن عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد، قال: سمعت العباس بن الفرج، يقول: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتابًا يتهدده فيه فأمر بجوابه فلمَّا قرئ عليه

---

(١) النجوم الزاهرة (١٦/ ٣).

(٢) نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر (٨/ ١٣٣)، وينظر: «تاريخ الدولة العثمانية» (ص٨١).

(٣) أي مغيظًا لهم.

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٩٤-٥٩٥)، ذكر الذهبي في «السير» أنَّه توفي بعد السبعين وأربع مئة أو قبلها، وذكر ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٢٣)، وابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٤/ ١٦٠)، أنه توفي (٤٦٠هـ).

الجواب لم يرضه، قال للكاتب: اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك، قال: والجواب ما ترى لا ما تسمع، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار.

قال الخطيب البغدادي: «غزا المعتصم بلاد الروم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين فأنكى في العدو نكاية عظيمة، ونصب على عمورية المجانيق، وأقام عليها حتى فتحها ودخلها، فقتل فيها ثلاثين ألفًا، وسبى مثلهم وكان في سبيه ستون بطريقًا».

وطرح النار في عمورية من سائر نواحيها فاحرقها، وجاء ببابها إلى العراق، وهو باق حتى الآن منصوب على أحد الأبواب دار الخلافة، وهو الباب الملاصق مسجد الجامع في القصر[(١)].

قال ابن أبي حاتم: حدثني أحمد بن سنان، قال: بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل يوم فتح عاصمة بابك، وظفر به، أو في فتح عمورية، فقال: «هو في حل من ضربي»[(٢)].

وقال نفطويه والصولي: للمعتصم مناقب، وكان يقال له: المثمن؛ لأنَّه ثامن الخلفاء من بني العباس، والثامن من ولد العباس، وثامن أولاد الرشيد، وملك سنة ثماني عشرة، وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، ومولده سنة ثمانٍ وسبعين، وعاش ثمانيًا وأربعين سنة، وطالعه العقرب، وهو ثامن برج، وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء، وخلف ثمانية أولاد، ومن الإناث كذلك، ومات لثمانٍ

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ٥٤٧).

(٢) السير (١١/ ٢٥٧-٢٥٨).

بقين من ربيع الأول[١].

٢٢٥ المنصور بن أبي عامر محمد بن أبي عامر المعافري، الملقب بالمنصور (ت ٣٩٢هـ)

أصله من الجزيرة الخضراء من بيت مشهور بها، وقدم قرطبة طالبًا للعلم، وكانت له همة، فتعلق بوالدة المؤيد في حياة أبيه المستنصر.

كان شهمًا، شجاعًا، قوي النَّفس، حَسن التدبر، فاستمال العساكر وأحسن إليهم، فقوي أمره، وتلقب بالمنصور، وتابع الغزوات إلى الفرنج وغيرهم، وسكنت البلاد معه، فلم يضطرب منها شيءٍ.

وكان عالمًا، محبًا للعلماءِ، يكثر مجالستهم ويناظرهم، وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه، وصنَّفوا لها تصانيف كثيرة.

قال الذهبي: كان ابن أبي عامر ممن طلب العلم والأدب، ورأس وترقى، وكان له نكاية عظيمة في الفرنج، وله مجلس في الأسبوع يجتمع إليه فيه الفضلاء للمناظرة، فيكرمهم، ويحترمهم، ويصلهم، ويجيز الشعراء، وافتتح عدة أماكن، وملأ الأندلس سبيًا وغنائم حتى بيعت بنت عظيم من عظماء الروم ذات حسن وجمال بعشرين دينارًا[٢].

ولما مرض كان متوجها إلى الغزو، فلم يرجع، ودخل بلاد العدو فنال منهم وعاد وهو مثقل، وكان قد غزا نيفًا وخمسين غزوة، توفي مبطونًا شهيدًا وهو بأقصى الثغر،

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص٣٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٢٣-١٢٤).

بقرب مدينة سالم.

وقد جمع ﷺ الغبار الذي وقع على درعه (في غزواته شيئًا صالحًا)، فأمر أن يجعل في كفنه تبركًا به.

وذكر أنه أحيط به في مدينة فتة، فرمى بنفسه من أعلى جبلها، وصار في عسكره، فبقي مفدع[1] القدمين لا يركب، إنَّما يصنع له محمل على بغل يقاد به في سبع غزوات وهو بضعة لحم، فانظر إلى هذه الهمة العلية، والشجاعة الزائدة.

وقد ذكره محمد بن حسين الشاعر العالم بأخبار الأندلس في بعض أمداحه للمنصور هذا، فقال:

وَكُلُّ عَدُوٍّ أنت تَهْدِمُ عَرشَهُ ... وَكُلُّ فُتُوح عنك يُفْتَحُ بَابُها

وإنَّك من عبد المليك الذي له ... حُلَى فضتح قَرطَاجَنَّةٍ وانتِهابُها

جَبَاها أبو مَروانَ جَدُّك قابضًا ... بكفٍّ تليدٌ طعْنُها وضِرابُها

فإنْ سَنَحَتْ في الشِركِ من بَعْدِ فَتحِهِ ... فُتُوحٌ فَمَصْرُوفٌ إليك ثَوَابُها[2]

قال المقري: جاشت الروم، فجهز المصحفيّ ابن أبي عامر لدفاعهم، فنصره الله عليهم، وتمكّن حبّه من قلوب الناس.

وكان جوادًا عاقلًا ذكيًّا، استعان بالمصحفيّ على الصقالبة، ثمَّ بغالب على المصحفيّ، وكان غالب صاحب مدينة سالم -وتزوج ابن أبي عامر ابنته أسماء، وكان أعظم عرس بالأندلس- ثمّ بجعفر بن علي الأندلسي ممدوح ابن هانئ على غالب، ثمَّ بعبد الرحمن بن محمد بن هشام التّجيبي على جعفر، وله في الحزم

---

(١) الفدع محركة: عوج وميل في المفاصل، كأن المفاصل قد زالت عن مواضعها، لا يستطاع بسطها معه، وأكثر ما يكون في الرسغ من اليد والقدم.

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (٢/ ٢٥٦)، هكذا الشعر مكتوب في الكتابِ.

والكيد والجلد ما أفرد له ابن حيّان تأليفًا، وعدد غزواته المنشأة من قرطبة نيّف وخمسون غزوة، ولم تهزم له راية، وقبره بمدينة سالم في أقصى شرق الأندلس[١].

وكان حسن الاعتقاد والسيرة، عادلًا، كانت أيامه أعيادًا لنضارتها، وأمن النَّاسِ فيها، رَحِمَهُ اللَّهُ. وله شعرٌ جيد، وكانت أمه تميمية، ولما توفي الحاجب ابن أبي عامر، قام في منصبه ابنه الملقب بالمظفر: أبو مروان عبد الملك بن محمد، وجرى على منوال والده، فكان ذا سعد عظيم، وكان فيه حياء مفرط يضرب به المثل، وكان من الشجعان المذكورين، فدامت الأندلس في أيامه في خير وخصب وعز إلى أن مات في صفر، سنة تسع وتسعين وثلاث مئة[٢].

٢٢١ موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي الأمير الكبير، أبو عبد الرحمن اللخمي، متولي إقليم المغرب، وفاتح الأندلس (ت ٩٧هـ)

وكان أعرجَ، مهيبًا، ذا رأيٍ وحزمٍ.

يروي عن: تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حدث عنه: ولده؛ عبد العزيز، ويزيد بن مسروق.

ولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرس، وبنى هناك حصونًا، وقد استعمل على أقصى المغرب مولاه طارقًا، فبادر، وافتتح الأندلس، ولحقه موسى، فتمم فتحها، وجرت له عجائب هائلة، وعمل مع الروم مصافًا مشهودًا، ولما هم المسلمون بالهزيمة، كشف موسى سرادقه عن بناته وحرمه، وبرز، ورفع يديه بالدعاء والتضرع

(١) نفح الطيب (١/ ٣٩٩-٤٠٠)، وانظره بتوسع في «تاريخ ابن خلدون» (٤/ ١٨٩).

(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٥٣٠-٥٣١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٢٣-١٢٤)، وقد أطلت في ذكر ترجمته لما له من شجاعة ودهاء، وتواضع وحب للعلم وأهله.

والبكاء، فكسرت بين يديه جفون السيوف، وصدقوا اللقاء، ونزل النَّصر.

وقال الليث: «بعث موسى ابنه مروان على الجيش، فأصاب من السبي مئة ألف، وبعث ابن أخيه، فسبى أيضًا مئة ألف من البربر، ودله رجل على كنز بالأندلس، فنزعوا بابه، فسال عليهم من الياقوت والزبرجد ما بهرهم».

وقيل: لما دخل موسى إفريقية، وجد غالب مدائنها خالية لاختلاف أيدي البربر، وكان القحط، فأمر الناس بالصلاة والصوم والصلاح، وبرز بهم إلى الصحراء، ومعه سائر الحيوانات، ففرق بينها وبين أولادها، فوقع البكاء والضجيج، وبقي إلى الظهر، ثم صلى، وخطب، فما ذكر الوليد.

فقيل له: ألا تدعو لأمير المؤمنين؟! فقال: هذا مقام لا يدعى فيه إلا الله. فسقوا، وأغيثوا.

وقال له سليمان بن عبد الملك يومًا: ما كنت تفزع إليه عند الحرب؟

قال: «الدعاء والصبر»[١].

٢٢٢ هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن الْعَبَّاس بن عبد المطلب أبو جعفر (ت ١٩٣هـ)

وكان يحج سنة، ويغزو سنة، قال أبو السعلى:

فمن يطلب لقاءك أو يُرِدْهُ ... فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو على طمرٍّ ... وفي أرض البنية فوق طور
وما جاز الثغور سواك خلق ... من المستخلفين على الأمور[٢]

وكتب نقفور إلى الرشيد: من نقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب، أمَّا

(١) السير (٤/ ٤٩٦-٤٩٩).

(٢) تاريخ بغداد (١٦/ ٩).

بعد: فإنَّ الملكة التي قبلي كانت أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها أحمالًا، وذلك لضعف النِّساء وحمقهنَّ، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتدِ نفسك، وإلا فالسيف بيننا وبينك.

قال: فلمَّا قرأ الرشيد الكتاب استشاط غضبًا حتى لم يمكن أحد أن ينظر إلى وجهه دون أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه من الخوف، واستعجم الرأي على الوزير، فدعا الرشيد بدواة وكتب على ظهر كتابه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه لا ما تسمعه».

ثمَّ سار ليومه، فلم يزل حتى نازل مدينة هرقلة، وكانت غزوة مشهودة، وفتحًا مبينًا، فطلب النقفور الموادعة، والتزم بخراج يحمله كل سنة، فأجيب، فلمَّا رجع الرشيد إلى الرقة نقض الكلب العهد لإياسه من كرة الرشيد في البرد، فلم يجسر أحد أن يبلغ الرشيد نقضه، بل قال عبد الله بن يوسف التيمي:

نقض الذي أعطيته نقفور ... فعليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فإنَّه ... غنم أتاك به الإله كبير

وقال أبو العتاهية أبياتًا، وعرضت على الرشيد، فقال: أو قد فعلها؟ فكر راجعًا في مشقة شديدة حتى أناخ بفنائه، فلم يبرح حتى بلغ مراده وحاز جهاده، وفي ذلك يقول أبو العتاهية:

ألا بادت هرقلة بالخراب ... من الملك الموفق للصواب

غدا هارون يرعد بالمنايا ... ويبرق بالمذكرة العضاب

ورايات يحل النصر فيها ... تمر كأنها قطع السحاب[1]

---

(١) تاريخ الإسلام (٤/ ٧٨٤) قال الذهبي: «كان من أميز الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، وكان كثير الغزو والحج».

مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان، ودفن بها في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومئة، وله خمس وأربعون سنة، وصلى عليه ابنه صالح[1].

قال علي بن محمد الخراساني: أحضرني القاهر يومًا والحربة بين يديه، فقال: أسألك عن خلفاء بني العباس، عن أخلاقهم وشيمهم، قلت: أما السفاح فكان مسارعًا إلى سفك الدماء، واتبعه عماله على مثل ذلك، وكان مع ذلك سمحًا وصولًا بالمال، قال: فالمنصور؟

قلت: كان أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد أبي طالب، وكانوا قبلها متفقين، وهو أول خليفة قرب المنجمين، وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية، ككتاب كليلة ودمنة، وكتاب إقليدس، وكتاب اليونان، فنظر الناس فيها وتعلقوا بها، فلما رأى ذلك محمد بن إسحاق جمع المغازي والسير.

والمنصور أول من استعمل مواليه وقدمهم على العرب، قال: فالمهدي؟

قلت: كان جوادًا عادلًا منصفًا، رد ما أخذ أبوه من الناس غصبًا، وبالغ في إتلاف الزنادقة، وبنى المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى، قال: فالهادي؟

قلت: كان جبارًا متكبرًا، فسلك عماله طريقه على قصر أيامه، قال: فالرشيد؟

قلت: كان مواظبًا على الغزو والحج، وعمر القصور والبرك بطريق مكة، وبنى الثغور: كأذنة، وطرسوس، والمصيصة، ومرعش، وعم الناس إحسانه، وكان في أيامه البرامكة، وما اشتهر من كرمهم، وهو أول خليفة لعب بالصوالجة، ورمى

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص٢٩٨).

النشاب في البرجاس ولعب بالشطرنج من بني العباس، قال: فالأمين؟

قلت: كان جوادًا، إلا أنه انهمك في لذاته، ففسدت الأمور قال: فالمأمون؟

قلت: سلك طريقه، وغلب عليه النجوم والفلسفة، وكان حليمًا جوادًا، قال: فالمعتصم؟

قلت: غلب عليه حب الفروسية والتشبه بملوك الأعاجم، واشتغل بالغزو والفتوح، قال: فالواثق؟

قلت: سلك طريقة أبيه.

قال: فالمتوكل؟

قلت: خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقادات، ونهى عن الجدال، والمناظرات، والأهواء، وعاقب عليها، وأمر بقراءة بالحديث وسماعه، ونهى عن القول بخلق القرآن، فأحبه الناس، ثم سأل عن باقي الخلفاء، وأنا أجيبه بما فيهم، فقال لي: سمعت كلامك، وكأني أشاهد القوم، ثم قام[1].

٢٢٣ الوليد بن عبد الملك: أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، الدمشقي (ت ٩٦هـ)

أقام الجهاد في أيامه، وفتحت في خلافته فتوحات عظيمة، وكان يختن الأيتام، ويرتب لهم المؤدبين، ويرتب للزمني من يخدمهم، وللأضراء من يقودهم، وعمَّر المسجد النبوي ووسعه، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء، وحرم عليهم سؤال الناس، وفرض لهم ما يكفيهم، وضبط الأمور أتم ضبط.

وقال ابن أبي عبلة: «رحم الله الوليد وأين مثل الوليد؟ افتتح الهند والأندلس، وبنى مسجد

---

(١) المصدر نفسه.

دمشق، وكان يعطيني قطع الفضة أقسمها على قراء مسجد بيت المقدس».

ولي الوليد الخلافة بعهد من أبيه في شوال سنة ست وثمانين، ففي سنة سبع وثمانين شرع في بناء جامع دمشق[١]، وكتب بتوسيع المسجد النبوي وبنائه، وفيها فتحت بيكند، وبخارى، وسردانية، ومطمورة، وقميقم، وبحيرة الفرسان عنوة، وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة، فوقف يوم النحر غلطًا، وتألم لذلك.

قال الذهبي: «أقام الجهاد في أيامه، وفتحت فيها الفتوحات العظيمة، كأيام عمر بن الخطاب»[٢].

قال عثمان بن أبي شيبة: أحضر هارون الرشيد أبا بكر بن عياش من الكوفة، فجاء ومعه وكيع، فدخل ووكيع يقوده، فأدناه الرشيد، وقال له: قد أدركت أيام بني أمية وأيامنا، فأينا خير؟ قال: أنتم أقوم بالصلاة، وأولئك كانوا أنفع للناس.

قال: «فأجازه الرشيد بستة آلاف دينار، وصرفه، وأجاز وكيعًا بثلاثة آلاف[٣].

وكان عيسى بن علي إذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة يقول: «إنَّ أربعة عشر رجلًا خرجوا من دارهم يطلبون ما طلبنا لعظيمةٌ هممهم، شديدة قلوبهم»[٤].

٢٢٤ يعقوب بن يوسف الموحدي، صاحب المغرب المنصور، السلطان الكبير،

---

(١) والذي يعرف حاليًا بالجامع الأموي.

(٢) انظر: السير (٤/ ٣٤٧-٣٤٨)، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٢٢٥-٢٢٧).

(٣) السير (٨/ ٤٩٨).

(٤) تاريخ الخلفاء (ص٢٦٠).

الملقب بأمير المؤمنين (ت ٥٩٥هـ)[(١)]

كان صادق اللهجة، فارسًا، شجاعًا، قوي الفراسة، خبيرًا بالأمور، خليقًا للإمارة، ينطوي على دين وخير وتأله ورزانة.

عمل الوزارة لأبيه، وخبر الخير والشر، وكشف أحوال الدواوين.

ومن حاله أنه تزهد، وتقشف، وجالس الصلحاء والمحدثين، ومال إلى الظاهر، وأعرض عن المالكية، وأحرق ما لا يحصى من كتب الفروع.

عنايته بنشر السنة: قال عبد الواحد بن علي: كنت بفاس، فشهدت الأحمال يؤتى بها، فتحرق، وتهدد على الاشتغال بالفروع، وأمر الحفاظ بجمع كتاب في الصلاة من (الكتب الخمسة)، و(الموطأ)، و(مسند ابن أبي شيبة)، و(مسند البزار)، و(سنن الدارقطني)، و(سنن البيهقي)، كما جمع ابن تومرت في الطهارة.

ثمَّ كان يملي ذلك بنفسه على كبار دولته، وحفظ ذلك خلق، فكان لمن يحفظه عطاء وخلعة...، إلى أن قال: وكان قصده محو مذهب مالك من البلاد، وحمل الناس على الظاهر، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده، فلم يظهراه، فأخبرني غير واحد أن ابن الجد أخبرهم، قال: دخلت على أمير المؤمنين يوسف، فوجدت بين يديه كتاب ابن يونس، فقال: أنا انظر في هذه الآراء التي أحدثت في الدين، أرأيت المسألة فيها أقوال، ففي أيها الحق؟ وأيها يجب أن يأخذ به المقلد؟

فافتتحت أبين له، فقطع كلامي، وقال: ليس إلا هذا، وأشار إلى المصحف، أو

---

(١) وسنطيل الذكر في ترجمته وهي بالنسبة لما كتب عنه مختصرة، لما كان له من حرص على الجهاد، واحترام العلماء، والتمكين للموحدين إذ أنَّ عصره يوسم بالعصر الذهبي، وكان على خلاف دعوة ابن تومرت المبتدعة، وابن تومرت الذي صار يدعي المهدية، وتكلم عنه العلماء.

هذا، وأشار إلى (سنن أبي داود)، أو هذا، وأشار إلى السيف.

عنايته بأهل العلم: قال يعقوب: «يا معشر الموحدين، أنتم قبائل، فمن نابه أمر، فزع إلى قبيلته، وهؤلاء -يعني: طلبة العلم[١]- لا قبيل لهم إلا أنا، قال: فعظموا عند الموحدين».

من سيرته: قال تاج الدين ابن حمويه: دخلت مراكش في أيام يعقوب، فلقد كانت الدنيا بسيادته مجملة، يقصد لفضله ولعدله ولبذله وحسن معتقده، فأعذب موردي، وأنجح مقصدي، وكانت مجالسه مزينة بحضور العلماء والفضلاء، تفتتح بالتلاوة ثم بالحديث، ثم يدعو هو، وكان يجيد حفظ القرآن، ويحفظ الحديث، ويتكلم في الفقه، ويناظر، وينسبونه إلى مذهب الظاهر.

وكان فصيحًا، مهيبًا، حسن الصورة، تام الخلقه، لا يرى منه اكفهرار، ولا عن مجالسه إعراض، بزي الزهاد والعلماء، وعليه جلالة الملوك، صنف في العبادات، وله (فتاوٍ)، وبلغني أنَّ السودان قدموا له فيلًا، فوصلهم، ورده، وقال: لا نريد أن نكون أصحاب الفيل.

ثمَّ طول التاج في عدله وكرمه، وكان يجمع الزكاة، ويفرقها بنفسه، وعمل مكتبًا للأيتام، فيه نحو ألفَ صبي، وعشرةِ معلمون.

وحكى لي بعض عماله: أنَّه فرق في عيد نيفًا وسبعين ألف شاة.

قال الحافظ ابن كثير: كان دينًا حسن السيرة، صحيح السريرة، وكان مالكي المذهب، ثمَّ صار ظاهريًا حزميًا، ثمَّ مال إلى مذهب الشافعي، واستقضى في بعض بلاده منهم قضاة، وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة، وكان كثير الجهاد ﵀، وكان يؤم الناس في الصلوات الخمس، وكان قريبًا إلى المرأة والضعيف. وقام بالملك بعده ولده محمد، فسار كسيرة والده، ورجع

---

(١) يعني طلبة علم الحديث.

إليه كثير من البلدان اللاتي كانت قد عصت على أبيه»[١].

من جهاده معركة الأرك أنموذجًا: قيل: إنَّ الملك الصليبي ألفونسو الثامن ملك قشتالة كتب إليه يهدده، ويعنفه، ويطلب منه بعض البلاد، ونص ما جاء في خطابه المكتوب: باسمك اللهم فاطر السموات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح، أمَّا بعد: فإنَّه لا يخفى على ذي ذهنٍ ثاقب، ولا ذي عقل لازب، أنَّك أمير الملة الحنيفية كما أنَّي أمير الملة النصرانية، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية، وإخلادهم إلى الراحة، وأنا أسومهم بحكم القهر، وجلاء الديار، وأسبي الذراري، وأمثل بالرجال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يد القدرة، وأنتم تزعمون أنَّ الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم، فالآن خفف الله عنكم وعلم أنَّ فيكم ضعفًا، ونحن الآن نقاتل عشرةً منكم بواحدٍ منَّا لا تستطيعون دفاعًا ولا تملكون امتناعًا، وقد حكي لي عنك أنَّك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال، وتماطل نفسك عامًا بعد عام، تقدم رجلًا وتؤخر أخرى، فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك، ثمَّ قيل لي إنَّك لا تجد إلى جواز البحر سبيلًا لعلةٍ لا يسوغ لك التقحم معها، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك، على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان، وترسل إليّ جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات، وأجوز بجملتي إليك، وأقاتلك في أعز الأماكن لديك، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك، وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك، واستحقيت إمارة الملتين والحكم على البرين، والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الإدراة، لا رب غيره ولا خير إلا خيره، إن شاء الله تعالى.

---

(١) البداية والنهاية (١٦/ ٦٨٧).

فلمَّا وصل كتابه إلى الأمير يعقوب مزقه، وكتب على ظهر قطعة منه: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل: ٣٧]. [النمل: ٣٧]، الجواب ما ترى لا ما تسمع:

ولا كتب إلا المشرفية عنده ... ولا رسل إلا الخميس العرمرم[1]

ثمَّ استنفر سائر النَّاس، وحشد، وجمع حتى احتوى ديوان جيشه على مئة ألف، ومن المطوعة مثلهم، وعدى إلى الأندلس، فتمت الملحمة الكبرى، ونزل النصر والظفر، فقيل: غنموا ستين ألف زردية.

قال ابن الأثير: «قتل من العدو مئة ألفٍ وستة وأربعون ألفًا، ومن المسلمين عشرون ألفًا»[2].

٢٢٥ أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني، أمير المسلمين، السلطان، البربري، الملثم (ت ٥٠٠هـ)

ويعرف أيضًا بأميرِ المرابطين، وهو الذي بنى مراكش، وصيَّرها دار ملكه.

وأول ظهور هؤلاء الملثمين[3] مع أبي بكر بن عمر اللمتوني، فاستولى على البلاد من تلمسان إلى طرف الدنيا الغربي، واستناب ابن تاشفين، فطلع بطلًا شجاعًا

(١) النص من وفيات الأعيان (٧/ ٧-٨)، والبيت من شعر المتنبي.

(٢) السير (٢١/ ٣١٨-٣١٩).

(٣) لقبوا بذلك لانهم كانوا يتلثمون، ولا يكشفون وجوههم، وتلك سنة لهم يتوراثونها خلفا عن سلف، وقيل في سبب ذلك: إن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد، يفعله الخواص منهم، فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم، وأصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ، وهم أصحاب خيل وإبل وشاء،، ويسكنون الصحارى الجنوبية بين بلاد البربر وبلاد السودان، وينتقلون من ماء إلى ماء كالعرب، وبيوتهم من الشعر والوبر، وأول من جمعهم، وحرضهم على القتال، وأطمعهم في تملك البلاد عبد الله بن ياسين الفقيه، وقتل في حرب جرت مع برغواطة، وقام مقامه أبو بكر بن عمر الصنهاجي ابن عم يوسف بن تاشفين الذي ولاه إمارة الملثمين، فكان من أمره ما كان.

شهمًا عادلًا مهيبًا، فاختط مراكش في سنة (٤٦٥)، اشترى أرضها بماله الذي خرج به من صحراء السودان، وله جبل الثلج، وكثرت جيوشه، وخافته الملوك، وكان بربريًا قحًا، وثارت الفرنج بالأندلس، فعبر ابن تاشفين ينجد الإسلام، فطحن العدو[1]، ثمَّ أعجبته الأندلس، فاستولى عليها.

كان ابن تاشفين كثير العفو، مقربًا للعلماء، وكان أسمر نحيفًا، خفيف اللحية، دقيقَ الصوت، سائسًا، حازمًا.

قال شهاب الدين السلاوي (ت ١٣١٥ هـ):وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على فرس يومئذ أنثى يمر بين ساقات المسلمين وصفوفهم يحرضهم ويقوي نفوسهم على الجهاد ويحضهم على الصبر، فقاتل النَّاسُ ذلك اليوم قتالَ من يطلب الشهادةَ ويرغبُ في الموت

وهبت ريح النصر، فأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم، وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أقفاءهم -والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم- إلى أن لحقوا بربوة لجؤوا إليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل، فلمَّا أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من

---

(١) وفي حواشي السير، قال: في وقعة الزلاقة (بطحاء من إقليم بطليوس من غرب الأندلس) المشهورة التي انكسر فيها جيش الفرنجة الكفرة الزاحف من طليطلة كسرة شديدة سنة (٤٧٩ هـ) انظر التفصيل في الروض المعطار (٢٨٧- ٢٩٢)، و«نفح الطيب» (٤/ ٣٥٤-٣٧١)، و«الكامل» لابن الأثير (١٠/ ١٥١- ١٥٥) و«وفيات الأعيان» (٧/ ١١٥) وما بعدها. وقد بايع يوسف ابن تاشفين بعد انتهاء الوقعة من شهدها معه من ملوك الأندلس وأمرائها، وكانوا ثلاثة عشر ملكا، فسلموا عليه بأمير المسلمين، وكان يدعى بالأمير، وضرب السكة من يومئذ وجددها، ونقش ديناره: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وتحت ذلك: «أمير المسلمين يوسف بن تاشفين»، وكتب في الدائرة: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» وكتب على الوجه الآخر من الدينار: الأمير عبد الله، أمير المؤمنين العباسي، وفي الدائرة تاريخ ضرب الدينار وموضع سكه.

الربوة وأفلتوا من بعد ما نشبت فيهم أظفار المنية، واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الأثاث والآنية والمضارب والأسلحة وغير ذلك، وأمر ابن عباد بضم رؤوس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم[١].

مات في أول سنة خمس مئة، وله بضع وثمانون سنة، وتملك مدائن كبارًا بالأندلس، وبالعدوة[٢]، ولو سار لتملك مصر والشام[٣].

[١] الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٢/ ٤٧-٤٨).

(٢) وقد شمل سلطانه المغربين الأقصى والأوسط، وجزيرة الأندلس.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٥٢-٢٥٣).



الباب السابع: جهاد العلماء والفقهاء

وهـذا البـاب يشـتمل علـى ذكـر تـراجم أهـل العلـم مـن المحـدثين، والمفسـرين، والفقهـاء، وغيرهم من أهل العلم العاملين.

٢٢٦ إبراهيم بن سعيد الجوهري أبو إسحاق، الحافظ العلامة أبو إسحاق الطبري ثمَّ البغدادي (ت ٢٤٤ وقيل: ٢٤٧، وقيل: ٢٤٩هـ)

قال أبو محمد بن الأخضر: كان ثقَّة ثبتًا مكثرًا، مات مرابطًا سنة سبع وأربعين.

روى عنه: أبو يعلى في «معجمه».

روى عنه: الجماعة سوى البخاري[١].

وقال أبو بكر الخطيب: كان مكثرًا ثقَّة ثبتًا صنَّف المسند[٢].

وقال إبراهيم بن عبد الله: كان أبوه سعيد ثقة، محتشمًا، نبيلًا، حج معه أربع مئة نفس منهم هشيم وإسماعيل بن عياش، وكنت أنا منهم[٣].

قال المزي: «كان ببغداد، ثمَّ سكن عين زربة مرابطًا ومات بها»[٤].

٢٢٧ إبراهيم بن شماس الغازي، أبو إسحاق السمرقندي، نزيل بغداد (ت ٢٢٠ أو

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٦).

(٢) إكمال التهذيب (١/ ٢١١).

(٣) طبقات علماء الحديث (٢/ ١٩١).

(٤) الثقات (٨/ ٨٣)، و«تهذيب الكمال» (٢/ ٩٨)، و«الأعلام» (١/ ٤٠٩-٤١٠).

٢٢١هـ)

روى عن: أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري، وإسماعيل بن عياش، وبقية بن الوليد، وجرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وفضيل بن عياض، والقاسم بن الريان، ومروان بن معاوية الفزاري، ومسلم بن خالد الزنجي، ومصعب بن ماهان، ووكيع بن الجراح، وأبي بكر بن عياش.

قال أبو بكر الأثرم: سمعت أبا عبد الله، -يعني أحمد بن حنبل- ذكر إبراهيم بن شماس السمرقندي، فأحسن الثناء عليه، قال: كتب إليَّ بعض أصحابنا: إنَّه أوصى بمئة ألف، يشترى بها أسرى من الترك، قال: فاشترينا بها مئتي نفس أو نحو ذا.

قال أبو عبد الله: قتلته الترك، فانظر ما ختم له به مع القتل.

وذكره مرةً أخرى فقال: **صاحب سنَّةٍ، وكانت له نكايةٍ في الترك.**

وقال أحمد بن سيار المروزي: «كان صاحب سنةٍ وجماعة، كتب العلم وجالس الناس، ورأيت إسحاق بن إبراهيم، -يعني ابن راهويه- يعظم من أمره، ويحرضنا على الكتابة عنه، وكان رجلًا ضخمًا، عظيم الهامة، حسن البضعة[1]، أحمر الرأس واللحية، حسن المجالسة، يفد على الملوك، وله حظ من الغزو وكان فارسا شجاعا، قتلته الترك، وهو جائي من ضيعته، وهو غار لم يشعر بهم، وذلك خارج من سمرقند، ولم يعرفوه».

وقتل رَحِمَهُ اللهُ يوم الاثنين. ودفن يوم الأربعاء في المحرم سنة إحدى وعشرين ومئتين.

---

(١) في تاريخ الخطيب (٦/ ١٠١): «الصفة» مصحف. قال الزمخشري في (بضع) من أساس البلاغة: «وفلان جيد البضعة إذا كان لحميا» يعني: كثير اللحم.

وقال أبو سعد الإدريسي: «كان شجاعًا بطلًا مبارزًا، وعالمًا فاضلًا عاملًا، ثقةً ثبتًا في الرواية، متعصبًا لأهل السنة، كثير الغزو»(١).

٢٢٨ إبراهيم بن عبد الحميد بن ذي حماية الرحبي

من فقهاء أهل الشام وصالحيهم، وكان على قضاء حمص، ثمَّ تحول في آخر عمره إلى الطرطوس ومات بها مرابطًا(٢).

٢٢٩ إبراهيم بن محمود بن حمزة. أبو إسحاق النيسابوري القطان المالكي الفقيه (ت ٢٩١- ٣٠٠ هـ)

رحل فتفقه بمصر على ابن عبد الحكم.

وسمع: أحمد بن منيع، وجماعة.

وعنه: حسان بن محمد الفقيه، وأبو بكر النقاش.

وكان فقيهًا، بارعًا، صوامًا، قوامًا، مجاهدًا، وكان شيخ المالكية بنيسابور.

توفي سنة ثمان وتسعين، وقيل: توفي سنة تسع وتسعين.

قال الحاكم: سمعت محمود بن محمد يقول: قال لي عمي إبراهيم: قال لي ابن عبد الحكم: ما قدم علينا خراساني أعرف بطريقة مالك منك، فإذا رجعت فادع الناس إلى رأي مالك.

قال: «**وكان عمي يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يدع الجهاد في كل ثلاثة أعوام**»(٣).

---

(١) تهذيب الكمال (٢/ ١٠٥-١٠٦).

(٢) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (١٤٣٧) (ص٢٨٧)، و«الثقات» (٦/ ١٣).

(٣) تاريخ الذهبي (٦/ ٩١٣).

٢٣٠ أحمد بن أبي بكر شهاب الدين أبو جلنك الحلبي الشاعر (ت ٧٠٠هـ)

مشهور بالعِشرة والنوادر والفضيلة.

فيه همة وشجاعة، نزل من قلعة حلب للإغارة على التتار فوقع في فرسه سهم فوقع وبقي راجلًا، وكان ضخمًا فأسروه وأُحضِر بين يدي مقدم التتار، فسأله عن عسكر المسلمين فكثَّرهم، ورفع شأنهم فضرب عنقه[1].

٢٣١ أحمد بن أبي بكر محمد ابن القدوة الكبير أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري، النيسابوري، الشهيد، أحد أئمة الحديث (ت ٣٥٣هـ)

سمع: الحسن بن سفيان، والهيثم بن خلف، وحامد بن شعيب، وأبا عمرو الخفاف، وعبد الله شيرويه، وقاسم بن الفضل الرازي، وابن خزيمة، وخلقًا كثيرًا.

وصنَّف «التفسير الكبير»، و«المستخرج على صحيح مسلم»، و«الأبواب»، وغير ذلك.

ولما سار إلى بغداد قال الحاكم: خرج بعسكرٍ كثيرٍ وأموال، واجتمع عليه ببغداد خلق كثير، قال: واستشهد بطرسوس في سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة، وله خمس وستون سنة.

روى عنه: الحاكم وغيره[2].

٢٣٢ أحمد بن أبي أحمد الطبري الشيخ الإمام أبو العباس بن القاص (ت ٣٣٥هـ)

إمام عصره، شيخ الشافعية في طبرستان، تفقه به أهلها وسكن بغداد، وصاحب

(١) الوافي بالوفيات (٦/ ١٦٨).

(٢) السير (١٦/ ٢٩).

التصانيف المشهورة، التلخيص والمفتاح وأدب القاضي والمواقيت وغيرها فى الفقه

كان إمامًا جليلًا أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج.

أقام بطبرستان، وأخذ عنه علماؤها، وأخذ عنه أبو علي الزجاجي عنه، ثمَّ **انتقل بالآخرة إلى طرسوس ليقيم على الرباط.**

قال السمعاني: هذا الوصف بالقاص هو لمن يتعاطى المواعظ والقصص.

وسمَّي بذلك لدخوله ديارِ الديلم ووعظه بها وتذكيره فسمَّى القاص؛ لأنَّه كان يقص. وقيل: وإنَّما قيل لأبيه: القاص؛ لأنَّه دخل بلاد الديلم فقصَّ على الناس ورغبهم فى الجهاد، وقادهم إلى الغزاة، ودخل بلاد الروم غازيًا، فبينا هو يقصّ لحقه وجد وغشية فمات[1].

٢٣٣ ابن النحاس: أحمد بن إبراهيم بن محمد، أبو زكريا، محيي الدين الدمشقيّ ثم الدمياطيّ (ت ٨١٤هـ)

فرضي فاضل، مجاهد، من فقهاء الشافعية. ولد في دمشق، ورحل أيام تيمورلنك، إلى مصر، فسكن (المنزلة) ولازم المرابطة والجهاد بثغر (دمياط) وقتل شهيدًا في معركة مع الفرنج، مقبلًا غير مدبرٍ، بقرب (الطينة) شرقي بحيرة المنزلة، ودفن بدمياط.

له تآليف، منها: (المغنم في الورد الأعظم) ستة وعشرون بابًا، أولها فضل القرآن وفضل المعلمين، و(مشارع الأشواق الى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام) في الجهاد. قال حاجي خليفة: «ترجمه باقي أفندي الشاعر إلى التركية». و(شرح المقامات الحريرية)

---

(١) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٥٣)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣/ ٥٩)، و«الأعلام» للزركلي (١/ ٩٠).

و(تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، وتحذير السالكين من أفعال الهالكين)[١].

٢٣٤ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)

الإمام الرباني، إمام الأئمة، ومفتي الأمة، وبحر العلوم، سيد الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، وقريع الدهر، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، علامة الزمان، وترجمان القرآن، علم الزهاد، وأوحد العباد، قامع المبتدعين، وآخر المجتهدين، الشيخ تقي الدين؛ أبو العباس، أحمد بن الشيخ الإمام شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام.

قال تلميذه أبو حفص البزار: «كان رضي الله عنه من أشجع الناس، وأقواهم قلبًا ما رأيت أحدا أثبت جأشًا منه، ولا أعظم عناءً في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لؤمة لائم.

وأخبر غير واحدٍ أنَّ الشيخ رضي الله عنه كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم أوقفهم وقطب ثباتهم إن رأى من بعضهم هلعًا أو رقة أو جبانة، شجعه وثبته وبشره ووعده بالنصر والظفر والغنيمة، وبيَّن له فضل الجهاد والمجاهدين، وإنزال الله عليهم السكينة.

وكان إذا ركب الخيل يتحنك، ويجول في العدو كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، ويكبر تكبيرًا انكى في العدو من كثير من الفتك بهم، ويخوض فيهم

---

(١)الأعلام للزركلي (١/ ٨٧)، وكلام حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٢/ ١٦٨٦)، وله كلام حول (المغنم في الورد الأعظم) (١/ ٢٦٢).

وقال الحافظ السخاوي في كتابه «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (١/ ٢٠٣)، عن كتاب «مشارع الأشواق»: «انتفع به الناس، وتنافسوا في تحصيله، وقرضه الولي العراقي، وقد اختصره مؤلفه أيضًا».

خوض رجل لا يخاف الموت، وحدثوا أنَّهم رأوا منه في فتح عكا -سنة ٦٩٠هـ- أمورًا من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها. وقالوا: لقد كان السبب في تملك المسلمين إيَّاها بفعله ومشورته وحسن نظره»[١].

وقال الإمام ابن القيم: «أنَّ الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنَّه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمرًا عجيبًا، **فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعه وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرًا عظيمًا**»[٢].

وقال تلميذه ابن عبد الهادي المقدسي رحمه الله: «وبقي الشيخ المذكور رضي الله عنه هو وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائمًا بظهوره، وجهاده ولأمة حربه يوصي الناس بالثبات، ويعدهم بالنصر، ويبشرهم بالغنيمة والفوز بإحدى الحسنيين إلى أن صدق الله وعده، وأعز جنده، وهزم التتار وحده، ونصر المؤمنين، وهزم الجمع، وولوا الدبر، وكانت كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفار هي السفلى، وقطع دابر القوم الكفار، والحمد لله رب العالمين.

ودخل جيش الإسلام المنصور إلى دمشق المحروسة، والشيخ في أصحابه شاكيًا في سلاحه داخلًا معهم عالية كلمته قائمة حجته ظاهرة، ولايته مقبولة شفاعته مجابة دعوته ملتمسة بركته مكرمًا معظمًا ذا سلطان وكلمة نافذة، وهو مع ذلك يقول للمداحين له «أنا رجل ملة لا رجل دولة!».

ولقد أخبرني حاجب من الحجاب الشاميين أمير من أمرائهم ذو دين متين وصدق

---

(١) الأعلام العلية (ص٦٣) ت: المنجد.

(٢) الوابل الصيب (ص١٣٠).

لهجة معروف في الدولة قال: قال لي الشيخ يوم اللقاء، ونحن بمرج الصفر وقد تراءى الجمعان يا فلان أوقفني موقف الموت.

قال: فسقته إلى مقابلة العدو، وهم منحدرون كالسيل تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم

ثمَّ قلت له يا سيدي! هذا موقف الموت، وهذا العدو قد أقبل تحت هذه الغبرة المنعقدة فدونك وما تريد.

قال: فرفع طرفه إلى السماء، وأشخص بصره، وحرك شفتيه طويلًا ثمَّ انبعث، وأقدم على القتال وأما أنا فخيل إلي أنَّه دعا عليهم، وأن دعاءه استجيب منه في تلك الساعة.

قال ثمَّ حال القتال بيننا والالتحام وما عدت رأيته حتى فتح الله، ونصر وانحاز التتار إلى جبل صغير عصموا نفوسهم به من سيوف المسلمين تلك الساعة، وكان آخر النهار.. الخ» انظر الخبر في الكتاب نفسه[1].

وأفتى الصُّوَّام بالإفطار في وقت لقاء العدو بوقعة شقحب في دمشق، كما قال ابن القيم في «زاده»: «أصحهما دليلًا: أنَّ لهم ذلك وهو اختيار ابن تيمية[2]، وبه أفتى

---

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٩٤-١٩٣).

(٢) قلت: شيخ الإسلام قال لمن سأله أنه يكون مسافرًا ولا يشعر بجوع أو عطش، فأيُّهما أفضل له فقال: «أما المسافر فيفطر باتفاق المسلمين، وإن لم يكن عليه مشقة، والفطر له أفضل، وإن صام جاز عند أكثر العلماء، ومنهم من يقول: لا يجزئه» (٢٥/ ١١٨).

العساكر الإسلامية لما لقوا العدو بظاهر دمشق[١] ولا ريب أنَّ الفطر لذلك أولى من الفطر لمجردِ السفر، بل إباحة الفطر للمسافر تنبيه على إباحته في هذه الحالة، فإنَّها أحق بجوازه؟».

ويذكر الحافظ ابن كثير عن أحداث (سنة سبع وتسعين وستمئة) قائلًا: «عمل الشيخ تقي الدين ابن تيمية ميعادًا في الجهاد، وحرض فيه، بالغ في أجور المجاهدين، وكان وقتًا مشهودًا وميعادًا جليلًا»[٢].

وذكر في حديثه عن قصد قازان دمشق، وذهاب شيخ الإسلام إليه لطلب الأمان، فقال: «هذا وسلطان التتار قد قصد دمشق بعد الوقعة، فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين ابن تيمية في مشهد علي، واتفقوا على المسير إلى قازان لتلقيه، وأخذ الأمان منه لأهل دمشق، فتوجهوا يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر، فاجتمعوا به عند النبك، وكلمه الشيخ تقي الدين ابن تيمية كلامًا قويًا شديدًا، فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين، ولله الحمد»[٣].

وحكى أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد عن شجاعته، وجرأته «وأنَّه قال لترجمانه: قل لقازان: أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون، وقاض، وإمام، وشيخ، على ما بلغنا، فغزوتنا، ودخلت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك هولاكو كانا كافرين، وما غزوا بلاد الإسلام، بل عاهدا فوفيا، وأنت عاهدت

(١) عن سعيد بن جبير أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ جاء إلى قوم محاصري حصن فأمرهم أن يفطروا» رواه ابن حجر في «المطالب العالية» (١٠٤٣) رجاله ثقات، إلا أنه منقطع، سعيد لم يدرك عمر، قال البوصيري (٤/ ٢٨٦): رجاله ثقات، ويشهد له ما رواه عمر مرفوعًا من الإفطار في الغزو.

(٢) البداية والنهاية (١٧/ ٧٠٤).

(٣) المصدر نفسه (١٧/ ٧١٩).

فغدرت، وقلت فما وفيت. قال: وجرت له مع قازان، وقطلوشاه، وبولاي، أمور ونوب، قام ابن تيمية فيها كلها لله، وقال الحق، ولم يخش إلا الله ﷻ.

قال: وقرب إلى الجماعة طعام فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟

فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام النَّاس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟

قال: ثمَّ إنَّ قازان طلب منه الدعاء، فقال في دعائه: اللهم إنْ كان عبدك هذا محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا، وليكون الدين كله لك - فانصره، وأيده، وملكه البلاد والعباد، وإن كان إنَّما قام رياء وسمعة، وطلبا للدنيا، ولتكون كلمته هي العليا، وليذل الإسلام وأهله، فاخذله، وزلزله، ودمره، واقطع دابره.

قال: وقازان يؤمن على دعائه، ويرفع يديه.

قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفًا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله.

قال: فلمَّا خرجنا من عنده، قال له قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري وغيره: كدت أن تهلكنا، وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا.

فقال: وأنا والله لا أصحبكم.

قال: فانطلقنا عصبة، وتأخر هو في خاصة نفسه، ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواتين والأمراء من أصحاب قازان، فأتوه يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه، قال: والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلاثمئة فارس في ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه، وأمَّا أولئك الذين أبوا أن

يصحبوه، فخرج عليهم جماعة من التتر، فشلحوهم عن آخرهم»[(١)].

وذكر عن التحضير لوقعة شقحب، ودور شيخ الإسلام، فقال: «وتوجه الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة، فاجتمع بهم في القطيفة، فأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء العدو، فأجابوا إلى ذلك، وحلفوا معهم، وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية يحلف للأمراء والناس: إنكم في هذه الكرة منصورون على التتار، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا، وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿۞ذَٰلِكَۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠﴾ [الحج: ٦٠]»[(٢)]. وثم ذكر ﷺ وقائع معركة شقحب وما يتعلق بها، فانظره.

٢٣٥ أَحْمَد بن حرب بن مُحَمَّد الطائي بن علي بن حيان بن مازن ابن الغضوبة، أَبُو علي، ويُقال: أَبُو بَكْر الموصلي (ت ٢٦٣هـ)

روى عنه: النسائي، وأحمد بن عبد الله الشعراني، وأحمد بن عبد الرحمن ابن الجارود الرقي، وأبو بكر أحمد بن محمد بن صدقة.

قال أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي صاحب «تاريخ الموصل»: «كان فاضلًا ورعًا، ورحل عن الموصل إلى ثغر أذنة رغبة في الجهاد، فأوطن هناك»[(٣)].

٢٣٦ إمام أهل السنَّة والجماعة العالم الرباني أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)

قال أبو بكر المروذي: قال لي أبو عبد الله: «خرجت إلى الثغر على قدمي، فالتقطنا، وقد رأيت قومًا يفسدون مزارع الناس، لا ينبغي لاحد أن يدخل مزرعة

---

(١) البداية والنهاية (١٧/ ١٨٢-١٨٣).

(٢) المصدر السابق (٢٣/ ٢٣).

(٣) تهذيب الكمال (١/ ٢٨٨-٢٨٩).

رجل إلا بإذنه»[١].

وقال أحمد: يشيع الرجل إذا خرج، ولا يتلقونه، شيع علي رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ولم يتلقه.

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه شيع يزيد بن أبي سفيان حين بعثه إلى الشام، ويزيد راكب وأبو بكر رضي الله عنه يمشي، فقال له يزيد: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب، وإما أن أنزل أنا فأمشي معك.

قال: لا أركب ولا تنزل، إنَّني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله.

وشيع أبو عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- أبا الحارث الصائغ ونعلاه في يديه[٢].

وحكى ابن المنذر في الأوسط عن الإمام أحمد بن حنبل، أنَّه سئل: المقام بمكة أحب إليك أم الرباط؟ قال: «الرباط أحب إليَّ».

وقال أحمد: «ليس يعدل الجهاد عندي والرباط شيء، والرباط دفع عن المسلمين؛ وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغزو، فالرباط أصل الجهاد وفرعه، والجهاد أفضل منه للعناء والتعب والمشقة»[٣].

ونقل حنبل عن أحمد قال: «إذا لم يكن للرجل حرمة فالساحل والرباط أعظم للأجر، يَردُّ عن المسلمين، والشام بلد مبارك»[٤].

وقال المروذي: قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك!

---

(١) العلل ومعرفة الرجال (١/ ٦٢).

(٢) المغني (٩/ ٢٠٣).

(٣) المغني لابن قدامة (١٣/ ١٨) ط: هجر.

(٤) فضائل الشام لابن رجب، من مجموع رسائله (٢/ ١٢١) ت: النجار.

قال: أخاف أنْ يكون هذا استدراجًا بأي شيء هذا؟

وقلت له: قدم رجل من طرسوس، فقال: كنَّا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبد الله، وكنَّا نمد المنجنيق، ونرمي عن أبي عبد الله.

ولقد رمي عنه بحجر، والعلج على الحصن متترس بدرقة، فذهب برأسه وبالدرقة.

قال: فتغير وجه أبي عبد الله، وقال: ليته لا يكون استدراجًا.

قلت: كلا[1].

قال أحمد بن سنان: «بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل يوم فتح عاصمة بابك، وظفر به، أو في فتح عمورية، فقال: هو في حل من ضربي»[2].

فائدة: ذكر السفاريني في «غذاء الألباب» «يسن أن لا يحيف على الأظفار في التقليم في الغزو والسفر؛ لأنَّه قد يحتاج إلى نحو حل حبل، قال الإمام أحمد: قال عمر رضي الله عنه: وفروا الأظفار في أرض العدو فإنه سلاح، وقال عن الحكم بن عمرو «أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نحفي الأظفار في الجهاد»[3].

وقال إسحاق بن منصور: قُلْتُ: يسافرُ يوم الجمعةِ؟

قال: ما يعجبني.

---

(١) ينظر: الزبرجد في سيرة الإمام أحمد (ص٥٥-٥٦).

(٢) السير للذهبي (١١/ ٢٥٨).

(٣) غذاء الألباب (١/ ٤٣٩).

قال إسحاق: كما قال في التجارة أو غيره[١].

ونقل أبو طالب عنه: يجوز الخروج للجهاد خاصة[٢].

٢٣٧ أحمد بن سعيد بن إبراهيم الخراساني الأشقر الرباطي، نزيل نيسابور (ت ٢٤٣هـ)

سمع: وكيعًا، وعبد الرزاق، ووهب بن جرير، وسعيد بن عامر، وإسحاق السلولي، وطبقتهم.

وعنه: الجماعة سوى ابن ماجة، وأبو العباس السراج، وابن خزيمة، وعدة.

ولاه ابن طاهر أمر الرباط. قال الخليلي في «الإرشاد»: «وسمي الرباطي؛ لأنَّه ولي أمر الغزاة في الرباط».

وقال: ثقة متفق عليه، أخرجه له مسلم في الصحيح وأكثر عنه، وابن خزيمة والسراج، وكان حافظًا متقنًا[٣].

قيل: مات سنة ثلاث وأربعين ومئتين[٤].

٢٣٨ أحمد بن شبويه الإمام القدوة شيخ وقته أبو الحسن أحمد بن محمد بن ثابت بن عثمان الخزاعي المروزي الحافظ (ت ٢٣٠هـ)

سمع: ابن المبارك، والفضل بن موسى، وسفيان بن عيينة، وطبقتهم.

روى عنه: أبو داود، وأحمد بن أبي خيثمة، وأبو زرعة الدمشقي، وآخرون وقد

---

(١) مسائل الكوسج (٥٢٢).

(٢) الروايتين والوجهين (١/ ١٨٧) كما في «الجامع لعلوم الإمام أحمد» (٦/ ٥٠٤).

(٣) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٣/ ٩٠٨).

(٤) طبقات علماء الحديث (٢/ ٢٢٠)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٩٢).

حدث عنه رفيقه يحيى بن معين.

قال عبد الله بن أحمد بن شبويه: سمعت أبي يقول: «من أراد علم القبر فعليه بالأثر، ومن أراد علم الخبر فعليه بالراي».

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني ثابت بن أحمد بن شبويه: كان يخيل إليَّ أنَّ لأبي فضيلة على أحمد بن حنبل للجهاد، وفكاك الأسرى ولزوم الثغور، فسألت أخي عبد الله فقال أحمد بن حنبل أرجح[1].

٢٣٩ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الإمام، الحافظ، الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، النسائي، صاحب (السنن) (ت ٣٠٣هـ)

سمع من: إسحاق بن راهويه، وهشام بن عمار، ومحمد بن النضر بن مساور، وسويد بن نصر، وعيسى بن حماد زغبة، وأحمد بن عبدة الضبي، وأبي الطاهر بن السرح، وأحمد بن منيع، وإسحاق بن شاهين.

جال في طلب العلم في خراسان، والحجاز، ومصر، والعراق، والجزيرة، والشام، والثغور، ثم استوطن مصر، ورحل الحفاظ إليه، ولم يبق له نظير في هذا الشأن[2].

عن محمد بن المظفر الحافظ يقول: سمعت مشايخنا بمصر يعترفون لأبي عبد الرحمن بالتقدم والإمامة، ويصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار، ومواظبته على الحج والاجتهاد، وأنه خرج إلى الفداء مع والي مصر، فوصف من شهامته وإقامته السنن المأثورة في فداء المسلمين والمشركين، واحترازه في مجالسة

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٧).

السلطان الذي خرج معه، والانبساط بالمأكول والشروب في رحله، وأنَّه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد رضي الله عنه بدمشق من جهة الخوارج[١].

٢٤٠ أحمد بن العباس بن الحسين بن عياض أبو نصر العياضي

عالم حنفي، مات شهيدًا، وحكايته أنَّ حد الإسلام يومئذٍ كانت اسبيجاب فذهب أبو نصر مع ابنه ابي أحمد وهو غلام مراهقٌ إلى الغزو فأسره الكفار وقتلوه[٢].

٢٤١ أحمد بن عبد الله بن حيون: من أهل قرطبة، يكنى: أبا الوليد (ت ٣٩٨هـ)

روى عن: أبي عمر أحمد بن ثابت التغلبي، وأبي بكر بن القوطية وغيرهما. حدث عنه أبو بكر محمد بن موسى الغراب البطليوسي.

أحمد بن هشام بن أمية بن بكير الأموي: من أهل قرطبة، يكنى: أبا عمر.

روى عنه: الخولاني وقالا: «كان فاضلًا من أهل القرآن والعلم مع الصلاح والفهم».

لقي جماعة من الشيوخ المتقدمين المسندين منهم: أبو محمد قاسم بن أصبغ، ووهب بن مسرة وأبو عبد الملك بن أبي دليم، ومحمد بن عيسى بن رفاعة، وأبو بكر الدينوري، ورحل إلى المشرق وصحب هناك أبا محمد بن أسدٍ، وأبا جعفر بن عون الله، وأبا عبد الله بن مفرج.

وانصرف إلى الأندلس والتزم الإمامة والتأديب، وانتدب لأعمال البر والجهاد

---

(١) تذهيب تهذيب الكمال (١/ ١٤٩-١٥٠)، وذكره بذلك السيوطي في «ما رواه الأساطين في عدم المجيء للسلاطين (ص٦٦-٦٧)، وعزاه لابن عدي.

(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص٢٣).

والرباط في الثغور كثيرًا.

وكان مع هذا مستوطنًا بقرية اختبانة من عمل قبرة ويأتينا إلى قرطبة، توجهنا إليه في العشر الآخر من ذي الحجة سنة ستٍ وتسعين وثلاث مئة في جماعة فيهم عمي أبو بكر، وأبو الوليد بن الفرضي وابنه مصعب وأنا في جملتهم وبقينا عنده نحو ثمانية أيام، وسمعنا عليه كثيرًا من روايته.

قال الحميدي: توفي سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة[1].

٢٤٢ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، الصالحي، قاضي القضاة، شيخ الإسلام، شمس الدين أبي محمد، ابن الشيخ أبي عمر (ت ٦٨٩هـ)[2]

سمع الحديث ولم يبلغ أوان الرواية، وتفقه على والده، وولي القضاء في حياة والده بإشارته.

وقال اليونيني: «كانت له الخطابة بالجامع المظفري[3]، والإمامة بحلقة الحنابلة بجامع دمشق، ونظر أوقاف الحنابلة. وكان مشكور السيرة في ولايته، وعنده معرفة بالأحكام، وفقه نفيس، وله مشاركة في كثير من العلوم من غير استقلال، وكان يركب الخيل، ويلبس السلاح، ويحضر الغزوات. وحج مرارًا.

---

(١) الصلة لابن بشكوال (ص١٩).

(٢) نعم الولد! ونعم الوالد! ونعم العائلة! كلهم في العلم والجهاد.

(٣) قلت: ويعرف هذا الجامع بجامع الحنابلة وهو في صالحية دمشق الشام، وكنت أتردد إليه في إقامتي هناك، وسمعت فيه بالأسانيد المتصلة «الشمائل» للترمذي، و«إرشاد طلاب الحقائق» للنووي، و«بلوغ المرام» لابن حجر، وغيرها بحمد الله وتوفيقه، ولي فيه ذكريات ومواقف، وأخبرني من أثق به أن هذا الجامع كان مقر دروس الحنابلة من المقادسة، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وغيرهم.

وشهد فتح طرابلس مع السلطانِ الملك المنصور. وكان شابًا مليحًا مهيبًا، تام الشكل، ليس له من اللحية إلا شعيراتٍ يسيرة، وكان مليحَ السيرة، ذكيًا مليح الدروس، له قدرة على الحفظ، ومشاركة جيدة في العلوم، وله شعرٌ جيد»[(١)].

٢٤٣ أحمد بن محمد بن يحيى بن المبارك اليزيدي العدوي أبو جعفر النحوي هو وأبوه وجده، مات قبيل سنة (٢٦٠هـ)

قال الزبيدي: هو أمثل أهل بيته في العلم، كان راَوية، شاعرًا متفننًا في العلوم.

وقال ابن عساكر: كان من ندماء المأمون، وقدم دمشق، وتوجه غازيًا للروم.

سمع جده أبا زيد الأنصاري.

وكان مقرئًا.

روى عنه: أخواه عبيد الله والفضل[(٢)].

٢٤٤ أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي (ت ٢٧٥هـ)

نزيل بغداد، وصاحب الإمام أحمد، وكان والده خوارزميًا، وأمه مروذية.

الإمام، القدوة، الفقيه، المحدث شيخ الإسلام، ولد: في حدود المائتين.

وحدث عن: أحمد بن حنبل، ولازمه، وكان أجل أصحابه.

قال الخلال: خرج أبو بكر إلى الغزو فشيعوه إلى سامراء، فجعل يردهم فلا يرجعون.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٢) بغية الوعاة (١/ ٣٨٦)، و«معجم الأدباء» (١/ ٤٣٤).

قال: فحزروا فإذا هم بسامراء، سوى من رجع، نحو خمسين ألفا، فقيل له: يا أبا بكر؛ احمد الله فهذا عَلَمٌ قد نشر لك.

فبكى، وقال: ليس هذا العَلَم لي، إنَّما هو لأبي عبد الله أحمد.

وفي رواية: وإنَّما هذا عَلَم أحمد بن حنبل.

وكان يقول: «قليل التقوى يهزم كثير الجيوش»[١].

٢٤٥ أحمد بن هارون بن أحمد بن جعفر بن عات، النفزي، الشاطبي (ت ٦٠٩هـ)

قال المنذري: كان شيخنا ابن المفضل يذكره بكثرة الحفظ، والميل إلى تحصيل المعارف.

وقال الأبار: كان أحد الحفاظ، يسرد المتون، ويحفظ الأسانيد عن ظهر قلب، لا يخل منها شيء، موصوفًا بالدرايةِ والروايةِ، يغلب عليه الورع والزهد؛ على منهاج السلف؛ يأكل الجشب، ويلبس الخشن، وربما أذن في المساجد، له تواليف دالة على سعة حفظه، مع حظ من النظم والنثر، حدثونا عنه، وأجاز لي مروياته، توجه غازيا فشهد وقعة العقاب التي أفضت إلى خراب الأندلس بالدائرة على المسلمين فيها؛ فعدم -رحمه الله- في صفر سنة تسع وست مئة[٢].

٢٤٦ أبو إسحاق السوريني إبراهيم بن نصر، المطوعي النيسابوري الفقيه الحافظ (ت ٢١٠ أو ٢١٣هـ)

ولد بنيسابور، رحل وجمع المسند، ومات قبل الكهولة.

---

(١) منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد (ص٢٥١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٧٣-١٧٤).

(٢) طبقات علماء الحديث (٤/ ١٦٨-١٦٩)، وأشار محققه إلى «الذخيرة السنية» (٤١، ٤٨) و«نفح الطيب» (٤/ ٣٨٣).

لقي في الرحلة والمقام عبد الله بن المبارك، وجرير بن عبد الحميد، وأبا بكر بن عياش، وجماعة أمثالهم.

روى عنه: أبو زرعة، وأبو حاتم، وأحمد بن يوسف السلمي.

قدم الري مجاهدًا أيام بابك، وكان أبو زرعة يقدمه في حفظ المسند.

قتل في سبيل الله في وقعة بابك الخرمي التي بالدينور، وكان مقدم المسلمين محمد بن حميد الطوسي، وذلك في سنة عشر، وقيل: سنة ثلاث عشر ومائتين(١).

٢٤٧ إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني (ت ٢٦٤هـ)

الإمام، العلامة، فقيه الملة، علم الزهاد، أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم، المزني، المصري، تلميذ الشافعي.

حدث عن: الشافعي، وعن علي بن معبد بن شداد، ونعيم بن حماد، وغيرهم.

وهو قليل الرواية، ولكنَّه كان رأسًا في الفقه.

حدث عنه: إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة، وأبو الحسن بن جوصا، وأبو بكر بن زياد النيسابوري، وأبو جعفر الطحاوي، وأبو نعيم بن عدي، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبو الفوارس بن الصابوني، وخلق كثير من المشارقة والمغاربة.

قال عمرو بن تميم المكي: سمعت محمد بن إسماعيل الترمذي قال: سمعت المزني يقول: لا يصح لأحد توحيد حتى يعلم أنَّ الله -تعالى- على العرش بصفاته.

قلت له: مثل أي شيء؟ قال: سميع، بصير، عليم.

وكان إذا فاتته صلاة الجماعة صلى تلك الصلاة خمسًا وعشرين مرة، وكان

---

(١) تاريخ الإسلام (٥/ ٢٦٦)، و«طبقات علماء الحديث» (٢/ ٥٨-٥٩).

يغسل الموتى تعبدًا واحتسابًا، وهو القائل: تعانيت غسل الموتى ليرق قلبي، فصار لي عادة، وهو الذي غسل الشافعي رحمه الله.

قال أبو سعيد بن يونس: «ثقة، كان يلزم الرباط».

قال الشافعي: «المزني ناصر مذهبي»[١].

توفي: في رمضان، لست بقين منه، سنة أربع وستين ومائتين، وله تسع وثمانون سنة[٢].

٢٤٨ الأَغْلَب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة (ت ١٩هـ)، من بني عجل بن لجيم، من ربيعة: شاعر راجز معمر

أدرك الجاهلية والإسلام وتوجه مع سعد بن أبي وقاص غازيًا فنزل الكوفة، واستشهد في واقعة نهاوند. وهو أول من أطال الرجز.

قال الآمدي: «هو أرجز الرجاز، وأرصنهم كلامًا، وأصحهم معاني».

وقال البكري في «شرح نوادر القالي»: «الأغلب العجليّ آخر من عمر في الجاهلية عمرًا طويلًا»[٣].

٢٤٩ بديع الزمان النورسي (ت ١٣٧٩هـ)

العالم الكردي، تعود نسبته إلى قرية نورس جنوب شرقي تركيا، درس في الكتَّاب، ثمَّ انتقل من قرية إلى آخرى، واستوعب كثيرًا من الكتب دراسة وحفظًا.

في سنة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م) ذهب إلى بلدة (وان) ليدرس فيها كتب الرياضيات،

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٢١٧)، و«طبقات الشافعي» (٢/ ٩٤).

(٢) السير (١٢/ ٤٩٢-٤٩٥).

(٣) الأعلام (١/ ٣٣٥)، وعزاه محققه: لـ«خزانة الأدب» (١/ ٣٣٣)، و«المؤتلف والمختلف» (٢٢).

والفلك والكيمياء والفيزياء والجولوجيا، والفلسفة، والتاريخ، وتضلع من العلوم حتى لقب (ببديع الزمان) واعترف له العلماء بالتقدم والذكاء والمعرفة.

ذهب إلى إستانبول سنة (١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧م) ليقدم مشروعًا للسلطان عبد الحميد ﷺ لإنشاء جامعة إسلاميَّة في شرقي الأناضول على غرار الأزهر في مصر، لكن هذا المشروع لم ير النور لجملة من الأسباب.

وفي سنة (١٣٢٩ هـ/ ١٩١١م) سافر إلى الشام، وخطب في الجامع الأموي خطبته المشهورة بالخطبة الشاميَّة، حلل فيها أسباب الداء الذي سرى في جسد الأمة الإسلامية.

شارك في الجهاد في جبهة القفقاس في الحرب العالمية الأولى، وأسره الروس سنتين وأربعة أشهر، وأفلت من الأسر أثناء فوضى الثورة الشيوعية البلشفية سنة (١٩١٧م)، وعاد إلى بلاده فاستقبل استقبال الأبطال من الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية، ومنح وسام الحرب.

ولما تولى مصطفى كمال أتاتورك إلغاء الخلافة العثمانية، نفي الشيخ إلى مناطق مختلفة، ثم نفي إلى بارلا، وهي منطقة نائية، وجرت له عدَّة محاكمات أظهر فيها صنوفًا من الثبات واليقين.

عكف في منفاه على كتاب الله يستمد منه المعالم الأساسية للمنهج الذي ارتضاه في حياته، ويستمد منه الثبات والقوة واليقين، وفي أثناء هذه القراءة المطولة انقدحت في ذهنهِ معانٍ كثيرة جليلة سطرها في (١٣٠ رسالة) عرفت باسم رسائل النور، وكان يمليها على من يرافقه ثم استنسخها طلابه بخط يديه إلى أن بلغ المستنسخ ستمئة ألف نسخة!

توفي رحمه الله في (٢٥ رمضان ١٣٧٩هـ)، ودفن في مدينة أورفة، وبعد ٤ أشهر من وفاته نبشت السطات قبره ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة حتى الآن[١].

٢٥٠ بقي بن مخلد إمام الأندلس ومحدثها (ت ٢٧٦هـ)

وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل، وجاريًا في مضمار أبي عبد الله البخاري، وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، وأبي عبد الرحمن النسائي رحمهم الله.

قال أحمد بن أبي خيثمة: «ما كنَّا نسميه إلا المكنسة، وهل يحتاج بلد فيه بقي أن يأتي منه إلينا أحد»[٢].

كان مجابَ الدَّعوة.

وقيل: «إنَّه كان يختم القرآن كل ليلةٍ في ثلاث عشرة ركعة، ويسرد الصوم، وحضر سبعين غزْوة»[٣].

وذكر الذهبي «بإنَّه كان كثير الجهاد، فاضلًا، يذكر عنه أنَّه رابط اثنتين وسبعين غزوة»[٤].

قصة: جاءت امرأة إلى بقي بن مخلد فقالت له: إنَّ ابني قد أسره الروم ولا أقدر على مال أكثر من دويرة، ولا أقدر على بيعها فلو أشرت إلى من يفديه بشيء فإنَّه ليس لي ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار فقال: نعم انصرفي حتى أنظر في أمره إن شاء

---

(١) انظر: الصفات التي انضجت دعوة النورسي وفكره (ص٦-٨)، مع ما انتقد عليه الشطحات والمخالفات التي وقع بها، وانظر: (اللطائف والظرائف فيما لأيا صوفيا من الوظائف) (١/ ٤٤٧) ط: دار اللؤلؤة.

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٠).

(٣) طبقات علماء الحديث (٢/ ٣٣٦).

(٤) السير للذهبي (١٣/ ٢٩٢).

الله.

قال: وأطرق الشيخ وحرك شفتيه، قال: فلبثنا مدة فجاءت المرأة وأبنها معها وأخذت تدعو له وتقول: قد رجع سالمًا، وله حديث يحدثك به فقال الشاب: كنت في يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم فيخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردنا وعلينا قيودنا، فبينما نحن نجيء من العمل مع صاحبه الذي كان يحفظنا فانفتح القيد من رجلي ووقع على الأرض ووصف اليوم والساعة فوافق والوقت الذي جاءت المرأة، ودعا الشيخ، فنهض الذي كان يحفظني وصاح علي وقال: كسرت القيد فقلت: لا إلا أنه سقط من رجلي، قال: وأخبر صاحبه فأحضر الحداد وقيدوني فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلي، فتحيروا في أمري فدعوا هناك رهبانهم فقالوا لي: ألك والدة قلت نعم: فقالوا: وافي دعاؤها الإجابة.

وقالوا: أطلقك الله فلا يمكننا تقييدك فزودوني وأصحبوني إلى ناحية المسلمين[1].

٢٥١ بدر الدين الحسني (ت ١٣٥٤هـ)

محمد بن يوسف بدر الدين، العلامة المحدث، أصله من مراكش، ولد في دمشق، وحفظ الصحيحين.

وكان ورعًا صوّامًا بعيدًا عن الدنيا، ارتفعت مكانته عند الحكام وأهل الشام، حتى أن بعض العامة من أهل دمشق حين اشتد بغي (الاتحاديين) من رجال الترك، في خلال الحرب العامة الأولى، عرضوا عليه البيعة بالخلافة، والثورة معه، فزجرهم،

---
(١) بغية الملتمس (ص٢٤٧).

وزاد في انزوائه واعتكافه، وكان يأبى الإفتاء ولا يرغب في التصنيف[١].

يقول الشيخ علي الطنطاوي: «كان كالشيخ بدر الدين الحسني، يبلغ بصَمْته أحيانًا ما لا تبلغ ألسنة الأَبْيِناء من الخطباء والبلغاء من الكتّاب»[٢].

وقال: «الشيخ بدر الدين الحسني كان شيخ العلماء وكان يُدعى المحدّث الأكبر، كتبت عنه في «الرسالة» حين وفاته (سنة ١٩٣٥) وكتبت عنه بعد ذلك (في مجلة رابطة العالَم الإسلامي سنة ١٩٦٥)، فلن أفيض الآن في الكلام عنه، لكن أقول: إن دنياه كلها كانت داره والجامع الأموي ودار الحديث التي انتهت إليه مشيختها، وما كان من أصحاب الحركة والتجوال. فلما قام الشيخ علي الدقر والشيخ هاشم الخطيب بما دُعي بنهضة المشايخ، ورأى إقبال الناس عليهما وانتفاعهم بهما، لا سيما أهل حوران والبلقاء (في شرقي الأردن) سرّه ذلك منهما وشجّعهما، فسألاه أن يجول معهما في مدن سوريا يعظون الناس، يدلّون على الله، يأمرون بالمعروف، ينهون عن المنكر. فمشى معهم، وكانوا إذا شارفوا البلد خرج الناس لاستقبالهم وساروا وراءهم، فيبدؤون بالمسجد فيعظون ويعلّمون ويحثّون على الجهاد، يبيّنون أحكامه وحالات وجوبه.

وكانت هذه الجولة هي الشرارة التي أشعلت الثورة. لا أقول هذا من عندي ولا نقلًا عن الثقات العارفين من مشايخي وصحبي، كلهم يعرف هذا ويعرفه كل من أدرك تلك الأيام، ولكن أنقله عن تقرير رسمي لمندوب المفوّض السامي الفرنسي، نشرته جريدة «الأحرار» في بيروت العدد ٦٧٨ الصادر في الثاني من شعبان سنة

---

(١) الأعلام للزركلي (٧/ ١٥٧-١٥٨).

(٢) الذكريات (١/ ٢٥٤).

١٣٥٤ هجرية»[١].

٢٥٢ برد بن سنان

شيخ من أهل مرو من أصحاب عبد الله بن المبارك، خرج من مرو إلى سمرقند والشاش فمات بها غازيًا.

روى عن ابن المبارك كتبه، قاله أبو سعيد الإدريسي في «تاريخ سمرقند»[٢].

٢٥٣ أبو الترك السلمي

كان من أهل العلم والحديث والجهاد في سبيل الله بطرسوس، ذكره القاضي أبو عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي في كتاب «سير الثغور»، وأثنى عليه ثناءً حسنًا.

قرأت بخط أبي عمرو الطرسوسي، وذكر سكك طرسوس فقال: ثم تذهب لوجهك فتجد عن يمينك كنيسة أبي سليم فرج الخادم، وهي دار كبيرة، تشتمل على دور كبيرة، يسكنها مواليه، فيها ديوانه وعاملهم وكاتبهم، ورئيسهم، وخزائن أسلحتهم وعددهم، وهذا الوقف أزجى وقوف طرسوس وأكثرها مالًا، وأوفره وأكثره موالي صالحين مجاهدين متسكين، قد عرفت منهم الأكثر، وعرفت منهم رجلًا نبيلًا فارسًا من أهل العلم والحديث، ذا صباحة ووضاءة ومنظر حسن، يعرف بأبي الترك السلمي، ما ركب قط إلى نفير في صيف ولا شتاء، قرب النفير أم بعد مداه، صدق خبره أم كذب إلا لبس لأمته وسترها بدراعة، فسألته عن السبب في ذلك، فذكر أنَّه نودي في بعض الأزمنة بالنفير إلى باب قلمية فبادر مسرعًا، وكذلك كان رسم النجباء المتحركين في الجهاد، المسارعة إلى النفير، فلقي العدو بمكان

---

(١) الذكريات (١/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٢) إكمال التهذيب (٢/ ٣٦٩).

قريب من البلد، وكان السلطان حينئذٍ في الغزو، فباشر القتال، وأعانه من المسلمين قوم آخرون فظفرهم الله بمن ورد، ونصرهم وعادوا الى طرسوس سالمين غانمين فعقد بينه وبين الله ﷻ، لا ركب بعدها إلى جهاد ولا نفير إلّا بعد أن يتأهب أهبة الحرب، كما يتأهب من يبارز عدوه في مصافه وأوقات حذره وخوفه[1].

٢٥٤ حامد بن أحمد بن محمد بن أحمد المروزي المشهور بالزيدي؛ لاعتنائه بحديث زيد بن أبي أنيسة (ت ٣٢٨ أو ت٣٢٩هـ)

استوطن طرسوس مرابطًا.

روى عنه: محمد بن إسماعيل الوراق والدارقطني وابن الثلاج وابن جميع الغساني؛ وقد انتقى على خيثمة الأطرابلسي وغيره، مات في الكهولة.

قال الخطيب: كان ثقة مذكورًا بالفهم، موصوفًا بالحفظ[2].

٢٥٥ حبان بن موسى بن سوار أبو محمد السلمي المروزي الكشميهني (ت ٢٣١ أو ٢٣٢ أو ٢٣٣هـ)

روى عنه: البخاري ثلاثة وعشرين حديثًا، ومسلمٌ حديثين.

قال ابن السمعاني: كان ثقة، وتوفي مرابطًا.

وقال ابن قانع: صاحب ابن المبارك.

وقال الصدفي: ثنا إسحاق ثنا محمد بن علي، ثنا حبان بن موسى ثقة.

---

(١) بغية الطلب لابن العديم (١٠/ ٤٣٦٩)

(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٨).

وكتب عنه الإمام أحمد بن حنبل[١].

٢٥٦ الحَجَّاج بن حميد النَّضْري (ت ١١٠هـ)

شجاع، من المقدمين في العصر المرواني. قتله الترك على أبواب كمرجة (من بلاد خراسان) وكان مرابطًا فيها فأسروه، ولمَّا عجزوا عن دخولها قتلوه صبرًا. وقيل: ورموا برأس الحجاج، وكان عند المسلمين مائتان من أولاد المشركين رهائن، فقتلوهم واستماتوا، واشتد القتال بينهم[٢].

٢٥٧ أبو الحسن الصقلي الجزيري

قال ربيع القطان: قال لنا أبو الحسن: يا أبا سليمان كان عندنا رجل فاضل من المتعبدين المشتغلين بالذكر والكدّ اسمه مفرج أبو عبد السلام، فلم يزل على ذكره واجتهاده حتى حضرت غزاة، فخرج معها جماعة من الجياد وخرج مفرج أيضًا -وكان بلدنا إذ ذاك الوقت بلد جياد لم تواقعهم فتنة- فتلاقى العدو والإسلام وقتل من المسلمين خلق عظيم وأصيب فيما ظننت أبو عبد السلام مفرج -قال مفرج: فرأيت والله سلالم منصوبة من الأرض إلى السماء تنزل عليها جوار ما رأيت قط مثلهنّ وبيد كل واحدة منهن منديل أخضر، فنزلت كلّ واحدة منهنّ على صاحبها من الشهداء فأخذت رأسه وجعلته في حجرها ومسحت من دمه بذلك المنديل ثم رفعته أو ارتفعت- قال أبو الحسن (أحدهما) -قال لنا مفرج: فلما نزلت صاحبتي لم تجدني ميتا فانصرفت مستخزية وهي تقول: وا شؤم بختي واعاري عند صواحباتي ثم انصرفت قال مفرّج: وكان ذلك منّي في اليقظة ولا أزال أبكي وا

---

(١) إكمال التهذيب (٣/ ٣٤٨).

(٢) الأعلام (٢/ ١٦٨)، و«الكامل» لابن الأثير (٤/ ١٩٢).

إخوتاه حتى ألحق بها[١].

٢٥٨ حسن بن محمد بن أيوب القاهري الشافعي، ويعرف بالشريف النسابة (ت ٨٦٦هـ)

دخل حماة وأخذ بها عن ابن خطيب المنصورية، وحلب، وزار بيت المقدس والخليل.

ودخل ثغر اسكندرية، ثمَّ لزم الإقامة في بلده مقتصرًا على الاقراء وشرح الإبريز فيما يقدم على مؤن التجهيز لابن العماد.

حصلت له في عينيه رطوبة لم يكن يستطيع معها المطالعة؛ بل ولا الكتابة إلا نادرًا بتكلف، ثمَّ لم يزل يتزايد حتى أشرف على العمى، وجاز هذه المرتبة العظمى وهو صابر شاكر، وكان فقيهًا فاضلًا، دينًا متواضعًا، سليم الصدر، نير الشيبة، حسن الأبهة، كثير التودد للخاص والعام، محبًا في العلم ومذاكرته، وإثارته الفوائد فيه، راغبا في الاشغال ونفع الطلبة وترغيبهم في الاشتغال، لا تكاد مجالسته تخلو من فوائد ونوادر[٢].

٢٥٩ حسين بن محمد بن فِيرُّه بن حيون بن سكرة الصَّدفي، أبو علي: قاض، محدّث، كثير الرواية، من أهل سرقسطة (ت ٥١٤ هـ)

رحل إلى المشرق رحلة واسعة، ودخل العراق، وأقام ببغداد خمس سنين، واستقر بمرسية. واستقضي بها، ثم استعفى وخرج منها فارًا إلى المرية، فأقام بها،

(١) طبقات علماء القيروان (٢/ ٢٠٣-٢٠٥).

(٢) الضوء اللامع للسخاوي (٣/ ١٢٢).

وقبل قضاءها على كره. ولما كانت وقعة قتندة، بثغر الأندلس، شهدها غازيًا، واستشهد فيها[1].

٢٦٠ الفقيه أبو علي الحسين بن رواحة

الحسين بن عبد الله بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله. سمع الحديث من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر ومن عمه وآخرين.

وكان غزير الفضل، قد أكمل الشجاعة والرجاحة، وهو شاعر مفلق، وفقيه محقق، من ولد عبد الله بن رواحة الصحابي الأنصاري في الشهادة والشعر[2]، معرق؛ فطرفه الأعلى يوم مؤتة مع جعفر الطيار، وطرفه الأقرب يوم عكا في لقاء الكفار.

رحل إلى مصر فسمع بها وبالإسكندرية، ثمَّ عاد إلى دمشق فشهد واقعة مرج عكا فقتل فيها شهيدًا يوم الأربعاء من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمئة، وله من قصيدة مهنئا بها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب بعيد النحر سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة وكان السلطان مخيمًا بمرج فاقوس[3].

٢٦١ الحسين بن علي بن محمد بن يحيى أبو أحمد التميمي النيسابوري يقال له: «حسينك»، ويعرف بـ«ابن منينة» (ت٣٧٥هـ)

تربى في حجر الإمام ابن خزيمة، وكان يقدمه على أولاده.

---

(١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (٦٥٥) (ص٢٦٩)، و«الأعلام» (٢/ ٢٥٥).

(٢) نفى الأستاذ سهيل زكار أن يكون من أولاد ابن رواحة الصحابي ﷺ، انظر: «الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية» (١٩/ ٨٦٩٤).

(٣) الروضتين (٤/ ٩٧)، و«معجم الأدباء» (٣/ ١٠٨٧).

قال الحاكم: «صحبته حضرًا وسفرًا نحو ثلاثين سنة، فما رأيته يترك قيام الليل، ويقرأ كل ليلة سبعًا».

سمع: من عبد الله بن محمد، وأبي عوانة الإسفراييني، وغيرهما.

وكانت صدقاته دارَّةً سرًا وعلانية، خرج مرة عشرة أنفس إلى الغزاة بآلتهم بدلًا عن نفسه، ورابط غير مرة.

قال الخطيب: «كان حجة ثقة»[1].

وهذا الإمام الجليل أبو القاسم الرافعي (ت ٦٢٣هـ) صاحب الشرح الكبير المسمى بـ (العزيز) يذكر أنَّ خوارزم شاه غزا الكرج بتفليس سنة ثلاث وعشرين وستمائة[2]، وقتل فيهم بنفسهِ حتى جمد الدم على يده، فلمَّا مرَّ بقزوين خرج إليه الرافعي، فلمَّا دخل إليه أكرمه إكرامًا عظيمًا، فقال له الرافعي: سمعت أنَّك قاتلت الكفار حتى جمد الدم على يدك فأحب أن تخرج إليَّ يدك لأقبلها.

فقال له السلطان: بل أنا أحب أن أقبل يدك.

فقبَّل السلطان يده وتحادثا، ثمَّ خرج الشيخ وركب دابته[3].

٢٦٢ الحسين بن الوليد القرشي، مولاهم أبو علي، ويقال: أبو عبد الله، الفقيه النيسابوري، ولقبه كميل (ت ٢٠٢ وقيل ٢٠٣هـ)

---

(١) الوافي بالوفيات (١٣/ ١٣).

(٢) وهي عاصمة جورجيا اليوم.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٨٤).

روى عن: إبراهيم بن أدهم، وإبراهيم بن سعد، وإبراهيم بن طهمان، وإسرائيل بن يونس، وإسماعيل بن عياش، والبراء بن عبد الله الغنوي، وأبي العطوف الجراح بن المنهال الجزري، وجرير بن حازم، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وخالد بن عبد الرحمن السلمي، وزائدة بن قدامة، وسعيد بن عبد العزيز، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن أرقم، وشعبة بن الحجاج.

قال محمد بن عبد الوهاب: كان الحسين بن الوليد يطعم أصحاب الحديث الفالوذج، وكان يجري عليهم، وكان سخيًا، وكان يقول: «من تعشى عندي فقد أكرمني»، ثم إذا خرج يدفع إليهم الصرة[1].

روى له داود في كتاب «المسائل»، والنسائي.

قال الحاكم أبو عبد الله في «التاريخ»[2]: حسين بن الوليد أبو عبد الله القرشي الفقيه الثقة المأمون، شيخ بلدنا في عصره، وكان من أسخى الناس وأورعهم وأقرئهم للقرآن، قرأ على الكسائي وعيسى بن طهمان، وكان يغزو الترك في كل ثلاث سنين، ويحج كل خمس سنين.

وقال الخطيب: قدم بغداد وحدث بها، وكان ثقةً فقيهًا قارئًا للقرآن، قرأ على علي بن حمزة الكسائي، وكان سخيًا جوادًا، وكان يغزو الترك في كل ثلاث سنين، ويحج في كل خمس سنين[3].

٢٦٣ الحكم بن المطلب بن عبد الله بن حنطب (ت ١٢١-١٣٠هـ)

(١) تهذيب الكمال (٦/ ٤٩٨)، و«مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٧/ ١٨٠).

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ١٤٤).

(٣) تهذيب الكمال (٦/ ٤٩٥-٥٠٠).

روى عنه: أخوه عبد العزيز، ومُحمد بن عبد الله الشعيثي وسعيد بن عبد العزيز الدمشقي، وجماعة.

قال الزبير بن بكار: كان من سادة قريش ووجوهها، وكان ممدحًا.

قال: وقال لي عمي مصعب: كان الحكم من أبر النَّاسِ بأبيه، وولاه بعض ولاة المدينة على المساعي، ثمَّ ترك ذلك وتزهد ولحق بمنبج مرابطًا إلى أن مات بها.

سَألا عَنِ الجودِ وَالمَعروفِ أَينَ فَقُلتُ إِنَّهُما ماتا مَعَ الحَكَمِ
ماتا مَعَ الرَجُلِ الموفي بِذِمَّتِهِ يَومَ الحِفاظِ إِذا لم يوفَ بالذِمَمِ
ماذا بِمَنبِجَ لَو تُنبَش مَقابِرُها مِنَ التَهَدُّمِ بِالمَعروفِ وَالكَرمِ[1]

٢٦٤ خالد بن عبد الله بن باقل الحضرميّ

حدّث عنه زياد بن يونس الحضرميّ، وكان يرابط ببرقة، وكان رجلًا صالحًا، ذكره المقريزي في «المقفى الكبير»[2].

٢٦٥ خلف بن سعيد المنبي (ت ٣٠٥هـ)

ينسب إلى «منية» بقرطبة محدث، سمع من إبراهيم بن محمد بن باز، ومحمد بن وضاح، وكان فاضلًا، كثير التلاوة للقرآن، ويحكى أنَّه كان يختم القرآن في كل ليلة، مات بالأندلس شهيدًا سنة خمس وثلاثمئة[3].

٢٦٦ خلف بن محمد بن جرير السّرتي اليحصبي (ت ٣١٩هـ)

سمع من أبي بكر محمد بن زبّان الحضرمي، وسمع بالقيروان من عبد الجبّار بن

---

(١) لسان الميزان لابن حجر (٣/ ٢٥٥)، و«مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٧/ ٢٢٧).

(٢) (٣/ ٤١٥).

(٣) بغية الملتمس (ص٢٨٣-٢٨٤).

خالد صاحب سحنون، وكان يقوم كل ليلة دائمًا بسدس القرآن فإذا كان شهر رمضان صلّى بالناس الأشفاع في مسجده، ثمَّ ينصرف النَّاس بعد فراغه فيلقي بنفسه في ثيابه فيأخذ راحة ثمَّ يقوم فيبتدئ من أول القرآن، فإذا كان وقت السحور أقام أصحابه وقد بلغ سورة الملك فيتقدم فيصلي بهم تمام الختمة ويدعو هكذا كان دأبه حتى خرج إلى مصر.

وكان يحسن الفروسية، مولعًا بشراء الخيل، ويخرج إلى الرباط بها للحرس على المسلمين والسياحة على البحر.

وكان ربما خرج من سوسة هو وأبو جعفر أحمد بن سعدون الأربسي وأبو بكر بن أبي عقبة فيقفوا صفًّا واحدًا كأن العدو بين أيديهم ويجرون خيلهم في ذلك الموضع حتى تطلع الشمس رحمهم الله[1].

٢٦٧ الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي الفراهيدي البصري، صاحب العربية والعروض، أحد الأعلام (ت ١٧٠هـ)

كان خيِّرًا متواضعًا ذا زهد وعفاف، يقال: أنَّه دعا بمكة أن يرزقه الله علمًا لم يسبق إليه، فرجع إلى البصرة وقد فتح عليه بالعروض فوضعه، فهو أوَّل من وضعه، وصنَّف كتاب العين في «اللغة».

من قوله: «ثلاثة أشياء ينسين المصائب: مرُّ الليالي، والمرأة الحسناء، ومحادثة الرجال».

قال علي بن نصر الجهضمي: «رأيت الخليل بن أحمد في النوم فقلت له ما صنع

(١) طبقات علماء القيروان (٢/ ١٩٥-١٩٦).

الله بك؟ فقال: أرأيت ما كنَّا فيه لم يكن شيئا!، وما وجدت أفضل من: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر».

قال الصفدي عنه: «كان الخليل يحج سنة، ويغزو سنة حتى مات»[1].

٢٦٨ خيثمة بن سليمان (ت ٣٤٣هـ)

الإمام الثقة المعمر، محدث الشام، أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي، مصنف (فضائل الصحابة)، كان رحالًا جوالًا صاحب حديث.

قال ابن أبي كامل: سمعت خيثمة بن سليمان يقول: ركبت البحر، وقصدت جبلة لأسمع من يوسف بن بحر، ثمَّ خرجت إلى أنطاكية، فلقينا مركب -يعني: للعدو-، قال: فقاتلناهم، ثمَّ سلم مركبنا قوم من مقدمه.

قال: فأخذوني، ثمَّ ضربوني، وكتبوا أسماءنا، فقالوا: ما اسمك؟

قلت: خيثمة.

فقالوا: اكتب حمار بن حمار.

ولما ضربت سكرت ونمت، فرأيت كأني أنظر إلى الجنة، وعلى بابها جماعة من الحور العين، فقالت إحداهنَّ: يا شقي، أيش فاتك؟

فقالت أخرى: أيش فاته؟

قالت: لو قتل لكان في الجنة مع الحور.

---

(١) الوافي بالوفيات (١٣/ ٢٤١-٢٤٢).

قالت لها: لأنْ يرزقه الله الشهادة في عز من الإسلام، وذل من الشرك؛ خير له.

ثمَّ انتبهت قال: ورأيت كأن من يقول لي: اقرأ براءة فقرأت إلى ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ [التوبة:٢]

قال: فعددت من ليلة الرؤيا أربعة أشهر ففك الله أسري[١].

٢٦٩ ربيع أبو سليمان بن سليمان بن عطاء الله القرشي النوفلي (ت ٣٣٤هـ)

كان حافظًا لكتاب الله ﷻ، قارئًا له بالروايات، عالمًا بتفسيره ومعانيه وغريبه، حافظًا لحديث رسول الله ﷺ، عالمًا بمعانيه، وعلله، وغريبه، وأسماء رجاله، وكنَّاهم وقويهم من ضعيفهم.

سمع: ممَّن صحب سحنون ومن غيرهم، وسمع بمصر ومكة، قال عبد الله بن محمد المالكي: خطب خطبة أبلغ فيها، حرض الناس على الجهاد وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب، وتلا هذه الآية: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]

وقال: يا أيها الناس جاهدوا من كفر بالله، وزعم أنه ربّ من دون الله تعالى، وغيّر أحكام الله ﷻ، وسبّ نبيّه، وأصحاب نبيّه، وأزواج نبيّه، فبكى النَّاسُ بكَاء شديدًا[٢]، واستشهد معه فضلاء وأيمة وعباد وصالحون[٣].

٢٧٠ ربيعة بن يزيد الأيادي، أبو شعيب الدمشقي القصير (ت ١٢٣هـ)

روى عنه: جعفر بن ربيعة المصري، وحازم بن عطاء البجلي، وحيوة بن شريح المصري، وسعيد بن عبد العزيز، وسلمة بن عمرو القاضي، وعاصم بن رجاء بن

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤١٣-٤١٤).

(٢) طبقات علماء القيروان (٢/ ٣٤٢-٣٤٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ٣٤٥).

حيوة، والعباس بن سالم بن جميل اللخمي، وعبد الله بن العلاء بن زبر، وعبد الله بن يزيد الدمشقي.

قال أحمد بن عبد الله العجلي، ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلي، ويعقوب بن شيبة، ويعقوب بن سفيان، والنسائي: (ثقة)

قال أبو مسهر: «مات بإفريقية في إمارة هشام بن إسماعيل، خرج غازيًا فقتله البربر»، وقال أبو سعيد بن يونس: «قتله البربر سنة ثلاث وعشرين ومئة».

وكان يقول: «ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد إلا أن أكون مريضًا أو مسافرًا».

روى له الجماعة[1].

٢٧١ رزام المجنون: كان مقيمًا بطرسوس مجاهدًا، يعد في عقلاء المجانين

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن، وأبو العباس أحمد ابنا عبد الله بن علوان الأسديان- فيما أذنا لي في روايته عنهما- قالا: أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن- في كتابه- قال: أخبرني علي بن المؤمل قال: أخبرنا أبو عبد الله بن سعيد قال: أخبرنا أبو الفتح محمد بن اسماعيل الفارسي قال: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قال: سمعت علي بن عبد الملك بن دهثم القاضي يقول: كان بطرسوس مجنون يقال له رزام، وكان مدهوشا يهذي ويسمع ويؤذي، فإذا خرج العسكر الى أرض العدو خرج لخروجهم، وحمل درقة وسيفا فكلما لقي العدو أفاق كأن لم يكن به جنون، وكان من أجسر الناس عليهم، وربما قتل في اليوم جملة من العدو

---

(١) تهذيب الكمال (٩/ ١٤٨-١٥٠).

فإذا عاد الى أرض الاسلام عاد الى جنونه[١].

٢٧٢ زائدة بن قدامة (ت ١٦١هـ)

الإمام الحجة، أبو الصلت الثقفي الكوفي، وكان من نظراءِ شعبة في الإتقان

أخذ عنه: ابن عيينة، وحسين الجعفي، وابن مهدي، ومعاوية بن عمرو، وأبو نعيم، وطلق بن غنام، وأبو حذيفة النهدي، وأحمد بن يونس، وخلق كثير.

قال أبو داود الطيالسي: «كان لا يحدث صاحب بدعة».

وقال أبو حاتم الرازي: «ثقة، صاحب سنة».

مات ﷺ وغفر له مرابطًا بأرضِ الروم[٢].

٢٧٣ زهير بن محمد بن قمير بن شعبة المروزي الإمام، الرباني، المحدث، الثبت، أبو محمد -ويقال: أبو عبد الرحمن- المروزي، نزيل بغداد (ت ٢٥٧هـ)

سمع: روح بن عبادة، وعبد الرزاق، وأبا النضر هاشم بن القاسم، وعبيد الله بن موسى، وسنيد بن داود، وأبا نعيم، وطبقتهم

حدث عنه: ابن ماجه، وأبو بكر أحمد بن عمرو البزار، وعمر بن بجير، ويحيى بن صاعد، وأبو العباس الثقفي، وأبو عبد الله المحاملي، والحسين بن يحيى بن عياش، وعدة قال محمد بن إسحاق الثقفي: ثقة، مأمون.

وقال الخطيب: كان ثقَّة، صادقًا، ورعًا، زاهدًا.

---

(١) بغية الطلب (٨/ ٣٦٣١)، وانظر: في هذا الموضوعِ (كتاب عقلاء المجانين) لأبي محمد بن إسماعيل الضرَّاب (ت ٣٩٢هـ).

(٢) طبقات علماء الحديث (١/ ٣٢٠)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ١٥٨-١٥٩).

وقال محمد بن زهير: «كان أبي يختم في رمضان تسعين ختمة»[(١)].

قال البغوي: «ما رأيت بعد أحمد بن حنبل أفضل منه، سمعته يقول: أشتهي لحمًا من أربعين سنة، ولا آكله حتى أدخل الروم، فآكل من مغانم الروم»[(٢)].

انتقل في آخرِ عمره عن بغداد إلى طرسوس، فرابط بها إلى أن مات[(٣)].

٢٧٤ زيد بن أخزم؛ الإمام الحافظ، أبو طالب الطائي البصري (ت ٢٥٧هـ)

سمع: يحيى القطان، وابن مهدي، ومعاذ بن هشام، والطبقة.

وعنه: الجماعة سوى مسلم، وأبو عروبة، وعبد الله بن محمد بن وهب، والبغوي، وابن صاعد، والمحاملي، وثقهُ النسائي.

ذبحته الزنج لما استباحوا البصرة وقتلوا أهلها سنة سبع وخمسين ومئتين ﵀[(٤)].

٢٧٥ سابق بن عبد الله أبو المهاجر، وقيل أبو أمية، وقيل أبو عبد الله وقيل أبو زكريا، وقيل أبو سعيد البربري الرقي، من أهل حران، وسكن الرقة ويعرف بسابق البربري

شاعر مجيد له أشعار حسنة في الزهد والمواعظ، وله كلام في الحكم، وكان قاضيًا بالرقة، وكان بدابق وقدم على عمر بن عبد العزيز، وأنشده أشعارًا في الزهد، وغزا الصائفة.

روى عن: ربيعة بن أبي عبد الرحمن، ومكحول، وداوود بن أبي هند، وأبي حنيفة النعمان بن ثابت، وشعبة بن الحجاج، وعمرو بن أبي عمرو، وأبي خلف حازم بن

---

(١) طبقات علماء الحديث (٢/ ٢٣٨).

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٥١١)، و«تهذيب الكمال» (٩/ ٤١٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٦٠-٣٦١).

(٤) طبقات علماء الحديث (٢/ ٢٢١-٢٢٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٢٦١).

عطاء خادم أنس بن مالك، ومطرف بن طريف، والعلاء بن عبد الرحمن.

روى عنه: محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، والمعافى بن عمران الموصلي، وعثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، وميمون بن مهران، وجماعة.

قال أبو كامل مولى الغاز بن ربيعة قال: سمعت سابقًا البربري، ينشد مكحولًا وهو في الغزو:

يا نفس كل قابر مقبور
ويهلك الزائرُ والمزور
ويقبضُ العارية المعير
ليس على صرفِ الدّوا عمور
كمْ من غنيّ مكثرٍ فقير؟

حتى انتهى إلى قوله:

والصدقُ برّ والتقى نظير
والبرُّ معروف به المبرور
وذو الهوى يسوقهُ المقدور

فقال مكحول: لا[1]

٢٧٦ الإمام سحنون المالكي (ت ٢٥٦هـ)، ووالده سعيد.

وسحنون هو بن سعيد بن حبيب التنوخي، من صليبة من المغرب.

أصله شامي من حمص، وقدم أبوه سعيد في جند حمص.

قال محمد ابنه: قلت: يا أبت أنحن صليبة من تنوخ؟

فقال لي: وما تحتاج إلى ذلك؟ فلم أزل به، حتى قال لي: نعم، وما يغني عنك

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب (٩/ ٤٠٦٣)، و«تاريخ الرقة» (ص١٤٥).

ذلك من الله شيئًا، إن لم تتقه.

وسيرة الإمام سحنون عظيمة؛ فقد قال ابن عجلان الأندلسي: ما بورك لأحد بعد أصحاب رسول الله ﷺ، ما بورك لسحنون في أصحابه، إنَّهم في كل بلدٍ أئمة.

قال ابن حارث سمعتهم يقولون: كان سحنون من أيمن العلماء؟ دخل المغرب، كأن أصحابه مصابيح، في كل بلدة، عدّ له نحو سبعمئة رجل، ظهروا بصحبته وانتفعوا بمجالسه.

قام سحنون بقصر زياد مرابطًا، خمسة عشر يومًا من رمضان.

وكان سحنون يتمثل بهذه الأبيات:

كل شيء قد أراه نكرًا ... غير ركز الرمح في ظل الفرس
وقيام في حناديس الدجا ... حارسًا للقوم في أقصى الحرس[1]

٢٧٧ سعيد بن محمد بن سيد أبيه بن مسعود الأموي البلدي

رحل إلى المشرق سنة خمسين وثلاث مئة وحج سنة إحدى وخمسين، ولقي أبا بكر محمد بن الحسين الآجري وقرأ عليه جملة من تواليفه، وأبا الحسن محمد بن نافع الخزاعي، وقرأ عليه فضائل الكعبة من تأليفه، وأقام بمكة نحو العام.

وسمع بمصر: من أبي بكر بن أبي طنة، والحسن بن رشيق، ومحمد بن القاسم ابن شعبان، وحمزة بن محمد وغيرهم.

وقال: سكنت مصر نحوًا من سبعة أعوام، ولقي بالقيروان علي بن مسرورٍ، وأبو العباس تميم بن محمد وغيرهما.

---

(١) ترتيب المدارك (٤/ ٤٥-٧٤ وما بعد).

ذكره الخولاني وقال: كان رجلًا صالحًا، متبتلًا متقشفًا، يلبس الصوف.

وكان كثير الرباط والجهاد في الثغور.

قال: وأجاز لنا جميع روايته في شوال سنة (٣٩٧هـ)(١).

٢٧٨ سعيد بن محسن (ت ٤٠١هـ)

من أهل قرطبة، يكنى: أبا عثمان، وكان معدودًا من المشاورين بقرطبة، وتقلد القضاء بمدينة سالم وغيرها.

وكان يغسل موتى أولي النباهة، وكان مواظبًا على الجهاد، توفي يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة سنة إحدى وأربع مئة، وصلى عليه ابن وافد. ذكره ابن حيان(٢)

٢٧٩ سعيد بن موسى بن معمر الغساني: قتل بالمعترك سنة (٩٣هـ)

رحل ولقي الأبهري، وحمل عنه كتبه وسمع من غيره.

انصرف إلى الأندلس فلزم تطيلة مرابطًا بها والثغر إلى أن توفي، وكان فقيهًا زاهدًا ورعًا، يصوم الدهر لم يحدث(٣).

٢٨٠ سليمان بن إبراهيم بن هلال القيسي

كان رجلًا صالحًا، زاهدًا، عالمًا بأمور دينه، تاليًا للقرآن، مشاركًا في التفسير والحديث، ورعًا؛ فرق جميع ماله، وانقطع إلى الله ﷻ ولزم الثغور، وتوفي بحصن غرماج(٤).

---

(١) الصلة لابن بشكوال (ص١٤٠)، و«مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار» (ص١٦٨).

(٢) الصلة لابن بشكوال (ص٢٠٨).

(٣) ترتيب المدارك (٧/ ٢٠٩).

(٤) الصلة لابن بشكوال (ص٦٣)، و«طبقات المفسرين» للداوددي (١/ ٢٠٣).

٢٨١ سليمان بن إبراهيم بن حمزة البلوي (ت ٤٣٥هـ)

كان مجودًا للقرآن، عالمًا بكثير من معانيه، متصرفًا في فنون من العربية، حسن الفهم، خيرًا فاضلًا، وكان زوجًا لابنة أبي عمر الطلمنكي، وروى عنه كثيرًا من رواياته وتواليفه، وروى عن حسون القاضي وغيره من شيوخ مالقة»[١].

٢٨٢ سليمان بن محمد أمين الحلبي (ت ١٢١٦هـ) قاتل الجنرال كليبر بمصر

سوريّ الأصل، ولد ونشأ بحلب، وأقام ثلاث سنوات في القاهرة، يتعلم بالأزهر، وعاد إلى حلب، فحج مرتين.

وزار القدس وغزة، وقابل بعض قواد الجيش العثماني، فعاهدهم على أن يقتل كليبر (قائد الجيش الفرنسي والحاكم العام، بمصر، بعد عودة بونابرت إلى فرنسة) وحمل من علماء غزة رسائل إلى بعض علماء الأزهر، يوصونهم بمساعدته، وقصد القاهرة، فقضى (٣١ يومًا) يتعقب كليبر حتى ظفر به يتمشى مع فرنسي آخر، فطعنه بخنجر كان يخفيه في ثيابه، عدة طعنات، مات كليبر على أثرها، وفرّ سليمان، فقبض عليه، وحوكم أمام محكمة عسكرية فرنسية، فقضت بإعدامه (صلبا على الخازوق[٢]، بعد أن تحرق يده اليمنى، ثم يترك طعمة للعقبان) ونفذ فيه ذلك، في تل العقارب، يوم ١٧ يونيو ١٨٠٠م.

وعلقت إلى جانبه رؤوس ثلاثة من علماء الأزهر، كان قد أفضى إليهم بعزمه على القتل ولم يفشوا سره، واحتفظ الفرنسيس بالهيكل العظمي من جسم سليمان، فوضعوه في متحف حديقة الحيوانات والنباتات في باريس، كما حفظوا جمجمته في

---

(١) الصلة (ص١٣٣).

(٢) ﷺ وتقبله في الشهداء.

غرفة التشريح بمدرسة الطب بباريس، وما زال الخنجر الّذي طعن به كليبر محفوظًا في مدينة كاركاسون[1].

يقول الجبرتي في «عجائب الآثار» وفي يوم السبت وقعت نادرة عجيبة وهو أن كليبر كان مع كبير المهندسين يسيران بداخل البستان الذي بداره بالأزبكية، فدخل عليه شخص حلبي وقصده، فأشار إليه بالرجوع، وقال له: ما فيش، وكررها، فلم يرجع وأوهمه أنَّ له حاجةً، وهو مضطر في قضائها، فلمَّا دنا منه مد إليه يده اليسار، كأنَّه يريد تقبيل يده، فمد إليه الآخر يده، فقبض عليه وضربه بخنجر كان أعده في يده اليمنى أربع ضربات متوالية، فشق بطنه، وسقط إلى الأرض صارخًا، فصاح رفيقه المهندس فذهب إليه وضربه أيضا ضربات وهرب فسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس، فدخلوا مسرعين فوجدوا كليبر مطروحًا وبه بعض الرمق، ولم يجدوا القاتل فانزعجوا وضربوا طبلهم وخرجوا مسرعين وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل، واجتمع رؤساؤهم وأرسلوا العساكر إلى الحصون والقلاع، وظنُّوا أنَّها من فعل أهل مصر، فاحتاطوا بالبلد وعمروا المدافع وحرروا القنابر وقالوا: لا بدَّ من قتل أهل مصر عن آخرهم، ووقعت هوجة عظيمة في النَّاس وشدة انزعاج، وأكثرهم لا يدري حقيقة الحال.

ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويا في البستان المجاور لبيت ساري عسكر المعروف بغيط مصباح، بجانب حائط منهدم، فقبضوا عليه فوجدوه شاميًا فاحضروه، وسألوه عن اسمه وعمره وبلده، فوجدوه حلبيًا واسمه سليمان[2].

---

(١) الأعلام للزركلي (٤/ ١٣٢-١٣٣).

(٢) عجائب الآثار (٢/ ٣٥٨) بتصرف يسير.

٢٨٣ سهل بن عثمان أبو مسعود العسكري (ت ٥٤٧هـ)

الإمام، الحافظ، المجود، الثبت، قال: «ومات بعسكر مكرم، وكان كثير الفوائد والغرائب»(١).

٢٨٤ صالح (جزرة) بن محمد بن عمرو بن حبيب بن حسان بن المنذر ابن أبي الأشرس عمار، مولى أسد بن خزيمة (ت ٢٩٣هـ)

سمع: سعيد بن سليمان سعدويه، وخالد بن خداش، وعلي بن الجعد، وعبيد الله بن عائشة، وعبد الله بن محمد بن أسماء، ويحيى الحماني، وهشام بن عمار، ويحيى بن معين، والأزرق بن علي، وأبا نصر التمار، وأحمد بن حنبل، وهدبة بن خالد، ومنجاب بن الحارث، وخلقا كثيرا بالشام، والعراق، وخراسان، ومصر، وما وراء النهر.

وعنه: مسلم بن الحجاج، وهو أكبر منه، وأحمد بن علي بن الجارود الأصبهاني، وأبو النضر محمد بن محمد الفقيه، وخلف بن محمد الخيام، وأبو أحمد علي بن محمد الحبيبي، وبكر بن محمد الصيرفي، وأحمد بن سهل، والهيثم بن كليب، ومحمد بن محمد بن صابر، وآخرون.

ودخل بخارى سنة ست وستين، فسكنها لما رأى من الإحسان من أمير بخارى.

قال الدارقطني: «أقام ببخارى وحديثه عندهم، وكان ثقَّة حافظًا غازيًا»(٢).

٢٨٥ طاهر بن أحمد بن الحسن، أبو منصور، الإمام الهمذاني (ت ٤٢٣هـ)

روى عن أبيه، وأبي بكر بن لال، وصالح بن أحمد، وأبي بكر بن المقرئ، والدارقطني، وخلق، ورحل وطوف، روى عنه محمد بن الحسين الخطيب،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥٤).

(٢) تاريخ الإسلام (٦/ ٩٥٣).

ويوسف، وعلي الحسني الهمذانيون.

وكان ثقةً غازيًا مجاهدًا رحمه الله[١].

٢٨٦ عالي بن عثمان بن جنّى أبو سعد بن أبى الفتح النحوي (ت ٤٥٧-٤٥٨هـ)

أخذ العربية عن أبيه وعن أبي علي الفارسي، وأكثر عن أبيه، تقدم وأفاد هذا العلم، وانتقل إلى مدينة في صور الثغر الشامي، فنزله، وأفاد الناس به.

روى عن مشايخ وقته العراقيّين والشاميّين، وكتب بخطه كثيرًا، وكان محقّقا لما يكتبه، كان حيّا بصور في سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة[٢].

٢٨٧ عامر بن عبد الله بن عبد قيس العنبري

قال الفسوي: وحدثنا بلال بن سعد أنَّه كان إذا قفل غازيًا يتوسم الرفاق فإذا رأى رفقة توافقه قال: يا هؤلاء إنِّي أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خلال.

فيقولون: ما هنَّ؟

قال: أكون لكم خادمًا لا ينازعني أحدٌ منكم الخدمة، وأكون مؤذنًا لا ينازعني أحد منكم الأذان، وأنفق عليكم بقدر طاقتي، فإذا قالوا نعم انضم إليهم، فإن نازعه أحد منهم شيئًا من ذلك رحل عنهم إلى غيرهم[٣].

٢٨٨ أبو الفضل عبّاس بن عيسى بن العباس الممّسي الفقيه المالكي (ت ٣٣٣هـ)

استشهد معه خمسة وثمانون رجلًا كلهم فاضل خيّر في حرب بني عبيد-لعنهم

---

(١) تاريخ الإسلام (٩/ ٣٨٩).

(٢) إنباه الرواة (٢/ ٣٨٦)، و«معجم الأدباء» (٤/ ١٤٧٥).

(٣) المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٤).

الله- مع أبي يزيد، فالتقوا بالوادي

كان فاضلًا، عالمًا، صوّامًا، قوّامًا، وكان معه ورع كثير رحمه الله[١]

٢٨٩ الإمام، العلامة، أبو محمد عبد الحق ابن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي، الغرناطي (ت ٥٤٢هـ)

نعته الذهبي: بـ (شيخ المفسرين).

وهو مفسر فقيه، أندلسي[٢]، وعدَّه ابن فرحون في «الديباج المذهب» من أعيان مذهب المالكية، كما عدَّه السيوطي في «بغية الوعاة» من شيوخ النحو وأساطين النحاة[٣].

قلت: هو صاحب التفسير المشهور «المحرر الوجيز».

وقد صف تفسيره ابن حيان في «البحر المحيط» فقال: «وأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي، أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير»[٤].

ولي قضاء المرية -للمرابطين- سنة تسع وعشرين وخمسمئة في المحرم، وكان غاية في الذكاء والدهاء والتهمّم بالعلم، سريّ الهمّة في اقتناء الكتب، توخّى الحق، وعدل في الحكم[٥].

ولأبيه وهو يشوقه للجهاد:

---

(١) رياض النفوس (٢/ ٢٩٢).

(٢) الأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٢).

(٣) التفسير والمفسرون (١/ ١٧١).

(٤) البحر المحيط في التفسير (١/ ٢٠).

(٥) نفح الطيب (٢/ ٥٢٦).

يَا نَازِحَ الدَّارِ لم يجعل مَنْ نزحت ... دُمُوعَهُ طَارِقَاتُ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ
غيبت تخصل عَنْ عَيْنِي فَمَا أَلْقَت ... مِنْ بَعْدَ مِرَاءِكَ غَيْرَ الدَّمْعِ وَالسَّهَرِ
قَدْ كَانَ أَوْلَى جِهَادٍ فِي مَوَاصَلَتِي ... لَا سِيَّمَا عِنْدَ ضَعْفِ الْجِسْمِ وَالْكِبَرِ
اعْتَلَّ سَمْعِي وَجَالَ الضُّرُّ فِي بَصَرِي ... بِاللهِ كُنْ أَنْتَ لِي سَمْعِي وَكُنْ بَصَرِي[1]

توفي بحصن لورقة، في الخامس والعشرين من شهر رمضان، سنة إحدى وأربعين وخمس مئة. كان واسع المعرفة، قوي الأدب، متفننا في العلوم، أخذ الناس عنه رحمه الله[2].

٢٩٠ عبد الحميد بن باديس (ت ١٣٥٩ هـ)

عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس في سنة ١٣٠٨هـ (ديسمبر ١٨٨٩) فكان الولد البكر لأبويه، وأسرته أسرة مشهورة بالعلم والثراء والجاه، وكانت منذ القدم ذات نفوذ، ومسيرة للسياسة والحكم في المغرب الإسلامي، ونبغ من هذه الأسرة شخصيات تاريخية لامعة منها بلكين بن زيري، والمعز بن باديس الذي كان يفتخر به الشيخ عبد الحميد، ولا عجب في ذلك فهو بمثابة خليفة له في مقاومة البدع والضلال إذ كان جده يناضل الاسماعيلية الباطنية، وبدع الشيعة في إفريقية، ومن أسلافه المتأخرين.

فالشيخ عبد الحميد بن باديس هو مفسر للقرآن تفسيرًا سلفيًا يراعي فيه مقتضيات العصر معتمدًا على بيان القرآن للقرآن، وبيان السنة له، وعلى أصول البيان العربي وسننه، والنفاذ إلى لغة العرب وآدابها، وقوانين النفس البشرية وسنن المجتمع الإنساني، وتطور التاريخ والأمم.

---

(١) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص٢٦٤).

(٢) السير (١٩/ ٥٨٩).

لقد تعرَّض لاضطهاد الاستعمار ومطاردته وعراقيله، ولكنه ثبت ثبات الرجال أصحاب المبادئ لما يتسم به من التفاؤل واليقين بأن العاقبة له، وللأمة الجزائرية معتقدًا أن كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك لغتهم أو دينهم أو تاريخهم أو شيء من مقوماتهم محاولة فاشلة، وحين أراد الإستعمار منعه من التعليم كتب مقالًا تحت عنوان: (بعد عشرين سنة في التعليم نسأل هل عندنا رخصة).

وحين صدر قانون ٨ مارس (١٩٣٨م) بمنع التعليم كتب مقالًا آخر تحت عنوان: «**يا لله للإسلام والعربية في الجزائر كل من يعلم بلا رخصة يغرم ثم يغرم ثم يسجن**» وأعلن فيه عزمه على المقاومة بكل قوة قائلًا: «**وإننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي بحول الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا ولن يصدنا عن ذلك شيء فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا وأننا على يقين من أن العاقبة- وإن طال البلاء- لنا وأن النصر سيكون حليفنا**»

إن الشيخ ابن باديس أمة وحده؛ استطاع بمفرده أولًا وبمساعدة إخوانه من العلماء ثانيًا أن يقوم بتربية جيل وتكوين أمة، وتبصيرها بشخصيتها ومقوماتها، وهو الذي استطاع أن يضع أصول النهضة الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية، وأن الثورة الجزائرية العظيمة في جوانبها النفسية وقوتها المعنوية التي تتمثل في كلمة «الجهاد» ترتد إلى عمله التربوي الخاص والعام، تربية الجيل في المدارس وتربية الأمة في المساجد وبرحلاته في مختلف أنحاء القطر[1].

٢٩١ عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي، الفقيه الزاهد بهاء الدين (ت ٦٢٤هـ)

---

(١) آثار ابن باديس (١/ ٧٢-١٢٠).

ومن تصانيفه «شرح العمدة» للشيخ موفق الدين في مجلد، وهو شرح مختصر، ونص في أوله: أنَّ الماء لا ينجس حتى يتغير مطلقًا، ويقال: إنَّه شرح «المقنع» أيضًا.

وقال سبط ابن الجوزي: كان يؤم بمسجد الحنابلة بنابلس، ثمَّ انتقل إلى دمشق، قال: «وكان صالحًا ورعًا زاهدًا، غازيًا مجاهدًا، جوادًا سمحًا».

وقال المنذري: «كان فيه تواضع، وحسن خلق، وأقبل في آخر عمره على الحديث إقبالًا كليًا، وكتب منه الكثير، وحدث بنابلس، ودمشق».

تولي ﵀ في سابع ذي الحجة سنة أربع وعشرين وستمئة، ودفن من يومه بسفح قاسيون[1]

٢٩٢ الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو واسمه يحمد الشامي أبو عمرو الأوزاعي الفقيه (ت ١٥٧هـ)

نزل بيروت في آخر عمره فمات بها مرابطًا.

حدث عنه: شعبة، وابن المبارك، والوليد بن مسلم، والهقل بن زياد وهو ثبت فيه، ويحيى بن حمزة، ويحيى القطان، وأبو عاصم، وأبو المغيرة، ومحمد بن يوسف الفريابي، وخلق.

قال ابن حبان في «الثقات»: كان من فقهاء أهل الشام، وقرائهم، وزهادهم، وكان السبب في موته أنه كان مرابطًا ببيروت فدخل الحمام فزلق فسقط وغشى عليه، ولم يعلم به حتى مات.

وقال أبو مسهر: «كان الأوزاعي يحيي الليل صلاةً وقرآنًا وبكاءً».

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٣٥٩-٣٦١).

وقال هقل بن زياد: «أجاب الأوزاعي في سبعين ألف مسألة، أو نحوها».

وقال ابن عيينة: «كان إمام أهل زمانه»[1].

٢٩٣ عبد الرحمن بن القاسم العتقي؛ عالم الديار المصرية، ومفتيها، أبو عبد الله العتقي مولاهم، المصري، صاحب مالك الإمام (ت ١٩١هـ)

روى عن: الليث، وعبد العزيز ابن الماجشون، ومسلم ابن خالد الزنجي، وبكر ابن مضر، وابن الدراوردي، وابن زبيد، وابن أبي حازم، وسعد، وعبد الرحيم،

---

(١) الثقات (٩٠١٩) (٧/ ٦٢)، و«تهذيب التهذيب (٢١/ ٢٣٨-٢٤٠)، و«تاريخ دمشق (٣٥/ ١٤٧)، و«طبقات علماء الحديث (١/ ٢٧٨)، و«سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٠).

قال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٢٩٨-٢٩٩): «كان يسكن دمشق خارج باب الفراديس، ثم تحول إلى بيروت فسكنها مرابطًا إلى أن مات بها، وهو من تابعي التابعين. سمع جماعات من التابعين كعطاء بن أبي رباح، وقتادة، ونافع مولى ابن عمر، والزهري، ومحمد بن المنكدر، وغيرهم. وروى عنه جماعة من التابعين وشيوخه كقتادة، والزهري، ويحيى بن أبي كثير، وجماعات من أقرانهم وكبار العلماء كسفيان، ومالك، وشعبة، وابن المبارك، وخلائق لا يحصون.

واختلفوا فى الأوزاع التي نسب إليها، فقيل: بطن من حمير، وقيل: من همدان، بإسكان الميم، وقيل: إن الأوزاع قرية كانت عند باب الفراديس من دمشق، وقيل: هي نسبة إلى أوزاع القبائل، أي فرقها وبقايا مجتمعة من قبائل شتى.

روينا عن الإمام الحافظ الحاكم محمد بن محمد بن إسحاق، وهو شيخ الحاكم أبى عبد الله بن البيع النيسابوري، قال: هو منسوب إلى الأوزاع من حمير، قال: وقيل: الأوزاع قرية بدمشق خارج باب الفراديس.

قال: وعرضت هذا القول على أحمد بن عمير، يعني ابن جوصا، بفتح الجيم وإسكان الواو وبالصاد المهملة، قال: وكان علامة بحديث الشام وأنساب أهلها، فلم يرضه، وقال: إنَّما قيل: الأوزاعي؛ لأنَّه من أوزاع القبائل.

وبلغنا عن الهيثم بن خارجة، قال: سمعت أصحابنا يقولون: ليس هو من الأوزاع، إنما كان ينزل قرية الأوزاع. وقال الإمام أبو سليمان محمد بن عبد الله الربعي، بفتح الراء والموحدة: قال ضمرة: الأوزاعي حميري، والأوزاع من قبائل شتى.

قال الربعي: وذكره ابن أبى خيثمة فى تاريخه، فقال: بطن من همدان، ولم ينسب هذا القول إلى أحد. قال الربعي: فليس هو بصحيح، وقول ضمرة أصح؛ لأنه وقع على موضع مشهور بربض دمشق يُعرف بالأوزاع، سكنه في صدر الإسلام بقايا من قبائل شتى.

وقال محمد ابن سعد: الأوزاع بطن من همدان، والأوزاعي من أنفسهم، وفيه خلاف كثير حذفته لعدم الضرورة إليه».

وعثمان ابن الحكم، وغير واحد.

قال ابن معين: هو ثقة.

قال أبو زرعة: هو ثقة رجل صالح.

قال سحنون: كنت إذا سألت ابن القاسم عن المسائل، يقول لي: يا سحنون! أنت فارغ، إنِّي لأحس في رأسي دويا كدوي الرحا -يعني: من قيام الليل-.

قال: وكان قلَّما يعرض لنا إلا وهو يقول: «اتقوا الله، فإنَّ قليل هذا الأمر مع تقوى الله كثير، وكثيره مع غير تقوى الله قليل».

قال عيسى بن دينار: وكنت بالإسكندرية مع ابن القاسم في الرباط ومعه رجل كان يألفه، فبينما نحن في السفينة ليلة سبع وعشرين من رمضان، إذ قال رجل من أهل السفينة أخبرك بشيء عظيم رأيت في نومي ساعتي هذه؛ فأخبره.

فقال لصاحبه: إن كان ما قال حقًا فهي ليلة القدر.

وذكر أنَّ علامة ذلك عذوبة ماء البحر، ومالا إلى صدر السفينة، فرأيتهما يشربان ثمَّ استقبلا القبلة، فقمت فأتيت الموضع الذي آتياه فشربت فوجدته عذبًا.

قال الحارث: «كان ابن القاسم لا يقبل جوائز السلطان»(١).

وقال الحارث بن مسكين: سمعته يقول: «اللهم امنع الدنيا مني، وامنعني منها».

وقال الحارث: «كان في ابن القاسم العبادة، والسخاء، والشجاعة، والعلم، والورع، والزهد».

---

(١) ترتيب المدارك (٣/ ٢٥٦).

عن علي بن معبد، قال: رأيت ابن القاسم في النوم، فقلت: كيف وجدت المسائل؟

فقال: أُفٍّ أُفٍّ.

قلت: فما أحسن ما وجدت؟

قال: «الرباط بالثغر».

قال: ورأيت ابن وهب أحسن حالا منه.

وقال سحنون: رأيته في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟

قال: وجدت عنده ما أحببت

قلت: فأي عمل وجدت؟

قال: تلاوة القرآن

قلت: فالمسائل؟

فأشار يلشيها[1].

سئمت حياتي وهانت وفاتي	عليّ لأنّي فقيد اللذات
فقيد الشموس فقيد البدور	فقيد الحماة فقيد الكماة
أنوح على السادة الأفضلين	وجوه بني الثغر حتى الممات
وأندب كلّ فتى باسل	يروي من الروم صدر القناة
أفكر في عظم هذا المصاب	لقد جانا الدهر بالقصمات

(١) أي أننا وجدناها لا شيء. وفي «المدارك» (٢/ ٤٤٦). فقال: «لا، وأشار بيده، أي: وجدناها هباء»، وما نقل هو في السير (٩/ ١٢٠-١٢٥).

أرانـا الأوداء والأقـربـيـن	تـحـكـم فـيـهـم أكـفّ الـعـداة
كـرام بهـم كـان فـك الـفـتـاة	فصـار بهـم في مـحـلّ الـعـنـاة
ويـعـرض لـي ذكـرهـم في الصـلاة	فـيـقـطـع بـيـنـي وبـيـن الصـلاة
فـلا كـان في الـدهـر يـوم رمـت	تصـاريفـه جمعهـم بـالشـتـات
فـذلـك يـوم رأيـنـا بـه مصـ	اب الـفـتـى وبـكـاء الـفـتـاة[١]

٢٩٤ عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود، الحافظ المقرئ، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي المدني، كاتب المصاحف (ت ١١٧هـ)

سمع: أبا هريرة، وأبا سعيد الخدري، وعبد الله بن بحينة، وعدة.

حدث عنه: الزهري، وأبو الزناد، وصالح بن كيسان، ويحيى بن سعيد، وابن لهيعة، وغيرهم.

وكان ثقَة، ثبتًا، عالمًا، مقرئًا، تحول في آخر عمره إلى ثغر الإسكندرية مرابطًا، فتوفي سنة سبع عشرة ومئة رحمة الله عليه[٢].

٢٩٥ موفق الدين ابن قدامة عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي الشيخ، الإمام، القدوة، العلامة، المجتهد، شيخ الإسلام (ت ٦٢٠ هـ)

مولده: بجماعيل، من عمل نابلس، سنة إحدى وأربعين وخمس مئة، في شعبان، كان عالم أهل الشام في زمانه.

وفي زمان صلاح الدين عمل في التدريس موفق الدين عبد الله بن قدامة، وكان قد رحل إلى بغداد مع ابن عمه الحافظ عبد الغني، وتخرجا من المدرسة القادرية، ويبدوا أنَّ السنوات

---

(١) كنوز الذهب في تاريخ حلب (١/ ١٨٢-١٨٣).

(٢) طبقات علماء الحديث (١/ ١٧٠)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٧٥).

التي قضاها الموفق في بغداد تركت أثرًا كبيرًا في حياته، فظل متعلقًا بها، وزارها مرات عديدة بعد تخرجه واشتهار أمره، كما ظل متأثرًا بالشيخ عبد القادر، ينوِّه بفضائله ويروي كراماته

ولقد أصبح الموفق هذا مستشارًا من مستشاري السلطان صلاح الدين، وصار علَمًا من أعلام الفقه الحنبلي، يحرص الكل على التفقه على يديه وعلى دراسة كتبه[١]

قال الحافظ الضياء: رأيت أحمد بن حنبل في النَّوم، فألقى علي مسألة، فقلت: هذه في الخرقي، فقال: ما قصر صاحبكم الموفق في شرح الخرقي

وقال الشيخ الضياء: كان لا يناظر أحدًا إلا وهو يبتسم، وبقي يجلس زمانا بعد الجمعة للمناظرة، ويجتمع إليه الفقهاء، وكان يشغل إلى ارتفاع النهار، ومن بعد الظهر إلى المغرب، ولا يضجر، ويسمعون عليه، وكان يقرئ في النحو، وكان لا يكاد يراه أحد إلا أحبه، وما علمت أنه أوجع قلب طالب، وكانت له جارية تؤذيه بخلقها فما يقول لها شيئا، وكان أولاده يتضاربون وهو لا يتكلم، وكان حسن الأخلاق لا يكاد يراه أحد إلا مبتسما، يحكي الحكايات ويمزح

وسمعت البهاء يقول: ما رأيت أكثر احتمالا منه، وسمعته يصفه بالشجاعة، وقال: كان يتقدم إلى العدو وجرح في كفه، وكان يرامي العدو، وكان لا ينافس أهل الدنيا، ولا يكاد يشكو، وربما كان أكثر حاجة من غيره، وكان يؤثر[٢]

وكان هو وأصحابه في خيمة على حصار القدس، فزاره الملك العادل، فلم يجده، فجلس

---

(١) انظر: هكذا ظهر جيل صلاح الدين (ص٣٠٥) ط: دار الخير.

(٢) طبقات علماء الحديث (٤/ ١٥٩-١٦٠)، والسير (٢٢/ ١٦٥- ١٧١).

ساعة، وكان الشيخ يصلي، فذهبوا خلفه مرتين، فلم يجئ، فأحضروا للعادل أقراصًا، فأكل وقام، وما جاء الشيخ»[١].

قال سبط ابن الجوزي: وصحبتُ الشيخ أبا عمر شيخ المقادسة، وشاهدتُ منه من الزهد في الدُّنيا والورع والفَضْل والتواضع، ومن أخيه الشيخ موفق الدين، ونسيبه الشيخ العماد ما نرويه عن الصَّحابة والأولياء الأفراد، فأنساني حالُهم أهلي وأوطاني مع بقاء أعياني، ثم عُدْتُ إليهم بعد ذلك على نية الإقامة، عسى أن أكون رفيقهم في دار المقامة، وأنشدتُ بلسانِ الباطن والظَّاهر:

فألقتْ عصاها واستقرَّت بها النَّوى[٢]

٢٩٦ عبد الله بن إسحاق البرقي أبو محمد (ت ٣١٧هـ)

قال ابن حارث: «كان من أهل الفقه والأدب، له مناظرة حسنة، وحفظ جيد».

مات مرابطًا بسوسة من رعدة قاصفة سمعها، وكان يختم القرآن في كل يوم ختمة وينظر[٣].

٢٩٧ عبد الله بن زيد أبو قلابة الجرمي، الإمام، شيخ الإسلام، أبو قلابة الجرمي، البصري. قدم الشام، وانقطع بداريا (ت ١٠٤ أو ١٠٧هـ)

حدث عن: ثابت بن الضحاك في الكتب كلها.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٨).

(٢) مرآة الزمان (٢٢/ ١٣٦).

(٣) ترتيب المدارك (٦/ ٣٣).

وعن: أنس كذلك، ومالك بن الحويرث كذلك[١].

قال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، وكان ديوانه بالشام[٢].

قال عبد الله بن محمد: «خرجت إلى ساحل البحر مرابطًا، وكان رباطنا يومئذ عريش مصر..»[٣].

ولما مرض أبو قلابة دخل عليه عمر بن عبد العزيز وأبو العالية فقالا: تجلد لئلا يشمت بنا المنافقون.

وقال غيلان بن جرير: استأذنت على أبي قلابة فقال: «ادخل إن لم تكن حروريًا، وكان ينهى عن مجالسة أهل الأهواء»[٤].

هرب من البصرة مخافة أن يولى القضاء، فدخل الشام يأوي الرباطات، ويكون في الثغور، ومعه بني له، إلى أن اعتل علة صعبة، فذهبت يداه ورجلاه وبصره، فما كان يزيد على «اللهم أوزعني أن أحمدك حمدا أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي، وفضلتني على كثير ممن خلقته تفضيلا»[٥].

٢٩٨ عبد الله بن سعيد بن أبي عوف العاملي الرباحي. قدم طليطلة واستوطنها (ت ٤٣٢هـ)

وكان: قد سمع من ابن أبي زمنين وغيره. ورحل حاجًا فسمع من ابن أبي زيد وغيره.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٨).

(٢) الطبقات (٧/ ١٨٣).

(٣) الثقات لابن حبان (٥/ ٣).

(٤) إكمال التهذيب (٧/ ٣٦٨).

(٥) طبقات علماء الحديث (١/ ١٦٥-١٦٦)، و«الثقات» لابن حبان (٥/ ٢-٥).

وكان: فاضلًا دينًا ورعًا، معقلًا مداومًا على صلاة الجماعة، يصلى الصبح عند طلوع الفجر، يفتح له باب المسجد لصلاة الصبح، ويغلق وراءه بعد صلاة العشاء. وكان إذا قرأ الحديث أو قرئ عليه يبكي، **وكان يرابط في رمضان بحصن ولمش.**

قال ابن مطاهر: «توفي سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة»[1].

٢٩٩ عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي مولاهم أبو زرعة الرازي، الإمام، الثقة، الثبت (ت ٢٦٤ هـ)

روى عنه مسلمٌ حديثين.

وقال يونس بن عبد الأعلى: «أبو زرعة وأبو حاتم إماما خراسان»، ودعا لهما بخير، وقال: «بقاؤهما صلاح المسلمين».

وكان أبو زرعة يقول: لو كان صحة بدن على ما أريد كنت أتصدق بمالي كله، وأخرج إلى طرسوس[2] أو إلى ثغر من الثغور، وآكل من البقول وألزمها، ثمَّ قال: وإنِّي لألبس الثياب لكي إذا نظر الناس إليَّ لا يقولون ترك أبو زرعة الدنيا، ولبس الثياب الدون، وإنِّي لآكل ما يقدم إليَّ من الطيبات والحلو لكي لا يقول النَّاس أنَّ أبا زرعة لا يأكل الطيبات لزهده، وإنِّي لآكل الشيء الطيب وما مجراه عندي ومجرى غيره من الآدم إلا واحد[3].

وقال: «لم أعرف لنفسي رباطًا خالصًا في ثغر: قصدت قزوين مرابطًا ومن همتي

---

(١) الصلة لابن بشكوال القرطبي (ص٢٦٠-٢٦١).

(٢) طرسوس: بفتح الطاء والراء وسينين مهملتين الأولى مضمومة مذكورة في كتاب الوقف من الكتابين، وهي مدينة معروفة في بلد الأرمن مجاورة للشام من ناحية الفرات، وقد استولى عليها الكفار في هذه الأعصار. قاله النووي الشافعي في «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ١٩٢).

(٣) إكمال التهذيب (٩/ ٤٧)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ٣٨٤).

أن أسمع الحديث من الطنافسي ومحمد بن سعيد بن سابق، ودخلت بيروت مرابطًا ومن همتي أن أسمع من العباس بن الوليد، ودخلت رها مرابطًا ومن همتي أن أسمع من أبي فروة الرهاوي؛ فلا أعرف لنفسي رباطًا خلصت نيتي فيه ثمَّ بكى»[(١)].

وقال: «لا أعلم صفا لي رباط يوم قط، أما بيروت: فأردنا العباس بن الوليد بن مزيد، وأما عسقلان: فأردنا محمد بن أبي السري، وأما قزوين: فمحمد بن سعيد بن سابق»[(٢)].

٣٠٠ عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن أحمد، الحافظ، النَّسَّابة، أبو محمد، اللَّخْمي، المَرِيي، الرُّشَاطِيُّ (ت ٥٤٢هـ)

قال أبو جعفر بن الزُّبير: روى عن أبي علي الغَسَّاني، وأبي علي الصَّدَفي، وابن فتحون، وجماعة، وألَّف كتابه الحافل المُسَمَّى بـ «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب رواة الآثار»، وكتاب «الإِعلام بما في كتاب المُختلف والمؤتلف للدَّارَقُطْني من الأَوْهام».

استُشهد عند دخول العدو المَرِيَّة في جُمَادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة[(٣)].

٣٠١ عبد الله بن عون. الإمام، القدوة، عالم البصرة، أبو عون المزني مولاهم، البصري، الحافظ (ت ١٥١هـ)

روى عنه: سفيان، وشعبة، وابن المبارك، ومعاذ بن معاذ، وعباد بن العوام،

---

(١) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢/ ٤٦٩).

(٢) السير (١٣/ ٦٧).

(٣) طبقات علماء الحديث (٤/ ٨٢-٨٣).

ومحمد بن أبي عدي، والنضر بن شميل، وإسماعيل بن علية، ويزيد بن هارون، وإسحاق الأزرق، وأزهر السمان، وأبو عاصم النبيل، وغيرهم.

عن محمد بن عبد الله الأنصاري: حدثني مفضل بن لاحق، قال: «كنَّا بأرض الروم، فخرج رومي يدعو إلى المبارزة، فخرج إليه رجل فقتله، ثمَّ دخل في النَّاس، فجعلت ألوذ به لأعرفه، وعليه المغفر.

فوضع المغفر يمسح وجهه، **فإذا ابن عون!**[(١)]».

٣٠٢ عبد الله بن لهيعة محدث مصر (ت ١٧٤هـ)

ابن عقبة بن فرعان، الإمام الكبير، قاضي الديار المصرية، وعالمها ومحدثها، أبو عبد الرحمن الحضرمي المصري.

قال الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن في (التاريخ): «**قدم ابن لهيعة الشام غازيًا مع صالح بن علي**، سنة ثمان وثلاثين ومئة، واجتاز بساحل دمشق، أو بها»[(٢)].

قال أحمد بن حنبل: ومن كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه، وضبطه، وإتقانه؟! حدثني إسحاق بن عيسى أنَّه لقيه سنة أربع وستين ومئة وأن كتبه احترقت

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٦٨) ترجمة «عبد الله بن عون بن أرطبان المزني» وكان يقال لابن عون: سيد القراء في زمانه.

قال الذهبي عنه: «وكان من أئمة العلم والعمل».

وعن القعنبي، قال: «كان ابن عون لا يغضب، فإذا أغضبه رجل، قال: بارك الله فيك».

قال عبد الرحمن بن مهدي: «ما كان بالعراق أعلم بالسنة من ابن عون».

وعن حماد، قال: «فقهاؤنا: أيوب، ويونس، وابن عون».

قلت -الذهبي-: هؤلاء الثلاثة أنجم البصرة في الحفظ، وفي الفقه، وفي العبادة، والفضل، ورابعهم: سليمان التيمي -رحمه الله-.

وانظر: تاريخ الإسلام (٤/ ١٠١).

(٢) السير (٨/ ١٩).

سنة تسع وستين ومئة[١].

٣٠٣ عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ)

الإمام، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم، التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، وكانت أمه خوارزمية[٢].

قال الإمام أحمد: «ذهبت لأسمع من ابن المبارك فلم ألحقه، قَدِم وخرج إلى الثغر ولم أره، ورأيت ابن وهب بمكة»[٣].

وقال عمر بن سعيد الطائي: حدثنا عمر بن حفص الصوفي، بمنبج، قال: خرج ابن المبارك من بغداد يريد المصيصة، فصحبه الصوفية، فقال لهم: أنتم لكم أنفس تحتشمون أن ينفق عليكم، يا غلام هات الطست، فألقى على الطست منديلًا، ثمَّ قال: يلقي كل رجل منكم تحت المنديل ما معه، فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم والرجل يلقي عشرين، فأنفق عليهم إلى المصيصة، فلما بلغ المصيصة، قال: هذه بلاد نفير، فنقسم ما بقي، فجعل يعطي الرجل عشرين دينارًا، فيقول: يا أبا عبد الرحمن إنَّما أعطيت عشرين درهمًا، فيقول: وما تنكر أن يبارك الله للغازي في نفقته![٤].

قال العباس بن مصعب: «جمع عبد الله الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة، والمحبة عند الفرق»[٥].

---

(١) طبقات علماء الحديث (١/ ٣٥١)، و«تهذيب الكمال» (١٥/ ٤٩٣-٤٩٤).

(٢) انظر: طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٤٤٦).

(٣) تهذيب الكمال (١/ ٤٤٦)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (١/ ١٨٧).

(٤) تاريخ بغداد (١١/ ٣٨٨).

(٥) السير (٨/ ٣٨٣)، و«طبقات علماء الحديث» (١/ ٤٠٤).

وقال الحسن بن عيسى بن ماسرجس: اجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن الحسين، ومحمد بن النضر، فقالوا: تعالوا حتى نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: «العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والشعر، والفصاحة، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه»(١).

وعن عبدة بن سليمان قال: «كنَّا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم؛ فصادفنا العدو، فلمَّا ألتقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثمَّ آخر فقتله، ثمَّ دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، فازدحم عليه النَّاس، وكنت فيمن ازدحم عليه فإذا هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال: وأنت يا أبا عمرو ممَّن يشنع علينا؟!»(٢).

وعن عبد الله بن سنان، قال: كنت مع ابن المبارك، ومعتمر بن سليمان بطرسوس، فصاح الناس: النفير.

فخرج ابن المبارك، والناس، فلما اصطف الجمعان، خرج رومي، فطلب البراز، فخرج إليه رجل، فشد العلج عليه، فقتله، حتى قتل ستة من المسلمين، وجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة، ولا يخرج إليه أحد، فالتفت إلي ابن المبارك، فقال: يا فلان! إن قتلت، فافعل كذا وكذا.

---

(١) تاريخ الإسلام (٤/ ٨٨٢).

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٠)، و«صفة الصفوة» (٤/ ١٤٤)، وفي «المنامات» لابن أبي الدنيا (٢٧٣)، الحسن بن محبوب، قال: سمعت من بعض أصحابنا أن ابن المبارك، ﷺ رؤي في النوم، فقيل له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي، قيل: بالحديث؟ قال: «لا بالدرب بالدرب يعني درب الروم».

ثمَّ حرك دابته، وبرز للعلجِ، فعالج معه ساعة، فقتل العلج، وطلب المبارزة، فبرز له علج آخر، فقتله، حتى قتل ستة علوج، وطلب البراز، فكأنهم كاعوا[١] عنه، فضرب دابته، وطرد بين الصفين، ثمَّ غاب، فلم نشعر بشيء، وإذا أنا به في الموضعِ الذي كان، فقال لي: «يا عبد الله! لئن حدثت بهذا أحدًا، وأنا حي...، فذكر كلمة..»[٢].

وعن عبد الله بن محمد قاضي نصيبين، حدثنا محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة، قال: أملى علي ابن المبارك سنة سبع وسبعين ومئة، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس:

يَا عَابِدَ الحَرَمِيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا ... لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي العِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ جِيْدَهُ بِدُمُوْعِهِ ... فَنُحُوْرُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتْعِبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ ... فَخُيُوْلُنَا يَوْمَ الصَّبِيْحَةِ تَتْعَبُ
رِيْحُ العَبِيْرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيْرُنَا ... رَهَجُ السَّنَابِكِ[٣] وَالغُبَارُ الأَطْيَبُ
وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا ... قَوْلٌ صَحِيْحٌ صَادِقٌ لاَ يُكْذَبُ:
لاَ يَسْتَوِي وَغُبَارُ خَيْلِ اللهِ فِي ... أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ[٤]
هَذَا كِتَابُ اللهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا ... لَيْسَ الشَّهِيْدُ بِمَيِّتٍ لاَ يُكْذَبُ

فلقيتُ الفضيل بكتابه في الحرم، فقرأه، وبكى، ثمَّ قال: «صدق أبو عبد الرحمن

---

(١) كاعوا عنه: جبنوا، والكاعي: المنهزم.

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٨-٤٠٩)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ٨٨٢).

(٣) الرهج والرهج: الغبار، والسنابك جمع سنبك طرف حافر الخيل وجانباه من قدام.

(٤) يشير إلى الحديث الذي رواه أحمد في «مسنده» (٧٤٨٠) والنسائي في «الكبرى» (٣١١٠) من حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا، ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد أبدًا» وفي سنده ابن اللجلاج لم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات، وله طريق آخر.

ونصح»[١].

فلله دره صدق فيه وأمثاله من اخوانه العلماء العاملين أن يقال:

إذا ركبوا زانوا المواكب هيبة   وإن جلسوا كانوا صدور المجالس[٢]

وعن عبدة بن سليمان قال: كنَّا مع ابن المبارك في أرض الروم فبينا نحن نسير ذات ليلة، والسماء من فوقنا والبلة من تحتنا، فقال ابن المبارك: «يا أبا محمد أفنينا أيامنا في الايلاء والظهار عن مثل هذه الليالي»، فلمَّا اصبحنا نزلنا على عيني ماء فجعل الناس يتبادرون ويسقون دوابهم فقدم ابن المبارك دابته فضرب رجل من أهل الثغر وجه دابة ابن المبارك وقدم دابته، فقال: أبا محمد المنافسة في مثل هذا الموضع ليس في الموضع الذي إذا رأونا قالوا وسعوا لأبي عبد الرحمن، أرتفع يا أبا عبد الرحمن[٣].

قال ابن الجوزي في «صفة الصفوة»: توفي بهيت -في أرض العراق- منصرفًا من الغزو لثلاث عشرة خلت من رمضان، سنة إحدى وثمانين ومئة، وهو ابن ثلاث وستين سنة

وعن محمد بن فضيل بن عياض، قال: رأيت عبد الله بن المبارك في المنام، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟

قال: الأمر الذي كنت فيه.

قلت: الرباط والجهاد؟

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٢-٤١٣).

(٢) الخلاصة للمحبي (١/ ١٨٠).

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٣٠٧-٣٠٨).

قال: نعم.

قلت: فأي شيء صنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة، وكلمتني امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحور العين[١].

وقال:

أيُّها القارئ الذي لبس الصوفَ	وأمسى يعدُ في الزهادِ
الزم الثغر والتواضع فيه	ليس بغداد منزل العبادِ
إنَّ بغداد للملوك محل	ومناخ للقارئ الصياد[٢]

ومن أخباره:

قيل له: إلى متى تطلب الحديث؟ فقال: «إلى أن أموت»[٣].

وقيل له وهو في الشام: إلى كم تطلب العلم؟

فقال: «أرجو أن تروني فيه إلى إن أموت، أليس يقال له يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في الماء فلهذا متروك»[٤].

وقال: «خرجت أنا وابراهيم بن أدهم من خراسان، ونحن ستون فتى نطلب العلم ما منهم آخذ غيري»[٥].

وكان يقول: «طلبت الأدب ثلاثين سن، وطلبت العلم عشرين سنة».

وقال ابن حنبل: «لم يكن في زمن ابن المبارك أحد أطلب للعلم منه، دخل اليمن

---

(١) صفة الصفوة، (٤/ ١٤٧).

(٢) تاريخ بغداد (١/ ٣١٦-٣١٧)، والشعر المثبت من «المحدث الفاصل» (ص١٨٤ - ١٨٦).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٢٠).

(٤) طبقات القراء (١/ ٤٤٦).

(٥) حلية الأولياء (٧/ ٣٦٩).

ومصر والشام والحجاز والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم وكان أهلًا لذلك، كتب عن الصغار والكبار، وما أقل سقطه. كان يحدث من كتاب»(١).

ومن هنا تعلم قول إبراهيم بن شماس: «لو تمنيت: كنت أتمنى عقل ابن المبارك وورعه، وزهد ابن فضيل ورقته، وعبادة وكيع وحفظه، وخشوع عيسى بن يونس، وصبر حسين الجعفي»(٢).

٣٠٤ عبد الله بن محمد العسقلاني المكي. المقرئ الشافعي، المحدث الإمام، القدوة الرباني بهاء الدين أبو محمد

وكان حسن القراءة، جيد المعرفة، مليح المذاكرة، متين الديانة، ثخين الورع مكثرًا للانقطاع والخمول، كبير القدر.

انقطع بزاويةٍ بظاهرِ الإسكندريَّة على البحر مرابطًا(٣).

٣٠٥ عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي الإمام، الحافظ، البارع، الثقة، ابن الفرضي، مصنف «تاريخ الأندلسيين» (ت ٤٠٣)

أخذ عن: أبي جعفر بن عون الله، وأبي عبد الله بن مفرج، وعبد الله بن قاسم، وعباس بن أصبغ، وخلف بن القاسم، وخلق.

قال أبو مروان بن حيان: وممن قتل يوم أخذت قرطبة الفقيه الأديب الفصيح ابن الفرضي، ووري متغيرًا من غير غسل، ولا كفن ولا صلاة، ولم ير مثله بقرطبة في

---

(١) ترتيب المدارك (٣/ ٣٩).

(٢) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٤).

(٣) معجم المحدثين للذهبي (ص٦٣).

سعة الرواية، وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال، والافتنان في العلوم والأدب البارع.

قال ابن الفرضي: تعلقتُ بأستار الكعبة وسألت الشهادة، ثمَّ انحرفت وفكرت في هول القتل فندمت وهممت أن أرجع، وأستقيل الله ذلك فاستحييت.

قال الحميدي: فأخبرني من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف: «لا يكلم أحد في سبيل الله -والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا وجاء يوم القيامة وجرحه يثعَبُ دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك» كأنَّه يعيد الحديث على نفسه، ثمَّ قضى على أثر ذلك[1].

قتل رحمه الله سنة ثلاث وأربع مئة كهلًا[2]، ومن شعره رحمه الله:

أَسِيرُ الخَطَايا عندَ بابكَ واقفٌ ... على وجل ممَّا به أَنتَ عارفُ
يخافُ ذنوبًا لم يغب عنكَ غيبها ... ويرجوكَ فيها فهو راج وخَائفُ
ومن ذا الذي يرجى سِواكَ ويتقي ... وما لكَ من فضل القضاءِ مخالفُ
فيا سيدي لا تخزني في صَحيفتي ... اذا نُشِرتْ يوم الحسابِ الصحائفُ
وكن مُؤنسي في ظلمةِ القبر عندما ... يصدُّ ذوو وُدي ويجفو الموالفُ
لئن ضاقَ عني عفوكَ الواسعُ الذي ... أُرجى لإسرافي فإني لتالفُ.

٣٠٦ عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشاير بن عبد الله بن محمد بن شاس الجذامي السعدي (ت ٦١٦هـ)

فقيه مالكي، كنيته أبو محمد الملقب بالخلال.

كان فقيهًا فاضلًا في مذهبه عارفًا بقواعده.

---

(١) الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٨٦).

(٢) السير (١٧/ ١٧٧)، وكثيرًا ما ينقل عنه ابن عبد الهادي في «طبقات علماء الحديث».

قال ابن فرحون: رأيت بمصر جمعًا كثيرًا من أصحابه يذكرون فضائله، وصنف في مذهب الإمام مالك ﷺ كتابًا نفيسًا، سمَّاه: «الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة»، وصنفه على ترتيب الوجيز لأبي حامد الغزالي وفيه دلالة على غزارة فضائله.

وكان مدرسًا بمصر بالمدرسة المجاورة للجامع العتيق، وتوجه إلى ثغر دمياط لما أخذه العدو المخذول بنية الجهاد فتوفي هناك في جمادى الآخرة[1].

٣٠٧ الفقيه عبد الله بن ياسين (ت ٤٥١ هـ)

ظهر بعد الأربعين وأربع مئة، فذكر علي بن أبي فنون قاضي مراكش أنَّ جوهرا - رجلًا من المرابطين - قدم من الصحراء إلى بلاد المغرب ليحج، والصحراء برية واسعة جنوبي فاس وتلمسان، متصلة بأرض السودان، ويذكر لمتونة أنهم من حمير نزلوا في الجاهلية بهذه البراري، وأول ما فشا فيهم الإسلام في حدود سنة أربع مئة، ثم آمن سائرهم، وسار إليهم من يذكر لهم جملا من الشريعة، فحسن إسلامهم - ثم حج الفقيه المذكور، وكان دينا خيرا، فمر بفقيه يقرئ مذهب مالك - ولعله أبو عمران الفاسي بالقيروان- فجالسه وحج، ورجع إليه، ثم قال: يا فقيه! ما عندنا في الصحراء من العلم إلا الشهادتين والصلاة في بعضنا.

قال: خذ معك من يعلمهم الدين.

قال جوهر: نعم، وعليَّ كرامته.

فقال لابن أخيه: يا عمر! اذهب مع هذا.

---

(١) الديباج المذهب (١/ ٤٤٣)، و«السير» (٢٢/ ٩٨-٩٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٣/ ٤٧٣).

فامتنع، فقال لعبد الله بن ياسين: اذهب معه.

فأرسله.

وكان عالمًا قوي النفس، فأتيا لمتونة، فأخذ جوهر بزمام جمل ابن ياسين[1] تعظيمًا له، فأقبلت المشيخة يهنئونه بالسلامة، وقالوا: من ذا؟.

قال: حامل السنة.

فأكرموه، وفيهم أبو بكر بن عمر، فذكر لهم قواعد الإسلام، وفهمهم، فقالوا: أمَّا الصلاة والزكاة فقريب، وأمَّا من قتل يقتل، ومن سرق يقطع، ومن زنى يجلد، فلا نلتزمه! فاذهب!.

فأخذ جوهر بزمام راحلته، ومضيا.

وفي تلك الصحاري المتصلة بإقليم السودان قبائل ينسبون إلى حمير، ويذكرون أنَّ أجدادهم خرجوا من اليمن زمن الصديق، فأتوا مصر، ثمَّ غزوا المغرب مع موسى بن نصير، ثمَّ أحبوا الصحراء وهم: لمتونة، وجدالة، ولمطة، وإينيصر، ومسوفة.

قال: فانتهيا إلى جدالة، قبيلة جوهر، فاستجاب.

بعضهم، فقال ابن ياسين للذين أطاعوه: قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء الجاحدين، وقد تحزبوا لكم، فانصبوا راية وأميرا.

قال جوهر: فأنت أميرنا.

---

(١) وهذا من تعظيمهم لأهل العلم واحترامهم، وقد فعله السلف: كابن عباس ﷺ مع جلالته وكونه من آل البيت، فعله لشيخه زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ، فلا يمتنع عن فعل هذا إلا مريض قلب، أو جاهل جهول لا يعرف أقدار الرجال ومنازلهم، وترك التكلف بمثل هذا أفضل خشية الفتنة والغلو فيه.

قال: لا، أنا حامل أمانة الشرع، بل أنت الأمير.

قال: لو فعلت لتسلطت قبيلتي، وعاثوا.

قال: فهذا أبو بكر بن عمر رأس لمتونة، فسر إليه واعرض عليه الأمر...، إلى أن قال: فبايعوا أبا بكر، ولقبوه أمير المسلمين، وقام معه طائفة من قومه وطائفة من جدالة، وحرضهم ابن ياسين على الجهاد، وسماهم المرابطين، فثارت عليهم القبائل، فاستمالهم أبو بكر، وكثر جمعه، وبقي أشرار، فتحيلوا عليهم حتى زربوهم في مكان، وحصروهم، فهلكوا جوعا، وضعفوا، فقتلوهم، واستفحل أمر أبي بكر بن عمر، ودانت له الصحراء، ونشأ حول ابن ياسين جماعة فقهاء وصلحاء، وظهر الإسلام هناك[1].

وقد قال ابن ياسين رحمه الله وهو يخاطب جموع المرابطين: معشر المرابطين، إنَّكم اليوم جمع كثير نحو ألف رجل! ولن يغلب ألف من قلة، وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم بأن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في الله حق جهاده.

فقالوا له: أيُّها الشيخ المبارك: مرنا بما شئت تجدنا سامعين لك مطيعين، ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا!

فقال لهم: اخرجوا على بركة الله، وأنذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وأبلغوهم حجته فإن تابوا فخلوا سبيلهم، وإن أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٢٥-٤٢٧)، و«الأعلام» (٤/ ١٤٣-١٤٤)، وانظر: «المسالك والممالك» للبكري (٢/ ٨٥٨-٨٥٩).




طغيانهم استعنًّا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين؛ فسار كل رجل منهم إلى قومه وعشيرته، فوعظهم وأنذرهم ودعاهم إلى الإقلاع عما هم بسبيله، فلم يرفعوا بذلك رأسًا.

فخرج إليهم عبد الله بن ياسين بنفسه وجمع أشياخ قبائلهم ووجوهها وقرأ عليهم حجة الله، ودعاهم إلى التوبة، ورغبهم في الجنة، وخوفهم من النار، وأقام ينذرهم سبعة أيام، وهم في ذلك كله لا يلتفتون إلى قوله ولا يزدادون إلا فسادًا فلمَّا يئس منهم، قال لأصحابه: «قد أبلغنا في الحجة وأنذرنا وأعذرنا وقد وجب علينا الآن جهادهم فاغزوهم على بركة الله» فبدأ أولًا بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين فانهزموا بين يديه، وقتل منهم خلقًا كثيرًا، وأسلم الباقون إسلامًا جديدًا، وحسنت حالهم، وأدوا ما يلزمهم من كل ما فرض الله عليهم وكان ذلك في صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمائة.

ثمَّ سار إلى قبيلة لمتونة فنزل عليها، وقاتلهم حتى أظهره الله عليهم، وأذعنوا إلى الطاعة، وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة.

ثمَّ سار إلى قبيلة مسوفة فقاتلهم حتى أذعنوا له، وبايعوه على ما بايعته لمتونة وكدالة؛ فلمَّا رأى ذلك سائر صنهاجة سارعوا إلى التوبة والمبايعة وأقروا له بالسمع والطاعة، فكان كل من أتاه تائبًا منهم يطهره بأن يضربه مائة سوط، ثم يعلمه القرآن وشرائع الإسلام، وكان يأمرهم بالصلاة والزكاة وأداء العشر، واتخذ لذلك بيت مال يجمع فيه ما يرفع إليه من ذلك.

ثمَّ أخذ في اشتراء السلاح وأركاب الجيوش من ذلك المال، وجعل يغزو القبائل

حتى ملك جميع بلاد الصحراء وذلل قبائلها[١].

٣٠٨ عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم (ت١٩٧هـ)

قال سحنون: «كان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثًا، ثلثًا في الرباط، وثلثًا يعلم الناس بمصر. وثلثًا في الحج».

وذكر أنَّه حج ستًا وثلاثين حجة.

قال ابن وهب: جعلت على نفسي كلما اغتبت إنسانًا صيام يوم، فهان علي، فجعلت عليها إذا اغتبت إنسانًا علي صدقة درهم فثقل عليّ وتركت الغيبة.

قال أبو جعفر الأيلي: قال ابن وهب: ما من ليلة تمر إلا وأنا استهولها واذكر بها هول الآخرة، ولما طلب لقضاء مصر، استخفى عند حرملة سنة وأشهرًا.

وقال أبو زيد بن أبي الغمر: كنَّا نسمي ابن وهب ديوان العلم.

قال ابن أبي حاتم أنا أحمد بن عبد الرحمن أنا عمي قال: سئل مالك عن تخليل الأصابع فلم ير ذلك فقلت: يا أبا عبد الله إن عندنا لذلك سنة، أنا الليث وعمرو بن الحارث عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «إذا توضأت فخلل أصابع رجليك». فرأيته بعد ذلك يسأل عنه فيأمر بتخليل الأصابع، وقال لي: ما سمعت بهذا قط إلا الآن.

وقال يونس: مات في شعبان سنة سبع وتسعين ومئة رحمه الله تعالى.

وقال أبو الطاهر: جاء نعي ابن وهب ونحن في مجلس ابن عيينة، فقال: «إنا لله وإنا

---

[١] الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٢/ ١٠).

إليه راجعون، أصيب المسلمون به عامة، وأصبت به خاصة»[١].

٣٠٩ عبيد الله بن أبي جعفر المصري، أبو بكر الفقيه، مولى بني كنانة، ويقال: مولى بني أمية (ت ١٣٤هـ)

روى عنه: حيوة بن شريح، وسليمان بن أبي داود، وعبد الله بن لهيعة، والليث بن سعد، ومحمد بن إسحاق بن يسار.

روى له الجماعة.

وقال أبو نصر الكلاباذي البخاري: كان فقيهًا في زمانه.

وقال أبو سعيد بن يونس: كان عالمًا عابدًا زاهدًا.

وعن عبيد الله بن أبي جعفر: غزونا القسطنطينية فكسر بنا مركبنا فألقانا الموج على خشبة في البحر وكنَّا خمسة، أو ستة فأنبت الله لنا بعددنا ورقة لكل رجل منا فكنا نمصها فتشبعنا وتروينا فإذا أمسينا أنبت الله لنا مكانها حتى مر بنا مركب فحملنا[٢].

٣١٠ عبد القادر بن موسى كاظم الحُسَيْني (ت ١٣٦٧هـ)

مجاهد، كان شعلة حمية ونجدة وذكاء.

درس الشيخ عبد القادر في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ونقم على الروح التنصيرية الاستعمارية فيها، وعند إقامة حفلة التخرج للدفعة الأولى التي كان هو أحد أفرادها عام (١٩٣٢م)، وقد حضر هذا الحفل حشد كبير من رجال السياسة

---

(١) ترتيب المدارك (٣/ ٢٤٠)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٢٣)، و«طبقات علماء الحديث» (١/ ٤٤٠).

(٢) تهذيب الكمال (١٩/ ١٨-٢٠).

والعلم، وذوي المكانة من المصريين والأجانب.

وعندما نودي على عبد القادر ليتسلم شهادته، تقدم بهدوء ووقار إلى منصة الرئاسة، وتسلم شهادته من رئيس الجامعة، ثمَّ مزَّقها إربًا على مرأى من الجميع، وصرخ في وجه الرئيس قائلًا: «لست بحاجة إلى شهادة من معهدكم، الذي هو معهد استعماريّ تبشيري»، وهتف لفلسطين وسط ذهول الحاضرين، الذين ما لبثوا أن قابلوه بحماس، وبعاصفة من التصفيق الحاد.

وقد سحبت الجامعة بعد ذلك شهادة الحسيني، وقام هو بدوره بنشر بيان في الصحف، يفضح فيه أساليب التنصير التي تتبعها الجامعة، وعداء رئيس الجامعة للإسلام والمسلمين[1].

ولد الشيخ بالقدس، وتعلم في الجامعة الأميركية بالقاهرة، وشارك في بعض الثورات على الحكومة البريطانية، في عهد احتلالها فلسطين، وجرح سنة (١٩٣٧ م)، ثمَّ نقل إلى دمشق، وعولج.

وقصده بغداد، فدخل «الكلية الحربية» متعلمًا ومتمرنًا. ثمَّ عمل في الجيش العراقي مدة قصيرة. وشبت ثورة رشيد عالي الكيلاني (سنة ١٩٤١ م) فكان له أثر فيها، واعتقل نحو سنتين وأطلق، فتوجه إلى الحجاز فأقام «١٨» شهرًا، وانتقل إلى مصر. ونشبت معركة فلسطين، بين العرب واليهود، فقاد مجاهدي المنطقة الجنوبية (القدس وما حولها) واستشهد على أبواب «القسطل» وهو محاصر لها ودفن في المسجد الأقصى[2].

---

(١) علماء الشام في القرن العشرين (ص٣٧٣-٣٧٤).

(٢) الأعلام (٤/ ٤٨).

٣١١ عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الروياني. القاضي، العلامة، فخر الإسلام، شيخ الشافعية (ت ٥٠١هـ)

سمع: أبا منصور محمد بن عبد الرحمن الطبري، وأبا غانم أحمد بن علي الكراعي المروزي، وأبا نصر أحمد بن محمد البلخي، وشيخ الإسلام أبا عثمان الصابوني.

حدث عنه: زاهر الشحامي، وإسماعيل بن محمد التيمي، وأبو طاهر السلفي، وأبو رشيد إسماعيل بن غانم، وأبو الفتوح الطائي، وعدة.

وكان يقول: «لو احترقت كتب الشافعي، لأمليتها من حفظي».

وكان نظام الملك كثير التعظيم له.

قلت: قتل سنة إحدى وخمس مئة على يد الحشاشين[1].

٣١٢ عبد الوهاب بن بخت المكي أبو عبيدة، ويقال: أبو بكر، مولى بني مروان بن الحكم، سكن الشام، ثم المدينة (ت ١١٣هـ)

روى عن: أبي هريرة، وابن عمر مرسلًا، وعن أنس، وأبي إدريس الخولاني، وزر بن حبيش، وعمر بن عبد العزيز، وعبد الواحد النصري.

روى عنه: ابن عجلان أيضًا، وزيد بن أبي أنيسة، ومعاذ بن رفاعة، وخالد بن أبي يزيد، ومعاوية بن صالح الحضرمي، وشعيب بن أبي حمزة، ومالك بن أنس، وطائفة.

---

(١) السير (١٩/ ٢٦١-٢٦٢)، و«الكامل» لابن الأثير (٨/ ٥٧٦).

قال ابن معين: ثقة شامي نزل المدينة. وكذا وثقه النسائي وجماعة.

وقال مصعب الزبيري: «**كان عبد الوهاب بن بخت يشبه بالبَطَّال في بلاد العدو،** وهما من موالي آل مروان، وقال مالك بن أنس، عن عبد الوهاب بن بُخْت: إنه لم يكن أحق بما في رحله في السفر من رفقائه، **وكان كثير الحج والغزو حتى استُشْهِد**»(١).

٣١٣ أبو عمرو الداني. عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم القرطبي الإمام العلم المعروف في زمانه بابن الصيرفي (ت ٤٤٤ هـ)

وعرف بأبي عمرو الداني لنزوله بدانية.

من أهم مصنفاته: (السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها)، و(الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات)، وله رسائل في التجويد وعلم القراءات، منها: (المكتفى في الوقف والابتدا).

قال: وابتدأت بطلب العلم في سنة ست وثمانين وثلاث مئة، ورحلت إلى المشرق سنة سبع وتسعين فمكث بالقيروان أربعة أشهر أكتب، ثمَّ دخلت مصر في شوال من السنة فمكثت بها سنة، وحججت، ودخلت الأندلس في ذي القعدة سنة تسع وتسعين، وخرجت إلى الثغر سنة ثلاث وأربع مئة فسكنت سرقسطة سبعة أعوام، ثمَّ رجعت إلى قرطبة، قال: وقدمت دانية سنة سبع عشرة فاستوطنها حتى مات(٢).

---

(١) تذهيب تهذيب الكمال (٦/ ١٨٦).

(٢) معرفة القراء الكبار (١/ ٤٠٦).

٣١٤ عثمان بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود الكناني العسقلاني الشهير بابن حجر وبابن البزاز (ت ٧١٤هـ)

سكن ثغر الإسكندرية فانتهت إليه رئاسة الافتاء في مذهب الشافعي هناك ذكر ذلك العفيف المطري في «ذيل الطبقات».

وقال العلامة فخر الدين أبو عمرو: «مفتي الثغر وفقيه الشافعية في زمانه، تفقه به جماعة منهم الدمنهوري وابن الكويك».

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: وهو عم والدي رحمه الله[1].

٣١٥ العز عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام، وبقية الأئمة الأعلام، عز الدين، أبو محمد السلمي، الدمشقي، الشافعي (ت ٦٦٠ هـ)

روى عنه: العلامة أبو الفتح ابن دقيق العيد، وأبو محمد الدمياطي، وأبو الحسين اليونيني، وأبو العباس أحمد بن فرح، وتاج الدين ابن الفركاح.

قال عز الدين عنه: «حدث، ودرس، وأفتى، وصنف، وتولى الحكم بمصر مدة والخطابة بجامعها العتيق، وكان علم عصره في العلم، جامعا لفنون متعددة، عارفا بالأصول والفروع والعربية، مضافا إلى ما جبل عليه من ترك التكلف، والصلابة في الدين، وشهرته تغني عن الإطناب في وصفه».

وقال السبكي: «سلطان العلماء إمام عصره بلا مدافعة القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه».

من مصنفاته: «التفسير»، و«اختصار النهاية،» و«القواعد الكبرى»، والصغرى»،

---

(١) الدرر الكامنة (٢/ ٢٦٢).

و«كتاب الصلاة»، و«الفتاوى الموصلية»، و«فوائد البلوى والمحن» وغير ذلك.

استمرَّ الشيخ عز الدين بدمشق إلى أثناء أيام الصالح إسماعيل المعروف بأبي الخيش فاستعان أبو الخيش بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف فأنكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعاء له في الخطبة، وساعده في ذلك الشيخ أبو عمرو ابن الحاجب المالكي؛ فغضب السلطان منهما فخرجا إلى الديار المصرية في حدود سنة تسع وثلاثين وستمئة، فلمَّا مر الشيخ عز الدين بالكرك تلقاه صاحبها وسأله الإقامة عنده، فقال له: «بلدك صغير على علمي»، ثم توجه إلى القاهرة فتلقاه سلطانها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل وأكرمه وولاه خطابة جامع عمرو ابن العاص بمصر والقضاء بها

وقد ذكرت إنكاره على المماليك، وقصته مع قطز في كتاب (العلاقة بين الأمراء والعلماء) فأترك ذكرها هنا خشيةَ الإطالة[1].

٣١٦ الشيخ عز الدين القسام (ت ١٣٥٤هـ)

عز الدين بن عبد القادر مصطفى القسام، من مواليد مدينة جبلة التابعة لمحافظة اللاذقية على الساحل السوري.

تعلم في الأزهر بمصر. واشتغل في بلده بالتعليم والوعظ إلى أن احتل الفرنسيون ساحل سورية في ختام الحرب العامة الأولى (سنة ١٩١٨) فثار في جماعة من تلاميذه ومريديه. وطارده الفرنسيون، فقصد دمشق، إبان الحكم الفيصلي. ثمَّ

---

(١) تاريخ الإسلام (١٤/ ٩٣٣)، و«طبقات الشافعية» (١٣/ ٥١٥)، و«البداية والنهاية» (١٧/ ٤٤١-٤٤٢).

غادرها بعد استيلاء الفرنسيين عليها (سنة ١٩٢٠) فأقام في حيفا (بفلسطين).

وتولى فيها إمامة جامع الاستقلال وخطابته، ورياسة جمعية الشبان المسلمين. وتعاون مع الشيخ محمد كامل القصاب على تأليف كتاب (النقد والبيان).

استفحل الخطر الصهيوني، فثارت فلسطين على الإنكليز، وكانوا حكامها (سنة ١٩٣٤) وظهرت بطولة القسام في معارك خاضها في تلك الثورة، منفردًا بعصبة من رجاله، يقاتلون كلما وجدوا سبيلًا إلى القتال، ويأوون إلى الكهوف والمغاور. ومات شهيدًا في أواخر عهد الثورة، فدفن في قرية (الشيخ) بجوار حيفا[١].

كان الشيخ يخرج إلى القرى المجاورة، قرية جنين وما حولها، يلقي الدروس في مساجدها، فيأتي الناس إلى كل قرية يحل فيها، فصار ينظر للقسام على أنَّه قائد إسلامي من طراز متميز[٢]، وكان شعار القسام «هذا جهاد نصر أو استشهاد»[٣]، وكان الشيخ القسام حازمًا جدًا في تدريب المجاهدين، وقد وصف أحد المجاهدين القساميين طريقته ودرجة الطاعة له قائلًا: «كان يأخذنا لدروس التدريب، ويطلب منَّا أن نمشي حفاةً، وعندما كنَّا نتدرب في الجبال، كان يجعلنا ننام في العراء في جو بارد، وكان يطلب منَّا السير دون استخدام لطعام أو ماء، حتى نستطيع تحمل الجوع والعطش، وكان يطلب منَّا أن ننام مرة أو مرتين في الأسبوع على حصيرة قش على الأرض وبغطاء خفيف»[٤].

باع الشيخ القسام بيته الوحيد في حيفا استعدادًا للجهاد، وباع أصحابه حلي

---

(١) الأعلام للزركلي (٦/ ٢٦٧-٢٦٨).

(٢) علماء الشام في القرن العشرين (ص٣٥٦).

(٣) (ص٣٦٠).

(٤) (ص٣٦٤).

زوجاتهم وبعض أثاثهم، واشتروا بثمنها بنادق ورصاصًا، وقبل الخروج ذهب كل مجاهد منهم إلى أهله يستودعهم الله، ويواعدهم اللقاء في الجنة، وحمل كل منهم مصحفًا في جيبه، ليكون له أنيسًا وهاديًا ومنهجًا، وكان حب الجهاد والشهادة، قد ملك عليهم قلوبهم، فقد كانوا يرون أنَّ السعادة كل السعادة في بلوغ الشهادة، والتمتع بما أعد الله سبحانه للمجاهدين في الجنَّة[1].

وفي صباح ٢٠ تشرين الثاني (١٩٣٥م) طوقت القوات البريطانية المنطقة في أحراش يعبد، بأعداد كبيرة، لا تقل عن (٤٠٠ رجل) معظمهم من الإنجليز.

وقد رفض الشيخ الاستسلام، والتفت إلى إخوانه قائلًا: «موتوا شهداء»، ثمَّ قال لهم: «عليكم بالإنجليز فاجلعوهم هدف رصاصكم، أمَّا الجنود العرب فهم مساكين، لا يدرون ماذا نصنع، ولا ما يصنعون». وأخذ الشيخ يثير روح الجهاد والاستشهاد في نفوس إخوانه، وهو يردد: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، يا رفاقي موتوا شهداء». وقد التحم الجانبان في معركة استمرت حتى العصر (أي حوالي ست ساعات) خسر البريطانيون خلالها (١٥ جنديًا)، ثمَّ استشهد الشيخ القسام وثلاثة من إخوانه، وجرح اثنان[2].

يقول الشيخ علي الطنطاوي: «هذا الشيخ المؤمن القوي الذي استحى من الله أن يُقرئ تلامذته أحكام الجهاد في كتب الفقه وأنَّه يكون فرضًا على المسلمين جميعًا إذا احتلّ الكافر الأرض الإسلاميَّة، ثم يذهب إلى داره فيأكل الرز واللحم ويشرب الشاي وينام مطمئنًا إلى أنَّه قام بكل ما يطلبه الإسلام من الرجل المسلم؛ فخرج

---

(١) (ص٣٦٦).

(٢) (ص٣٦٧).

معهم بعد أن تدرّب على القتال ودرّبهم، وباشر الجهاد فعلًا، يوقع بالإنكليز ويحارب اليهود لإعلاء كلمة الله ولتخلص فلسطين لأهلها، ولبث على ذلك حتَّى سقط شهيدًا. والدعوة ببثّ الأفكار وعرض الحقائق على أفراد الناس في المجالس والمجامع والطرق وفي كل مكان، بالأسلوب المناسب والتعبير الموافق لما تقتضيه الحال، من غير دخول في جدل أو اشتباك مع مخالف. وله جملة واحدة مشهورة يلخّص فيها مذهبه هذا، هي: قُل كلمتك وامشِ»[١].

٣١٧ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثمَّ الأندلسي القرطبي (ت ٤٥٦هـ)

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام -وكان أحد المجتهدين-: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل (المحلى) لابن حزم، وكتاب (المغني) للشيخ موفق الدين.

قال الذهبي: لقد صدق الشيخ عز الدين.

وثالثهما: (السنن الكبير) للبيهقي.

ورابعها: (التمهيد) لابن عبد البر[٢].

فمن حصل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها، فهو العالم حقًا.

قال أبو بكر محمد بن طرخان التركي: قال لي الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد -يعني: والد أبي بكر بن العربي-: أخبرني أبو محمد بن حزم أنَّ سبب تعلمه الفقه

---

(١) الذكريات (٨/ ٥٩).

(٢) فاغتنم يا طالب العلم هذه الكتب، وانظر فيها، ففيها خير عظيم، وأضاف الشيخ الألباني لها كتابًا خامسًا وهو (المجموع) للنووي.

أنه شهد جنازة، فدخل المسجد، فجلس، ولم يركع، فقال له رجل: قم فصل تحية المسجد.

وكان قد بلغ ستًا وعشرين سنة.

قال: فقمت وركعت، فلمَّا رجعنا من الصلاة على الجنازة، دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، فقيل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة -وكان بعد العصر- قال: فانصرفت وقد حزنت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون.

قال: فقصدته، وأعلمته بما جرى، فدلني على (موطأ مالك)، فبدأت به عليه، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحوًا من ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة.

وكان يقول:

مُنَايَ مِنَ الدُّنْيَا علُوْمٌ أَبُثُّهَا ... وَأَنْشُرُهَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ
دُعَاءٌ إِلَى القُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... تَنَاسَى رِجَالٌ ذِكْرُهَا فِي المحَاضِرِ
وَأَلزمُ أَطرَافَ الثُّغُوْرِ مُجَاهِدًا ... إِذَا هَيْعَةٌ ثَارَتْ فَأَوَّلُ نَافِرِ
لأَلْقَى حِمَامِي مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ ... بِسُمْرِ العَوَالِي وَالرِّقَاقِ البَوَاتِرِ
كِفَاحًا مَعَ الكُفَّارِ فِي حَوْمَةِ الوَغَى ... وَأَكْرَمُ مَوْتٍ لِلْفتى قَتْلُ كَافِرِ
فَيَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْ حِمَامِي بِغَيْرِهَا ... وَلاَ تَجْعَلَنِّي مِنْ قَطِيْنِ المَقَابِرِ[1]

٣١٨ علي بن بكار أبو الحسن البصري الإمام، الرباني، العابد، أبو الحسن البصري، الزاهد، نزيل المصيصة (ت ٢٠٧هـ)

سكن طرطوسًا مرابطًا، ذكره ابن حبان في «الثقات» قتل بالمصيصة شهيدًا.

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٠٦)

وقال ابن سعد: كان عالمًا فقيهًا.

قال ابن الجوزي: «سكن المصيصة مرابطًا، وكان فقيهًا».

روى عنه: هناد بن السري، ويوسف بن سعيد بن مسلم.

روى عن: إبراهيم بن أدهم، وصحبه وتأدب به، وأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري، والحجاج بن فرافصة، والحسن بن دينار.

وكان فارسًا، مرابطًا، مجاهدًا، كثير الغزو، فروي عنه أنَّه قال: واقعنا العدو، فانهزم المسلمون، وقصر بي فرسي، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال الفرس: نعم، إنا لله وإنا إليه راجعون، حيث تتكل على فلانة في علفي، فضمنت أن لا يليه غيري.

وعنه، قال: لأن ألقى الشيطان، أحب إلي من أن ألقى حذيفة المرعشي، أخاف أن أتصنع له، فأسقط من عين الله.

وكان يصلي الفجر بوضوء العتمة[1].

قال أحمد بن صالح: كنت إذا نظرت إلى شيوخنا أبي إسحاق الفزاري، ومخلد بن حسين، وعلي بن بكار، انظر إلى قومٍ قد أذابوا أنفسهم، فما ينقضي عنهم شهر رمضان حتى نرى جلودًا على عظم.

وقال أبو زيد الرقي: كان علي بن بكار مرعوبًا من الخوف ﵀ تعالى وغفر له.

قال يوسف بن سعيد بن مسلم: بكى علي بن بكار حتى عمي، وكان قد أثرت الدموع على خديه.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٨٤-٥٨٥)، و«حلية الأولياء» (٩/ ٣١٨-٣١٩).

وقال محمد بن وضاح: طعن علي بن بكار فخرجت مصارينه على قربوس سرجة، فردها في بطنه، وسدها بعمامته وقاتل حتى قتل ثلاثة عشر علجًا وعاش بعد ذلك[1].

٣١٩ علي بن خشرم بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي، أبو الحسن بن عم بشر الحافي، وقيل ابن أخته (ت ٢٥٧هـ)

روى عنه: مسلم، والترمذي، والنسائي، وإبراهيم بن الليث النخشبي، وإبراهيم بن محمد السكري المروزي، وأبو حامد أحمد بن حمدون بن أحمد بن عمارة بن رستم الأعمشي.

قال النسائي: ثقة.

قال أبو رجاء محمد بن حمدويه: سمعته يقول: ولدت سنة ستين ومئة، وصمت ثمانية وثمانين رمضانا.

وروى غنجار في «تأريخ بخارى» بإسناده عن محمد بن يوسف الفربري، قال: سمعت من علي بن خشرم سنة ثمان وخمسين ومئتين وافى فربر مرابطًا[2].

وذكره بن حبان في «الثقات».

قال أبو رجاء محمد بن حمدويه: سمعته يقول: ولدت سنة (١٦٥) وصمت ثمانية وثمانين رمضانًا، ومات في رمضان سنة (٢٥٧ هـ).

---

(١) إكمال التهذيب (٩/ ٢٨٢)، و«تهذيب الكمال» (٢٠/ ٣٣٠)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٢٦٦).

(٢) تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٢٢-٤٢٣)، قال ابن حجر في «التقريب»: ثقة. وكتاب غنجار لا نعلم اليوم له نسخة في خزائن الكتب العالمية كما في حواشي «التهذيب».

مرابط في ثغور المسلمين فلم يهجع ولا سيفه في الله ما هجعا[١]

٣٢٠ علي بن عبد الله بن محمد الأنصاري القرطبي القاضي، العلامة، القدوة، أبو الحسن المالكي (ت ٦٥١هـ)

ولي قضاء أبذة، فأسره العدو لما أخذوها في سنة تسع وست مئة، ثمَّ تخلص، وولي قضاء شاطبة، ثمَّ شريش، ثمَّ قضاء قرطبة، ثمَّ أعيد إلى قضاء شاطبة وخطبتها، ثمَّ سبتة، ثمَّ قضاء فاس، وكان من رجال الكمال علمًا وعملًا[٢].

٣٢١ نجم الدين ابن حجّي عمر بن حجّي بن موسى بن أحمد بن سعد بن غُشَيْم بن غزوان بن علي، قاضي القضاة (ت ٨٣٠هـ)

قرأ القرآن العظيم، وصلّى، ثمَّ حفظ التنبيه في ثمانية أشهر، وحفظ غيره من المختصرات.

ورحل إلى القاهرة سنة تسع وثمانين وهي أول رحلاته إليها، وأخذ عن الشيخ وابن الملقن والعراقي والزركشي والدميري وغيرهم من علمائها، وأجازه الشيخ سراج الدين ابن الملقن.

حصلت له محنة في شهر رمضان سنة خمس وتسعين.

قال أبو البركات الغزي: قد شاهدت تدريسه فكان حسنًا مرتبًا مفيدًا إلى الغاية، وكان مع عظمته حسن الملتقى للناس، محبًا للفقراء، محسنًا للغرباء القادمين عليه، كثير المساعدة لأهل العلم والإحسان إليهم والتودد لهم، قامعًا للظلمة والمبتدعة،

---

(١) الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٦).

(٢) السير (٢٣/ ٣٠٤-٣٠٥).

لا يهاب أحدًا منهم ولا يبالي بهم، والله يؤيده وينصره.

قتل شهيدًا بمنزله بالنيرب[1] ليلة الإثنين عن ثلاث وستين سنة[2].

٣٢٢ المنبجي أبو بكر عمر بن سعيد بن أحمد (ت بين ٣٠١-٣١٠هـ)

الإمام، المحدث، القدوة، العابد، أبو بكر، عمر بن سعيد بن أحمد بن سعد بن سنان الطائي المنبجي.

سمع: أبا مصعب الزهري، وهشام بن عمار، ودحيمًا، وأحمد بن أبي شعيب الحراني، ومحمد بن قدامة، وطبقتهم.

حدث عنه: الطبراني، وأبو حاتم بن حبان، وعبدان بن حميد المنبجي، وأبو أحمد بن عدي، وعبد الله بن عبد الملك المنبجي، وأبو الأسد محمد بن إلياس البالسي، وآخرون.

قال ابن حبان: «كان قد صام النَّهار وقام الليل ثمانين سنة، غازيًا مرابطًا رحمة الله عليه»[3].

كذاك الفخر يا همم الرجال تعالي فانظري كيف التعالي.

٣٢٣ عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري المدني، نزيل عسقلان (ت ١٤٥هـ)

حدث عن: أبيه محمد، وجده زيد، وعم أبيه سالم بن عبد الله، ومولى جد أبيه نافع، وزيد بن أسلم، وأخويه أبي بكر بن محمد وزيد بن محمد، وعبد الله بن يسار،

---

(١) النيرب: قرية مشهورة بدمشق (معجم البلدان) (٥/ ٣٨٠).

(٢) بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين (ص٢١٦-٢١٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٠)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ١٨٨).

ومحمد بن مسلم الزهري، وأبي عقال هلال بن زيد بن يسار، وغيرهم.

وروى عنه: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، وعبد الله بن المبارك، ويزيد بن زريع، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب.

روى له الجماعة سوى الترمذي.

قال عباس بن محمد: سمعت يحيى -بن معين- يقول: عمر بن محمد بن زيد كان صالح الحديث، وكان ينزل عسقلان، وكان ولده بها، ومات بعسقلان مرابطًا[1].

٣٢٤ الشيخ عمر المختار (ت ١٣٥٠هـ)

عمر بن مختار بن عمر المِنِفِي البطل الليبي الذي حارب الاستعمار الإيطالي، وجيوشه المجهزة بأحدث أسلحة عصره، بالقلة المؤمنة العزلاء، أو شبه العزلاء من جنده؛ وقف يحارب الطائرة بالحصان، والمدفع بالسيف، واستطاع أن ينزل بأعدائه ضربات موجعة، ولم يرض بالتسليم ساعة ما، رغم نفاد قوته المادية كلها، ولكنه ظل يقول للطليان: «لئن كسر المدفع سيفي، فلن يكسر الباطل حقي».

وكان مريضًا بالحمى، تهز رعدتها جسده، وترتعد بها فرائصه، ورغم هذا قال لجنوده: «اربطوني على ظهر جوادي بالحبال حتى لا أتخلف عن القتال معكم».

وحين ظفر به الجيش المستعمر وحكموا عليه بالإعدام تقبل الحكم برحابة صدر، وابتسامة سخرية، وقال له بعضهم -قبل تنفيذ الحكم-: اطلب العفو ونحن نطلق سراحك، فأجابهم بكل إباء وشمم: «لو أطلقتم سراحي لعدت لمحاربتكم من جديد»[2].

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٥)، و«تاريخ دمشق» (٥٢٦٨)، (٤٥/ ٣٢٣-٣٢٩)، و«تهذيب الكمال» (٢١/ ٤٩٩-٥٠٣).

(٢) موسوعة الأخلاق والزهد (٢/ ٢٠١-٢٠٢).

تولى الشيخ عمر قيادة «الجبل الأخضر» وتلاحقت به القبائل، واتفق الرؤساء على أن يكون القائد العام والرئيس الأعلى للمجاهدين. وهاجمتهم القوى الإيطالية، فردّوا هجومها، وغنموا منها آلات حربية ومؤنا غير قليلة. وأشهر ما نشب من المعارك معركة «الرحيبة» و«عقيرة المطمورة» و«كرِسَّة» وهي أسماء أماكن في الجبل الأخضر، نسبت إليها تلك الوقائع. ويقول غراسياني (Graziani) القائد العام الإيطالي، في بيان له عن الوقائع التي نشبت بين جنوده والسيد عمر المختار: «إنَّها كانت (٢٦٣) معركة في خلال عشرين شهرًا»[١].

٣٢٥ الصرصري: الشيخ الإمام العلامة البارع، جمال الدين أبو زكريا الصرصري، الشاعر المادح الحنبلي الضرير البغدادي (ت ٦٥٦هـ)

ولد بقرية طوف -أو طوفا- (من أعمال صرصر: في العراق).

وشعره في مدائح رسول الله ﷺ مشهور، وديوانه في ذلك معروف غير منكور.

وقد نعته الحافظ ابن كثير في «تاريخه»، فقال: «هو حسان وقته»[٢].

وسمع الحديث والفقه واللغة، ويقال: إنَّه كان يحفظ صحاح الجوهري بكمالها[٣].

وصحب الشيخ علي بن إدريس تلميذ الشيخ عبد القادر، وكان ذكيًا يتوقد، ينظم

---

(١) الأعلام (٥/ ٦٦).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٣٧٤).

(٣) له من المصنفاتِ: (بغية السائل في أمهات المسائل) في أصول الدين، و(الإكسير في قواعد التفسير)، و(الرياض النواضر في الأشباه والنظائر) و(معراج الوصول) في أصول الفقه، و(الذريعة إلى معرفة أسرار الشريعة) و(تحفة أهل الأدب في معرفة لسان العرب) و(الإشارات الإلهية والمباحث الأصولية) و(العذاب الواصب على أرواح النواصب) حُبس من أجله، وطيف به في القاهرة، و(تعاليق على الأناجيل) و(شرح المقامات الحريرية) و(البلبل في أصول الفقه) اختصر به (روضة الناظر وجنة المناظر) لابن قدامة. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ١٢٨).

على البديهة سريعًا أشياءً حسنةً فصيحةً بليغةً، وقد نظم «الكافي» للشيخ موفق الدين بن قدامة، و«مختصر الخرقي».

قال الحافظ ابن كثير: «ولما دخل التتار إلى بغداد دعي إلى دار بها فرمان من هولاكو فأبى أن يجيب إليه، وأعد في داره حجارة، فحين دخل عليه التتار رماهم بتلك الأحجار، فهشم منهم جماعة، فلمَّا خلصوا إليه قتل بعكازه أحدهم، ثمَّ قتلوه شهيدًا، رحمه الله تعالى وأكرم مثواه، وله من العمر ثمان وستون سنة»(١).

٣٢٦ عمرو بن مرزوق الباهلي مولاهم، أبو عثمان البصري (ت ٢٤٣ أو ٢٢٤هـ)

روى عنه: البخاري مقرونًا بغيرِهِ، وأبو داود.

قال محمد بن عيسى بن السكن الواسطي المعروف بابن أبي قماش: سألت يحيى بن معين عنه، فقال: ثقة مأمون صاحب غزو وقرآن وفضل، وحمده جدا.

وقال أبو حاتم: كان ثقة من العباد، ولم نجد أحدًا من أصحاب شعبة كتبنا عنه كان أحسن حديثا منه.

قال مسلم ابن إبراهيم: «كان عمرو رجلًا **غزاء يغزو في البحر**»(٢).

٣٢٧ عيسى بن يونس ابن أبي إسحاق السَّبِيعي (ت ١٨٧هـ)

أخو إسرائيل، كوفي نزل الشام مرابطًا، ثقة مأمون من الثامنة، مات سنة سبع وثمانين وقيل: سنة إحدى وتسعين(٣).

---

(١) البداية والنهاية (١٧/ ٣٧٧)، و«الأعلام (٣/ ١٢٨)، وذكره حاجي في «كشف الظنون، عند ذكر ديوانه (١/ ٧٩٧).

(٢) تهذيب الكمال (٢٢/ ٢٢٥-٢٣٠)، و«الطبقات» لابن سعد (٣٣٨٣)، و«الجرح والتعديل» (٦/ ٢٦٣).

(٣) تقريب التهذيب (٥٣٤١) و(٢/ ٤٤١)، و«لسان الميزان» (٤٣٥٠).

روى عنه: أبوه يونس، وإسماعيل بن عياش، والقعنبي، وداود بن عمرو الضبي، وأحمد بن جناب، وعلي بن بحر بن بري، والحكم بن موسى، ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني، وإسحاق بن راهويه، وأبو بكر بن أبي شيبة، ويعقوب الدورقي، والحسن بن عرفة في آخرين[١].

سكن ناحية الشام بالحدث[٢] وهي ثغر، السبيعي هو همداني. وإنَّما نسبوا إلى السبيع لنزولهم فيه، وهو ثقة ولم يزل ساكنًا بالكوفة، ثمَّ تحول إلى الثغر، فنزل الحدث، وتوفي في أول سنة إحدى وتسعين ومئة[٣].

قال العجلي: «عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي كوفي ثقة، سكن الثغر، وكان ثبتًا في الحديث»[٤].

أَخو غَزَوَاتٍ ما تُغِبُّ سُيُوفُهُ ... رِقَابُهُمُ إلا وَسَيْحانَ جَامِدُ[٥]

قال الزركلي: «محدّث ثقة كثير الغزو للروم، وكان يغزو عامًا ويحج عامًا»[٦].

وقال أحمد بن جناب: «غزا عيسى خمسًا وأربعين غزوة، وحج خمسًا وأربعين حجة»[٧].

وقيل: إنَّه زار ابن عيينة، فقال: «مرحبًا بالفقيه ابن الفقيه ابن الفقيه».

قال أحمد بن داود: وسمعت محمد بن عبيد الطنافسي يقول لأصحاب الحديث: «ألا تكونون مثل عيسى بن يونس، كان إذا أقبل إلى الأعمش، ومعه الشباب

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٧٢).

(٢) بالتحريك وهي قلعة حصينة من الثغور الشامية (المراصد) كما في حاشيته.

(٣) تهذيب الكمال (٢٣/ ٦٣ و٧٦).

(٤) الثقات للعجلي (٢/ ٢٠٠).

(٥) انظر: شرح شعر المتنبي لابن الإِفلِيلي (١/ ٣٨٤)، وسيحان: مهر عظيم.

(٦) الأعلام (٥/ ١١١).

(٧) طبقات علماء الحديث (١/ ٤٠٦).

والشيوخ، ينظرون إليه، وإلى هديه وسمته»[١].

وقال الوزير جعفر بن يحيى البرمكي: «ما رأيت في القراء مثل عيسى بن يونس، وذكر أنه عرض عليه مئة ألف درهم، فردها وقال: والله لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنة ثمنًا»[٢].

وقال المروذي: عن أحمد: «ثبت، وكنا نخبر أنَّه سنة في الغزو، وسنة في الحج، وقد قدم بغداد في شيء من أمر الحصون، فأمر له بمال، فأبى أن يقبله»[٣].

٣٢٨ الفرج بن كنانة بن نزار بن عتبان بن مالك الضمري

من أهل العلم والعبادة، وكانت له رحلة الى المشرق، سمع فيها من عبد الرحمن بن القاسم وغيره، من أهل العلم.

قال غيره وسمع من ابن وهب.

قال القاضي عياض: وكان الفرج مع فهمه فارسًا شجاعًا، يتصرف للسلطان في قود الخيل وسد الثغور، وقيادتها.

وقد ولاه الأمير الحكم، سرقسطة عند انتقاض طاعة بعض أهلها، من الغرب لمكانه منهم، فألف كلمتهم وصلحت به أحوالهم.

وكان القاضي فارسًا شجاعًا، يقودُ الخيل، ويتصرف للسلطان في الولايات. وقد غزا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، معقودًا له على جند شذونه بلده، إلى جليقية وقدمه عبد الكريم إلى جمع النصرانية؛ فعضهم؛ وقتل فيهم قتلًا ذريعًا.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩٢).

(٢) الخبر مطولًا في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤٧٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩١)، و«العبر في خبر من غبر» (ص٥٦).

وبقي قاضيًا وصاحب صلاة زمانًا. ثمَّ استعفى. والأمير إلى الثغر الأقصى؛ فقام مقام صدور الغزاة. وكان له قدر جليل في الناس.

قال ابن عبد البر: «كان فارسًا، شجاعًا، شريفًا، حكيمًا، جزلًا، خيرًا، فاضلًا»(١).

٣٢٩ القاسم بن الحكم العرني (ت ٢٠٨هـ)

روى عن إسماعيل الأحمر صاحب أنس، ومسعر، ويونس بن أبي إسحاق، وعلماء الكوفة، وكان قاضيها، وكان يخرج إلى قزوين مرابطًا.

روى عنه: أبو حجر عمرو بن رافع الجعفي، ومحمد بن عبيد الأسدي، وغيرهما من أهل همذان، والري، وقزوين. وله بهمذان عقب ومات بها، محله الصدق(٢).

٣٣٠ أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)

عالم الغريب، الفقيه، المحدّث.

طلب العلم وسمع الحديث، ودرّس الحديث والأدب، ونظر في الفقه وأقام ببغداد مدّة. ثم ولي القضاء بطرسوس، وخرج بعد ذلك إلى مكّة فسكنها حتى مات بها، رحمه الله.

كان رحمه الله ديّنًا ورعًا جوادًا، وأنفذ أبو دلف إلى ابن طاهر يستهديه أبا عبيد مدّة شهرين، فأنفذ أبا عبيد إليه، فأقام شهرين، فلمَّا أراد الانصراف وصله أبو دلف بثلاثين ألف درهم، فلم يقبلها وقال: أنا في جنبة رجل ما يحوجني إلى صلة غيره، ولا آخذ ما فيه عليّ نقص. فلمَّا عاد إلى طاهر بن الحسين وصله بثلاثين ألف دينار

---

(١) ترتيب المدارك (٤/ ١٤٤-١٤٥)، و«تاريخ قضاة الأندلس» لأبي الحسن المالقي (ص٥٤).

(٢) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢/ ٦٣٣).

بدل ما وصله أبو دلف، فقال له: «**أيُّها الأمير، قد قبلتها ولكن قد أغنيتني بمعروفك وبرّك وكفايتك، وقد رأيت أن أشتري بها خيلًا وسلاحًا وأوجّهها إلى الثغر ليكون الثواب متوفّرًا على الأمير، ففعل**»[1].

وقال أبو عبيد: «عاشرت الناس وكلمت أهل الكلام، وكذا، فما رأيت أوسخ وسخًا، ولا أقذر قذرًا، ولا أضعف حجَّة، ولا أحمق من الرافضة، ولقد وليت قضاء الثغور، فنفيت منهم ثلاثة رجال جهميين ورافضيًا، أو رافضيين وجهميًا، وقلت: مثلكم لا يساكن أهل الثغور، فأخرجتهم»[2].

قال أبو سعيد الضرير: كنت عند الأمير عبد الله بن طاهر، فورد عليه نعي أبي عبيد، فأنشأ يقول:

يَا طَالِبَ العِلْمِ قَدْ مَاتَ ابْنُ سَلاَّم ... وَكَانَ فَارِسَ عِلْمٍ غَيْرَ مِحْجَام
مَاتَ الَّذِي كَانَ فِينَا رُبْعَ أَرْبَعَةٍ ... لَمْ يَلْقَ مِثْلَهُمْ أُسْتَاذُ أَحْكَام
خَيْرُ البَرِيَّةِ عَبْدُ اللهِ أَوَّلُهُمْ ... وَعَامِرٌ وَلَنِعْمَ التِّلْوُ يَا عَام
هُمَا اللَّذَانِ أَنَافَا فَوْقَ غَيْرِهِمَا ... وَالقَاسِمَانِ ابْنُ مَعْنٍ وَابْنُ سَلاَّم[3]

٣٣١ القاسم بن علي بن الحسن، ابن عساكر الدمشقي الإمام، المحدث، الحافظ، العالم، الرئيس، بهاء الدين، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)

قال الذهبي: وما علمت هذا الاسم[4] في أجداده، ولا من لقب به منهم.

---

(١) إنباه الرواة للقفطي (٣/ ١٦).

(٢) السنة للخلال (٢/ ٢٤١)، و«السنة» لعبد الله (١/ ٤٦٧).

(٣) السير للذهبي (١٠/ ٥٠٦)، و«معجم الأدباء» (١٦/ ٢٥٧).

(٤) يعني: (عساكر)، والقدماء المعاصرون له لم يذكروا لهم هذا فكانوا يقولون عن والده (علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي) أو الشافعي، منهم رفيقه أبو سعد السمعاني والزكي المنذري وابن الدبيثي وغيرهم) في أجداده، ولا من لقب به منهم.

وقال: «جمع كتابًا كبيرًا في الجهاد، وما قصر فيه، ومجلدًا في فضائل القدس، وكتابًا في منْ حدث بمدائن الشام وقراها»[1].

٣٣٢ القاسم بن مخيمرة الهمداني كنيته أبو عروة (ت ١٠٠ وقيل ١٠١هـ)

من رجال الحديث، ولد ونشأ في الكوفة، وكان يعيش من تجارة له.

وكان من خيار النَّاسِ، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

قال القاسم بن مخيمرة: «ما اجتمع على مائدتي لونان من طعامٍ واحد، ولا أغلقت بأبي ولي خلفه درهم».

قال أبو حاتم رضي الله عنه: «كان القاسم بن مخيمرة من صالحي أهل الكوفة، ثمَّ انتقل منها إلى الشام وسكنها مرابطًا».

عن الأوزاعي، قال: كان القاسم يقدم علينا مرابطًا متطوعًا فلا ينصرف حتى يستأذن، فكان يتأول هذه الآية: ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ﴾ [النور: ٦٢][2].

٣٣٣ القفال الكبير الشاشي (ت ٣٦٥هـ)

الإمام، العلامة، الفقيه، الأصولي، اللغوي، عالم خراسان، أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي القفال الكبير، إمام وقته، بما وراء النهر، وصاحب التصانيف، قال الحاكم: «كان أعلم أهل ما وراء النهر بالأصول، وأكثرهم رحلة في طلب الحديث».

سمع: أبا بكر بن خزيمة، وابن جرير الطبري، وعبد الله بن إسحاق المدائني،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٠٧).

(٢) الثقات (٧/ ٣٣٢)، و«حلية الأولياء» (٦/ ٨٠)، و«الأعلام» (٥/ ١٨٥).

ومحمد بن محمد الباغندي، وأبا القاسم البغوي، وأبا عروبة الحراني، وطبقتهم[١].

قال البيهقي في «شعب الإيمان» في الشعبة السادسة والعشرين في الجهاد إمامنا الذي هو أعلى من لقينا من علماء عصرنا؛ صاحب الأصول والجدل، وحافظ الفروع والعلل، وناصر الدين بالسيف والقلم، والموفى بالفضل في العلم على كل علم أبو بكر محمد بن على الشاشي.

وله قصيدة في الرد على نقفور عظيم الروم على المسلمين قصيدة ساءتهم وشقت عليهم لما كان اللعين أجرى إليهم فيها من التثريب والتعيير[٢].

فائدة: قال النووي: إذا ذكر القفال الشاشي فالمراد هو، وإذا قيل: القفال المروزي، فهو القفال الصغير الذي كان بعد الأربع مئة.

قال: ثمَّ إنَّ الشاشي يتكرر ذكره في التفسير والحديث والأصول والكلام، وأمَّا المروزي فيتكرر في الفقهيات[٣].

٣٣٤ ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حَريز الزرعي، ثم الدمشقي (ت ٧٥٦هـ)

سمع من: الشهاب النابلسي العابر، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والقاضي تقي الدين سليمان، وفاطمة بنت جوهر، وعيسى المطعم، وأبي بكر بن عبد الدايم، وجماعة.

قال ابن رجب (ت ٧٩٥هـ): «ولا رأيت أوسع منه علمًا، ولا أعرف بمعاني القرآن

---

(١) السير (١٦/ ٢٨٣).

(٢) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٠٠).

(٣) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٨٢- ٢٨٣).

والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله.

امتحن وأوفي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفردا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ.

وكان في مدة حبسه مشتغلًا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة. وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمرا يتعجب منه. ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه (قصيدته النونية الطويلة) في السنة، وأشياء من تصانيفه، وغيرها».

قال تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢هـ): «وتأذى ابن تيمية بسببه؛ لأنَّه دافع عن ابن تيمية بكثير من المسائل المنتقدة عليه، وأوذي هو بسببها أيضًا».

وترك رحمه الله مصنفات في مختلف الفنون والعلوم، وله كلام مبارك في الجهاد وأنواعه في مصنفاته لا سيَّما «زاد المعاد» منها، ونقل فيها فتوى شيخه بالسماح للناس في الإفطار في رمضان في وقعة شقحب في دمشق المحروسة، ولعلَّ ذلك مظنة وجوده، ويكفي وقوفه في سبيل الله وسجنه المرات لقول الحق والصبر على ذلك.

ومن شعره:

بُنيُّ أبي بكْرٍ جَهُولٌ بنفسهِ ... جهولٌ بأمرِ الله أنَّى له العلمُ
بُنيُّ أبي بكْرٍ غدا متصدراً ... يعلِّم علماً وهو ليس له علمُ
بُنيُّ أبي بكْرٍ غدا متمنياً ... وصال المعالي والذنوب له همُّ
بُنيُّ أبي بكْرٍ يروم ترقياً ... إلى جنة المأوى وليس له عزمُ

بُنيُّ أبي بكْرٍ يرى الغنم في الذي ... يزول ويفنى والذي تركه غنمُ
بُنيُّ أبي بكْرٍ لقدْ خابَ سعيه ... إذا لم يكن في الصالحات له سهمُ
بُنيُّ أبي بكْرٍ كما قال ربُه ... هلوعٌ كنودٌ وصفهُ الجهل والظلمُ
بُنيُّ أبي بكْرٍ وأمثالُه غدوا ... بفتواهم هذي الخليقة تأتمُّ
وليس لهم في العلم باعٌ ولا التقى ... ولا الزُّهدَ والدنيا لديهم هي الهمُ
فوالله لو أنَّ الصحابةَ شاهدوا ... أفاضلهم قالوا هم الصمُّ والبكمُ[1]

٣٣٥ أبو كامل مولى الغاز بن ربيعة الجرشي

غزا بلاد الروم، واجتاز بدابق في دخوله، وكان مع مكحول وسابق البربري في الغزاة، وروى عنهما.

وروى عنه: أبو مسهر الغساني[2].

٣٣٦ الشيخ كامِل القَصَّاب: محمد كامل بن أحمد بن عبد القادر القصاب (ت ١٣٧٣هـ)

من زعماء الحركة الاستقلالية في سورية أصله من حمص[3].

انتقل أبوه إلى دمشق، فولد بها، وعُرف في صباه بكامل كريم (بصيغة التصغير) وهو لقب أسرة والدته ونشأ متصرفًا إلى (الفتوة) وعجب أهل (العقيبة).

وهو من سكانها بدمشق، إذ رأوه يدخل مسجدها فجأة ويحتل غرفة فيه وينقطع إلى العلم.

وأمضى في اعتكافه أعوامًا تفقه فيها وبرع في علوم العربية والقراءات وخرج إنسانًا آخر.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠-١٧٤)، و«إيضاح بغية أهل البصارة في ذيل الإشارة» (ص٢٤٩-٢٥٠)، و«أعيان العصر» للصفدي (٤/ ٣٦٩).

(٢) نفس المصدر (١٠/ ٤٦٠٠).

(٣) نعته الشيخ علي الطنطاوي في «ذكرياته» (١/ ٣٦٢): بـ«العالِم المعلّم الوطني المصلح».

وأنشأ (المدرسة الكاملية) وهي من أوائل العوامل في بعث الروح العربية بدمشق. تطوَّع للتدريس بها عَبْد الوَهَّاب الإنكِلِيزي (لقبا) وعارف الشهابي، وعبد الرحمن شهبندر، وأسعد الحكيم، وآخرون كنتُ (المؤلف) واحدًا منهم.

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) كان صاحب الترجمة من أعضاء الجمعية (العربية الفتاة) السرية، فانتدب للسفر إلى مصر، ومقابلة القائلين فيها بتحرير البلاد العربية من سلطان الترك، والاتفاق معهم على خطط العمل.

فدخلها مُظهرًا أنَّه يريد شراء كتب لمدرسته وعاد فاعتقله الترك (العثمانيون) فحدثهم عن كتب المدرسة، فأفرجوا عنه. وظل يعمل في الخفاء إلى أن قامت (الثورة) في الحجاز، فتوجه متخفيًا إلى مكة. ورجع بعد الحرب إلى دمشق، فكان أبرز العاملين في (لجنتها) الوطنية.

واحتل الفرنسيون (سورية) فغادرها، فافتتحوا قائمة (أحكام الإعدام) باسمه.

ووَلَّاه الملك عبد العزيز آل سعود إدارة (المعارف) في الحجاز، فأقام قليلًا، واستعفى.

ثمَّ استقر في حيفا (بفلسطين) وأنشأ (مدرسة) وألَّف بالاشتراك مع الشهيد محمد عز الدين القسام، كتاب (النقد والبيان) في البدع المنهيّ عنها والرد على أحد القائلين بها. ومحيت أحكام الإعدام في دمشق، فعاد إليها، وفترت عزيمته في أعوامه الأخيرة، فعُين رئيسًا للجنة (العلماء) مدة، واستقال. وانزوى في بيته إلى أن توفي[1].

لقد كان الشيخ القصاب ﵀ متعدد النشاطات، فتعاون مع القسام ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب، وكل العلماء الأعلام في زمنه، كان بينهم تعاون وتنسيق في مجالات: الدعوة والسياسة والجهاد، ظهر ذلك في مقاومتهم لطغيان الاتحاديين،

---

(١) الأعلام للزركلي (٧/ ١٢-١٣).

ومظالم جمال باشا السفاح، وتعاونهم مع الحكم الفيصلي مع سعيهم الحثيث لترشيد هذا الحكم والحيلولة دون ارتمائه في أحضان الإنجليز والفرنسيين، ومقاومتهم الاحتلال الفرنسي، وقيادة الناس في ميادين الجهاد والبذل والتضحية(١).

٣٣٧ أبو كرب العراقي

قدم دمشق غازيًا واستشهد في قتال حران عام حاصر مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية له ذكر قال محمد بن عائذ قال الوليد وقد كنت سمعت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر يذكر أن نفرا من أهل دمشق كان يسميهم بأسمائهم فيهم رجل كنيته أبو كرب كان أصاب دما بالعراق فاستفتى جماعة من الفقهاء فاجتمع قولهم أنهم لا يعرفون وجها إذا لم يعرف ولي الدم إلا إن يجاهد في سبيل الله حتى يقتل فلم تزل تلك حاله يغزو ويطلب القتل في الله حتى خرج هؤلاء النفر وساروا حتى إذا كانوا في بعض طريقهم خرج خارج منهم ليأتي بعنب فإذا بقبة ذهب عليها جلال أخضر حرير وإذا فيها حوراء كان يخبر عما رأى من حسنها فقالت إلي فأنا زوجتك وأنت قادم علينا يوم كذا ومعك فلان وفلان وسمت أولئك النفر فانصرف الرجل ولم يأتِ بعنب وأخبرهم بما رأى فكتب وصيته وكتبوا وكان مع شراحيل بن عبيدة وأصحابه فكان من مصيبتهم ما كان ثمَّ أمر بانصراف الناس إلى المرج الذي رجعت إليهم فيه برجان فاقتتلوا قتالًا شديدًا فقتل هؤلاء النفر جميعا فيهم أبو كرب وأرسلت برجان النار على ذلك المرج وعلى قتلى المسلمين فحرقت ما حرقت وانتهت إلى أبي كرب وأصحابه فأطافت بهم ولم تأكل النار منهم أحدًا(٢).

(١) علماء الشام (ص١١٦) ط: دار المعالي.

(٢) تاريخ دمشق (٨٧٨٣) (٦٧/ ١٥٨-١٥٩).

٣٣٨ مزاحم بن زفر بن الحارث الضبي، وقيل: الثوري (ت ٩٥ أو ٩٦هـ)

قال ابن حبان: مزاحم بن زفر بن الحارث العامري من أهل الكوفة.

يروي عن مجاهد.

كان كخيرِ الرجال، مات بوراءِ النَّهرِ غازيًا مع قتيبة بن مسلم(١).

٣٣٩ محمد بن إبراهيم الحضرمي (ت ٦٠٩هـ)

روى عن أبي القاسم بن بشكوال، وصحب أبا محمد القرطبي أخذ عنه، وولي قضاء موضعه مدة طويلة مضافًا ذلك إلى الصلاة والخطبة بجامعه.

وله تأليف في رجال الموطأ سمَّاه (بالدرة الوسطى في السلك المنظوم في رجال الموطأ) وكان يشارك في العربية واللغة، واستشهد في وقيعة العقاب(٢).

٣٤٠ محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري الغرناطي المعروف بالصنادع الصالح (ت ٧٤٩ هـ)

وسلك على يد أبي عبد الله الساحلي، وكان حسن السمت، طاهر الوضاءة، كثير الذكر، وكان على سنن الخيار من الفضلاء، له حظ من طلب ومشاركة يقوم بها على ما يحتاج إليه من أمر دينه، ويتكلم على طريقة شيخه.

قال ابن الخطيب: أخذ عن أبي جعفر بن الزبير، وكان محببًا إلى أهل الثغور والبادية، يعمل الرحلة إلى حصونهم فيتألفون عليه تألف النحل على اليعسوب

---

(١) الجرح والتعديل (٨/ ٤٠٥)، و«الثقات» (٢٠١٤)، و«إكمال التهذيب» (١١/ ١٣٩).

(٢) التكملة لابن الأبار (٢/ ٢٠٠).

معلنين بالذكر مهرولين يغشون مثواه بأفدانهم[١].

٣٤١ محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) رحمه الله

بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي، الشافعي، المكي، الغزي المولد، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب.

عن عباس بن الفضل الأرسوفي قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: «خرجت مع محمد بن إدريس الشافعي من الفسطاط إلى الإسكندرية مرابطًا، وكان يصلي الصلوات الخمس في المسجد الجامع، ثم يسير إلى المَحْرَس فيستقبل البحر بوجهه جالسًا يقرأ القرآن في الليل والنهار حتى أُحصيت عليه ستين ختمة في شهر رمضان»[٢].

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: «كنت ألزم الرمي، حتى كان الطبيب يقول لي: أخاف أن يصيبك السل من كثرة وقوفك في الحر».

قال: «وكنت أصيب من العشرة تسعة»[٣].

ويروى أنَّ الإمام الشافعي رحمه الله قال: «شربتُ ماء زمزم لثلاث: للرَّمي، كنت أصيب العشرة من العشرة، والتسعة من العشرة، وللعلم فها أنا كما ترون، ولدخول

---

(١) الدرر الكامنة (٥/ ١٩-٢٠).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١٥٨).

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٣٩٢).

الجنَّة فأرجو حصول ذلك»[١].

٣٤٢ الإمام الكبير وأمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبه البخاري، وقيل: بذدزبه[٢]، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع (ت ٢٥٦هـ)

كان أبو عبد الله يرابط في الثغور، ويحرص كل الحرص أن يواصل التدريب على الرماية.

قال وراقة: «وكان يركب الى الرمي كثيرًا، فما أعلم أنَّي رايته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين؛ بل كان يصيب في كل ذلك ولا يسبق»[٣].

وقال: «وكنَّا بفربر، وكان أبو عبد الله يبني رباطًا مما يلي بخارى، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول له: إنَّك تكفى يا أبا عبد الله، فيقول: هذا الذي ينفعنا»[٤].

---

(١) انظر: أخبار الأذكياء لابن الجوزي، تحقيق محمد مرسي الخولي (ص١٠٥)، وذكره ابن حجر في جزئه عن حديث «ماء زمزم لما شرب له» (ص٢٧١) و«نشر الآس» لوحة (١٦)، و«الجوهر المنظم» (ص٤٤-٤٥)، نقلًا عن الجواهر المكنونة لابن ظهيرة، كما ذكره صاحب «فضل ماء زمزم» (ص١٣٧) ط: البشائر.

(٢) جاء في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٦٧) بردزبه، بباء موحدة مفتوحة، ثم راء ساكنة، ثم دال مهملة مكسورة.

ثم زاي ساكنة، ثم باء موحدة، ثم هاء. هكذا قيده الأمير أبو نصر بن ماكولا. وقال: هو بالبخارية، ومعناه بالعربية: الزراع.

وفي «وفيات الأعيان» (٤/ ١٩٠)، قال ابن خلكان: وقد اختلف في اسم جده، فقيل: إنه يزذبة، بفتح الياء المثناة من تحتها، وسكون الزاي، وكسر الذال المعجمة، وبعدها باء موحدة، ثم هاء ساكنة.

(٣) الضعفاء الصغير (ص١٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٠)، (ومن أخباره) قال وراقه: وسمعته يقول: «ما أكلت كراثا قط، ولا القنابرى.

قلت: ولم ذاك؟

قال: كرهت أن أوذي من معي من نتنهما.

قلت: وكذلك البصل النيء؟

قال: نعم».

قال أبو عيسى الترمذي: «ولم أر أحدًا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل، والتاريخ، ومعرفة الأسانيد، أعلم من محمد بن إسماعيل».

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق: «ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري.

قال أبو عمرو الخفاف: «ومن قال في محمد بن إسماعيل شيئًا فمني عليه ألف لعنة».

وقال: «حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري التقي النقي العالم الذي لم أرَ مثله»[1].

٣٤٣ محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد ابن جزي.

الفقيه المفسر الأصولي.

وكان رحمه الله تعالى على طريقة عظيمة من العكوف على العلم، والاقتصار على الاقتيات من

قال: وحدثني محمد بن العباس الفربري، قال: كنت جالسا مع أبي عبد الله البخاري بفربر في المسجد، فدفعت من لحيته قذاة مثل الذرة أذكرها، فأردت أن ألقيها في المسجد، فقال: «ألقها خارجا من المسجد».

قال: وأملى يومًا علي حديثًا كثيرًا، فخاف ملالي، فقال: «طب نفسًا، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم، وأنت مع النبي ﷺ وأصحابه.

فقلت: ليس شيء من هذا، يرحمك الله إلا وأنا أرى الحظ لنفسي فيه».

قال: وسمعته يقول: «ما أردت أن أتكلم بكلام فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه».

وقال له بعض أصحابه: يقولون: إنَّك تناولت فلانًا».

قال: «سبحان الله، ما ذكرت أحدًا بسوءٍ إلا أن أقول ساهيًا، وما يخرج اسم فلان من صحيفتي يوم القيامة».

قال: «وضيفه بعض أصحابه في بستان له، وضيفنا معه، فلما جلسنا أعجب صاحب البستان بستانه، وذلك أنه كان عمل مجالس فيه، وأجرى الماء في أنهاره.

فقال له: يا أبا عبد الله، كيف ترى؟

فقال: هذه الحياة الدنيا».

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٣٤٠).

حر النشب، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيهًا حافظًا قائمًا على التدريس، مشاركًا في فنون من عربية وفقه وأصول وقراءات وأدب وحديث، حفظة للتفسير، مستوعبًا للأقوال، جماعة للكتب. قال الفقيه المحدث الوزير أبو بكر ابن ذي الوزارتين ابن الحكيم، أنشدني يوم الوقيعة من آخر شعره قوله:

قصدي المؤمل في جهري وإسراري	ومطلبي من إلهي الواحد الباري
شهادةٌ في سبيل الله خالصةٌ	تمحو ذنوبي وتنجيني من النَّار
إنَّ المعاصي رجسٌ لا يطهرها	إلا الصوارمُ من أَيمان كُفَّار

ثمَّ قال في اليوم: أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات.

قال الوزير: فقلت له: وجعلت للكفار يمينًا فلو كان غير هذا اللفظ موضعه.

فقال لي: والحطمة في النَّاس من أيدي الكفار.

قال: فكان آخر عهدي به، رَحِمَهُ اللهُ[1].

قتل رَحِمَهُ اللهُ وهو يقاتل النصارى في موقع طريف[2] وكان يحرض الناس، ويشحذ هممهم ويثبتهم، بعد أن أبلى بلاءً حسنًا.

٣٤٤ محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله المقدسي، ثمَّ الدمشقي الصالح، الزاهد العابد الشيخ أبو عمر (ت ٦٢٠هـ)

سمع الحديث: من والده، وأبي المكارم بن هلال، وأبي تميم سلمان بن الرحبي،

(١) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص٣٩٨-٣٩٩) لأحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد (ت ١٠٣٦ هـ)، وانظر: ترجمة موسعة في «نفح الطيب» (٥/ ٥١٤-٥١٧)، و«الدرر الكامنة» (٥/ ٨٨-٨٩).

(٢) طريف: مدينة في إسبانيا، تقع الساحل من بحر المحيط.

وأبي نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق بن يوسف، وأبي الفتح عمر بن علي.

وسمع منه جماعة، منهم: الضياء، والمنذري.

وروى عنه: ابن خليل، وولده أبو الفرج عبد الرحمن، قاضي القضاة، وحفظ منه مختصر الخرقي في الفقه.

وكتب بخطه كثيرًا، من ذلك: «الحلية» لأبي نعيم، و«تفسير البغوي»، و«المغني» في الفقه لأخيه الشيخ موفق الدين، و«الإبانة» لابن بطة، وكتب مصاحف كثيرة لأهله، وكتب «الخرقي» للناس، والكل بغير أجرة. وكان سريع الكتابة، وربما كتب في اليوم كراسين بالقطع الكبير.

وكان **يجاهد في سبيل الله، ويحضر الغزوات مع صلاح الدين**[1].

٣٤٥ محمد بن إسماعيل بن أبي سمينة، أبوعبد الله البصري، مولى بني هاشم (ت ٢٣٠هـ)

روى عن: إبراهيم بن عمر بن أبي الوزير، وإسماعيل بن علية، وجرير بن عبد الحميد، والحارث بن عطية البصري نزيل المصيصة، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن داود الخريبي، وغيرهم.

قال أبو حاتم: «كان غزاء ثقة»[2].

وقال أبو داود: «كان من شجعان الناس».

وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات».

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٨-١١٨)، وانظر أخباره في: «المقصد الأرشد» (٢/ ٣٤٦)، و«المنهج الأحمد» (٤/ ٨٣).

(٢) الجرح والتعديل: (٧/ الترجمة١٠٧ ٧).

قال البخاري: «كان قدم بغداد ثمَّ خرج إلى الثغر فمات سنة ثلاثين ومئتين»[١].

زاد موسى بن هارون، في ربيع الأول وهو متوجه إلى طرسوس، وكان لا يخضب[٢].

٣٤٦ محمد الحجازي المالقي أبو عبد الله.

قال ابن الزبير: كان أستاذًا بمالقة، مقرئًا للقرآن، عارفًا بالنحو والأدب، جم المعارف، كثير الآداب، مجتهدًا فصيحًا.

روى عنه: أبو عمرو بن سالم.

بكر يومًا لصلاة الجمعة بجامع ميروقة، فقتله فئة من نصارى الروم يقتلون كل من بكر[٣].

٣٤٧ محمد بن حمزة الدمشقي آق شمس الدين، العارف بالله (ت ٨٢٧ هـ)

ولد بدمشق، ثمَّ ارتحل مع والده إلى الروم، وقرأ على علمائها حتى صار مدرسًا ببعض مدارسها، يعود نسبه إلى الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال الشوكاني: ظهر فضله حتى إنَّ السلطان محمد خان سلطان الروم لما أراد فتح القسطنطينية دعاه للجهاد، فقال صاحب الترجمة للسلطان: سيدخل المسلمون القلعة في يوم كذا، فجاء ذلك الوقت الذي عينه لفتح القلعة فحصل مع بعض أصحابه فزع شديد من السلطان على الشيخ إذا لم يصح الخبر فذهب إليه في تلك الحال فوجده في خيمته ساجدًا على التراب مكشوف الرأس، وهو يتضرع، ويبكي؛ فرفع رأسه، وقام على رجليه وكبر، وقال: الحمد لله منحنا فتح القلعة.

---

(١) التاريخ الكبير (١/ ٣٦)، و«الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد» (١٠١١)، (٢/ ٦٣٧-٦٣٨).

(٢) تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٧٩-٤٨٢).

(٣) بغية الوعاة للسيوطي (١/ ٢٨٨).

قال الراوي: فنظرت إلى القلعة فإذا العسكر قد دخلوا بأجمعهم ففرح السلطان بذلك.

وقال: «ليس فرحي لفتح القلعة إنَّما فرحي بوجود مثل هذا الرجل في زمني»[1].

وكان السلطان (محمد الفاتح) يكِنُّ لأستاذه الشيخ (آق شمس الدين) مشاعر الحب، والإجلال، والتوقير، ويزوره على الدوام، حيث يستمع لأحاديثه ونصائحه، ويستفيد من علمه الغزير.

وكان أستاذه هذا مهيبًا لا يخشى سوى الله، لذا فإنه عند قدوم السلطان (محمد الفاتح) لزيارته، لا يقوم له من مجلسه، ولا يقف له. أما عند زيارته للسلطان (محمد الفاتح) فقد كان السلطان يقوم له من مجلسه توقيرًا له، واحترامًا ويجلسه بجانبه.

وقد لاحظ ذلك وزار السلطان وحاشيته، لذا لم يملك الصدر الأعظم (محمود باشا) من إبداء دهشته للسلطان فقال له: لا أدري يا سلطاني العظيم، لم تقوم للشيخ (آق شمس الدين) عند زيارته لك، من دون سائر العلماء والشيوخ، في الوقت الذي لا يقوم لك تعظيمًا عند زيارتك له؟!

فأجابه السلطان: أنا أيضًا لا أدري السبب...ولكني عندما أراه مقبلًا عليَّ، لا أملك نفسي من القيام له ... أمَّا سائر العلماء والشيوخ، فإنِّي أراهم يرتجفون من حضوري، وتتلعثم ألسنتهم عندما يتحدثون معي، في الوقت الذي أجد نفسي أتلعثم عند محادثتي الشيخ (آق شمس الدين)»[2].

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) من روائع التاريخ العثماني (ص٤٨).

ويذكر بأنَّ الشيخ أعطى للفاتح درسًا في صغره لم ينسه أبدًا -ويدل ذلك على مدى فهم هذا الشيخ لمعنى تخريج وتربية قائد رباني-، فلقد استدعى الفاتح يومًا ثمَّ قام بضربه ضربًا شديدًا بلا سبب.

بكى الفاتح بشدة وظل يتذكر تلك الواقعة، ولما تولى السلطنة أيام أبيه مراد استدعى شيخه آق شمس الدين وسأله بغضب شديد: «لماذا ضربتني يوم كذا ولم أكن قد فعلت ما أستحق عليه الضرب؟»، فقال له شيخه: «أردت أن أعلمك كيف يكون طعم الظلم وكيف ينام المظلوم، حتى إذا وليت الأمر لا تظلم أحدًا»، فما كان من الفاتح إلا أن اعتذر لشيخه وقبل رأسه ويده[1].

٣٤٨ محمد بن سهل بن زنجلة الرازي

روى عنه: ابن أبي حاتم، ومحمد بن إسحاق السراج، ودخل قزوين مرابطًا، فسمع منه إسحاق بن محمد الكيساني، وعلي بن مهرويه[2].

٣٤٩ محمد بن عثمان المرادي. أبو عبد الله بن المرابط (ت٧٤١هـ)

قال ابن الخطيب: كان فاضلًا سريًا، كريم الأبوة، قديم الحرمة، طيب النفس.

اختص بالكتابة عن بعض ملوك بني نصر قبل سلطنته، وكتب بالدار السلطانية[3].

٣٥٠ محمد بن عيسى ابن الطباع بن نجيح الحافظ الكبير، الثقة، أبو جعفر ابن الطباع

---

(١) انظر: كتاب (١٠١) من عمالقة آل عثمان (ص١٣٣)، وأعتذر للقارئ فالله يعلم ليس لدي من الكتب التي أرجع لها في تاريخ الدولة العثمانية إلا النادر الذي يذكر في عداد المكتبة المصنفة فيها، والحمد لله.

(٢) الإرشاد للخيلي (٢/ ٦٧٥).

(٣) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (١٤٧٨) (٥/ ٢٩٧-٢٩٨).

البغدادي (ت ٢٢٤ هـ)

أخو الحافظ الإمام إسحاق بن عيسى، ويوسف بن عيسى، تحول إلى الشام، ورابط بأذنة من بلاد الثغور(١).

٣٥١ محمد بن عبد الله ابن القاضي بن يحيى بن يحيى بن يحيى، المعروف بابن أبي عيسى

كان في منتهى النباهة والرئاسة في العلم.

رحل سنة اثنتي عشرة وثلاثمئة فحجّ وسمع من ابن المنذر، والعقيلي، وابن الأعرابي، وأبي جعفر الدبيلي، وغيرهم.

وبمصر من ابن زيان، ومحمد بن النفاخ الباهلي.

وبإفريقية من محمد بن اللباد، وأحمد بن زياد، والبجلي، وإسحاق بن نعمان، وجماعة كثيرة.

قال ابن حارث: وكان النَّاصرُ لدينِ الله، لا يخليه من تصريفهِ في مهماته، وإخراجه في السفراتِ إلى كبار الأمراء، والأمانات إلى الثغور والأطراف للإشراف عليها، والإعلام بمصالحها، والبنيان لحصونها، وترتيب مغازيها وإدخال جيوشها الى بلد الحرب؛ وربما أقامه في ذلك مقام أصحاب السيوف من قوَّادِ جيوشه، فيغني غناهم، بحسنِ تدبيره.

وهو الذي تولى له بنيان مدينة سالم بالثغر الأوسط، مع غالب غلامه.

وخرج في أول سرية خرجت منها إلى بلاد الحرب، ومُنِحت الظفر فاستعد لذلك،

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٨٦).

وكان يستخلف على قضائه في غيبته قاسم بن محمد، صاحب الوثائق. وربما استخلف عبد الرحمن بن علي رحمه الله[١].

٣٥٢ محمد بن عبد الرحمن بن هشام المخزومي، أبو خالد المكي، القاضي، المعروف بالأوقص (ت ١٦٩هـ)

قال الذهبي: يقال: توفي سنة تسع وستين ومئة.

عن: خالد بن سلمة، وعلي بن زيد بن جدعان.

وعنه: معن بن عيسى، ومحمد بن الحسن بن زبالة، وغيرهما.

وكان لا رقبة له، بل رأسه على بدنه؛ مرت به امرأة، وهو يقول: «اللهم أعتق رقبتي من النار، فقالت: وأين الرقبة؟».

وقد ولي قضاء مكة عشرين سنة، وقدم الشام غازيًا[٢].

٣٥٣ محمد بن طاهر القيسي، أبو عبد الله التّدميري، ويعرف بالشهيد (ت ٣٧٩هـ)

كان عظيم القدر جدًّا بالأندلس، بعيد الأثر في الخير والاصلاح والعلم والنسك، والانقطاع إلى الله تعالى.

وكان من وجوه أهل كورة تدمير ذوي البيوت الرفيعة، وبرع بخصاله المحمودة،

---

(١) ترتيب المدارك (٦/ ٩٦-٩٩ وما بعد). (قصة): جاء في «الترتيب» أيضًا: ويقال إنَّه اجتمع هو وأحمد بن حزم، وابن مسورة في قفولهم. قال بعضهم لبعض: ترى ما نكون في بلدنا إذا رجعنا.

فقال ابن أبي عيسى لفرط ركنه: أنا أقول لكم: أما أنا، فقاض. أو كاتب قاض. وأما أنت يا أبا عمر، فلا تنفعك منافية عمرك. وأما أنت يا أبا عبد الله: فأراك تثير بالأندلس فتنة، تبقى آخر الدهر. أو كما قال. فصدقت فراسته، في ثلاثتهم كما ذكر!.

(٢) تاريخ الإسلام (٤/ ٥٠٩).

فكان في نفسه فقيهًا، عالمًا، زاهدًا، خيّرًا، ناسكًا، متبتلًا، نشأ على الاستقامة والصلاح والاهتداء والدّعة، طلب العلم في حدثان سنّه، ورحل إلى قرطبة فروى الحديث وتفقّه وناظر، وأخذ بحظٍّ وافر من علم المسألة والجواب، وكان أكثر علمه وعمله الورع، والتشدد فيه، والتحفظ بدينه ومكسبه، ورسخ في علم السنّة، ثم ارتحل إلى المشرق، فمر بمصر حاجًّا، فأقام بالحرمين ثمانية أعوام يتعيش فيها من عمل يده بالنسخ، ثمَّ سار إلى العراق، فلقي أبا بكر الأبهري وأخذ عنه، وأكثر من لقاء الصالحين وأهل العلم.

غزا مع المنصور محمد بن أبي عامر، ثمَّ تحول من قريته بعد عامين إلى الثغر، وواصل الرّباط، ونزل مدينة طلبيرة، وكان يدخل منها في السرايا في بلد العدو فيغزو ويتقوت من سهمانه، ويعوّل على فرس له ارتبطه لذلك.

وكان له بأس وشدة وشجاعة وثقافة، يحدّث عنه فيها بحكايات عجيبة، ولم يزل مرابطًا بطلبيرة إلى أن استشهد مقبلًا غير مدبر، سنة (٣٧٩)، أو في التي قبلها، عن اثنتين وأربعين سنة، وأبوه حي، رحم الله تعالى الجميع[١].

٣٥٤ أبو يوسف محمد بن كثير بن أبي عطاء

يماني سكن الثغور، يروي عن: الأوزاعي، ومعمر، وابن شوذب[٢].

٣٥٥ أبو سعيد محمد بن محمد بن زكريا الأعلم النيسابوري

له معرفة بعلوم الفقه، والتفسير، في روايته ثقة.

---

(١) نفح الطيب (٢/ ٢٣٤-٢٣٥)، و«بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» (ص٨٣-٨٦) وانظر ترجمته ففيه فائدة نافعة.

(٢) الكنى والأسماء للدولابي (٦/ ٢٧٠).

سمع الأخرم، والأصم، ومن كان في أيامهما من الشيوخ، سمعنا منه بقزوين، قدم غازيا سنة خمس وثمانين، ومات بعد التسعين بقليل(١).

٣٥٦ محمد ابن النابلسي (ت ٣٦٣هـ)

الشهيد محمد بن أحمد بن سهل الرملي الإمام، القدوة، الشهيد، أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي، ويعرف بابن النابلسي.

حدث عن: سعيد بن هاشم الطبراني، ومحمد بن الحسن بن قتيبة، ومحمد بن أحمد بن شيبان الرملي.

روى عنه: تمام الرازي، وعبد الوهاب الميداني، وعلي بن عمر الحلبي.

قال أبو ذر الحافظ: سجنه بنو عبيد، وصلبوه على السنة، سمعت الدارقطني يذكره، ويبكي، ويقول: كان يقول، وهو يسلخ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾ [الإسراء: ٥٨].

قال أبو الفرج ابن الجوزي: أقام جوهر القائد لأبي تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهمًا، وفينا تسعة.

قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضًا، فإنَّكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الإلهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديا فسلخه.

قال ابن الأكفاني: توفي العبد الصالح الزاهد أبو بكر بن النابلسي، كان يرى قتال المغاربة، هرب من الرملة إلى دمشق، فأخذه متوليها أبو محمود الكتامي، وجعله في

---

(١) الإرشاد للخيلي (٣/ ٨٦٠).

قفص خشب، وأرسله إلى مصر، فلما وصل قالوا: أنت القائل، لو أن معي عشرة أسهم... وذكر القصة، فسلخ وحشي تبنا، وصلب.

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخبرني الثقة، أن أبا بكر سلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه[1].

٣٥٧ محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري، الأندلسي، الطرطوشي، الفقيه، عالم الإسكندرية (ت ٥٢٠هـ)

نزل بيت المقدس مدة، وتحول إلى الثغر[2]، وتخرج به أئمة[3].

٣٥٨ محمد بن يحيى بن الغراء (ت ٥١٤هـ)

قاضي المرية من أهل الفقه والفضل والزهد والورع، كان مجاب الدعوة متقللًا من الدنيا.

قال أبو جعفر الضبي: حدثني الثقة أبو الفضل عبد المجيد بن دليل بثغر الإسكندرية قال: دخلت المرية سنة ثلاث عشرة وخمسمئة وقد حفزني إلى السفر

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٨-١٤٩)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (١/ ٥١٥).

(٢) يعني الإسكندرية، وكان سبب إقامته بها ما شاهده من إقفار المساجد والمدارس من طلاب العلم والعلماء بسبب ملاحقة العبيدية لعلماء السنة، وتشريدهم، وقتلهم، وإيذائهم، فأقام بها رحمه الله إلى أن وافته المنية ينشر العلم، ويفقه الناس بأمور دينهم، ويوثق صلتهم بكتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح المشهود لهم بالخيرية على لسان خير البرية.

وكان يقول: إن سألني الله تعالى عن المقام بالإسكندرية -لما كانت عليه في أيام العبيدية من ترك إقامة الجمعة ومن غير ذلك من المناكر التي كانت في أيامهم- أقول له: «وجدتُ قومًا ضلالًا فكنت سبب هدايتهم».

وكان رحمه الله قد أوذي من الأفضل الوزير العبيدي، فأخرج من الإسكندرية، وألزم الاقامة بمصر، ومنع الناس من الاخذ عنه، وبقي على ذلك إلى أن قتل الأفضل، وولي مكانه المأمون بن البطائحي، فأكرم الشيخ إكرامًا كثيرًا.

(٣) السير (١٩/ ٤٩٠-٤٩٢).

فجالسته ودعا لي وسافرت، فلم أعدم ببركة دعائه خيرًا، توفي شهيدًا رحمه الله[١].

٣٥٩ محمد بن يوسف الأصبهاني

عن يوسف بن زكريا، قال: قدم علينا محمد بن يوسف بحران، فأتاه أصحاب الحديث، فخرج إلى موضع يقال له رأس العين ولم يكن موضع رباط، فأقام بها شهرًا، فلمَّا قدم قال له الحسن بن عتبة: لقد أقمت بها قال: «ما عرفني أحد ولا عرفت بها أحدًا»[٢].

وعن حكيم الخراساني قال: «كان محمد بن يوسف الأصبهاني يأتيه من عند أهله كل سنة سبعون دينارا، أو نحوها قال: فيأخذ على الساحل فيأتي مكة، ثم يرجع إلى الثغر، ولا يرجع إلى بلاده فينفقها»[٣].

٣٦٠ محمد بن يوسف الفربري المحدث، الثقة، العالم (ت ٣٢٠هـ)

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري، راوي (الجامع الصحيح) عن أبي عبد الله البخاري، سمعه منه بفربر مرتين[٤].

حدث عن: البخاري بالجامع الصحيح، وسمع من علي بن خشرم، وقتيبة وغيرهما.

وروى عنه كتاب الجامع: أبو الهيثم الكشميهني، ومحمد بن عمر الشبوبي، وأبو زيد محمد بن أحمد الفاشاني.

قال محمد بن يوسف الفربري: «سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل

---

(١) بغية المتلمس (٣٢٠) (ص١٤٦).

(٢) انظر: حلية الأولياء (٨/ ٢٣١).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ٢٢٨).

(٤) السير (١٥/ ١٠) و(فربر): بكسر الفاء وبفتحها، وهي من قرى بخارى حكى الوجهين القاضي عياض، وابن قرقول، والحازمي وقال: الفتح أشهر، وأمَّا ابن ماكولا، فما ذكر غير الفتح.

سبعون ألف رجل فما بقي أحد يروي عنه غيري»[١].

وقال: سمعت من علي بن خشرم سنة ثمان وخمسين ومائتين، **وأنا بفربر مرابطًا**[٢].

مات الفربري: لعشر بقين من شوال، سنة عشرين وثلاث مئة، وقد أشرف على التسعين.

٣٦١ محمد بن يوسف بن أحمد. محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش

عالم بالعربية، من تلاميذ أبي حيان، أصله من حلب، ومولده ووفاته بالقاهرة.

ترقى إلى أن ولي نظر الجيش بالديار المصرية، وفاق غيره في المروءة ومساعدة من يقصده، ولا سيَّما طلبة العلم[٣].

٣٦٢ محمد البنوفري (ت ٩٩٨هـ)

الإمام، العلامة، شيخ الإسلام، الورع الزاهد الخاشع الناسك العابد، الشيخ شمس الدين البنوفري المالكي شيخ المالكية بمصر.

أخذ العلم عن جماعة، منهم: الشيخ ناصر الدين اللقاني، والشيخ عبد الرحمن الأجهوري، وكان يحبه ويثني عليه كثيرًا. ويصفه بالزهد ومنهم الشيخ فتح الله الدميري، والشيخ نور الدين الديلمي وأجازوه بالإفتاء والتدريس.

أخبر جماعات عن كثرة صلاته بحيث بالغوا في شدة إسراعه في الركوع والسجود.

---

(١) انظر الأنساب (٩/ ٢٦١).

(٢) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة (١/ ١٢٥-١٢٦)، و«العبر في خبر من غبر» (ص١٢٢)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٢/ ١٧٩).

(٣) الأعلام للزركلي (٧/ ١٥٣).

ويـذكر أنَّـه سُئِل عـن شـدة سـرعته فقـال: يـا بنـي اقـرأ الفاتحـة وسـورة في كـل ركعـة، وعدوا ذلك من كراماته، وإن ذلك كان من طي الزمان.

كان مكبًا على العلم والعمل غير ملتفت إلى شيء من الدنيا طارحًا للتكلف مؤثرًا للخمول، **وكان يقسم السنة ثلاثة أقسام أربعة أشهر يحج، وأربعة أشهر يرابط، وأربعة أشهر يقرئ العلوم ويصلي**، وكانت وفاته أواخر القرن العاشر ﷺ تعالى رحمة واسعة.

انتقـل الشـيخ محمـد الخضـر حسـين إلـى الرفيـق الأعلـى - وعيـونُ النـاس دامعـة، وقلـوبهم حزينـة - بعـد ظهـر يـوم الأحـد في (١٣ رجـب ١٣٧٧ هــ - ٢ شـباط ١٩٥٨م). ودفن - بناء على وصيته - إلى جانب رفيقه العلامة أحمد[١].

٣٦٣ محمد الخضر حسين (ت ١٣٧٧هـ)

أول شيخ لجامع الأزهر في عهد حكومة الثورة في مصر، عالم جليل، شاعر، ومجاهد كبير، ومصلح اجتماعي، تونسي المولد والنشأة، مصري الدار والإقامة، وعضو (جمعية كبار العلماء في الأزهر) منذ عام (١٩٥١م)، وعضو (المجمع العلمي العربي) بدمشق، و(المجمع اللغوي) في مصر، ورئيس جمعية (الهداية الإسلامية)، ورئيس (جبهة الدفاع عن شمال إفريقية)، ورئيس تحرير مجلة «نور الإسلام»، ومجلة «لواء الإسلام»، ومنشئ مجلة «الهداية الإسلامية». هو شقيق السيد زين العابدين من كبار العلماء بدمشق، والسيد محمد المكي بن الحسين من كبار العلماء بتونس.

من مؤلفاته:

- آداب الحرب في الإسلام (رسالة في نظام الحرب وآدابه في الإسلام).

---

(١) المصدر نفسه (٣/ ٧٥).

- الحرية في الإسلام (رسالة في حقيقة الحرية والشورى والمساواة).

- الدعوة إلى الإصلاح.

- رسائل الإصلاح (مجموعة تتضمن ٢٥ مقالة أو رسالة في ضروب الإصلاح الديني والمدني مقسمة إلى أربعة أقسام).

وكان لا بدَّ من الصدام بين سعي الشيخ المناضل، وبين سلطات الاستعمار الفرنسي في تونس، فوجهت هذه السلطات إليه في سنة (١٣٢٩ هـ سنة ١٩١١ م) تهمةَ «بث روح العداء للغرب، وبخاصة لسلطة الحماية الفرنسية في تونس».

فلما استشعر الشيخ الخطر على حياته، غادر تونس إلى الآستانة؛ بحجة الرغبة في زيارة خاله السيد محمد المكي بن عزوز، الذي كان يعيش هناك، وكانت رحلته هذه إلى الآستانة عبر مصر، فدمشق، لكنه لم يلبث إلى أن عاد لوطنه تونس، وعبر نابولي في إيطاليا، ونشر أخبار رحلته هذه، وعينته الحكومة عضوًا بإحدى لجان التاريخ التونسي. لكن الجو الخانق الذي كان مفروضًا على تونس من سلطات الاحتلال الفرنسي دعاه إلى الهجرة ثانية، فقصد إلى دمشق، وفي طريقه إليها مر بالقاهرة، فلبث فيها مدة وجيزة تعرَّف فيها على كوكبة من العلماء الأعلام المناضلين في سبيل النهضة العربية، والإحياء

انتقل الشيخ محمد الخضر حسين إلى الرفيق الأعلى - وعيونُ الناس دامعة، وقلوبهم حزينة - بعد ظهر يوم الأحد في (١٣ رجب ١٣٧٧ هـ - ٢ شباط ١٩٥٨ م). ودفن - بناء على وصيته - إلى جانب رفيقه العلامة أحمد تيمور باشا، في مقبرة آل تيمور الخاصة، جانب مسجد الإمام الشافعي - رضي الله عنه - في القاهرة[1].

---

(١) انظر: ترجمته في مقدمة تحقيق (موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين) ط: دار النوادر.

٣٦٤ محمد الضيروطي (ت ٩٢١هـ)

الشيخ الإمام، العالم، الفقيه الواعظ شمس الدين الضيروطي الشافعي.

كان محققًا بارعًا زاهدًا عابدًا، كثير البكاء من خشية الله تعالى، **وكان يرابط في برج له بناه بثغر دمياط ليلًا ونهارًا**، وكان يعظ الناس في الجامع الأزهر بمصر، وكان على مجلسه أبهة وسكينة يحضره الأمراء فمن دونهم، فيكثر عويلهم وبكاؤهم، وحصل له القبول التام عند الخاص والعام، وكان قوالًا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم، **وشدد النَّكير يومًا على السلطان الغوري في ترك الجهاد على الكرسي**، فبلغ السلطان ذلك، فبعث إليه، وقال له: ما حملك على أن تذكرني بالنقائص بين العوام؟ فقال: نصرة الدين، فقال: ما عندنا مراكب معدة للجهاد، فقال: عمر لك مراكب أو استأجر، وأغلظ على السلطان، فاصفر لون السلطان، وأمر له بعشرة آلاف دينار، فردها وقال: أنا رجل تاجر لا أحتاج إلى مالك، فقال: عقر بها في البرج، فقال: أنا لا أحتاج إلى أحد يساعدني فيه، ولكن إن كنت محتاجًا إلى شيء تصرفه على الجهاد أقرضك وأصبر عليك، ثم طال بينهما الكلام، فقال الشيخ للسلطان: أما تؤدي شكر ما أنعم الله تعالى به عليك.

قال: فبماذا؟

قال: كنت كافرًا فمن الله عليك الإسلام، وكنت رقيقًا، فمن الله عليك بالعتق، ثم جعلك أميرًا، ثم سلطانًا، ثم عن قريب يميتك ويجعلون أنفك في التراب، ثم يحاسبك على النقير والقطمير، وينادى عليك يوم القيامة من له حق على الغوري، فيا طول تعبك هناك، بكى السلطان، وكان الشيخ يتاجر في الأشربة والأدوية والخيار شنبر، وكان لا يأكل من الصدقات، ويقول: إنها تسود قلب الفقير، وكان يتواضع لأشياخه، ولو في مسألة من العلم، وكان إذا تكلم في علم من العلوم ينصت

العلماء له، ويعترفون بفضله[1].

٣٦٥ محمد عَبْد الكَرِيم الريفي الخطابي (ت ١٣٨٢هـ)

زعيم الثورة الريفية المعروفة باسمه في شمالي المغرب.

ولد في بلدة (أجدير) قرب الحسيمة، من الريف في بيت علم وجهاد، من قبيلة ورياغل إحدى كبريات القبائل البربرية في جبال الريف.

وحفظ القرآن وبعث به والده الى (القرويين) بفاس، فتعلم وعاد الى الريف وأقام في (مليلة) فولي قضاءها. وامتد احتلال الإسبان من مليلة وتطوان إلى (شفشاون) فأظهر عبد الكريم (والد صاحب الترجمة) معارضته لهم، وكان من أعيان القوم، فانتقم الإسبان منه بعزل ابنه محمد واعتقاله في سجن (كبالرزا) سنة (١٩٢٠) وأراد (محمد) الفرار من المعتقل فسقط وكسرت ساقه. وأطلق، فجمع أنصارا من ورياغل (قبيلته) وقد آلت اليه زعامتها بعد أبيه، وقاتل الإسبان، فظفر في معركة (أنوال) من جبال الريف، في يوليو ١٩٢١ (أواخر ١٣٣٩ هـ) وتتابعت معاركه معهم فاحتل شفشاون (١٩٢٥) وحاول احتلال تطوان وأرسل من يهدد (تازة) وقدر جيشه بمئة ألف. وأنشأ جمهورية الريف وخاف الفرنسيون امتداد الثورة الى داخل (المغرب) فحالفوا الإسبان. وأطبقت عليه الدولتان، فاستسلم مضطرا إلى الفرنسيين في ٢٥ مايو ١٩٢٦ (١٢ ذي القعدة ١٣٤٤) بعد أن وعدوا بإطلاقه، ولكن هذا الوعد كما تقول جريدة الموند الفرنسية، لم يوف به، كما لم يوف بالوعد لعبد القادر قبل خمس وسبعين سنة[2].

٣٦٦ محمد علي الدقر (ت ١٣٦٢هـ)

الرجل الذي هزّ دمشق من أربعين سنة هزّة لم تعرف مثلَها من مئتَي سنة، وصرخ في أرجائها

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/ ٨٥-٨٦).

(٢) الأعلام للزركلي (٦/ ٢١٦-٢١٧).

صرخة الإيمان فتجاوبت أصداؤها في أقطار الشام واستجاب لها الناس، وأعانه عليها زميله وصديقه الشيخ هاشم الخطيب[١].

يقول الشيخ الطنطاوي: «الشيخ عبد الكريم الرفاعي والشيخ حسن حبنكة وغيرهم كلّهم مِن غَرْس يد الشيخ علي الدقر، وكلهم من تلاميذه[٢]. والشيخ علي الدقر والشيخ كامل القصاب، من العلماء الدعاة إلى الله، ومن أركان التعليم والإرشاد في الشام رحمهما الله»[٣].

ويصف الشيخ الطنطاوي دروس الشيخ علي الدقر رحمه الله، وتأثر الناس بها، ومدى فاعليته بهم، فيقول: «كان الكلام ينهال على الشيخ يلقيه على الناس، ومن أي كتاب ينقله؟! ينقله من الصلاة في ظلمات الليالي، والمناجاة في هدآت الأسحار، ومن حلاوة الإيمان التي يذوقها في ساعات الخلوة بالله، والتوجه إليه والقيام بين يديه»[٤].

٣٦٧ محمود بن أحمد إسماعيل العيني. مظفر الدين العيني الأصل القاهري الحنفي (ت ٩٠٢هـ)

ويعرف بابن الأمشاطي؛ لأنَّ جده كان يتجر فيها.

حفظ مختصرات، واشتغل في الفقه على ابن الديري والشمني، وفي النحو على الثاني وغيره.

وسمع على جماعة كابن حجر وطبقته، ودخل دمشق، وحج غير مرة.

---

(١) رجال من التاريخ (ص٣٨٧-٣٩٤).

(٢) الذكريات (٧/ ٢٨).

(٣) الذكريات (٧/ ٣٤).

(٤) رجال من التاريخ (ص٣٨٩-٣٩٠)، و«علماء الشام في القرن العشرين وجهودهم في إيقاظ الأمَّة والتصدِّي للتيارات الوافدة» (ص٢٦).

جاور ورابط في بعض الثغور، وسافر للجهاد، واعتنى بالسباحة، والتجليد، ورمى النشاب، ورمى المدافع؛ وأخذ ذلك عن الأستاذين، وتقدم في أكثره واشتغل بالطب وصنف فيه(1).

٣٦٨ المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي (ت ١١١-١٢٠ هـ)

أخو أبي بكر بن عبد الرحمن

روى عن: أبيه.

وعنه: ابنه يحيى، وابن إسحاق، ومالك بن أنس.

ذكره محمد بن سعد(2) في الطبقة الثانية من أهل المدينة، وقال: قال محمد بن عمر -الواقدي-: خرج المغيرة بن عبد الرحمن إلى الشام غير مرة غازيًا، وكان في جيش مسلمة الذين احتبسوا بأرض الروم حتى أقفلهم عمر بن عبد العزيز، وذهبت عينه ثمَّ رجع إلى المدينة فمات بها، وقد روي عنه وكان ثقة قليل الحديث.

وكان سيدًا جوادًا سخيًا غازيًا مجاهدًا.

قال الحاكم أبو أحمد: «خرج إلى الشام مرابطًا، فمات هناك».

قال الزبير بن بكار: «أصيبت عينه بأرض الروم، وكان يطعم الطعام حيث ما نزل ينحر الجزر فيطعم من جاءه وأمه سعدى بنت عوف»(3).

٣٦٩ أبو عمران الفاسي موسى بن عيسى بن أبي حاج. واسمه يحجّ ابن وليهم بن الخير

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٢٨٤).

(٢) طبقاته (٥/ ٢١٠).

(٣) تهذيب الكمال (٢٨/ ٣٨٤-٣٨٧)، و«الأعلام» (٧/ ٢٧٧).

الغفجومي، وغفجوم فخذ من زناتة الفاسي، المالكي، أحد الأعلام[١]

مهندس الخطوط العريضة لدولة المرابطين[٢]، وقد ذكرنا فضل في تأسيس دولة المرابطين بحديثنا عن الفقيه عبد الله بن ياسين رحمه الله.

قال حاتم بن محمد: كان أبو عمران من أعلم النَّاس، وأحفظهم.

قال أبو عمر بن عبد البر: كان صاحبي عندهم، وأنا دللته عليهم.

وقال: ولدت مع أبي عمران في سنة ثمان وستين وثلاث مئة[٣].

جمع حفظ المذهب المالكي إلى حفظ حديث النبي ﷺ، ومعرفة معانيه. وكان يُقرئ القرآن بالسبعة، ويجوده، مع معرفته بالرجال وجرحتهم، وتعديلهم.

قيل: وجرت بالقيروان مسألة في الكفار، هل يعرفون الله أو لا؟ فوقع فيها تنازع عظيم بين العلماء. وتجاوز ذلك الى العامة، وكثر التمادي بينهم، حتى كان يقوم بعضهم الى بعض في الأسواق، ويخرجون عن حد الاعتدال إلى القتال. وكان المتهجم بذلك رجل مؤدب يركب حماره، ويذهب من واحد إلى آخر. فلا يترك متكلمًا ولا فقيهًا إلا سأله فيها وناظره.

فقال قائل: لو ذهبتم الى الشيخ أبي عمران لشفانا من هذه المسألة. فقام إليه أهل السوق بجماعتهم، حتى أتوا باب داره واستأذنوا عليه، فأذن لهم. فقالوا له: أصلحك الله، أنت تعلم أنَّ العامة إذا حدثت بها حادثة، إنمَّا تفزع الى علمائها. وهذه المسألة قد جرى فيها ما بلغك، وما لنا في الأسواق شغل إلا الكلام فيها. فقال

---

(١) انظر: السير (١٧/ ٥٤٥).

(٢) انظر: فقه التمكين عند دولة المرابطين (ص١٦) وما بعد.

(٣) الصلة لابن بشكوال القرطبي (٢/ ٦١١-٦١٢).

لهم: إن أنصتّم وأحسنتم الاستماع أجبتكم.

فقال له: أرأيت لو لقيت رجلًا فقلت له: تعرف الشيخ أبا عمران، فقال: نعم. فقلت: صفه لي، فقال: نعم. هو رجل يدرس العلم ويدرسه، يفتي الناس ويسكن بقرب السماط، أكان يعرفني؟

قال: نعم.

قال: والأول ما كان يعرفني؟

قال: لا.

قال لهم الشيخ: كذلك الكافر، إذا قال لمعبوده صاحبة، وولدًا، وأنه جسم، وقصد بعبادته مَن هذه صفته. فلم يعرف الله، ولم يصفه بصفاته. ولم يقصد بالعبادة إلا مَن هذه صفته، وهو بخلاف المؤمن الذي يقول إن معبوده: الله، الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤًا أحد. فهذا قد عرف الله، ووصف بصفته.

وقصد بعبادته من يستحق الربوبية ﷻ عما يقول الظالمون، علوًا كبيرًا. فقامت الجماعة وقالوا له: جزاك الله خيرًا من عالم. فقد شفيت ما بنفوسنا، ودعوا له، ولم يخوضوا في المسألة بعد هذا[1].

إنَّ الفقهاء في القيروان وعلى امتداد حقب من الزمان كانوا يمثلون مدرسة المالكية المناضلة، أي التي تجمع العلم بالعمل وتحاول إصلاح الأمور بشتى الطرق، ومن أولها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كل هذا يدفعنا إلى الاعتقاد أنَّ أبا عمران الفاسي ويحيى بن إبراهيم تباحثا خلال

---

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٢٤٣-٢٥١).

لقائهما حول الأوضاع السائدة وسبل تغيرها، واتفقا على أنَّ بلوغ هذا الهدف لا يتأتى إلا بإنشاء دولة مجاهدة رُبي أفرادها على سلوك الحق والجهاد في سبيله[1].

٣٧٠ محمد بن محمد ابن الشيخ أبي المكارم حمزة بن عوض، الواعظ المشهور بالديار الرومية بمنلا عرب الأنطاكي الحنفي (ت ٩٣٨هـ)، ولقبه ابن طولون زين العرب

حفظ القرآن في صغره، ثمَّ حفظ الكنز والشاطبية، وغيرهما وتفقه على أبيه وعميه الشيخ حسن والشيخ أحمد فكانا فاضلين، وقرأ عليهما الأصول والقراءات، والعربية، ثمَّ سار إلى حصن كيفا، وآمد.

وذكر صاحب «الشقائق» أنَّه لما دخل الروم في هذه المقدمة، كان في زمن السلطان سليم، فاجتمع به وحرضه على قتال عساكر في الرافض قزلباش، وألف له كتابًا في الغزو وفضائله، نفيسًا جدًا، وذهب معه إلى حربهم، وكان يعظ الجند في الطريق، ويحرضهم على الجهاد خصوصًا لتلك الطائفة والسلطان يكرمه، ويحسن إليه فلما التقى الجمعان، وحمي الوطيس أمره السلطان بالدعاء، وهو يؤمن، فانهزم العدو وفتحت تبريز حينئذ، ثم سار الشيخ إلى ولاية روم إيلي، فوعظ أهلها، ونهاهم عن المعاصي، وأمرهم بالفرائض، فانصلح به كثير من الناس، وبنى جامعًا في مدينة سراي ومسجدًا آخر في أسكوب، وأقام هناك عشر سنين، وأسلم على يديه كثير من الكفار، وغزا مع السلطان سليم أيضًا أنكروس في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمئة، ودعا له حال القتال، فجاء الفتح، ثم انتقل إلى بروسا، وسكن بها وشرع في بناء جامع كبير فتوفي بها قبل إتمامه.

أمات بدعًا كثيرة، وأحيى سننًا كثيرة، وانتفع به خلائق كثيرة، وكانت وفاته في رابع المحرم سنة ثمان وثلاثين وتسعمئة ببروسا، وصلي عليه غائبة بدمشق يوم الجمعة

---

(١) انظر: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين (ص٥٣).

حادي عشر رمضان منها رحمه الله تعالى[١]..

٣٧١ محمد بن محمد بن عبد الله أبو منصور الأزدي العلامة، المحدث، أبو منصور محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الأزدي، الهروي، الشافعي (ت ٤١٠هـ)

روى عن: الحسن بن عمران الحنظلي الهروي، وسمع لما حج بالكوفة من: محمد بن علي بن دحيم، وببغداد من: أبي محمد دعلج السجزي، وأحمد بن عثمان الأدمي، وعدة.

وأملى مدة، وكان رأس الشافعية في عصره بهراة مع الدين والخير وعلو الإسناد.

قال الذهبي: «كان السلطان محمود بن سبكتكين يجله، ويحترمه لخيره واتباعه ومحاسنه»[٢].

٣٧٢ محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي العلامة شمس الدين الأصفهاني أبو الثناء (ت ٧٤٩هـ)

ولد بأصفهان، واشتغل بتبريز، ثم قدم دمشق سنة خمس وعشرين وسبعمئة وأفاد الطلبة، ثم قدم الديار المصرية سنة اثنتين وثلاثين وسبعمئة.

قال الإسنوي: كان إمامًا بارعًا في العقلياتِ، عارفًا بالأصلين، فقيهًا صحيح الاعتقاد، محبًا لأهل الخير والصلاح، صنَّف التصانيف المفيدة. وذكر الصفدي له ترجمة طويلة وبالغ في الثناء عليه، توفي شهيدًا في ذى القعدة سنة تسع وأربعين وسبعمئة، ودفن بالقرافة.

ومن تصانيفه: (شرح مختصر ابن الحاجب)، و(شرح منهاج البيضاوي)، و(شرح

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (٢/ ٥٣-٥٤).

(٢) السير (١٧/ ٢٧٤).

طوالع البيضاوي)، و(شرح البديع لابن الساعاتي)، و(شرح فصول النسفي)، و(شرح الحاجبية) وشرع في تفسير القرآن ولم يكمله كذا ذكره في ترجمتها[١].

٣٧٣ مخلد بن الحسين أبو محمد الأزدي الإمام، الكبير، شيخ الثغر، أبو محمد الأزدي، المهلبي، البصري، ثم المصيصي (ت ١٩١هـ)

كان من العباد الخشن ممَّن لا يأكل إلا الحلال المحض[٢].

حدث عنه: موسى بن عقبة، وهشام بن حسان، ويونس بن يزيد، والأوزاعي، وعدة.

وعنه: حجاج بن محمد، والحسن بن الربيع، وأبو صالح محبوب الفراء، والمسيب بن واضح، وموسى بن أيوب، وآخرون.

قال أحمد العجلي: هو ثقة، رجل صالح، عاقل.

قال الوليد بن مسلم: أفضل من بقي من علماء أهل المغرب: أبو إسحاق الفزاري، ومخلد بن الحسين، وعيسى بن يونس[٣].

من كلامه: «ما ندب الله العباد إلى شيء، إلا اعترض فيه إبليس بأمرين، ما يبالي بأيهما ظفر: إما غلو فيه، وإما تقصير عنه».

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص١٩٨).

(٢) الثقات (١٥٩٠٧).

(٣) سير السلف الصالحين لأصفهاني (ص١٠٤٨).

وعن عبدة بن سليمان قال: سمعت مخلد بن الحسين يقول: كان يقال: «الشكر ترك المعاصي»(١).

وعن ابن المباركِ، قال: قال لي مخلد بن الحسين: «نحنُ إلى كثيرٍ من الأدب، أحوجُ منَّا إلى كثيرٍ من الحديث»(٢).

وذُكِر عنده خلقٌ من أخلاقِ الصَّالحين، فقال:

لا تعرضنَّ بذكرِنا في ذِكرِهم ... ليسَ الصَّحيحُ إذا مشى كالمقعَدِ(٣)

وله شيء في مقدمة (صحيح مسلم)(٤).

٣٧٤ مرار بن حمويه ابن منصور. الامام الحافظ، شيخ همذان، أبو أحمد، الثقفي الهمذاني (ت ٢٥٤هـ)

روى عن: إبراهيم بن المنذر، وعبد الله بن سالم القزاز، وأحمد بن أبي الحواري.

قال ابن أبي حاتم: سمع منه أبي بهمذان(٥).

---

(١) معجم ابن الأعرابي (٢/ ٢٤٩).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٨٠).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ٢٦٦).

(٤) السير (٩/ ٢٣٦)، وينظر: في «الطبقات» لابن سعد (٧/ ٤٨٩)، و«العبر في خبر من غبر» (١/ ٢٣٩)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٦٥).

ولد من صلبه كان من أهل الثغور والفتوح، ففي «الأعلام» (٨/ ١٨٨) وهو يزيد بن مخلد بن الحسين المهلبي: قائد، من شجعان آل المهلب بن أبي صفرة. آخر ما قام به افتتاحه «الصفصاف» من ثغور المصيصة، و«ملقونية» قرب قونية (سنة ١٩٠) وزحف بنحو عشرة آلاف مقاتل، يريد التوغل في بلاد الروم، فاعترضوه في أحد المضايق، فقتل بقرب «طرسوس» وقتل معه (٧٠) رجلًا ورجع الباقون.

(٥) الجرح والتعديل (٨/ ٤٤٣).

وروى عنه: ابن ماجة وأبو عروبة[١]، والبُخَارِيّ وكناه[٢].

قال محمد بن عيسى: سمعت أبي يقول: سمعت فضلان بن صالح أخا الحسين بن صالح يقول: قلت لأبي زرعة: أنت أحفظ أم المرار؟

فقال: أنا أحفظ، والمرار أفقه.

قال: وسمعت أبا جعفر يقول: ما أخرجت همذان أفقه من المرار[٣].

وقال عبد الله أحمد بن الدحيمي: سمعت المرار يقول: «اللهم ارزقني الشهادة، وأمر يده على حلقه»[٤].

قال الخليلي: قتل في السنة شهيدًا، أخبرني صالح بن احمد الهمذاني الحافظ قال: سمعت الحسن بن علي التميمي، يقول: قتل المرار سنة أربع وخمسين ومائتين، وله اربع وخمسون سنة[٥].

٣٧٥ المسيب بن واضح بن سرحان السلمي التلمنسي (ت ٢٤٦هـ)

الإمام، المحدث، العالم، أبو محمد السلمي، التلمنسي؛ نسبة إلى قرية من قرى حمص (حاليًا تقع في الشمالِ السوري).

قال محمد بن عبد الرحمن الدغولي: سمعت أبا عصمة نوح بن هشام الجوزجاني يقول: «كنت عند المسيب بن واضح **وكان مرابطًا بمدينة من مدن**

---

(١) الكاشف للذهبي (٢/ ٢٥٠).

(٢) فتح الباب في الكنى والألقاب لابن منده (ص٥٨).

(٣) تهذيب الكمال (٢٧/ ٣٥٣).

(٤) السير (١٢/ ٣١٠).

(٥) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢/ ٦٣٨-٦٣٩).

سواحل البحر يقال لها: (بانياس) فبينا نحن جلوس عنده للمناظرة فقلت له: يا أبا محمد يحكى عندنا بخراسان عن ابن المبارك أنَّه قال: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لحدث من شاء من الناس بما شاء»، هل سمعتها منه؟

قال: لا؛ ولكن أكتب حتى أملي عليك حكاية في هذا الباب لا تكتبها اليوم عن أحد غيري.

قلت: هات.

قال: سمعت عبد الله بن المبارك وسأله رجل، فقال: ما تقول يا أبا عبد الرحمن من طلب العلم، هل له أن يشدد في الإسناد؟

قال: نعم، من كان طلبه لله ينبغي له أن يكون في الإسناد أشد وأشد؛ لأنك تجد ثقة يروي عن ثقة، وتجد ثقة يروي عن غير ثقة(١).

قال ابن عدي: وسمعت الحسين بن عبد الله القطان يقول: سمعت المسيب بن واضح يقول: «خرجت من تلمنس أريد مصر للقاء ابن لهيعة، فأخبرت بموته»، وكان النسائي حسن الرأي فيه، ويقول: «الناس يؤذوننا فيه».

حدث عنه: ذو النون المصري -مع تقدمه- وأبو زرعة، وأبو حاتم، ومحمد بن تمام البهراني، وأبو عروبة الحراني، والحسن بن سفيان، وأبو بكر بن أبي داود، وأحمد بن هشام بن الليث الفارسي، وآخرون(٢).

٣٧٦ المعافى بن عمران الأزدي الفهمي (ت ١٨٥هـ)

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٠٠).

(٢) سير الذهبي (١١/ ٤٠٣).

روى عنه: بشر الحافي، وبقية بن الوليد وهو أكبر منه، والحسن بن بشر البجلي، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح وهو من أقرانه، ويحيى بن رجاء بن أبي عبيدة، وموسى بن مروان الرقي.

قال حرب بن إسماعيل، عن أحمد بن حنبل: «المعافى ابن عمران شيخ له قدر وحال، وجعل يعظم أمره، قال: وكان رجلًا صالحًا».

وكان شيخه سفيان الثوري يقول عنه: «ياقوتة العلماء»[1].

وقيل لبشر -الحافي-: نراك تعشق المعافى؟

قال: وما لي لا أعشقه؟! وقد كان سفيان الثوري يسميه «الياقوتة»[2].

قال إسحاق بن الضيف[3] عن بشر بن الحارث: قتل لمعافى ابن عمران ابنان في وقعة الموصل. فجاء إخوانه يعزونه من الغد، فقال لهم: إن كنتم جئتم لتعزوني فعلام تعزوني؛ ولكن هنؤني، قال: فهنؤه. قال: «فما برحوا حتى غداهم وغلفهم بالغالية»[4].

٣٧٧ مفضل بن عياش بن سليمان بن أيوب الخولاني مولاهم، يعرف بابن الطويل (ت ٣٦٠هـ)

قال القاضي عياض: «كان حافظًا للمذهب، صاحب شروط من أهل العفاف، والخير والثقة».

---

(١) الجرح والتعديل (١/ ٧٥)، و«تقريب التهذيب» (٤/ ١١٣) و«الأنساب» (١٣/ ٤٨٣)، و«نزهة الألباب» (٢٩٣٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٨٣).

(٣) تاريخ الخطيب، (١٣/ ٢٢٨).

(٤) تهذيب الكمال (٢٨/ ١٤٧-١٥٢) والغالية: الطيب.

سمع حميدًا وأبا صالح، وغيرهما، وكن مفتيًا.

خرج الى الثغور، فرابط بها إلى أن مات[١].

٣٧٨ منصور بن سلمة الإمام الحافظ، أبو سلمة الخزاعي، محدث بغداد (ت ٢١٠هـ)

روى عن: عبد العزيز الماجشون، وحماد بن سلمة، ومالك، والطبقة.

وعنه: أحمد، وأبو بكر الأعين، وصاعقة، وأبو بكر الصاغاني، وأحمد بن أبي خيثمة وعدة.

وثقه ابن معين والناس.

وقال أحمد بن أبي خيثمة: قال لي أبي - وقد قمنا من عند أبي سلمة الخزاعي: «كتبت اليوم عن كبش نطاح»[٢].

قال الذهبي: «وكان من أئمة هذا الشأن، بصيرا بالرجال والعلل»[٣].

وقال الدارقطني: «أبو سلمة أحد الحفاظ الرفعاء الذين كانوا يسألون عن الرجال، ويؤخذ بقوله فيهم. أخذ عنه أحمد بن حنبل وابن معين علم ذلك».

وقال ابن سعد: «خرج إلى الثغر، فمات بالمصيصة سنة عشر ومئتين، وكان ثقة يتمنع بالحديث[٤] رحمه الله تعالى»[٥].

٣٧٩ موسى بن معاوية الصمادحي

---

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٤١).

(٢) انظر هذا اللقب في كتابي «إبهاج الطالبين بقطوف من ألقاب المحدثين» (ص١٥٦).

(٣) السير (٩/ ٥٦١).

(٤) الطبقات لابن سعد (٧/ ٣٤٥).

(٥) طبقات علماء الحديث (٢/ ٥)، و«تهذيب الكمال» (٢٨/ ٥٣٢).

الإمام الثقة الأمين، العالم بالحديث والفقه الآخذ عن رجاله.

سمع من أبيه: ووكيع بن الجراح والفضيل بن عياض وعلي بن مهدي وغيرهم من هذه الطبقة، وسمع ابن القاسم وغيره.

وعنه: أخذ فرات، وعامة فقهاء إفريقية، وابن وضاح، وأحمد بن يزيد القرطبي.

كان عابدًا وكثيرًا ما يرابط بالمنستير.

قال فرات: حدثنا سحنون: كنّا نرابط بالمنستير في شهر رمضان ومعنا جماعة من أصحابنا فكان موسى بن معاوية أطولهم صلاة وأدومهم عليها[١].

٣٨٠ ميمون بن بدر القروي

يكنى أبا سعيد من أهل القيروان، قدم الأندلس، وسكن طليطلة مرابطًا بها.

حدث عنه: أبو محمد بن ذنين الزاهد، وقال: إنَّه ولد سنة ثلاث عشرة وأربعمئة[٢].

٣٨١ نعم الخلف بن أبي الخصيب (ت ٢٩٨هـ)، من أهل طليطلة، يكنى أبا القاسم

كان محدثًا، وشاعرًا، وزاهدًا، من أهل الغزو والرباط، قتل شهيدًا سنة ثمان وتسعين ومائتين[٣].

٣٨٢ هبة الله بن محمد بن الحسين بن مفرج جمال الدين أبو البركات المقدسي ثمَّ الإسكندري (ت ٦٥٠هـ)

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ١٠٣).

(٢) بغية الملتمس (١٣٨٢) (ص٤٧٤)، و«الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» (ص٥٩٩).

(٣) بغية الملتمس (ص٤٧٧).

يعرف بابن الواعظ من عدول الثغر، أخذ عن السلفي.

وعاش إحدى وثمانين سنة[1].

٣٨٣ يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي (ت ٢٦١ وقيل ٢٦٧ هـ)، الحافظ المجود الشهيد، أبو زكريا.

قال الحاكم: هو إمام نيسابور في الفتوى والرئاسة، وابن إمامها، وأمير المطوعة الغزاة بخراسان بلا مدافعة

قال: وكان يسكن دار أبيه، ولكل منهما فيها صومعة وآثار لعبادتهما، والسكة والمسجد منسوبان إلى حيكان.

روى عن: أحمَد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وسُلَيمان بن حرْب، ومسدد بْن مسرهد، وأبي الوليد الطيالسي.

حدث عنه: أبوه، وابن ماجه، وإبراهيم بن أبي طالب، وابن خزيمة، والسراج.

قال محمد بن إسحاق السراج: كان يحيى بن محمد أخرجه الغزاة وجماعة من أصحاب الحديث وأصحاب الرأي وأركبوه دابة وألبسوه سيفا، قال المزكي: بلغني أنه كان سيف خشب - وقاتلوا سلطان نيسابور يقال له: أحمد بن عبد الله الهوجستاني خارجي غلب على البلد، وكان ظالما غاشما، وكان الناس أو أكثرهم مجتمعين مع يحيى بن محمد عليه، فكانت الدبرة على العامة، وهرب يحيى بن محمد إلى رستاق من رساتيق نيسابور يقال له: بشت، فدل عليه أحمد بن عبد الله وجئ به، فيقال: إن عامة من كان مع يحيى من الرؤساء انقلبوا عليه لما واقفه أحمد

---

(١) حسن المحاضرة (١/ ٣٧٨).

بن عبد الله، وقال له: ألم أحسن إليك؟ ألم أفعل؟ ألم أفعل؟ وكان يحيى بن محمد فوق جميع أهل البلد، فقال يحيى بن محمد: أكرهت على ذلك، واجتمعوا علي.

قال: فرد عليه الجماعة أو من حضر منهم، فقالوا: ليس كما قال: فأخذه أحمد بن عبد الله فقتله، يقال إنَّه بنى عليه، ويقال أمر بجر خصيتيه حتى مات، رحمه الله[١].

وقال الذهبي: «قتله أحمد بن عبد الله الخجستاني[٢] ظلمًا في جمادى الآخرة سنة سبع وستين ومائتين، لكونه قام عليه، وحاربه لاعتدائه وعسفه»[٣].

٣٨٤ يحيى بن محمد الأموي أبو الوليد المعروف بابن قبروق من أهل لاردة (ت ٥٠٨هـ)

ولي قضاء شاطبة من قبله، ثمَّ استعفاه فأعفاه وانتقل إلى بلنسية فشاوره قاضيها حينئذ.

وله رواية عن: عبد القادر بن الحناط وغيره.

حدث عنه: ابن عياد، وابناه محمد وأحمد، وغيرهم ممن ذكرته في التكملة.

استشهد في وقيعة البورت سنة (٥٠٨هـ)[٤].

٣٨٥ يزيد بن محمد الجمحي. ثقة، كثير الحديث

لقي مالك بن أنس وإبراهيم بن محمد من أهل المدينة. وسمع من: أبي بكر بن

---

(١) تهذيب الكمال (٣١/ ٥٢٩-٥٣٠).

(٢) الخجستاني، بضم الخاء المعجمة والجيم، وسكون السين المهملة، وبعدها تاء فوقها نقطتان، وبعد الالف نون: هذه النسبة إلى خجستان، وهو جبل من جبال هراة.

والخجستاني الأمير هو أحمد بن عبد الله، كان جبَّارًا ظالمًا غاشمًا من أتباع يعقوب بن الليث الصفار، ثم خرج عن طاعته.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٨٥-٢٨٧).

(٤) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص١٣١).

عياش وجماعة من أهل الكوفة وأهل الشام وأهل البصرة.

وسمع منه: موسى بن معاوية الصمادحي.

وركب يزيد بن محمد من إفريقية في البحر يريد غزو «المصيصة» فخرج عليهم عدو صقلية فاستشهد رضي الله تعالى عنه[١].

٣٨٦ يوسف بن دوناس المغربي الإمام، أبو الحجاج يوسف بن دوناس المغربي، الفندلاوي، المالكي (ت ٥٤٣هـ)

خطيب بانياس، ثمَّ مدرس المالكية بدمشق.

روى (الموطأ) بنزول.

قال ابن عساكر: كان حسن المفاكهة، حلو المحاضرة، شديد التعصب لمذهب أهل السنة، كريمًا، مطرحًا للتكلف، قوي القلب.

قتل الفندلاوي وزاهد دمشق عبد الرحمن الحلحولي يوم السبت، في ربيع الأول، سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة، بالنيرب[٢]، في حرب الفرنج ومنازلتهم دمشق، فقبر الفندلاوي بظاهر باب الصغير، وقبر الحلحولي بالجبل -رحمهما الله-[٣].

---

(١) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم (١/ ٢٣٩).

(٢) النيرب: محلة تلي الربوة من جهة دمشق، وهي كلمة سريانية معناها الوادي، ولكن يراد بها سفح قاسيون مما يلي الربوة.

وانظر تفصيل ذلك في: «مرآة الزمان» (٨/ ١٢١)، و«معجم البلدان» (٤/ ٢٧٧-٢٧٨)، و«البداية» (١٢/ ٢٢٤).

وللفندلاوي رسالة صغيرة طبعها الأستاذ جواد المرابط بعنوان: «فتوى الفندلاوي» فيها تنبيه إلى غايات الدين وتذكير ببعض الاحكام والمواعظ. نقلًا من (حواشي السير).

(٣) السير (٢٠/ ٢٠٩-٢١٠).

٣٨٧ أبو يوسف الغسولي

كان يلزم الثغر ويغزو، وكان إذا غزا ودخلوا بلاد الروم أكل أصحابه من طعام الروم وفواكههم، فيقول أبو يوسف: لا آكل!!

فيقال له: تشك أنَّه حلال؟

فيقول: لا أشك هو حلال، فيقال له: فكل من الحلال، فيقول: «إنمَّا الزهد في الحلال»[(١)].

٣٨٨ أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي (ت ١٠١٣هـ)

قال السلاوي: كان الشيخ أبو المحاسن في ذلك اليوم -الذي التقى بها جيش أهل الإسلام وملة الكفر من البرتقال- في أحد الجناحين، -وأظنه الميسرة- من عسكر المسلمين في مقابلة النصارى دمرهم الله.

قال: فوقع في ذلك الجناح انكسار تزحزح به المسلمون عن مصافهم، وحملت عليهم النصارى دمرهم الله، فثبت الشيخ وثبت من كان معه إلى أن منح الله المسلمين النصر، وركبوا أكتاف العدو يقتلون ويأسرون، والشيخ لم يتزلزل، ولم يلتفت منذ توجه إلى قتالهم حتى فتح الله عليهم[(٢)].

٣٨٩ يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفي، ودفن بقصر الجديد (ت ٣٢٤هـ)

كان كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صالحًا، فاضلًا، ثقة.

قال يونس: قال لي يومًا: «يا بنيَّ إنمَّا يريد البقاء في الدنيا من كان يتلذذ بالطعام والشراب والنوم والنساء، وأنا والله قد عدمت شهوة الثلاث فما شهوتي بعد في المقام».

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ١١٦)، في ترجمة (السري السقطي).

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٥/ ٨٠).

وكان كثير الحرس على المسلمين فلقد ذكر عنه أنَّه قال: كنت بسوسة منذ أربعين سنة فجاءت مخاوف من العدوّ، ومشت مراكبه في البحر.

فأخذ الوالي أهل سوسة -أصحاب النوالات وغيرهم- بالحرس نوبًا، وكان المرابطون في ذلك الوقت قلّة، فلمَّا سمع الناس بذلك انجفلوا مقبلين إلى سوسة وكثر الناس، فخرجوا إلى رملة سوسة مستعدين حارسين على ذراري المسلمين فإنا ذات ليلة في ذلك نحرس وقد علوت في المحارس وأرى أهل الدّور يمشون في ضوء السّرج حتى جنّ اللّيل عليّ، فسمعت صبيّة وهي تقول لأمها: «يا أماه قد جاء المرابطون يحرسون علينا قومي بنا نرقد، فأعجبني ما سمعت منها واغتبطت بما فتح الله ﷻ لي من ذلك، والحمد لله رب العالمين وليّ الحمد وأهله»[1].

---

(١) طبقات علماء القيروان (٢/ ٢٣٤-٢٤١).



الباب الثامن:
جهاد العباد والزهاد والمتصوفة

وهذا فصل يجدر التنبيه له، ولفت النظر إليه، فإنَّ العباد ومن جملتهم أهل التصوف؛ كانوا يجاهدون في سبيل الله بقلبهم وقالبهم، ويتعبدونه بأحب الأعمال إليه؛ ومن أحبها وأفضلها الجهاد في سبيل الله لأعلاء كلمته سبحانه.

وقد لبس على البعض فظنَّ أن الجهاد الحق هو الجهاد بالقلب، وسمَّوه الجهاد الأكبر، وهذا من المغالطات؛ كما أنَّ الجهاد بالبدن دون مراعاة عمل القلب غلط آخر، والصواب أن ينظر في سيرة نبي الرحمة والملحمة، كيف كان جهاده؟ وكيف كانت عبادته؟[1].

ونجد أنَّ نور الدين الزنكي في توجهه لفتح بانياس من يدي الفرنج، يقول ابن

---

(١) وفي كتاب «الانحرافات العقدية والعلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين» (٢/ ٥٣٧-٥٣٨) ط: دار طيبة. يقول مصنفه: «أما بالنسبة لموقف الصوفية من الجهاد ومقاومة الاستعمار، فإنَّه موقف متباين، يسوده التذبذب والاضطراب. فبينما نرى طائفة منهم أعلنت الجهاد وقاومت الاستعمار، وأقضت مضاجع المستعمرين، نرى على النقيض الآخر طائفة أخرى نكصت عن الجهاد، ونكلت عن الحرب، وانزوت على نفسها فرقًا وهربًا.

وبين هاتين الطائفتين، طائفتان أخريان، الأولى منهما حاربت المستعمر وقاومته ردحًا من الزمن، فلما طال أمد القتال، ولم تفلح في طرد المستعمر، بل كان هو الظاهر عليها في كثير من الوقائع، استسلمت له في نهاية المطاف، ولم تكتف بالاستسلام للمستعمر، وإبرام المعاهدات المخزية معه، بل صارت تشنع على من يحاول رفع راية الجهاد ضده من جديد، وينقض ما أبرمته من معاهداتٍ، والطائفة الثانية، وهي شر طوائف الصوفية جميعًا، وهي الطائفة التي وقفت معه منذ البداية جنبًا إلى جنب، تؤازره، وتناصره، وتقاتل في صفوفه، وتحت رايته، وتدعو الناس إلى الرضوخ له، وتحذر من مغبة مقاومته....»، ثمَّ أخذ بضرب الأمثلة.

القلانسي: «وبادر بالمسير في الحال إلى عسكره المنصور مغذًا غير متلوم ولا متربث في يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الأول وتبعه بين الأحداث والمتطوعة، والفقهاء، والصوفية، والمتدينين العدد الكثير الدثر المباهي في الوفور والكثرة...»(١).

وقد فصل شيخ الإسلام تفصيلًا في قمَّة الإنصاف بخصوص الصوفيةِ، فقال: فطائفة «**ذمت الصوفية والتصوف**» وقالوا: إنهَّم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام.

و «**طائفة غلت فيهم**» وادعوا أنَّهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم(٢).

والصواب: «**أنهم مجتهدون في طاعة الله**» كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب.

ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاصٍ لربه، وقد **انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة**؛ ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج مثلًا؛ فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق. مثل: الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره. كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي؛ في «طبقات الصوفية» وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد». فهذا أصل

---

(١) تاريخ دمشق (١/ ٥٢١).

(٢) لأنَّ فيه غلوًا وشططًا بغير علم وحكمة.

التصوف»[1].

وقال الحافظ الذهبي: «القادح في مُحِق الصوفية، داخلٌ في حديث (من عاد لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة)، والتارك لإنكار الباطل مما سمعه من بعضهم تاركٌ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2].

وقد كتبت مجموعة علميّة حول هذا الموضوع بحمد الله عليَّ، وتناولت فيه قواعد شرعية، وعلقت على البعض المغالطات البدعية، مع نصيحة دعويَّة من مشفق محب والله عالم بما في النيَّة[3].

وقد شاع عن بعض الصالحين السياحة في الأرض، وهذا نوع مرفوض من السياحة، مخالف للسنة، مسببًا للفتنة، لما رواه أبو داود في «سننه» وغيره، عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة ﵁ أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، ائذن لي بالسياحة، قال النبي ﷺ: «إنَّ سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»[4]. فبين النبي

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ١٢-١٢).

(٢) الموقظة في علم مصطلح الحديث (ص٨٩).

(٣) وهي رسالة «إلى دعاة الصوفية»، وكتاب «فصيل الفرقان بذكر قواعد شرعية في علامات أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، و«تهذيب تلبيس إبليس على الصوفية» تقبل الله مني هذا الجهد، ويسر نشره، وكتب له القبول.

(٤) رواه أبو داود في «سننه» (٢٤٨٦)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٦٠)، وفي «مسند الشاميين» (١٥٢٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٦١) وفي «شعب الإيمان» (٤٢٢٦).

قال ابن النحاس الدمشقي في «مشارع الأشواق» (ص٧١) «لما كانت السياحة هي السير في الأرض على سبيل الفرار من الأغيار، والنظر إلى الآثار بعين الاعتبار سمي الجهاد في سبيل اللّه تعالى سياحة، لأنه فرار من الوجود وسير إلى المعبود، على قدم الإيمان والتصديق بالموعود، ونظر للنفس بعين الإنصاف في تسليمها للمشتري خروجا من عالم الخلاف، وشتان بين من هو سائر بنفسه ينزهها وبين من هو مجتهد عليها ليتلفها، هذا هو السائح يقينا، والبائع نفسه بالربح الأعظم فوزا مبينًا».

ومن أمثلةِ السياحة، ما ترجمه أبو طاهر السلفي في «معجم السفر» (٤٤٩) أبو محمد السائح هذا إفريقي من الصالحين، وقد لقي في سياحته سادة من شيوخ المغرب وديار مصر والشام ودياري بكر ومضر والعراق والحجاز، وصحبهم، ثم استوطن

الصادق الأمين ﷺ أنَّ السياحة المشروعة هو قتال العدو، والخروج للثغور للرباط والحراسة، وحماية بيضة المسلمين، والله المعين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكل من أحب التبتل للعبادة، والانقطاع إلى الله، وكمال الزهد والعبادة والمعرفة يدلونه على الثغور»[1].

وبهذا الكلام العظيم الذي حكاه شيخ الإسلام يتبين لنا صدقًا أنَّ العبَّاد كانوا ينصرفون إلى الثغور يتعلمون ويعلمون، ويربون وتتربى نفوسهم على الإخلاص والصدق، والتواضع والكرم، مع أجر المرابط، ونية السائح في سبيل الله وكذا المرابطي الحامي لظهور المسلمين وعوراتهم من أن يكشفها العدو.

ونذكر من هؤلاء جماعةً من أهل الفضل والسبق، كأمثال:

٣٩٠ الإمام العابد الزاهد إبراهيم بن أدهم (ت ١٦٢ هـ)[2] بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي، وقيل: التميمي، أبو إسحاق البلخي الزاهد، سكن الشام

قال النَّسائي: «ثقة مأمون، أحد الزهاد».

الإسكندرية، وله فيها آثار حسنة من بناء مسجد، وصهريج للسبيل من أموال المسلمين بسعايته، وكان يحضر عندي كثيرًا إلى أن كبر وعجز عن التصرف؛ فلازم محرسًا بناحية وعلة إلى أن مات، ودفن في مقبرتها في المحرم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة، وحضره خلق لا يحصيهم إلا الذي خلقهم وقال لي ميمون الطرابلسي وكان يخدمه قلت له وهو في السياق أما تذكر الله فقال وهل في قلبي سواه وقد كانت له نكت كلها حكم يستحق إثباتها وتقييدها بالكتابة كتبت أنا بعضها عندما يوردها.

(١) مسألة في المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى (ص٥٠).

(٢) قال حاجي خلفية في كتابه: «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» (١/ ٢٢) «سلطان العارفين أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور بن عامر بن يزيد بن جابر بن ثعلبة بن سعد بن حلام بن غزية بن أسامة بن ربيعة بن ضبيعة بن عجل بن لخم التميمي العجلي البلخي، المتوفى مرابطًا بسواحل الشام سنة (١٦٢) اثنتين وستين ومئة وهو المحفوظ في تاريخ وفاته على ما ذكره الحافظ ابن عساكر.

قال: وذكروا أنَّه توفي بجزيرة من جزائر بحر الروم وهو مرابط، ثمَّ حمل ودفن بصور» أهـ.

وقال سفيان الثوري: «إبراهيم بن أدهم كان يشبه إبراهيم خليل الرحمن، ولو كان في أصحاب رسول الله ﷺ، لكان رجلًا فاضلًا».

وقال يحيى بن أبي طالب: سمعت بشر بن الحارث يقول: «ما أعرف عالمًا إلا وقد أكل بدينه، إلا أربعة: وهيب بن الورد، وإبراهيم ابن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسليمان الخواص»[(١)].

وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا الوليد، يقول: «غزوت أنا وإبراهيم، ومعي فرسان وهو على رجليه، قال: فأردته أن يركب، فأبى، فحلفت.

قال: فركب حتى جلس على السرج، قال: قد أبررت يمينك، ثمَّ نزل.

قال: فسرنا في تلك السرية ستًا وثلاثين ميلًا وهو على رجليه، فلمَّا نزلنا أتى البحر فأنقع رجليه، ثم أتى فاستلقى ورفع رجليه على الحائط، فهذا أشد شيء رأيته صنع»[(٢)].

وقال ابن حبان: «ترك الإمارة إلى الشام طلبًا للحلال، فأقام بها مرابطًا غازيًا يصبر على الجهد الجهيد، والفقر الشديد، والورع الدائم، والسخاء الوافر»[(٣)].

وقال أحمد بن بكار: «غزا معنا إبراهيم بن أدهم، غزاتين، كل واحدة أشد من الأخرى، غزاة عباس الأنطاكي، وغزاة محكاف، فلم يأخذ سهما، ولا نفلًا، وكان لا يأكل من متاع الروم، نجيء بالطرائف، والعسل، والدجاج فلا يأكل منه، ويقول: هو حلال، ولكني أزهد فيه، كان يأكل مما حمل معه، وكان يصوم، قال: وغزا على

---

(١) تهذيب الكمال (٢/ ٢٨ و٣٢).

(٢) حلية الأولياء (٧/ ٣٨٧).

(٣) الثقات (٦/ ٢٤).

برذون ثمنه دينار، وكان له حمار فعارض به ذلك البرذون، وكان لو أعطيته فرسًا من ذهب أو من فضة ما كان قبله، ولا يقبل شربة من ماء، وغزا في البحر غزاتين لم يأخذ سهمه ولا يفترض»[١].

وأكل إبراهيم بن الأدهم يومًا على حافة الشريعة كسيرات مبلولة، وضعها بين يديه أبو يوسف الغسولي، ثمَّ قام فشرب من الشريعة، ثمَّ جاء فاستلقى على قفاه.

وقال: «يا أبا يوسف: لو علم الملوك، وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش»[٢].

ومن كلامه: «أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل ولا تصوم بالنهار».

وكان عامة دعائه: «اللهم انقلني من ذل معصيتك، إلى عز طاعتك»[٣].

وعن خلف بن تميم، عن إبراهيم بن أدهم، أنه ركب البحر يريد الغزو، فأصابتهم ريح شديدة وموج عظيم، فجعلوا يضجون ويدعون، وإبراهيم قد لف رأسه في كسائه وهم لا يعرفونه، فركله رجل برجله وقال: يا هذا، أما ترى ما نحن فيه وأنت نائم؟ فأخرج رأسه من الكساء، ورفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم قد أريتنا

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٨٩).

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٥٠٢)، قلت: هذه لذة الطاعة، والعلم من أنبل الطاعات وخير العبادات. والخبر في «الحلية» أيضًا: عن إبراهيم بن بشار الرطابي قال: بينا أنا وإبراهيم بن أدهم وابو يوسف الغسولي وأبو عبد الله السخاوي ونحن متوجهون نريد الإسكندرية فصرنا إلى نهر يقال له نهر الأردن فقعدنا نستريح، فقرب أبو يوسف الغسولي كسيرات يابسات فأكلنا وحمدنا الله تعالى وقام أحدنا ليسقي إبراهيم فسارعه فدخل النهر حتى بلغ الماء ركبتيه ثمَّ قال: بسم الله فشرب، ثمَّ قال: الحمد لله، ثمَّ يبدأ ثانية. فقال: بسم الله، ثمَّ شرب، ثمَّ قال: الحمد لله، ثمَّ خرج فمد رجليه، ثمَّ قال يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم إذا لجالدونا على ما نحن فيه بأسيافهم. أيام الحياة على ما نحن فيه من لذة العيش وقلة التعب. (زاد جعفر) فقلت له: يا أبا اسحاق طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم فتبسم، ثمَّ قال: من أين لك هذا الكلام؟!.

(٣) تهذيب الكمال (٢/ ٣١).

قدرتك فأرنا عفوك.

فسكن البحر[١].

قال ابن الملقن: «وصحب بمكة سفيان الثوري، والفضيل بن عياض. وتوفي بالجزيرة في الغزو، وحمل إلى صور - مدينة بساحل الشام، أو ببلاد الروم على ساحل البحر - فدفن بها سنة إحدى وستين ومئة»[٢].

هاجرتُ من بلدي بأهلي غازيًا ... بعساكر الآمالِ خير همام
ورميتُ سهم الظنّ عن قوس الرجا ... طمعًا وحاشا أن تطيش سهامي
وبجيش فَقري قد أتيتُ إلى حِمىً ... أغنى وأندى كل بَحْر طامي
مستمطيًا حسن الطوِّيةِ راكبًا ... فرَسَ الفراسةِ ناشرًا أعلامي
مستبشرًا من سيدي بعنايةٍ ... عنّي يزولُ بها عَناهُ أوامي

٣٩١ السرماري: أبو إسحاق أحمد بن إسحاق أبو إسحاق: من أهل سرماری، من قرى بخارى (ت ٢٤٢هـ)

الإمام، الزاهد، العابد، المجاهد، فارس الإسلام.

سمع: من يعلى بن عبيد، وعثمان بن عمر بن فارس، وأبي عاصم، وطبقتهم.

حدث عنه: ابنه، وأبو عبد الله البخاري في (صحيحه)، وإدريس بن عبدك، وآخرون.

وكان أحد الثقات، وبشجاعته يضرب المثل.

قال الحافظ أبو القاسم الدمشقي: «فإنَّه كان مع فرط شجاعته، من العلماء

---

(١) المستغيثين بالله تعالى عند المهمّات والحاجات لابن بشكوال الأندلسي (ص١٣١).

(٢) طبقات الأولياء (ص١).

العاملين العباد».

من كلامه: ينبغي لقائد الغزاة أن يكون فيه عشر خصال: «أن يكون في قلب الأسد لا يجبن، وفي كبر النمر لا يتواضع، وفي شجاعة الدب يقتل بجوارحه كلها، وفي حملة الخنزير لا يولي دبره، وفي غارة الذئب إذا أيس من وجه أغار من وجه، وفي حمل السلاح كالنملة تحمل أكثر من وزنها، وفي الثبات كالصخر، وفي الصبر كالحمار، وفي الوقاحة كالكلب لو دخل صيده النار لدخل خلفه، وفي التماس الفرصة كالديك».

من أحواله:

(١) -قال عبيد الله بن واصل: سمعت أحمد السرماري يقول: «وأخرج سيفه، أعلم يقينًا أنِّي قتلت به ألف تركي، وإن عشت قتلت به ألفًا أخرى، ولولا خوفي أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي».

(٢) -وعن محمود بن سهل الكاتب، قال: «كانوا في بعض الحروب يحاصرون مكانا، ورئيس العدو قاعد على صفة[1]، فرمى السرماري سهما، فغرزه في الصفة، فأومأ الرئيس لينزعه، فرماه بسهم آخر خاط يده، فتطاول الكافر لينزعه من يده، فرماه بسهم ثالث في نحره، فانهزم العدو، وكان الفتح».

(٣) -وقال إبراهيم بن شماس: كنت أكاتب أحمد بن إسحاق السرماري، فكتب إليَّ: إذا أردت الخروج إلى بلاد الغزية في شراء الأسرى، فاكتب إليَّ.

فكتبت إليه، فقدم سمرقند، فخرجنا، فلما علم جعبويه، استقبلنا في عدة من جيوشه، فأقمنا عنده، فعرض يومًا جيشه، فمر رجل، فعظمه، وخلع عليه، فسألني

(١) الصفة: الظلة، والبهو الواسع العالي السقف..

عنه السرماري، فقلت: هذا رجل مبارز، يعد بألف فارس.

قال: أنا أبارزه.

فسكت، فقال جعبويه: ما يقول هذا؟

قلت: يقول كذا وكذا.

قال: لعله سكران لا يشعر، ولكن غدا نركب.

فلما كان الغد ركبوا، فركب السرماري معه عمود في كمه، فقام بإزاء المبارز، فقصده، فهرب أحمد حتى باعده من الجيش، ثم كر، وضربه بالعمود قتله، وتبع إبراهيم بن شماس، لأنه كان سبقه، فلحقه، وعلم جعبويه، فجهز في طلبه خمسين فارسا نقاوة، فأدركوه، فثبت تحت تل مختفيا، حتى مروا كلهم، واحدًا بعد واحد، وجعل يضرب بعموده من ورائهم، إلى أن قتل تسعة وأربعين، وأمسك واحدا، قطع أنفه وأذنيه، وأطلقه ليخبر، ثم بعد عامين توفي أحمد، وذهب ابن شماس في الفداء، فقال له جعبويه: من ذاك الذي قتل فرساننا؟.

قال: ذاك أحمد السرماري.

قال: فلم لم تحمله معك؟

قلت: توفي، فصك في وجهي، وقال: لو أعلمتني أنه هو لكنت أعطيه خمس مئة برذون، وعشرة آلاف شاة

قال الذهبي: «أخبار هذا الغازي تسر قلب المسلم»[1].

٣٩٢ أحمد بن محمد بن سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور أبو سعيد النيسابوري،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧-٤٠).

المعروف بابن أبي عثمان الغازي، وجده سعيد هو المكنى أبا عثمان (ت ٣٥٣هـ)

واعظ أهل نيسابور، وشيخ الصوفية.

حدث عن: الحسن بن سفيان النسوي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، وأبي العباس الأزهري، ومحمد بن عبد الرحمن الدغولي، وأحمد بن محمد بن عمر البسطامي.

روى عنه: أبو بكر بن شاذان، والدارقطني، وابن شاهين، وحدثنا عنه أبو علي بن شاذان، وعبد الرحمن بن عبيد الله الحربي.

ذكر الخطيب في «تاريخه» أنَّ ابن أبي عثمان خرج غازيًا إلى طرسوس فمات بها[(١)].

٣٩٣ إسماعيل الصوفي الأرموي المكبس (ت ٥٨٥هـ)

كان سديدًا عفيفًا، عاريًا من العار لا يتدنس بالشبه ولا يتلبس، استشهد في المصاف الأعظم على عكا[(٢)].

٣٩٤ أيوب بن الجراح

من عبَّاد أهل الثغر وقرائهم، ممَّن كان يستجاب دعاؤه إذا دعا، وله حكاياتٌ في التعبد، وكان يحمل على رقبته ليكسب قوته فقيل: أيوب الحمَّال.

---

(١) تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواردها (٦/ ١٥٩)، و«تاريخ دمشق» (٥/ ٣٦١).

(٢) الفتح القسي (ص١٧٢)، و«مفرج الكروب» (٢/ ٣٠٢)، و«الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية» (١٩/ ٨٦٩٤).

روى عنه: أهل الثغر[١].

٣٩٥ بكر بن خنيس الكوفي العابد، نزيل بغداد (كان في حدود ١٧٠هـ)

روى عن: أبان بن أبي عياش، وإبراهيم بن مسلم الهجري، وإبراهيم بن وهب، وإسماعيل بن أبي خالد، وأشعث ابن سوار، وثابت البناني.

وكان يوصف بالعبادة والزهد.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سئل أبي عنه، فقال: «كان رجالًا صالحًا غزاء»[٢].

٣٩٦ تاشفين بن محمد المكتب من أهل فاس يكنى أبا محمد (ت ٦٠٩هـ)

كان زاهدًا، عابدًا، معلمًا بالقرآن، له حظ من قرض الشعر.

دخل الأندلس غازيًا، وقدم قرطبة في ذي الحجة سنة ثمان وستمئة فأقام هنالك أيامًا يلقى بها الزاهدين، ثمَّ خرج إلى غزوة العقاب، استشهد بها[٣].

٣٩٧ أبو الحسين الكرجي

ذكره ابن العديم في «بغية الطلب في تاريخ حلب» كان من الصالحين، وكان يرابط

---

(١) الثقات (٨/ ١٢٥)، وذكر ابن القيم في «عدة الصابرين» (ص١٤٧) ط: دار البصيرة. أنَّ بكر بن عبد الله المزني رأى حمالًا عليه حمله، وهو يقول: «الحمد الله أستغفر الله.

قال: فانتظرته حتى وضع ما على ظهره، وقلت له: أما تحسن غير هذا.

قال: بلى أحسن خيرًا كثيرًا، أقرأ كتاب الله؛ غير أنَّ العبد بين نعمة وذنب، فأحمد الله على نعمه السابغة، وأستغفره لذنوبي.

فقلت: الحمَّال أفقه من بكر» فهل هو نفسه أم لا؟.

(٢) تهذيب الكمال (٤/ ٢٠٩-٢١٠)، وعبارة (كان في حدود السبعين ومئة)، قالها الذهبي في «تذهيب تهذيب الكمال» (٢/ ٤٩).

(٣) التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (١/ ١٩٠).

بطرسوس، حكى عنه عمّويه الزنجاني[1].

٣٩٨ حمش بن عبد الرحيم، أبو عبد الله النيسابوري التركي الزاهد، واسمه محمد (ت ٢٧٥هـ)

وحمش: مسكن. سمع: أحمد بن يونس اليربوعي، ويحيى بن يحيى، وجماعة.

وعنه: مكي بن عبدان، ومحمد بن القاسم العتكي، ومحمد بن صالح بن هانئ.

وكان مجاهدًا غازيًا عابدًا.

سمع أحمد بن حرب الزاهد[2].

٣٩٩ أبو الخير التيناتي الأقطع (ت ٣٤٧ وقيل ٣٤٩هـ)

العابد، صاحب الأحوال والكرامات، هو مغربي أسود، سكن تينات من أعمال حلب، يقال: اسمه حماد.

ويقال: تينات من نواحي المصيصة نسب إليها؛ لأنَّه أقام بها وأصله من المغرب.

قال ابن عساكر: «لم تزل ثغور الشام محفوظة أيام حياته إلى أن مضى لسبيله ﵀».

من أقواله: «لن يصفو قلبك إلا بتصحيح النية لله تعالى، ولن يصفو بدنك إلا بخدمة أولياء الله تعالى».

---

(١) بغية الطلب (١٠/ ٤٤٢١)، ولم أعلم بالضبط من هو؟ فهناك فقيه شافعي اسمه أبو الحسن الكرجي محمد بن عبد الملك، ولا أظنه هو، وهناك أبو الحسين الكرجي مكي بن منصور (ت ٤٩١هـ) محدث له، ذكره ابن نقطة في «التقييد»، فالله أعلم.

(٢) تاريخ الإسلام (٦/ ٥٤٢)، وذكره ابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم» (٣/ ٢٧٥) ط: الرسالة، فقال: «محمد بن عبد الرحيم التريكي لقبه حمش، روى عنه مكي بن عبدان، توفي سنة خمس وسبعين ومئتين».

«ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين، وخدمة الفقراء الصادقين».

«من أحب أن يطلع، الناس على عمله فهو مراء، ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب».

وروى أبو ذر الهروي عن عيسى بن أبي الخير أنَّه قال: «كان أبي مملوكًا فأعتق، وكان يحتطب بالإسكندرية بيده، ثمَّ سكن ثغر طرسوس، فكان يجاهد بسيف وحجفة»[1].

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ المَوْتِ بُدٌّ ... فَمِنَ العَجْزِ أَنْ تَكُوْنَ جَبَانَا.

٤٠٠ الربيع بن صبيح البصري العابد، الإمام، مولى بني سعد، من أعيان مشايخ البصرة (ت ١٦٠هـ)

كان من عبَّادِ أهل البصرةِ وزهادِهم، كان يشبه بيتُه بالليل بالنَّحلِ.

حدث عن: الحسن، ومحمد بن سيرين، وعطاء بن أبي رباح، وثابت البناني، وجماعة.

وعنه: وكيع، وابن مهدي، وأبو داود الطيالسي، وعلي بن الجعد، وأبو الوليد، وآخرون.

قال الشافعي: «كان الربيع بن صبيح رجلًا غزا»[2]. كثير الغزوِ.

وذكر أبو محمد الرامهرمزي في كتابه «المحدثِ الفاصل» «أول من صنَّف وبوَّب

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢-٢٣) الحجفة: واحدة الحجف، وهي ضرب من الترسة «اللسان»، وانظر: تاريخ دمشق (٦٦/ ١٦٠)، و«حلية الأولياء» (١٠/ ٣٧٧)، و«الرسالة القشيرية» (١/ ١٢٢).

(٢) الجرح والتعديل (٣/ ٤٦٤).

فيما أعلم، الربيع بن صبيح بالبصرة، ثمَّ سعيد بن أبي عروبة بها..»[١].

قال يحيى بن معين: كانت وقعة بارنل[٢] سنة ستين ومئة، وفيها: مات الربيع بن صبيح رحمه الله.

توفي رحمه الله غازيًا بأرض الهند[٣].

أَقولُ لَها وَقَد طارَت شَعاعًا ... مِنَ الأَبطالِ وَيحَكَ لَن تُراعي

فَإِنَّكِ لَو سَأَلتِ بَقاءَ يَوم ... عَلى الأَجَلِ الَّذي لَكِ لَم تُطاعي

فَصَبرًا في مَجالِ المَوتِ صَبرًا ... فَما نَيلُ الخُلودِ بِمُستَطاع

وَلا ثَوبُ البَقاءِ بِثَوبِ عِزٍّ ... فَيُطوى عَن أَخي الخَنع اليُراع

سَبيلُ المَوتِ غايَةُ كُلِّ حَيٍّ ... فَداعِيَهُ لِأَهلِ الأَرضِ داعي

وَمَن لا يُعتَبَط يَسأَم وَيَهرَم ... وَتُسلِمهُ المَنونُ إِلى اِنقِطاع

وَما لِلمَرءِ خَيرٌ في حَياةٍ ... إِذا ما عُدَّ مِن سَقَطِ المَتاع

٤٠١ رجاء بن حيوة بن جرول الكندي ويقال: الفلسطيني (ت ١١٢هـ)

قال مسلمة بن عبد الملك أمير السرايا: برجاء بن حيوة وبأمثاله ننصر[٤].

٤٠٢ سعيد بن يزيد أبو عبد الله التميمي النَّباجي الزاهد (ت ٢٢٠هـ)

---

(١) المحدث الفاصل (ص٧٠٣) ط: الناشر المتميز.

(٢) وفي الطبري (٨/ ١٢٨)، و«الكامل» (٦/ ٤٦) باربد، وهي مدينة كبيرة في بلاد الهند، وكان المهدي قد سير جيشا في البحر بقيادة عبد الملك بن شهاب المسمعي، إلى بلاد الهند، وقد حاصر الجيش المدينة، وفتحها عنوة.

وكان من بين متطوعي الجيش: الربيع ابن صبيح، وقد أصاب الجيش مرض في أفواه الجنود، في أثناء العودة، فمات منهم نحو من ألف رجل، منهم الربيع.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٨٧-٢٩٠)، و«تهذيب الكمال» (٩/ ٩٤)، و«إكمال التهذيب» (٤/ ٣٤١-٣٤٢).

(٤) السير (٤/ ٥٦١)، قال ابن حبان كما في «مشاهير علماء الأمصار» (١٤١٥)«كان من عباد الشام، وزهادهم، وفقهاء التابعين، وعلمائهم».

حكى عن: الفضيل، وأبي خزيمة العابد.

وعنه: أحمد بن أبي الحواري وغيره.

قال السلمي: هو من أقران ذي النون، له كلام حسن في المعرفة وغيرها.

قال: «بينما نحن صافون نقاتل العدو بأرض الروم، فإذا أنا بغلام كأحسن من رأيت من الغلمان، وعليه حلة ديباج وهو يقاتل قتالًا شديدًا ويقول:

أَنَا فِي أَمْرَيْ رِشَادِ ... بَيْنَ غَزْوٍ وَجِهَادِ
بَدَنِي يَغْزُو عَدوّي ... والهَوَى يَغْزُو فُؤَادِي»[1]

٤٠٣ سعيد بن محمد بن سيد أبيه بن مسعود الأموي البلدي.

من بلدة من عمل رية، يكنى: أبا عثمان.

قال ابن بشكوال: أجاز لنا جميع روايته في شوال سنة سبع وتسعين وثلاث مئة. وقال غيره: مولده في عقب سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة.

رحل إلى المشرق سنة خمسين وثلاث مئة، وحج سنة إحدى وخمسين، ولقي أبا بكر محمد بن الحسين الآجري وقرأ عليه جملة من تواليفه، وأبا الحسن محمد بن نافع الخزاعي وقرأ عليه فضائل الكعبة من تأليفه، وأقام بمكة نحو العام.

وسمع بمصر: من أبي بكر بن أبي طنة، والحسن بن رشيق، ومحمد بن القاسم ابن شعبان، وحمزة بن محمد وغيرهم.

ذكره الخولاني وقال: «كان رجلًا صالحًا، متبتلًا متقشفًا، يلبس الصوف، **كان**

---

(١) الوافي بالوفيات (١٥/ ١٢٦-١٢٧).

كثير الرباط والجهاد في الثغور»[1].

أَرَى الـزُّهَّـادَ في روح ورَاحــةٍ	قُـلـوبُهُـم عـنِ الـدُّنـيـا مُـزاحَـهْ
إذا أبصـــرتهـمْ أبصـــرتَ قـوْمًـا	ملوكُ الأرضِ سـيـمَتُهم سَـمـاحَـهْ[2]

٤٠٤ شقيق أبو علي بن إبراهيم الأزدي البلخي (ت ١٩٤هـ)

الإمام، الزاهد، شيخ خراسان، أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدي، البلخي.

صحب إبراهيم بن أدهم.

وعن شقيق البلخي قال: كنت شاعرًا، فرزقني الله التوبة، وخرجت من ثلاث مئة ألف درهم، ولبست الصوف عشرين سنة، ولا أدري أنِّي مراء حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فقال: ليس الشأن في أكل الشعير، ولبس الصوف، الشأن أن تعرف الله بقلبك، ولا تشرك به شيئًا، وأن ترضى عن الله، وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في أيدي الناس.

وقد جاء عن شقيق مع تألهه وزهده، أنه كان من رؤوس الغزاة.

وروى: محمد بن عمران، عن حاتم الأصم، قال: كنا مع شقيق ونحن مصافو العدو الترك، في يوم لا أرى إلا رؤوسا تندر[3]، وسيوفًا تقطع، ورماحًا تقصف، فقال لي: كيف ترى نفسك، هي مثل ليلة عرسك؟

قلت: لا والله.

---

(١) الصلة لابن بشكوال (ص٢٠٧)، ومطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار لابن خميس (ص١٦٨)، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي (٢/ ٤١٧).

(٢) فيض القدير للمناوي (٤/ ٧٣) والأبيات غير مرتبة، والنقل من تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء للملا علي قاري من مجموع رسائله (٦/ ٤٥٦).

(٣) أي: تسقط.

قال: لكني أرى نفسي كذلك.

ثم نام بين الصفين على درقته[1]، حتى غط، فأخذني تركي، فأضجعني للذبح، فبينا هو يطلب السكين من خفه، إذ جاءه سهم عائر ذبحه[2].

وعن حاتم الأصم، يقول: كنَّا مع شقيق البلخي ونحن مصافو الترك في يوم لا أرى فيه إلا رؤوسًا تندر، وسيوفا تقطع، ورماحًا تقصر، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين: كيف ترى نفسك يا حاتم؟

تراه مثله في الليلة التي زفت إليك امرأتك.

قلت: لا والله.

قال: لكنِّي والله أرى نفسي في هذا اليوم مثله في الليلة التي زفت فيها امرأتي.

قال: ثمَّ نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه[3].

٤٠٥ صالح بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل أبو الخير الكاثي الخوارزمي الصوفي

---

(١) الدرقة: هي الترس المصنوع من الجلد بلا خشب.

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٣-٣١٥)، ومن أقواله: «أخذت لباس الدون عن سفيان، وأخذت الخشوع من إسرائيل، وأخذت العبادة من عباد بن كثير، والفقه من زفر».

وقوله: «علامة التوبة البكاء على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار».

وقوله: «ليس شيء أحب إلي من الضيف؛ لأن رزقه على الله، وأجره لي».

وقوله: «لو أن رجلا عاش مائتي سنة لا يعرف هذه الأربعة، لم ينج: معرفة الله، ومعرفة النفس، ومعرفة أمر الله ونهيه، ومعرفة عدو الله وعدو النفس».

وقوله: «مثل المؤمن، مثل من غرس نخلة، يخاف أن تحمل شوكا، ومثل المنافق مثل من زرع شوكا، يطمع أن يحمل تمرا، هيهات».

وقوله: «من شكا مصيبة إلى غير الله، لم يجد حلاوة الطاعة».

(٣) حلية الأولياء (٨/ ٦٤).

(ت ٥٥٤هـ)

قال ابن عساكر: «شاب قدم علينا طالبًا للعلم فنزل في دفتره، وأقام بها مدة وأقام على صحيح مسلم، ومسند أبي عوانة الإسفراييني، وزهد ابن المبارك، ومسند الشافعي وغير ذلك.

وقرأ صحيح البخاري على أبي الفضل بن القرة، وسمع من جماعة بدمشق.

خرج غازيًا إلى بانياس، وكان كثير الصوم، وأدركه أجله بدمشق، وكنت قد علقت عنه شيئًا يسيرًا»[1].

٤٠٦ صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوي. الزاهد، العابد، القدوة، أبو الصهباء العدوي، البصري، زوج العالمة معاذة العدوية (ت ٣٥هـ)

قال الذهبي: ما علمته روى سوى حديث واحد عن ابن عباس.

حدث عنه: أهله؛ معاذة، والحسن، وحميد بن هلال، وثابت البناني، وغيرهم.

قالت معاذة: كان أصحابه -تعني: صلة- إذا التقوا عانق بعضهم بعضًا.

وقال حماد بن سلمة: أخبرنا ثابت: أنَّ صلة كان في الغزو، ومعه ابنه، فقال: أي بني! تقدم، فقاتل حتى أحتسبك.

فحمل، فقاتل، حتى قتل، ثم تقدم صلة، فقتل، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة، فقالت: مرحبًا إن كنتن جئتنَّ لتهنئنني، وإن كنتنَّ جئتنَّ لغير ذلك، فارجعن[2].

---

(١) تاريخ دمشق (٢٣/ ٣٠٠).

(٢) السير (٣/ ٤٩٧-٤٩٨)، وانظر: «طبقات ابن سعد» (٧/ ١٣٧)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٢٣٩) ورجاله ثقات.

٤٠٧ عابدة

عن عبيد الله بن الخالق قال: سبى الروم نساء مسلمات، فبلغ الخبر الرقة وبها هارون الرشيد أمير المؤمنين، فقيل لمنصور بن عمار: لو اتخذت مجلسًا بالقرب من أمير المؤمنين فحرضت الناس على الغزو، ففعل، فبينا هو يذكرهم ويحرض إذا نحن بخرقة مصرورة مختومة قد طرحت إلى منصور، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة ففك الكتاب فقرأه فإذا فيه: إنِّي امرأة من أهل البيوتات من العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات، وسمعت تحريضك الناس على الغزو، وترغيبك في ذلك، فعمدت إلى أكرم شيء من بدني وهمنا ذؤابتاي فقطعتهما وصررتهما في هذه الخرقة المختومة، وأناشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرس غاز في سبيل الله، فعل الله العظيم أن ينظر إلي على تلك الحال نظرة فيرحمني بها. قال: فبكى وأبكى الناس، وأمر هارون أن ينادى بالنفير، فغزا بنفسه فأنكى فيهم وفتح الله عليهم.

قلت: هذه امرأة حسن قصدها وغلطت في فعلها، لأنهَّا جهلت أن ما فعلت منهي عنه، فلينظر إلى قصدها.

٤٠٨ عابدة أخرى من أهل الشام نقل عنها مثل هذه

قال ابن الجوزي: بلغنا عن أبي قدامة الشامي قال: كنت أميرًا على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان فدعوت الناس إلى الغزو ورغبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثمَّ تفرق النَّاسُ وركبت فرسي وسرت إلى منزلي فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادي: يا أبا قدامة، فقلت: هذه مكيدة من

قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢/ ٢٥٥) قيل: إنَّه قتل بسجستان، وهذا وهم؛ لأنَّه يروي عنه ثابت البناني وغيره، وكان عبدا صالحًا.




الشيطان. فمضيت ولم أجب. ما هكذا كان الصالحون، فوقفت، فجاءت ودفعت إليَّ رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية. فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب: «إنَّك دعوتنا إلى الجهاد ورغبتنا في الثواب، ولا قدرة لي على ذلك فقطعت أحسن ما في، وهما ضفيرتاي وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك، لعلَّ الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي».

فلمَّا كانت صبيحة القتال فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتلُ فتقدمت إليه وقلت: يا فتى غلام غر راجل ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا فقال: قال: نعم. فأعطيتهُ ثلاثة أسهم فوضع سهمًا في قوسه، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة ورمى به فقتل روميًا، ثم رمى بالآخر وقال: «السلام عليك يا أبا قدامة فقتل روميًا، ثمَّ رمى بالآخر وقال: السلام عليك سلام مودع».

فجاءه سهم فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قربوس سرجه. فتقدمت إليه وقلت: لا تنسها. فقال: نعم ولكن لي إليك حاجة: إذا دخلت المدينة فأت والدتي وسلم خرجي إليها وأخبرها فهي التي أعطتك شعرها لتقيد به فرسك، وسلم عليها فإنها العام الأول أصيبت بوالدي، وفي هذا العام بي ثم مات.

فحفرت له ودفنته، فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها.

فقال أصحابي: إنَّه غلام غر ولعله خرج بغير إذن أمه، فقتل: إنَّ الأرض لتقبل من هو شر من هذا، فقمت وصليت ركعتين ودعوت الله ﷻ فسمعت صوتًا يقول: يا أبا قدامة اترك ولي الله.

فما برحت حتى نزلت عليه طيور فأكلته، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته

فلمَّا قرعت الباب خرجت أخته إلي فلما رأتني عادت وقالت: يا أماه هذا أبو قدامة ليس معه أخي، فقد أصبنا في العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي.

فخرجت أمه إليَّ فقالت: أمعزيًا أم مهنئًا؟

فقلت: ما معنى هذا؟

فقالت: إنْ كان مات فعزني، وإن كان استشهد فهنئني.

فقلت: لا، بل مات شهيدًا.

فقالت: له علامة فهل رأيتها؟

قلت: نعم لم تقبله الأرض، ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها.

فقالت: الحمد لله. فسلمت إليها الخرج ففتحته فأخرجت منه مسحًا وغلًا من حديد، وقالت: إنَّه كان إذا جنَّه الليل لبس هذا المسح، وغل نفسه بهذا الغل وناجى مولاه، وقال في مناجاته: «أحشرني من حواصل الطيور». فقد استجاب الله دعاءه[1].

وفي كتاب «**سوق العروس وأنس النَّفوس**»[2] حكي أنَّه كان بمدينة رسول الله ﷺ رجل يقال له: أبو قدامة الشامي، وكان قد حبب الله إليه الجهاد في سبيل اللّه تعالى والغزو إلى بلاد الروم، فجلس يومًا في مسجد رسول اللّه يتحدث مع أصحابه فقالوا له: يا أبا قدامة حدثنا بأعجب ما رأيته في الجهاد، قال: نعم، إنَّي دخلت في بعض السنين الرقة أطلب جملًا أشتريه ليحمل سلاحي، فبينا أنا يومًا جالس، إذ دخلت

---

(١) ذكرهما ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٦٤).

(٢) قال ابن النحاس (ص١٤٥ وما بعد): «حكاية أبي قدامة مع المرأة التي ضفرت شعرها شكالا للفرس في سبيل اللّه مشهورة، حكاها جماعة منهم أحمد بن الجوزي الدمشقي»، وكذا ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ١٩٨)، ونقل الذهبي عن سبط ابن الجوزي في «تاريخ الإسلام» بدون التفاصيل المذكورة (١٣/ ٢١)، والقصة لم تثبت بسند، وراويها مجهول، وفيها عبرة وعظة، وحماسة وشحذ للهمم، والله أعلم.

علي امرأة فقالت: يا أبا قدامة سمعتك وأنت تحدث عن الجهاد وتحث عليه، وقد رزقت من الشعر ما لم يرزقه غيري من النساء، وقد قصصته وأصلحت منه شكالًا للفرس وعفرته بالتراب لئلا ينظر إليه أحد، وقد أحببت أن تأخذه معك فإذا صرت في بلاد الكفار وجالت الأبطال، ورميت النبال، وجردت السيوف وشرعت الأسنَّة، فإن احتجت إليه وإلا فادفعه إلى من يحتاج إليه ليحضر شعري، ويصيبه الغبار في سبيل اللّه فأنا امرأة أرملة كان لي زوج وعصبة كلهم قتلوا في سبيل الله، ولو كان عليَّ جهاد لجاهدت.

قال: وناولتني الشكال.

وقالت: اعلم يا أبا قدامة أنَّ زوجي لما قتل خلف لي غلامًا من أحسن الشباب، وقد تعلم القرآن والفروسية والرمي عن القوس، وهو قوام بالليل صوّام بالنهار، وله من العمر خمس عشرة سنة، وهو غائب في ضيعة خلفها له أبوه فلعله يقدم قبل مسيرك فأوجهه معك هدية إلى اللّه ﷻ، وأنا أسألك بحرمة الإسلام لا تحرمني ما طلبت من الثواب، قال: فأخذت الشكال منها فإذا هو مضفور من شعر رأسها، فقالت: القه في بعض رحلك وأنا أنظر إليه ليطمئن قلبي، قال: فطرحته في رحلي وخرجت من الرقة ومعي أصحابي، فلمَّا صرنا عند حصن مسلمة بن عبد الملك إذا بفارس يهتف من ورائي: يا أبا قدامة قف علي قليلًا يرحمك اللّه فوقفت وقلت لأصحابي: تقدموا أنتم حتى أنظر من هذا، وإذا بالفارس قد دنا مني وعانقني، وقال: الحمد للّه الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائبًا.

قلت: حبيبي أسفر لي عن وجهك، فإن كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالمسير، وإن لم يلزمك غزو رددتك، فأسفر عن وجهه فإذا غلام كأنَّه القمر ليلة البدر وعليه آثار

النعمة.

قلت: حبيبي لك والد؟

قال: لا، بل أنا خارج معك أطلب ثأر والدي، لأنَّه استشهد فلعل اللّه يرزقني الشهادة كما رزق أبي.

قلت: حبيبي لك والدة؟

قال: نعم.

قلت: اذهب إليها واستأذنها فإن أذنت وإلا فأقم عندها، فإن طاعتك لها أفضل من الجهاد لأنَّ الجنة تحت ظلال السيوف، وتحت أقدام الأمهات.

قال: يا أبا قدامة أما تعرفني؟

قلت: لا.

قال: أنا ابن صاحبة الوديعة، ما أسرع ما نسيت وصية أمي صاحبة الشكال، وأنا إن شاء اللّه الشهيد ابن الشهيد، سألتك باللّه لا تحرمني الغزو معك في سبيل اللّه، فإنِّي حافظ لكتاب اللّه، عارف بسنة رسول اللّه، عارف بالفروسية والرمي، وما خلفت ورائي أفرس مني، فلا تحقرني لصغر سني، وإن أمي قد أقسمت عليّ أن لا أرجع، وقالت: «يا بني إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدبر، وهب نفسك للّه واطلب مجاورة اللّه، ومجاورة أبيك مع أخوالك الصالحين في الجنة، فإذا رزقك اللّه الشهادة فاشفع فيَّ، فإنَّه قد بلغني أنَّ الشهيد يشفع في سبعين من أهله، وسبعين من جيرانه، ثمَّ ضمتني إلى صدرها، ورفعت رأسها إلى السماء»، وقالت: «إلهي وسيدي ومولاي، هذا ولدي، وريحانة قلبي، وثمرة فؤادي سلمته إليك فقربه من

أبيه».

قـال: فلمـا سـمعت كـلام الغـلام، بكيـت بكـاء شـديدًا أسـفًا علـى حسـنه، وجمـال شـبابه، ورحمـة لقلـب والدتـه، وتعجبًـا مـن صبرها عنـه، فقـال: يـا عـم مـم بكـاؤك؟ إن كنـت تبكـي لصغـر سـني، فـإنَّ اللّـه يعـذب مـن هـو أصغـر منِّـي إذا عصـاه، قلـت: لـم أبـكِ لصغـر سـنك، ولكـن أبكـي لقلـب والـدتك، كيـف تكـون بعـدك، قـال: فسـرنا ونزلنـا تلـك الليلـة، فلمـا كـان الغـداة رحلنـا، والغـلام لا يفـتر مـن ذكـر اللّـه تعـالى، فتأملتـه، فـإذا هـو أفـرس منَّـا إذا ركـب، وخادمنـا إذا نزلنـا منـزلًا، وصـار كلمَّـا سـرنا يقـوى عزمـه، ويـزداد نشاطه، ويصفو قلبه، وتظهر علامات الفرح عليه.

قـال: فلـم نـزل سـائرين حتـى أشـرفنا علـى ديـار المشـركين عنـد غـروب الشـمس، فنزلنـا فجلـس الغـلام يطـبخ لنـا طعامـا لإفطارنـا، وكنَّـا صـيامًا فغلبـه النعـاس فنـام نومـة طويلـة فبينـا هـو نـائم إذ تبسـم في نومـه، فقلـت لأصـحابي: ألا تـرون إلـى ضـحك هـذا الغـلام في نومـه؟ فلمـا اسـتيقظ، قلـت: حبيبـي رأيتـك السـاعة تبتسـم في منامـك ضـاحكًا قال: رأيت رؤيا فأعجبتني وأضحكتني.

قلت: ما هي؟

قـال: رأيـت كـأنِّي في روضـة خضـراء أنيقـة، فبينمـا أنـا أجـول فيهـا، إذ رأيـت قصـرًا مـن فضـة شـرفه مـن الـدر والجـوهر، وأبوابـه مـن الـذهب، وسـتوره مرخيـة، وإذا جـواري يـرفعن السـتور، وجـوههنَّ كالأقمـار، فلمَّـا رأينـني، قلـن لـي: مرحبًـا بـك، فـأردت أن أمـد يـدي إلـى إحـداهنَّ، فقالـت: لا تعجـل مـا آن لـك، ثـمَّ سـمعت بعضـهنَّ يقـول لـبعض: هذا زوج المرضية.

فقلـن لـي: تقـدم يرحمـك اللّـه، فتقـدمت أمـامي، فـإذا في أعلـى القصـر غرفـة مـن

الذهب الأحمر عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوائمه من الفضة البيضاء، عليه جارية وجهها كأنَّه الشمس، لولا أنَّ اللّه ثبت علي بصري لذهب، وذهب عقلي، من حسن الغرفة وبهاء الجارية.

قال: فلما رأتني الجارية، قالت مرحبًا وأهلًا وسهلًا يا ولي اللّه وحبيبه، أنت لي وأنا لك، فأردت أن أضمها إلى صدري، فقالت: مهلًا لا تعجل، فإنَّك بعيد من الخنا، وإنَّ الميعاد بيني وبينك غدًا عند صلاة الظهر، فأبشر.

قال أبو قدامة: فقلت له حبيبي رأيت خيرًا، وخيرًا يكون.

ثمَّ بتنا متعجبين من منام الغلام، فلمَّا أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا، فإذا المنادي ينادي يا خيل اللّه اركبي، وبالجنة أبشري: انفروا خفافًا وثقالًا، فما كان إلا ساعة وإذا جيش الكفر - خذله اللّه - قد أقبل كالجراد المنتشر فكان أول من حمل منا فيهم الغلام، فبدد شملهم وفرق جمعهم، وغاص في وسطهم، فقتل منهم رجالًا وجندل أبطالًا، فلمَّا رأيته كذلك، لحقته فأخذت بعنان فرسه، وقلت: يا حبيبي ارجع فأنت صبي ولا تعرف خدع الحرب، فقال يا عم: ألم تسمع قول اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥﴾ [الأنفال: ١٥] أتريد أن أدخل النار.

فبينا هو يكلمني إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد، فحالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه، واشتغل كل واحد بنفسه، وقتل خلق كثير من المسلمين، فلمَّا افترق الجمعان، إذا القتلى لا يحصون عددًا، فجعلت أجول بفرسي بين القتلى، ودماؤهم تسيل على الأرض، ووجوههم لا تعرف من كثرة الغبار والدماء.

فبينا أنا أجول بين القتلى، إذ أنا بالغلام بين سنابك الخيل، قد علاه التراب وهو يتقلب في دمه ويقول: يا معشر المسلمين، باللّه ابعثوا لي عمي أبا قدامة، فأقبلت إليه

عندما سمعت صياحه، فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس الدواب، فقلت: ها أنا أبو قدامة، قال: **يا عم صدقت الرؤيا ورب الكعبة**، أنا ابن صاحبة الشكال، فعندها رميت بنفسي عليه فقبلت بين عينيه، ومسحت التراب والدم عن محاسنه.

وقلت: يا حبيبي لا تنس عمك أبا قدامة اجعله في شفاعتك يوم القيامة، فقال: مثلك لا ينسى، تمسح وجهي بثوبك؟ ثوبي أحق به من ثوبك، دعه يا عم حتى ألقى الله تعالى به، يا عم هذه الحور التي وصفتها لك قائمة على رأسي، تنتظر خروج روحي، وتقول لي: عجل فأنا مشتاقة إليك.

باللّه يا عم إن ردَّك اللّه سالمًا، فتحمل ثيابي هذه المضمخة بالدم لوالدتي المسكينة الثكلى الحزينة، وتسلمها إليها، لتعلم أني لم أضيع وصيتها، ولم أجبن عند لقاء المشركين، واقرأ مني السلام عليها، وقل لها: إنَّ اللّه قد قبل الهدية التي أهديتها، ولي يا عم أخت صغيرة، لها من العمر عشر سنين، كنت كلما دخلت استقبلتني تسلم عليَّ، وإذا خرجت تكون آخر من يودعني، وإنَّها ودعتني عند مخرجي هذا، وقالت لي: باللّه يا أخي لا تبطئ عنَّا، فإذا لقيتها فاقرأ عليها مني السلام، وقل لها: يقول لك أخوك: اللّه خليفتي عليك إلى يوم القيامة، ثمَّ تبسم وقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، صدق وعده، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، هذا ما وعدنا اللّه ورسوله، وصدق اللّه ورسوله، ثمَّ خرجت روحه، فكفناه في ثيابه، وواريناه رضي الله عنه وعنا به.

قال أبو قدامة: فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة، لم تكن لي همة إلا دار أم الغلام، فإذا جارية تشبه الغلام في حسنه وجماله، وهي قائمة بالباب، وكل من مر

بها تقول: يا عم من أين جئت؟ فيقول: من الغزاة، فتقول: أما رجع معكم أخي؟ فيقولون: لا نعرفه، فلما سمعتها تقدمت إليها، فقالت لي: يا عم من أين جئت؟

قلت: من الغزو.

قالت: أما رجع معكم أخي، ثم بكت وقالت: ما بالي أرى النَّاس يرجعون، وأخي لم يرجع، فغلبتني العبرة، ثم تجلدت خشيّة على الجارية.

ثمَّ قلت لها: يا جارية قولي لصاحبة المنزل: كلمي أبا قدامة فإنَّه على الباب، فسمعت المرأة كلامي، فخرجت إلي وقد تغير لونها، فسلمت عليها، فردت السلام وقالت: أمبشرًا أنت يا أبا قدامة أم معزيًا؟

قلت: بيني لي البشارة من التعزية رحمك اللّه؟

قالت: إن كان ولدي رجع سالمًا فأنت معز، وإن كان قتل في سبيل اللّه فأنت مبشر.

فقلت: أبشري فقد قبل الله هديتك، فبكت وقالت: قبلها؟

قلت: نعم.

فقالت: الحمد لله الذي جعله ذخيرة لي يوم ا لقيامة.

قلت: فما فعلت الجارية أخت الغلام؟

قالت: هي التي كانت تكلمك الساعة، فتقدمت إليَّ، فقلت لها: إنَّ أخاك يسلم عليك ويقول لك: الله خليفتي عليك إلى يوم القيامة، فصرخت وخرت على وجهها مغشيًا عليها، فحركتها بعد ساعة، فإذا هي ميتة، فتعجبت من ذلك ثم سلمت ثياب الغلام التي كانت معي لأمه، وودعتها، وانصرفت حزينًا على الغلام والجارية،

ومتعجبًا من صبر أمهما.

قال المؤلف: « وقد ذكر الحافظ العلامة أبو المظفر بن الجوزي: أنَّه لما بلغته هذه الحكاية، جمع عنده من شعور التائبين ما ظفره فكان منه ثلاثمئة شكال، وقد تقدم ذلك في الباب الرابع، واللّه الموفق»[1].

ودعتُ قلْبِي سَاعَةَ التَّودِيع ... وأَطَعتُ قلْبِي وَهُو غيْرَ مُطِيع

إنْ لَم أُشيْعُهُم فقَدْ شيَعتُهم ... بمِشيِعينَ تَنُفسِي وَدُمُوعِي

٤٠٩ عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد، ويعرف بعبد الرحيم المستجاب (ت ٣٤٦هـ)

سمع من سحنون ومن أسد، وطلب العلم وعني به.

قيل أنَّ أسد بن الفرات، لما أراد الغزو إلى صقلية، أراد عبد الرحيم الخروج معه فشاور في ذلك سحنونا فكسر عليه، وقال له: لا تفعل، ثمَّ قال له: كنت ذكرت لي أنَّك تحب بنيان قصر زياد، وأنَّ عندك أخبارًا توجب الخوف من البر والبحر. وبنيانك لهذا القصر يكون حرسًا للمسلمين وغوثًا لهم، يلجئون إليه ويرابطون فيه، أفضل من مسيرك إلى صقلية، فمضى عبد الرحيم إلى أسد فأخبره بما قال سحنون، فقال: «الذي أشار عليك به هو الصواب» ثم دخل على زيادة الله بن الأغلب الأمير، فخرج ومعه سجلاّن: سجل منهما بولايته على صقلية أميرًا وقاضيًا، وسجل آخر لعبد الرحيم في الإذن له في بناء قصر زياد، فتولّى عبد الرحيم بناءه وإصلاحه وأنفق فيه اثني عشر ألف دينار ستة آلاف من عنده، وستة آلاف من عند إخوانه، وكان ذلك سنة اثنتي عشرة ومائتين.

---

(١) مشارع الأشواق (ص١٤٥-١٤٨).

ويذكر عن ميسرة بن مسلم أنه قال لأصحابه يوما وهم يسمعون عليه تحت صومعة قصر زياد: «أتدرون كم أعطى عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد لبناء هذه الصومعة لما فرغ من بنائها؟»، قالوا: لا علم لنا، قال: «وهب اثني عشر جملا محمّلة بالأموال والهدايا».

٤١٠ اليونيني عبد الله بن عثمان بن جعفر (ت ٦١١هـ)

الزاهد، العابد، أسد الشام، الشيخ عبد الله بن عثمان بن جعفر اليونيني.

كان شيخًا، طويلًا، مهيبًا، شجاعًا، حاد الحال، كان يقوم نصف الليل إلى الفقراء، فمن رآه نائمًا وله عصا اسمها العافية ضربه بها، ويحمل القوس والسلاح، ويلبس قبعًا من جلد ماعز بصوفه، وكان أمَّارًا بالمعروف، لا يهاب الملوك، حاضر القلب، دائم الذكر، بعيد الصيت.

قال سبط الجوزي: «كان الشيخ شجاعًا، ما يبالي بالرجال قلوا أو كثروا، وكان قوسه ثمانين رطلًا، وما فاتته غزاة»[1].

فلئن عرفَ التَّاريخُ أوسًا وخزرجًا ... فللهِ أوسٌ قادمونَ وخزرجُ
وإنَّ كنوزَ الْغيبِ تخفي طلائعًا ... صابرةً رغم المكائدِ تخرجُ

٤١١ أبو محمد ابن عياض المجاهد عبد الله وقيل: عبد الرحمن (ت ٥٦٨ هـ)

المجاهد في سبيل الله، فارس الأندلس وبطلها المشهور، اتفق عليه أهل شرق الأندلس.

قال عبد الواحد بن علي المراكشي: كان من الصالحين الكبار، بلغني عن غير

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٠١-١٠٣)، و«مرآة الزمان» (٨/ ٦١٥-٦١٦).

واحد أنَّه كان مجاب الدعوة، سريع الدمعة، رقيقًا، فإذا ركب الخيل لا يقوم له أحد، كان النصارى يعدونه بمئة فارس، فحمى الله به الناحية مدة، إلى أن توفي - رحمة الله عليه - ولا أتحقق تاريخ موته.

وقال اليسع بن حزم في (أخبار المغرب): حدثني الأمير الملك المجاهد في سبيل الله أبو محمد عبد الله بن عياض أشجع من ركب الخيل، وأفرس من سام الروم الويل، قال: نزلت محلة الفرنج علينا، فكانوا إذا رمونا بالنبل صار حائلًا بيننا وبين الشمس كالجراد، والذي صح عندنا أنَّ عدد خيلهم مئة ألف فارس، ومن الرجل مائتا ألف أو أزيد، وكنَّا نعد على مقربة من سورنا أربع مئة خيمة ديباج أو نحوها نحقق هذا، فاشتد علينا الحصار، فخرجنا في مائتي فارس، فشققنا الروم نقتل فيهم، ولجأنا إلى حصن الزيتونة قاصدين بلنسية[1].

٤١٢ أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي (ت ٢٣٦هـ)

الشيخ، العالم، العابد. أعجب به المأمون لما رآه، وأدناه، وجعله من خاصته.

رحل في الحديث إلى البصرة، والكوفة، والحجاز، واليمن.

وسمع: حماد بن زيد، ومالك بن أنس، وعبد الوارث بن سعيد، وجعفر بن سليمان، وشريك بن عبد الله، وعبد الله بن إدريس، وعباد بن العوام، وأبا معاوية الضرير، ومعتمر بن سليمان التيمي، وسفيان بن عيينة، وعبد الرزاق بن همام.

قال أحمد بن سيار: قدم مرو غازيًا[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٣٧)، وانظر: «المعجب» (٣٠٥)، و«الحلة السيراء» (٢/ ٢٥١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤٦-٤٤٧)، و«تاريخ بغداد» (١٢/ ٣١٥).

٤١٣ **عتبة الغلام بن أبان البصري. الزاهد، الخاشع، الخائف، عتبة بن أبان البصري (ت١٦١ أو ١٧٠هـ)**

كان يشبه في حزنه بالحسن البصري.

وكان يقول: «كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة».

قال رياح القيسي: «بات عندي، فسمعته يقول في سجوده: اللهم احشر عتبة من حواصل الطير، وبطون السباع».

وقال مخلد بن الحسين: جاءنا عتبة الغلام غازيًا، وقال: «**رأيت أني آتي المصيصة**[1] **في النوم، وأغزو، فأستشهد**».

قال: فأعطاه رجلٌ فرسه وسلاحه، وقال: إنِّي عليل، فاغزُ عنِّي.

فلقوا الروم، **فكان أول من استشهد.**

قال سلمة الفراء: كان عتبة الغلام من نساك أهل البصرة، يصوم الدهر، ويأوي السواحل، والجبانة[2].

٤١٤ **عثمان بن محمد بن عبد الحميد التنوخي البعلبكي الزاهد، شيخ دير ناعس (ت ٦٥١هـ)**

صاحب أحوال ومجاهدات، وكان من أهل البر.

أخبر بليلة كسرة الفرنج على المنصورة، وكان قد لبس من الشيخ عبد الله

---

(١) بفتح الميم، وكسر الصاد الثقيلة، بعدها ياء ساكنة ثم صاد مفتوحة مدينة على شاطئ جيحان، من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرطوس. (معجم البلدان).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٦٢)، وانظر: «حلية الأولياء» (٦٧/ ٢٢٧)..

اليونيني، وله تهجد وأوراد[1].

٤١٥ عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي (ت ٧١ - ٨٠ هـ)

وكانت لأبيه عتبة بن فرقد صحبة. روى عمرو عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وكان عمرو من المجتهدين في العبادة.

قال السدي: اشترى عمرو بن عتبة فرسًا بأربعة آلاف درهم فعنفوه، يستغلونه، فقال: «ما خطوة يخطوها، يقدمها إلى الغزو، إلا وهي أحب إلي من أربعة آلاف»[2].

٤١٦ الشيخ قطب الدين الأزنيقي (ت ٨٢١هـ)

وكان زاهدًا متورعًا متصوفًا.

وكان علاَّمة مشاركًا في العلوم الشرعيَّة.

قيل: إنَّه لما اجتاز تمرلنك بالبلاد الرومية اجتمع مع هذا الشيخ، فقال له: عليك أن تترك صنيعك هذا من قتلِ عبادِ الله، وسفك الدماء المحرمة.

فقال له تمرلنك: يا شيخ إنَّي أنزل في منزل وبابُ خيمتي إلى الشرق، فأجدُ بابها في الغد إلى الغرب، وإذا ركبتُ يركبُ أمامي خمسون رجلًا، لا يراهم غيري، فأقفو

---

(١) السير (٢٣/ ٢٩٥).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٤٠)، وفي «تاريخ الإسلام» (٢/ ٨٦٧) عن عيسى بن عمر، قال: كان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج على فرسه ليلًا، فيقف على القبور، فيقول: «يا أهل القبور قد طويت الصحف، وقد رفعت الأعمال، ثمَّ يبكي ويصف قدميه حتى يصبح فيرجع فيشهد صلاة الصبح».

وفي «تهذيب الكمال» (٢٢/ ١٤١) عن الأعمش، قال: قال عمرو بن عتبة بن فرقد: «سألت الله ثلاثًا فأعطاني اثنتين وأنا أنتظر الثالثة: سألته أن يزهدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل وما أدبر، وسألته أن يقويني على الصلاة فرزقني منها، وسألته الشهادة فأنا أرجوها».

أثرهم.

فقال له الشيخ: كنتُ سمعتُ أنَّك رجل عاقل، فالآن علمت أنَّك جاهلٌ.

فقال: «من أين علمت هذا؟ قال: لأنك تفتخرُ بوصف الشيطان، وهو كونه مظهرًا لقهر الله ﷻ»[1].

٤١٧ كرز أبو عبد الله بن وبرة الحارثي

الكوفي الزاهد، القدوة، أبو عبد الله كرز بن وبرة الحارثي، الكوفي، نزيل جرجان، وكبيرها، فإنه دخلها غازيًا في سنة (٩٨هـ)، مع يزيد بن المهلب، فاتخذ كرز بها مسجدًا بقرب قبره.

قال ابن شبرمة: «سأل كرز ربه أن يعطيه الاسم الأعظم، على ألا يسأل به شيئًا من الدنيا، فأعطي، فسأل أن يقوى حتى يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات».

وكان يقول: «لا يكون العبد قارئًا، حتى يزهد في الدرهم».

وقال: «عجزت عن حزبي، وما أراه إلا بذنب، وما أدري ما هو؟».

ولابن شبرمة:

لَوْ شِـئْتُ كُنْتُ كَكُرْزٍ فِي تَعَبُّدِهِ ... أَوْ كَابْنِ طَارِقٍ حَوْلَ الْبَيْتِ فِي الحَرَم
قَدْ حَالَ دُونَ لَذِيذِ الْعَيْشِ خَوْفُهُمَا ... وَسَارَعَا فِي طِلابِ الْفَوْزِ وَالْكَرَم

قال الذهبي ﵀ في خاتمة ترجمته: هكذا كان زهاد السلف وعبادهم، أصحاب خوف، وخشوع، وتعبد، وقنوع، ولا يدخلون في الدنيا وشهواتها، ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء، والمحو، والاصطلام، والاتحاد، وأشباه ذلك مما لا

---

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية للأمير شكيب أرسلان (ص٧٣).

يسوغه كبار العلماء، فنسأل الله التوفيق، والإخلاص، ولزوم الاتباع[١].

٤١٨ محمد بن إبراهيم أبو حمزة البغدادي شيخ الشيوخ، أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي (ت ٢٦٩هـ)

جالس بشرًا الحافي، والإمام أحمد، وصحب السري بن المغلس.

وكان بصيرًا بالقراءات.

وكان كثير الرباط والغزو.

ومن كلامه: «من المحال أن تحبه ثمَّ لا تذكره، وأن تذكره ثمَّ لا يوجدك طعم ذكره، ويشغلك بغيره»[٢].

٤١٩ محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي (ت ٧١٨هـ)

نعته الحافظ ابن كثير بقولِهِ: «الشيخ الصالح، العابد النَّاسك، الورع الزاهد القدوة، بقية السلف وقدوة الخلف». ولد سنة خمسين وستمئة ببالس، وسمع من أصحاب ابن طبرزد.

وكان شيخًا جليلًا بشوش الوجه، حسن السمت، مقصدًا لكل أحد، كثير الوقار، عليه سيما العبادة والخير، وكان يوم قازان في جملة من كان.

وتوفي رحمه الله ليلة الاثنين الثاني والعشرين من صفر بالزاوية المعروفة بهم غربي الصالحية والناصرية والعادلية، وصلي عليه بها، ودفن فيها، وحضر جنازته ودفنه خلق كثير وجم غفير، وكان في جملة الجمع الشيخ تقي الدين ابن تيمية؛ لأنَّه كان يحبه كثيرًا، ولم يكن للشيخ محمد

---

(١) المصدر نفسه (٦/ ٨٤-٨٦)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ٧٢٣)، و«حلية الأولياء» (٥/ ٧٩).

(٢) السير (١٣/ ١٦٥-١٦٦)، وطبقات الصوفية (٢٩٦).

مرتب على الدولة، ولا لزاويته مرتب ولا وقف، وقد عرض عليه ذلك غير مرة فلم يقبل، وكان يزار، وكان لديه علم وفضائل جمة، وكان فهمه صحيحًا، وكانت له معرفة تامة، وكان حسن العقيدة، وطويته صحيحة، وكان محبًا للحديث وآثار السلف، كثير التلاوة والجمعية على الله ﷻ، وقد صنَّف جزءًا فيه أخبار جيدة، ﵀، وبل ثراه بوابل الرحمة[1].

٤٢٠ أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولي، الشيخ الصالح المتصوف المجاهد

كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه، وله في ذلك أشعار وقصائد زجليات وغيرها.

وكان معاصرًا للسلطان أبي عبد الله محمد ابن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي؛ فكان إذا جاءه زائرا حضه على الغزو فيساعده على ما أراد من ذل، ولمَّا توفي السلطان المذكور، ودالت الدولة لولده السلطان أحمد، وغصَّ بالشرفاء القائمين عليه ببلاد السوس، عقد الهدنة مع النصارى المجاورين له ببلاد الهبط وصاحبهم سلطان البرتغال، فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله المذكور فآلى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور، ولا يمشي إليه، ولا يقبل منه ما كان عينه له والده من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وضرورياته فمكث على ذلك إلى أن حضرته الوفاة، وكان في النزع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم: يا سيدي أخبرك أن السلطان أمر بالغزو، ونادى به وحض الناس عليه، والمسلمون في شرح لذلك وفرح، ففتح الشيخ عينيه وتهلل وجهه فرحًا وحمد الله وأثنى عليه.

ولهذا الشيخ زجليات ومقطعات حسان في الحض على الجهاد، منها: اللامية المشهورة التي خاطب بها السلطان أبا عبد الله المذكور ومطلعها:

---

(١) البداية والنهاية (وفيات سنة ثمان عشرة وسبعمئة) (١٨/ ١٨٢-١٨٤).

قل للأمير مُحَمَّد يَا طلعة الْهلَالِ
ليلةٍ فِي السواحل مِنْ أفضل الليالِ

وَمِنْهَا القصيدة الَّتِي مطْلعهَا:

ظهرَ الرملُ مرادي والعسكر يَا كرام
نَفسِي على الْجِهَاد سبلت وَالسَّلَام

وَمِنْهَا القصيدة الَّتِي أَولهَا

قُم للْجِهَاد رعاك اللهُ منتهجَا نهجَ الرَّشادِ إِلَى الأقوام لَو فَهموا

رحمه الله ورضي عنه.

قال أبو العباس أحمد الدغموري القصري: كان الشيخ أبو عبد الله يقول: ما غزونا غزوةً قطَّ إلا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، ويخبرني بجميع ما يتفق لي ولأصحابي في تلك الغزوة.

وله رضي الله عنه في شأن الجهاد والرجولية حكاية ظريفة، وهي أنَّه غز مرةً غزوة إلى الثغور الهبطية، ثمَّ قدم منها مع أصحابه فوجد زوجته فلانة بنت الشيخ أبي زكرياء يحيى بن بكار قد توفيت وصلى الناس عليها بجامع القرويين، وإمامهم الشيخ غازي ابن الشيخ أبي عبد الله محمد بن غازي الإمام المشهور؛ فوصل الشيخ أبو عبد الله ووجد جنازتها على شفير القبر، والناس يحاولون دفنها؛ فقال لهم: مهلًا ثمَّ تقدم وأعاد الصلاة عليها مع أصحابه الذين قدموا معه، فبادر النَّاسُ إليه بالإنكار في تكرير الصلاة في الجنازة بالجماعة مرتين.

فقال لهم على البديهة: صلاتكم التي صليتم عليها فاسدة! لكونها بغير إمام؟

فقالوا له: كيف ذلك يا سيدي؟

قال: لأن شرط الإمام الذكورية وهي مفقودة في صاحبكم؛ لأن الذي لم يتقلد سيفًا في سبيل الله قط، ولم يضرب به، ولا عرف الحرب كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم، ولم يتعبد بالسيرة النبوية فكيف يعدُّ إمامًا ذكرا، بل إمامكم من جملةِ النساء!(١).

قال شهاب الدين السلاوي: عن سنة عشرين وتسعمائة، ولما نزل بأهل المغرب الأقصى ما نزل من غلبة عدو الدين واستيلائه على ثغور المسلمين، تباروا في جهاده وقتاله، وأعملوا الخيل والرجل في مقارعته ونزاله، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامة على ذلك، وصرفوا وجوه العزم لتحصيل الثواب فيما هنالك، فكم من رئيس قومٍ قامَ لنصرة الدين غيرةً واحتسابًا، وكم من ولي عصر أو عالم مصر باع نفسه من الله، ورأى ذلك صوابًا حتى لقد استشهد منهم أقوام، وأسر آخرون، وبلغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون(٢).

٤٢١ محمد بن يوسف بن معدان. أبو عبد الله الأصبهاني الزاهد، ويلقب بعروس الزهاد (ت ١٨٤هـ)

روى عن: الأعمش، ويونس بن عبيد، وسفيان الثوري، والحمادين آثارًا ومقاطيع.

حدث عنه: عبد الرحمن بن مهدي، ويحيى القطان، وابن المبارك، وسليمان الشاذكوني، وزهير بن عباد، وعصام جبر، وصالح بن مهران، وطائفة.

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٤/ ١١٢-١١٤).

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٤/ ١١).

قال الذهبي: «كان يرابط بالمصيصة مدة»[١].

دفن إلى جنب مخلد بن الحسين، مفارقًا ضياعه زاهدًا فيها، له تصانيف في التصوف[٢].

قال أبو نعيم: سمعت أبا محمد بن حيان، يقول: «كان محمد بن يوسف ممن يقال إنَّه مستجاب الدعوة، وكان رئيسًا في علم التصوف، صنَّف في هذا المعنى كتبًا حسانًا رأيته»[٣].

وكان لا يشتري من بقَّال واحد ولا من خبَّاز واحد فقال: «لعلهم يعرفوني ويحابوني فأكون ممن أعيش بديني»[٤].

وكان يقول: لقد خاب من كان حظه من الدنيا. وكان يتمثل كثيرًا بهذا البيت:

إِذَا كُنْتَ فِي دَارِ الْهَوَانِ فَإِنَّمَا ... يُنْجِيكَ مِنْ دَارِ الْهَوَانِ اجْتِنَابُهَا[٥]

وكان رحمه الله لا يضع جنبه، وقد رابط وزار قبر أبي إسحاق الفزاري، وكان يأتيه في العام من أصبهان سبعون دينارًا، فيحج، ويرجع إلى الثغر رحمه الله[٦].

٤٢٢ معروف الكرخي رضي الله عنه. علم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي (ت ٢٠٠هـ)

روى عن: الربيع بن صبيح، وبكر بن خنيس، وابن السماك، وغيرهم شيئًا قليلًا.

وعنه: خلف بن هشام، وزكريا بن يحيى بن أسد، ويحيى بن أبي طالب.

---

(١) تاريخ الإسلام (٤/ ٩٦٨).

(٢) انظر: معجم المؤلفين (١٢/ ١٣٨).

(٣) الحلية (١٠/ ٤٠٢).

(٤) تاريخ أصبهان (٢/ ١٤٢).

(٥) حلية الأولياء (١٠/ ٣٨٩)، و«طبقات المحدثين بأصبهان» (٢/ ٢٣).

(٦) السير (٩/ ١٢٥-١٢٦).

ذكر معروف عند الإمام أحمد، فقيل: قصير العلم.

فقال: «أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف»[1].

قال معروف الكرخي: «امشِ ميلًا صل جماعة، امشِ ميلين صلِ جمعة، امشِ ثلاثة أميال عد مريضًا، امشِ أربعة أميالٍ شيع جنازة، امشِ خمسة أميالٍ شيع حاجًا أو معتمرًا، امشِ ستة أميالٍ شيع غازيًا في سبيل الله، امشِ سبعة أميالٍ بصدقةٍ من رجل إلى رجل، امشِ ثمانية أميالٍ أصلح بين النَّاس، امشِ تسعة أميالٍ صل رحمًا وقرابة، امشِ عشرة أميالٍ في حاجة عيالك، امشِ أحد عشر ميلًا في معاونة أخيك، امشِ بريدًا -والبريد اثنا عشر ميلًا- زر أخًا في الله ﷻ!»[2].

قلت: ما أحوج المسلم لذلك الأجر، والإسلام لمثل هؤلاء الأشخاص؛ أن يمشي المسلم فيحل بمشيه الخير والبركة في المكان الذي ينزل فيه، وأن يترك أثرًا صالحًا في الأشخاص الذين يخالطهم، وأن يكون صاحب همةٍ عالية في أي ميدان كان، يسعى في نشر الخير ولو بأي وسيلة كانت بنفسه، بماله، بدلالة على الخير، لا يحقر من المعروف شيئًا.

وَالنَّاسُ هَمُّهُمُ الحَيَاةُ، وَلاَ أَرَى ... طُوْلَ الحَيَاةِ يَزِيْدُ غَيْرَ خَبَالِ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْرًا يَكُوْنُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ

وعن أبي أسامة قال: «جزى الله خيرًا من أعان الإسلام بشطرِ كلمة»[3].

٤٢٣ الواعظ أبو عثمان المنتجب بن أبي محمد البحتري الواسطي

---

(١) تاريخ بغداد (١٥/ ٢٦٣).

(٢) تاريخ البصرة (١٢/ ٤٨٦)، و«التبصرة» لابن الجوزي (٢/ ٢٧٧)، و«غذاء الألباب» (٢/ ٤٨٣)، وهو بنحوهِ في «تهذيب الكمال» (٦/ ٣٧)، عن حسان بْن عطية: «امشِ ميلًا، وعد مريضًا، امشِ ميلين وأصلح بين أثنين، امشِ ثلاثةٍ وزر في الله».

(٣) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٨) ط: دار الحديث.

ورد إربل ووعظ بها وكان له قبول عظيم، سافر إلى نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر إلى الشام بسبب الغزاة.

أنفذ له نور الدين جملة من مال فلم يقبلها وردها عليه، وأنشده قصيدةً، ذكرتها في كتابنا، ومطلعها سنة (٥٦٩هـ):

مَثِّلْ وُقُوفَكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ... يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ
إِنْ قِيلَ نُورُ الدِّينِ رُحْتَ مُسَلِّمًا ... فَاحْذَرْ بِأَنْ تَبْقَى وَمَا لَكَ نُورُ
أَنْهَيْتَ عَنْ شُرْبِ الْخُمُورِ وَأَنْتَ مِنْ ... كَأْسِ الْمَظَالِمِ طَافِحٌ مَخْمُورُ[١]

قال أبو شامة: «ولعلَّ هذه الأبيات كانت من أقوى الأسباب المحركة إلى إبطال تلك المظالم، والخلاص من تلك المآثم، رضي الله عن الواعظ والمتعظ بسببه، ووفق من رام الاقتداء به»[٢].

٤٢٤ أبو جعفر أحمد الأطرابلسي المتعبد (ت ٣٤٧هـ)

كان فاضلًا مجتهدًا، أقام مرابطًا أربعين سنة، لم يأكل من لحم صيد بحر المنستير طريًّا ولا مالحًا، ولم يشرب من صهريج ماء القصر[٣].

٤٢٥ أبو الأحوص المتعبد (ت ٢٨٤هـ)

قال أبو العرب: كان أصله من المغرب، سكن سوسة وأوطنها، وكان ثقة متعبدًا، كثير العمل والاجتهاد.

كانت بدايته ولزومه مدينة سوسة أنَّه أتى إليها مرابطًا، فأقام بها مدة حتى نفدت

---

(١) انظر: الروضتين (١/ ٥٥)، و«البداية والنهاية» (١٦/ ٤٨٨-٤٨٩).

(٢) الروضتين (١/ ٥٦).

(٣) طبقات علماء القيروان (٢/ ٤٣٣).

نفقته، وأراد الرجوع إلى بلده المغرب، فأتى إلى جامعها ليركع فيه وينصرف، فبينما هو راكع إذ رأى عصفورًا دخل الجامع وفي فمه شيء يطعمه فراخه، فسقط من فم العصفور ما كان فيه، فخرج من خلف الحصير فأر فأكل ما سقط من فم العصفور، فخاطب نفسه بأنْ قال لها: «فأر خلف الحصير قيض الله تعالى له من رزقه كما قد رأيت ولم يضيعه، فكيف أضيع أنا؟ لله عليّ أن لا أدع مدينة الرباط إلى غيرها أبدًا». فأقام بمدينة سوسة واشتهر بها حتى مات، رَحِمَهُ اللهُ تعالى[1].

٤٢٦ محمد بن عطاء الله النحوي. من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا عبد الله (ت ٣٩٤هـ)

روى عن: أبي محمد بن عبد الله ابن إبراهيم الأصيلي الفقيه، وعن أبي بكر الزبيدي، وكانت له منزلة لطيفة، وكان بصيرا بالنحو مقدما فيه، وهو كان الغالب عليه.

قال ابن بشكوال: وذكره ابن عابد وقال: «كان يختلف معنا من منية عبد الله إلى أبي محمد الأصيلي. وحدثني بغير ما حديث، وأفادني بغير ما فائدة».

توفي رَحِمَهُ اللهُ في بعض مدائن الثغر في بعض غزوات المظفر بن عبد الملك بن أبي عامر. وكان غازيًا معه فيها سنة أربع وتسعين وثلاث مئة أو نحوها. ذكره أبو عبد الله ابن عابد رَحِمَهُ اللهُ[2].

يرى الجبناءُ أن الجبنَ حَزْمٌ ... وتلك خديعةُ الطَّبْع اللئيم.

٤٢٧ محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس الأزدي الإمام، الرباني، القدوة، أبو بكر (ت ١٢٣هـ)

---

(١) طبقات علماء القيروان (١/ ٤٨٢-٤٨٣).

(٢) الصلة لابن بشكوال (ص٤٥٥).

حدث عن: أنس بن مالك، وعبيد بن عمير، ومطرف بن الشخير، وعبد الله بن الصامت، وأبي صالح السمان، ومحمد بن سيرين، وغيرهم.

قال جعفر بن سليمان: «كنت إذا وجدت من قلبي قسوة، غدوت، فنظرت إلى وجه محمد بن واسع، كان كأنَّه ثكلى.

قال حماد بن زيد: قال رجل لمحمد بن واسع: أوصني.

قال: أوصيك أن تكون ملكًا في الدنيا والآخرة.

قال: كيف؟

قال: ازهد في الدنيا.

وعنه، قال: «طوبى لمن وجد عشاء، ولم يجد غداء، ووجد غداء، ولم يجد عشاء، والله عنه راض».

وقيل: إنَّ قاصًا كان يقرب محمد بن واسع، فقال: ما لي أرى القلوب لا تخشع، والعيون لا تدمع، والجلود لا تقشعر؟

فقال محمد: يا فلان! ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك، إنَّ الذكر إذا خرج من القلب وقع على القلب.

وكان يقول: «لو كان للذنوب ريح ما جلس أحد إليَّ».

قال الأصمعي: لما صاف قتيبة بن مسلم للترك، وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع؟

فقيل: هو ذاك في الميمنة، جامح على قوسه، يبصبص بأصبعه نحو السماء.

قال: «تلك الأصبع أحب إلي من مئة ألف سيف شهير، وشاب طرير»[1].

وكان من العباد المتقشفة والزهاد المتجردين للعبادة، وكان قد خرج إلى خراسان غازيًا، وكان في فتح ما وراء النهر مع قتيبة بن مسلم، مات سنة ثلاث وعشرين ومئة. وقيل: سنة سبع. وقيل: سنة عشرين. وقد خرج الخلق في جنازته.

وقال ابن قتيبة: كان مع قتيبة بخراسان في جنده، وكان لا يقدم عليه أحد في زهده وعبادته[2].

٤٢٨ محمد بن علي بن أبي خداش، أبو هاشم الأسدي الموصلي العابد (ت ٢٢٠هـ)

راوية المعافى بن عمران.

رحل وأكثر عن ابن عيينة، وعيسى بن يونس، وجماعة. وكان من العلماء العاملين.

قال يعلى الزراد: سمعت بشر بن الحارث رحمه الله عليه يقول: «وددت أنِّي ألقى الله تعالى بمثل عمل أبي هاشم، أو بمثل صحيفته».

وقال أبو زكريا الأزدي: حدثت عن تمتام قال: قلت ليحيى بن معين: كتبت (جامع) سفيان عن أبي هاشم عن المعافى؟ فقال ابن معين: «بلغني أن هذا الرجل نظير المعافى أو أفضل منه».

عن عبد الله بن زياد قال: سمعت أبي يقول عن بعض مشايخه، قال: «توفي النبي ﷺ فكان أشبه الناس بهديه ودله ابن مسعود، فلما مات كان أشبه الناس بهديه ودله

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ١١٩-١٢١)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ٥٢٦).

(٢) إكمال التهذيب (١٠/ ٣٧٩-٣٨٠).

علقمة، فلما مات كان أشبه الناس بهديه ودله إبراهيم النخعي، فلما مات كان أشبههم بهديه ودله منصور، فلما مات كان أشبههم بهديه ودله سفيان الثوري، فلمَّا مات كان أشبه النَّاسِ بهديهِ ودلهِ المعافى بن عمران، فلما مات كان أشبه الناس بهديه ودله أبو هاشم محمد بن علي».

عن العلاء بن أيوب قال: حدثني من حضر أبا هاشم لما التقى الجمعان، فقال لرفقائه: «هذا يوم كنت أتمناه، عليكم السلام. ثمَّ سدد رمحه، وجعله على قربوس سرجه، وحمل على الروم، فكان آخر العهد به».

قال أبو زكريا: «كان صالحًا زاهدًا مجاهدًا، استشهد في سبيل الله لما جاشت الروم بشمشاط مقبلًا غير مدبرٍ سنة اثنتين وعشرين، رحمه الله»[(١)].

٤٢٩ أبو عبد الله مردنيش محمد الجذامي المغربي الزاهد، المجاهد (ت ٥٦٧هـ)

كان معه عدة رجال أبطال يغير بهم يمنة ويسرة، وكانوا يحرثون على خيلهم كما يحرث أهل الثغر، وكان أمير المسلمين ابن تاشفين يمدهم بالمال والآلات، ويبرهم.

قال الذهبي: **من عجيب ما صح عندي من مغازيه**: «أنَّه أغار يومًا، فغنم غنيمة كثيرة، واجتمع عليه من الروم أكثر من ألف فارس، فقال لأصحابه وكانوا ثلاث مئة فارس: ما ترون؟

فقالوا: نشغلهم بترك الغنيمة.

فقال: ألم يقل القائل: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ٦٨١)، و«الوافي بالوفيات» (١/ ٤٨٧)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٦٨١).

فقال له ابن مورين: يا رئيس! الله قال هذا.

فقال: الله يقول هذا، وتقعدون عن لقائهم؟!

قال: فثبتوا، فهزموا الروم»[1].

قال الحسن بن حميد المرعشي: دخلنا على رجل من الغرباء في بعض الثغور وهو يكيد بنفسه، فقيل له: كيف تراك؟ فقال:

غريبٌ وحيدٌ والمنايا تحثهُ ... إلى منزلِ فقرٍ بغيرِ أنيسِ

فقلنا: أبشر رحمك الله فإنَّ الغربة شهادة، ولا سيَّما وأنت مرابط في سبيل الله، فبكى طويلًا، ثمَّ قال: «والله لولا طمعي في كرمه وعفوه لتقطعت نفسي من شدة الغصص والحسرات فما برحنا من عنده حتى فاضت نفسه رحمه الله»[2].

٤٣٥ هشام بن سليمان بن إسحاق بن هلال القيسي السائح: من أهل طليطلة؛ يكنى أبا الوليد (ت ٤٢٠هـ)

روى عن: عبدوس بن محمد، ومحمد بن إبراهيم الخشني، وتمام بن عبد الله، وابن أبي زمنين، والقاضي يونس بن عبد الله، وجماعة كثيرة يكثر تعدادهم.

كان زاهدًا فاضلًا متنسكًا متبتلًا، منقطعًا عن الدنيا صوَّامًا قوامًا، كتب بخطهِ علمًا كثيرًا ورواه. وكان حسن الخط، جيد الضبط، وكان يصوم رمضان في الفهمين، **ويصنع في عيد الفطر طعامًا كثيرًا لأهل الحصن ولمن حضره من المرابطين، وينفق فيه المال الكثير، وكان يرابط نفسه في الثغور**، ويلبس الخشن من الثياب. توفي سنة

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٣٣).

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب (٥/ ٢٣٤٣).

عشرين وأربع مئة. ذكره ابن مطاهر[1].

٤٣١ يزيد بن معاوية النخعي الكوفي. ثقة

من الطبقة الثانية، ذكر أبو بكر بن أبي خيثمة أنَّه معدود في العباد هو وعمرو ابن عتبة بن فرقد، وربيع بن خيثم، وهمام بن الحارث، ومعضد الشيباني. وجندب بن عبد الله، وكميل بن زياد النخعي، وأويس القرني.

قال شقيق: كان أصحاب ابن مسعود يعدون يزيد بن معاوية النخعي من خيار أصحاب عبد الله[2].

وحكي عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي، قال: خرجنا في جيش نحو فارس فيه علقمة ويزيد بن معاوية فقتل يزيد بن معاوية.

له ذكر في «الدعاء» من صحيح البخاري في باب «الموعظة ساعة بعد ساعة» في حديث شقيق بن سلمة، قال: كنا ننتظر عبد الله إذ جاء يزيد بن معاوية فقلنا: إلا تجلس؟... الحديث[3]. وذكره في «التاريخ».

وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، وقال: قتل غازيًا بفارس[4].

٤٣٢ يوسف بن أسباط (ت ١٩٥هـ)

من الزهاد، ومن سادات المشايخ، له مواعظ وحكم.

---

(١) الصلة لابن بشكوال (ص٦١٤).

(٢) العلل لأحمد (٣٠٠٥).

(٣) صحيح البخاري (٨/ ١٠٩).

(٤) تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٤٦)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٣٣١٤)، و«تقريب التهذيب» (٧٧٧٦).

من كلامه: «للصادق ثلاث خصال: الحلاوة، والملاحة، والمهابة».

«خلقت القلوب مساكن للذكر، فصارت مساكن للشهوات، لا يمحو الشهوات إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق».

«الزهد في الرئاسةِ أشدُّ منه في الدنيا»(١).

وصدق! فالملك عقيم، والملوك إما في القبور وإما في القصور؛ ولذلك يصعب الزهد في الرئاسة والملك إلا لمن شاء الله.

قال الإمام الذهبي في ترجمته: «نزل الثغور مرابطًا»(٢).

في الليل رهبانٌ وعند قتالهمْ ... لعدُوِّهم منْ أشجع الفرسانِ

---

(١) قلت: في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٩). قال يوسف بن أسباط: سمعت سفيان الثوري، يقول: «ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإذا نوزع في الرياسة حامى عليها وعادى».

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٠).



وها قد تم كتابة الكتاب بحمد الله وتوفيقه..

فاللهم تقبله واجعله خالصًا لوجهك الكريم، وانفع به كل من دلَّ عليه أو ساهم بنشره، أو كان سببًا في خروجه بهذه الحلة.

وأحب أن أهمس في أذن أخي القارئ فأقول: لقد تركت من التراجم المباركة -لا سيَّما المعاصرة - الكثيرَ خشية الملل والنفور، وما ذكرت من القلادة إلا ما أحاطَ بالعنق، واللبيب تكفيه الإشارة.

وإنَّما أردت بهذا الكتاب أن أبينَ لكلِّ مسلمٍ أنَّ الفقه -فقه الجهاد- قد جسده العلماء علمًا وفهمًا وفعلًا، وأمَّا من يشغب حول هذا الموضوع؛ فهو كمن يغطي نور الشمس بغربال.

ولم يكن هذا الكتاب يهدفُ إلى عرض المسائل الفقهية -كما هو ظاهرٌ من عنوانه-؛ فهو لم يخصص لهذا، ولم يكن مبذولًا لعرض جميعِ أهل الجهاد، فهم في الأمة لا يمكن إحصاءهم، وإنما ذكرتُ من كل جماعةٍ أعلامًا وتركت أعلامًا.

وما تركت أكثر مما ذكرت، ولم أترك زهدًا، وإنَّما اختصارًا وتسهيلًا لا سيَّما أعلام الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، ولعل الله أن ييسر لي أفردهم بجزء أنَّ ربي سميع قريب مجيب للدعاء، والله المستعان.

شابكتُهم متبرِّكًا بأكفِّهم إذ شابكوا كفًّا عليَّ كَرِيمهْ

ولربّما يكفي المحُبّ تعلّلًا آثارُهم ويعدُّ ذاكَ غَنِيَمه[(١)]

وبعد؛ فليسامحني أخي القارئ، وليستر عيب ما رأى، ولا ينساني ووالدي، وأهلي، ومشايخي، والمسلمين من دعوة خالصة، وكما قال الحافظ السخاوي: «والسعيد من عُدَّت غلطاتُه، وما اشتدت سقطاته، فكلُّ إنسانٍ -سوى ما استدركوا- يؤخذ من كلامهِ ويترك، وهي الدنيا لا يكمل فيها شيء، ولا يخلو مصنف من نشرٍ وطي، وقد صحَّ عنه ﷺ، قال: «حقٌ على الله أن لا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه» ليس المعنى بوضعهِ اعدامهِ واتلافهِ؛ إنَّما هو نقصٌ فيه»[(٢)].

وفي بيان عدم انتفاء الخطأ عن الكتب، ومنها كتابي هذا، جاءت عبارة السلف، وأقوال الأئمة في تأكيد ذلك، كما قال الإمام العراقي ثمَّ اليماني معمر بن راشد[(٣)]: «لو عُورِض الكتاب مئة مرة ما كاد يسلم من أنْ يكون فيه سقط» أو قال: «خطأ»[(٤)].

وعن أبي بكر بن القنطري الوراق قال: «سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: عارضت بكتاب لأبي ثلاث عشرة مرة، فلمَّا كان في الرابعة عشر خرج فيه خطأ، فوضعه من يده، ثمَّ قال: قد أنكرت أنْ يصح غير كتاب الله ﷻ»[(٥)].

وقبل الختام أحب أن أقول، والله الموفق: إنَّ الجهاد ركيزة من ركائز الدين، وبه تنال السعادة الدنيوية والأخروية.

---

(١) الإفادات والإنشادات للشاطبي (ص٩٢)، و«رسالة المسلسلات» للكتاني (ص٥٢)، و«بغية الوعاة» (١/ ٢٠٠).

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص٦١).

(٣) الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي مولاهم، البصري، نزيل اليمن. مولده: سنة خمس، أو ست وتسعين. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٥-٧) و«طبقات ابن سعد» (٥/ ٥٤٦)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ٣٧٨-٣٧٩)، و«المعرفة والتاريخ» (١/ ١٣٩ - ١٤٠، و٢/ ١٤١) و«الجرح والتعديل» (٨ / ٢٥٥ - ٢٥٧).

(٤) جامع بيان العلم (٤٢٥).

(٥) موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ١٤).

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال الفراء: «إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بجهاد عدوِّكُم. يريد إنَّما يقوي بالحرب والجهاد؛ فلو تركوا الجهادَ ضعف أمرهم واجترأ عليهم عدوهم».

وقال ابن القيم: «الجهاد من أعظم ما يحييهم به في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة»(١).

إنَّ الجهاد في سبيل اللهِ ليس حكرًا على جماعة أو طائفة معينة، بل هو سنة النبي الأمينِ ﷺ، وهدي السلف، وسيرة الملوك الفاتحين، وحال العلماء العاملين، وصفة الرجال الصالحين الصادقين.

إنَّ الجهاد ليس إرهابًا بل هو حق مشروع تقره الديانات السماوية؛ فهو في مصطلح الغرب «الحرب المقدسة»، ولكن إذا ما خاض هذه الحرب أهل الإسلام في الدفاع عن حرماتهم ومقدساتهم سُمِّي ذلك بالإرهاب؟!! وهذه دعوى مكذوبة يعرف كذبها كل عاقلٍ.

الجهاد في سبيل الله فقه يدرس في كافة الجامعات العربية والإسلامية، وهو منضبط بضوابط شرعية، وقيم أخلاقية، وليس هو بالعشوائية ولا التخبط.

لقد تمثل السلف لهذا الفقه بالقول والفعل، جيلا بعد جيلٍ، وعصرًا بعد عصر بكافة الشرائح وبجميع الطبقات.

ونحمد الله ﷻ أننا أتينا على هذا الكتاب، والذي رأينا فيه أعلامًا لم نكن نسمع بهم من المحدثين؛ كأمثال: الإمام أحمد بن حنبل، وعيسى بن يونس السبيعي، ومنصور ابن سلمة محدث بغداد، وابن لهيعة محدث مصر، وابن المبارك، وابن معين، وصالح الجزرة، وبقي بن مخلد، وإمام المحدثين البخاري، والنسائي،

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص١٢٨)، و«معاني القرآن» (١/ ٤٠٧).

والفربـري، والفريـابي، وزهيـر بـن قميـر المـروزي، وعبـد الله بـن عـون البصـري، وعلـي بـن خشـرم، وأبـو زرعـة الـرازي، وسـعيد بـن كيسـان، وأبـو إسـحاق الفـزاري، وأسـد بـن الفرات.

ورأينا فيه فقهاء عظماء: كالأوزاعي، والشافعي، والمزني، وابن القاسم، وسحنون، وابن وهب، والروياني، والقفال الشاشي، وابن حزم الظاهري، وابن قدامة المقدسي الحنبلي، وشيخ المالكية بمصر محمد البنوفري، وشيخ المالكية بدمشق يوسف بن دوناس المغربي، وابن رشد، وابن القاص شيخ الشافعية في طبرستان، وابن النحاس الدمشقي الشافعي، وابن الصفار مفتي خرسان، ونظام الدين الحصيري من كابر الحنفية.

ورأينا فيه أهل التفسير وعلومه: كأبي عبيد القاسم بن سلام صاحب فضائل القرآن وغريب الحديث، وأبي عثمان الحيري النيسابوري، وأبي عمر الداني، والمظفر بن الأفطس، والعز بن عبد السلام، وأبي بكر ابن العربي، وابن عطية، ونجم الدين الكبرى له تفسير في اثني عشر مجلدًا، ويوسف بن عبد الرحمن ابن الجوزي، ومحمود بن أحمد بن محمد بن بختيان، وابن جزي، وابن عساكر، وابن تيمية، وابن كثير، ومحمود بن عبد الرحمن الأصفهاني الحنفي بدء بالتفسير ولم يكمله، وغيرهم.

ورأينـا الشـعراء ومـن ينشـدون الشـعر ليشـعل الحمـاس في قلـوب إخوانـه: كـأبي ذؤيـب الهـذلي، وابـن المبـارك، ونعـم بـن خلـف بـن أبـي الخصـيف، وأسـامة بـن منقـذ، والصرصري، وأبي بكر محمد بن سعدون الجزيري التميمي، وغيرهم.

ورأينـا ملوكًـا وخلفـاء جاهـدوا في سـبيل الله: كـابن الزبيـرِ، والرشـيدِ، وألـب أرسـلان ومحمـد بـن أبـي عـامر، ويعقـوب الموحـدي، وابـن تاشـفين، ونـور الـدين الزنكـي، وفخر الملك بن عمار، وصلاح الدين. وقطز، وبيبرس، وغيرهم.

ورأينا السلاطين المجاهدين من دولة آل عثمان: عثمان أرطغرل، ومراد الأول، ومحمد الفاتح، وبايزيد الثاني، وسليم الأول، وغيرهم.

ورأينا عبّادًا وزهادا: كإبراهيم بن أدهم، وإبراهيم بن صبيح زاهد البصرة، ومحمد الواسع، ويوسف بن أسباط، ومعروف الكرخي، وشقيق البلخي، وأبو الأحوص المتعبد، وأبو الخير التياني وكان كما قيل: (يجاهد بسيفه وحجفه)، وأبو عثمان الواسطي وهو يحرض نور الدين زنكي، وغيرهم.

ورأينا العلماء الذين كانوا خلف قادتهم وخلفائهم يوجهونهم وينصحونهم: كابن عساكر وهو يكاتب ويصنف لنور الدين زنكي، والقاضي الفاضل وعلاقته بصلاح الدين الأيوبي، وعبد الله بن ياسين ودوره في قيام دولة المرابطين من شيخهم الأول يحيى بن إبراهيم اللمتوني حتى وفاته، وفتاوى العز بن عبد السلام وتصبيره لعسكر قطز بقوله: «اخرجوا وأنا أضمن لكم على الله النصر»، واستعجاله المظفر لقتال العدو ولقاء المغول، وتثبيت الشيخ محمد بن حمزة الدمشقي للسلطان محمد الفاتح التركي، وغيرهم.

ورأينا علماء من أهل الشام كان لهم حراك مبارك ضد المحتل الغاشم: كالشيخ بدر الدين الحسني، وكامل القصاب، وعبد القادر الحسيني.

ورأينا قادة قادوا الحراك ضد العدو: كالشيخ القسام من الساحل السوري؛ الذي قادَ الثورة ضد المحتل في فلسطين، وابن باديس في الجزائر، وعمر المختار في ليبيا، والخطابي في المغرب، وسليمان الحلبي السوري يقتل قائد الحملة الإنجليزية في مصر كليبر، ويموت شهيدًا رحمه الله بعد أن مُثل به.

ورأينا علماء من العرب والعجم (ترك، فرس، كرد، بربر..) جمعهم همٌّ واحد ولم يفرقهم بعد الديار، ولا اختلاف الألسن، ولا تنوع العادات.

لقد تبين لنا في هذا الكتاب أهمية الحركة العلمية في توجيه السلاح (البندقية) وإلا فنتائج ذلك مخزية.

وكيف كان الفتح الأيوبي للقدس بعد توفيق الله بجهود جبارة من العلماء وبذلهم الغالي والنفيس وجهادهم بكل أنواع الجهاد الشرعي المشروع.

لقد رأينا علماء شهداء ماتوا في اقتحام العدو، أو في أرض المعركة، أو غيلة وغدرًا.

ورأينا علماء أحياء سلمهم الله فكانوا في كل أحوالهم نعمة من نعم الله التي أكرم الله بها الأمة.

قرأنا في الكتاب علماء يؤلفون، وعلماء يسكنون الثغر، وعلماء يخرجون حتى يكونوا قضاة، وعلماء يحدثون، وعلماء يؤلفون في أرض الرباط كالبخاري رحمه الله.

أما الصحابة والتابعين فدونك الكتاب لترى فيه مآثرهم وخصالهم، كالصديق والفاروق وذي النورين وأبا الحسنين، وطلحة والزبير، وسعد وسعيد، وابن الجراح والزبير، وابن عوف، وخالد، والقعقاع، وغيرهم.. رضي الله عن الصحابة الكرام، وعن علماء الأمة وصالحيها، وقادتها وفاتحيها، وجمعنا بهم غير خزايا ولا ندامى.

وفي هذا الكتاب:

رأينا أن هارون الرشيد سنة يحج وسنة يغزو.

ومثله ابن المبارك يحج سنة ويغزو سنة.

ومثله عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي.

وعبد الله بن وهب يقسم السنة لثلاثة أقسام أربعة أشهر يرابط، وأربعة أشهر يعلم الناس بمصر، وأربعة أشهر في الحج.

وشبيه ابن وهب محمد البنوفري.

ورأينا علماء كانت غزوتهم كثيرة فلبقي بن مخلد أكثر من سبعين غزوة، ولعيسى بن يونس خمسا وأربعين غزوة

رأينا عجبًا العابد الزاهد السرماري يقتل ألفًا من الاعداء، ثم يعزم على قتل ألفٍ بإذن الله.

وعجبًا أيضًا من العابد اليونيني الملقب بأسدِ الشَّامِ كان قوسه كما قال سبط ابن الجوزي: ثمانين رطلًا.

ووجدنا محمد بن يوسف بن معدان الذي كان يلقب بعروس الزهاد، يحج في العامِ ويغزو.

وعتبة بن أبان البصري، الزاهد الخاشع، شبيه الحسن البصري، كان يدعو الله أن يحشر من حواصل الطيور، وبطون السباع، ومات شهيدًا في أرض المصيصة.

رأينا رجلًا يقال له: رزام المجنون هكذا نعت بالجنون، يقاتل العدو بعقل وحنكة، فإذا عاد إلى أرضه عاد له الجنون!! فهذا أعقل المجانين إن صح وصفه بالجنون كما ذكره ابن العديم في بغية الطلب.

رأينا محمد بن أبي عامر يجمع التراب الذي وقع على درعه في غزواته، وأمر أن يجعل في كفنه.

ومثله أيضًا السلطان العثماني بايزيد الثاني كان يجمع الغبار الذي يعلق بثيابه فيجعله في قارورة.

ورأينا فقهاء يلبسون لباس الجند ويخلعون العمائم، وحازوا فضيلة السيف والقلم، كالإمام الزهري وكان له حضورًا في دولة بني أمية كما ذكره الذهبي، والفقيه عيسى الهكاري، والقاضي ابن صليحة، والفقيه شهاب الدين البلاعي، وأولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه..

وقرأنا عن عالم يجاهد الترك في زمانه كل ثلاث سنين، ويحج كل خمس سنين

وهو الحسن بن الوليد القرشي.

وجدنا عالمًا وهو القاسم بن مخيمرة، كان لا ينصرف من رباطه حتى يستأذن، فيتمثل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ﴾ [النور: ٦٢].

ووجدنا أن عمرو بن عتبة عندما عوتب على شراء فرس بأربعة آلاف درهم، قال لهم: ما خطوةٍ يخطوها، يقدمها إلى الغزو إلا وهي أحبُّ إليَّ من أربعة آلاف!!

ووجدنا شيخ المالكية بدمشق يوسف بن دوناس المغربي طلبوا منه أن يتخلف ويتراجع، فقال: قد بعت واشترى فلا نقيله ولا نستقيله.

ووجدنا من يصنع في عيد الفطر الطعام لأهل الحصن ومن فيه من المرابطين، وينفق المال الكثير، ويرابط بنفسه، إنه الشيخ الزاهد الناسك هشام بن سليمان القيسي.

وفي الكتابِ كثيرٌ مما تقر به أعين المسلمين، والمجاهدين، فاللهم انفع به..

والحمد لله رب العالمين.

مفكَّرَةُ الفَوائِدِ

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....


الحمد لله



هذا الكتاب:

ذُكِر أمامي أنَّ أهل العلم لم يكونوا من أهل التضحية والجهاد في سبيل الله، بل اقتصروا على التصدر للدرس والتعليم، وعقد مجالس السماع والتحديث.
وهذا وإن صح أحيانًا؛ إلا أنَّ إطلاقه ظلم بين، وفيه من الغلط الظاهر؛ ما يعرفه كل صاحب لبٍّ وفِكر واطلاع، ولا تصدر مثل هذه الدعاوى الجائرة إلا من جاهل متعالم، أو طاعن حاقد متنقص لأهل العلم، أو محارب لشعيرة الجهاد يريد إقعادَ الناسِ عنها.
فمواقف علماء الأمةِ وأقوالهم في بَذل أنفسهم في الجهاد وكلمة الحق، وأمرهم بملازمة الثغور والرباط مبثوثة مشهورة في بطون الكتب.
فكان من توفيق الله عليَّ أنْ جمعتُ كتابًا فيه فوائد علميَّة، وأقوالٌ أثريَّة، وتراجم سلفيَّة، عن جهاد الصحابة والتابعين والعلماء، والصالحين والعباد والأمراء.
وأظن -أنا الفقير لعفو ربي- أنَّي بهذا الجمع أغنيت إخواني طلاب العلم عن البحث في الباب؛ مع عدم خلوِّه من تقصير ونسيان في فوات بعض الأخبار، أو سهو وخطأ قد يتجلى للقراء والنُّظَّار، مما خفي على صاحبه المثابر، ولله في ذلك حكم عواطر، وهو حسبه ونعم الوكيل.
وفي الكتابِ ذكرٌ لنحو خمسِ مئة ترجمةٍ لبعض أعلام الجهاد من العلماء العارفين، والصالحين الربانيين، والقادة الفاتحين، وذلك حتى عام (1400 هـ) تقريبًا.
وقد افتتحتُ الكتاب بذكر العلماء الشهداء، ثم ذكرتُ صورًا من جهاد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، ثم شرعتُ في سردِ أخبار جهاد علمائنا وصالحينا، وأمراء أهل الإسلام وقادتهم، مع ضم فوائد نفيسة، وأبحاث منيفة في ثنايا تلك السير والتراجم.
فاللهم انفع بالكتاب وبارك فيه، إنك ربنا على كلِّ شيءٍ قدير.